عبد الرحمن البزّاز

مع الشعب

كتاب وثائقي صدر بعد منع دام أكثر من خمسة وثلاثين عاما

٥

٥٤
٥٨
٦٠
٦٢
٦٧
٦٨
١٢٦
١٦٨
١٨٥
١٩٢
١٩٤
٢٠٢
٢٠٩
٢٢٨
٢٤٩
٢٥٢
٢٦١
٢٦٨
٢٧٠
٢٧٨

٢٨٣
٢٩٢
٣٠٠
٣٣٢
٣٥٦
٣٦٥
٣٧٧
٣٨٨
٤٠٣
٤٠٥
٤١٥

المقدمة

الى القاريء النبيه؛

ليس من الحكمة في القول، ولا من العقل في العمل، ولا من الرغبة في تحقيق الأمل، أن ننبش آلام الماضي، وأخطاء المخطئين. بل الحلم كل الحلم، ان نتجاهل ذكر السيئ من الفعل، والقبيح من القول، وان نكتفي بطرح ما حاول الحاقدون طمسه، ومحاولة المرجفين اخفانه، وتدافع الفاشلون لتزويره. فحدث ما حدث، وكان ما كان، وعاد الزمن ليكون للحق بشيراً، وليؤكد بان الحقيقة لا يمكنها ان تبقى حبيسة. فقد ظهرت بعد ان اختفت وراء ظلها ردحاً طويلا من الزمان. فلم توجد الحقائق لكي تختفي، على الرغم مما يصيبها من تجاهل ونكران.

يصدر هذا الكتاب "مع الشعب" للشعب وباسمه، بكل عز وفخر واباء. لان صاحبه كان قد قصد من وراءه - بصدق نية، وعمق ايمان، وقوة رغبة، وشدة طموح - بناء عراق قوي معافى يباركه الله وتدعمه أنفاس الخيرين، وان الحق قوة، والقوة كامنة في الشعب.

فلا حاجة للقول الكثير، ولا وجوب للشرح الوافي. فقد عرف البزّاز لدى كل المخلصين الطيبين ان همه وعماده وهدفه كان هو "الشعب". ومع ان التاريخ لا يدون نفسه، وان الذين يسجلونه هم أنفسهم، الذين يفرضون عليه غالبا مايشاؤون، في الوقت ذاته، لا يمكن للتاريخ اخفاء الحقائق. وهكذا حضرت ساعة الحقيقة ودق ناقوسها.

لهذا كله أتقدم بالشكر والامتنان وجزيل العرفان لكل الذين شاركونا وشاطرونا اتراحنا وحفظوا في ذاكرتهم طيب الذكر لهذا الانسان الذي نشأ وعاش وفارق الحياة في خدمة بلده وامته ومبادئه. ولي الفخر والاعتزاز انني ساهمت في تدوين ما كان البزّاز يملي عليَّ من مواد هذا الكتاب، ومرافقتي الدؤوبة له حتى صار لي مثلاً أعلى ورمزاً أغلى في مسيرتي الحياتية والسياسية.

نرجو الباريء القدير ان يحفظ عراقنا، ويعيننا على اختيار سبل الخير والنجاة، ويسعدنا بالأمن والرفاه، وان يمدنا بالمخلصين القادرين، وان نحقق الان ما كان البزّاز راغبا وساعيا وقادرا - بأذن الله - على تحقيقه. ان هذا العمل هو باكورة أعمال المركز الذي يحمل اسم صاحب الشأن. نعاهدكم بالمزيد من النشاطات العلمية التي تخدم قضايانا وتنير الدرب للعراقيين جميعا. وطموحاتنا وتطلعاتنا هي الأخرى كبرى لمشاركاتكم ومساهماتكم معنا.

والله خير الشاهدين...

أ. د. حسن البزّاز
رئيس مركز عبد الرحمن البزّاز
للثقافة والرأي

الإهداء

الى التي حملت معي القسط الأوفى من الآلام بسبب ما لقيت من اجل الشعب مما ذكـرت طرفا من انبائه في مقدمة هذا الكتاب...التي كانت تقف ساعات طوال في حـر الهجير تحمل اليّ الطعام ثم لا تلين قلوب بعض الجلاوزة من حراس المعتقل فتعود به أدراجها وعيناها مغروقتان بالدموع، ويزيد في آلامها حين تعلم انني لم أجـد ما أتناوله في الفطور في احد أيام رمضان غير شيء من لحم البقر المعلب، وكسرة خبز يابسة، وتفاحة جاد بها عليّ صديق كريم...

الـى التي تحملت من اجلي الحرمان، والسهر، والقلق، يوم تحملت المسؤولية حيـنما كنت في خدمة الشعب، على الرغم من آلامها الدفينة بسبب فقدانها تباعا ثلاثـا مـن فلـذات كبدها وهم في عمر الزهور، ولكنها لم تأل جهدا في اراحتي واعانتي فيما ابتليت به، وبقيت صابرة، محتسبة الى ان سلمت اليها نسخـة من {كـتاب الاسـتقالة من رئاسة الوزارة} مكرهاً فكانت أسعد خلق الله حين زفت اليها هذه البشرى.

الـى زوجتـي اعترافا لها بالفضل، واعتزازا بما قدمت الي، وعن طريقي، الى الشعب...

تمهيـد

خطـرت لـي فكـرة جمع الأحاديث التي تحدثت بها الى الشعب مباشرة في التلفاز أو الاذاعـة، أو عن طريق المؤتمرات الصحفية المباشرة، والمحاضرات التي ألقيتها في عدد من الجامعـات، والكلمـات التي افتتحت بها بعض المؤتمرات. وبقيت تتردد الفكرة في ذهني مرات كثـيرة وأنـا حائـر بين الاقدام والإحجام. ولكن الأمر ترجح عندي أخيرا بعد ان طلب ذلك اليّ الكثيرون من أصدقائي ومعارفي وألحّوا في هذا الطلب. ذلك ان جمعها بين دفتي كتاب مجدٍ من نـواحٍ كثيرة ليس اقلها – على حد تعبير احدهم – انها تمثل نوعا من الأدب السياسي الطريف الحـري بـان يأخذ شكل الكتاب. ثم انها كانت تعالج مواضيع شتى يجدر بأبناء الجيل الصاعد، والأجـيال القادمـة، ان يطلعوا عليها جملة وبيسرٍ ليكونوا اقدر على ادراك مراميها من الذين اسـتمعوا الـيها بطريقة عابرة ففاتتهم بعض معانيها عند تلقيها العاجل، أو ممن فهموها على غـير الصـورة الحقيقـية التي أردتها. وفوق هذا كله ان الكثيرين من المواطنين لم يتح لهم الاسـتماع الـيها كلها، ومن غير المعقول ان يتحقق ذلك لهم، فطبعها في كتاب لهؤلاء وأولئك لقرأتها وامعان النظر فيها، وادراك مراميها على الوجه الذي أردته.

وثمـة أمـر آخر. لقد بدا لي ان فئة من المواطنين – وان كانوا قلة قليلة – قد أساء فهـم بعض عبارات وردت في أحاديثي، أو لعله تعمد سوء الفهم هذا، فيما أوغل قسم آخر في السـوء بحيث روج لأفكار لم تدر قط بخلدي، ولم أتفوه بها قط، لا في أحاديثي العامة، ولا في أي حديث عام أو خاص غيرها. ولكنهم – سامحهم الله – أرادوا ان يخلقوا جوا من التوتر بيني وبيـن فـريق مـن المواطنيـن ينتسبون الى مهنة رفيعة معينة ومع. ان نشر هذه الأحاديث والمقـالات والكلمـات والمحاضرات بنصها الحرفي الكامل مفيد من وجوه كثيرة اخرى، منها– فيما أرجو – تبديد بعض الغيوم التي حاول نفر من هؤلاء، لإرب في نفوسهم، جمعها لأغراض لا احسـبها الـيوم خافـية علـى أحـد، وايـا يكن الامر، فحينما تلقى سواء الشعب أحاديثي وتصريحاتي وخطبي تلك بالاستحسان والرضا – وربما بالإعجاب الشديد – بقي آحاد من أبناء ذلك المسلك يتصورون ان ثمة اساءة قد وجهت اليهم. وانه لغني عن القول ان اجزم شيئا من ذلـك لم يقع البتة، وانما هو التصور والتوهم بالنسبة لبعضهم، والكيد وابتغاء الفتنة، بالنسبة لبعضهم الآخر، ورجائي ان يسهم هذا الكتاب في وضع الأمر في نصابه الصحيح.

حذف النقطة

لقد شعرت ان نشر تلك الأحاديث والبيانات والخطب وما اليها يتطلب مني ان امهد لها بمقدمـــة ابين فيها مجمل ارائي في بعض المسائل الحيوية، وافصل القول في بعض ما كنت قد أجملـــته فـــي تلك الندوات والأحاديث والبيانات. وبعبارة اخرى سيتكون هذا الكتاب من قسمين رئيسين: (١) مقدمة ضافية، (٢) النصوص الأصيلة للأحاديث والمحاضرات والخطب والكلمات بصيغتها الكاملة. وحين أقول بصيغتها الكاملة لا اعني نشر صلب الأحاديث كما جاءت في حينه فقـط، بل أعقبها بما جرى من نقاش وأسئلة في أثناء المؤتمرات الصحفية خاصة كلما وجدت الـــى ذلـك سـبيلا، و بعـبارة أوضح، سأنشر كل ما استطعت الحصول عليه في هذا الصدد. ويؤسـفني ان أقـول ان بعض ما جرى من نقاش في بعض الندوات وخاصة في المحاضرات الاولـــى التـــي ألقيتها في صفوف الجامعيين، لم استطع الحصول عليه. ان الأسئلة التي أعقبت بعـض المؤتمـرات الصـحفية كانــت من الأهمية بمكان، وكانت أجوبتي عليها من الصراحة والوضوح بحيث يكون من المفيد كذلك ان يطلع عليها المواطنون كافة ويتبصروا في مغزاها.

ولقـد وجـدت من المفيد كذلك ان أضم الى هذه الأحاديث والمؤتمرات والمحاضرات والبـيانات أحاديث اخرى كنت قد أذعتها حينما كنت سفيرا للعراق في لندن، وكنت أمر مرورا خاطفا في بغداد، عندما قدم طلب اليّ بعض المسئولين ان أسهم في توضيح بعض المسائل التي كانت تشغل بال الرأي العام. كما أضفت اليها بعض الأحاديث الاذاعية التي أذاعتها محطة لندن في القسم العربي سواء أكان ذلك يوم كنت سفيرا أم بعدها. ومن المفيد جدا ان يطلع المواطنون على آرائي المذاعة من أية محطة اذاعية لا تلك التي اذيعها من بغداد فقط...

ان اضافة المحاضرات العامة التي ألقيتها في بعض كليات جامعة بغداد، أو على فريق مـــن أسـاتذتها، جـزء متمم لهذا الموضوع الكبير الذي اتخذت له هذا العنوان الشامل: ((مع الشـعب)). كما وجدت من المفيد ان أضيف المحاضرة التي ألقيتها أخيرا في جامعة الكويت، لا لانهـا تعالج موضوعا حيويا فقط، بل ولان تلك المحاضرة في طبيعتها امتداد للمحاضرات التي كنت قد ألقيتها في بغداد. وكان بودي ان لو اتيح لي المجال للحصول على نص المحاضرة التي كنت قد ألقيتها في جامعة البصرة، فضلا عن الكلمة التي كنت ألقيتها على طلاب كلية الطب في جامعـة الموصـل، ولكـن الظاهـر ان ذلـك سيكون عسيرا، فانا - كما هو معلوم - ارتجل محاضـراتي وكلماتـي ارتجـالا، ولـم يكـن لدي متسع من الوقت للحصول على تسجيل تلك المحاضرات التي ضاعت، كما ان بعضها لم يسجل من حيث الأساس.

لقد رأيت إتماما للفائدة ان انشر في هذا الكتاب بعض النصوص المهمة التي لها صلة بالمدة الزمنية التي كنت فيها في خدمة الشعب، وذلك ليكون هذا الكتاب جامعا لكل ما يتعلق بالشهور العشرة التي انيطت خلالها بي المسؤولية. وحيث انني اضطررت بعد الاستقالة من رئاسة الوزارة الى كتابة بعض المقالات، أما توضيحا لبعض أوجه السياسة التي انتهجتها الوزارة التي كان لي شرف رئاستها، أو دفعا لوهم وقع فيه قسم من الكتاب، أو ردا لفرية روج لها - بحسن نية أو سوء نية لا ادري - بعض الناس، فقد وجدت من المفيد جدا الحاقها بهذا الكتاب لانها منسجمة أصلا في كونها مع الشعب من جهة، وليكون النفع منه اشمل، ولتصبح الصورة متكاملة على قدر الامكان.

وعلى الرغم من ايثاري الصراحة، وتحري الصدق، فليس من المعقول ان يطلب إلي توضيح كل شيء اعرفه، وبيان جزئيات كل قضية عالجتها. فهناك مقتضيات المصلحة الوطنية والقومية من جهة، وتدبر بعض الظروف التي لا يستطيع أي انسان يعيش في مجتمع مثل مجتمعنا، وفي زمان مثل زماننا، ان يغفلها، أو يتجاهلها كليا. ان الصورة الكاملة الدقيقة سيجدها القارئ يوما ما - فيما أرجو - حين أتم طبع مذكراتي في الوقت الذي يصح فيه طبع المذكرات.

سبب التسمية (الأيمان بالشعب)

ولم هذا العنوان الذي اخترته بالذات ((مع الشعب)) ؟ سبب ذلك أولا ان هذا العنوان هو العنوان الذي كنت قد اتخذته أصلا لندوة الأربعاء التي تحدث فيها بعض المسئولين، وكان لي نصيب واف من تلك الأحاديث، ولان هذا العنوان بالذات، ثانيا، ينطبق تماما على الغرض الذي كنت أهدف اليه. كنت اريد - أنا وزملائي - ان نكون مع الشعب، نشعر بشعوره ونتحسس الامه، ونشخص أمراضه، ونعبر عن مشاعره، ونستهدي بهديه. وفوق هذا كنا نريد ان نكون مع الشعب نرفع المشعل لإنارة طريقه، ونسير حيث يريدنا ان نسير، أو في الأدق، حيث تقتضينا طبيعة الأشياء والمصلحة العامة العليا، ان نسير فيه.

ان فكرة الرجوع الى الشعب، والتجاوب معه، والانفتاح له، وكشف الحقائق اليه، وانذاره حين يجب ان ينذر، وتبشيره حين يحسن ان تزف اليه البشاره. ان هذا كله، اومن به ايمانا عميقا لم تزده الأيام الا رسوخا في نفسي، ولم تزد الأحداث اليه الا عمقا في قلبي. ذلك

لانـــي اومـــن بالشعب ايمانا لازمني طوال حياتي، وخط – لحد بعيد – سبيل سلوكي في حياتي العامة كلها ...

فلإيمانـــي بهــذا الشعب صارحته ما أمكنني المصارحة، وخاطبته من أعماق قلبي ما وجدت الى مناجاته سبيلا. والفرد لا يصارح عادة الا من يؤمن به، ويأتمنه، ويثق بحكمه. أما من لا يؤمن بالشعب فقد يسعى الى مصانعته، أو مخادعته، أو تضليله، ان لم يسلك معه طريق العـنف والقمـع. أما ان يكشف الإنسان مكنونات قلبه. ويتبسط فيما يقول كل البسط، فذلك لا يكون – عادة – الا من مؤمن مخلص فيما يدعي ويعلن.

ثمن هذا الإيمان

آمنـت بالشـعب كل الإيمان، بالرغم مما كان عليّ ان ادفعه من ثمن في أحيان كثيرة بسبب هذا الإيمان العميق. ولكن المؤمن الصادق في إيمانه يستهين في سبيل عقيدته بكل ثمن، ويستسهل كل صعب. وفي سبيل إيماني بهذا الشعب، وبهذه الامة (وشعبنا جزء لا يتجزأ منها) لقيت في حياتي ما لقيت. فلقد احتجزت حريتي الشخصية في احيان كثيرة. وبقيت لسنين طوال أطـوف بين مختلف المعتقلات في الفاو، والعمارة، ونقرة السلمان، وبغداد الجديدة ، وبنجوين، وتكريـت، وأبـي غريـب، ومعتقل الدبابات في معسكر الرشيد وغير ذلك. وبسبب إيماني هذا فصلت من وظيفتي أكثر من مرة، وكانت حياتي مهددة تهديداً حقيقيا مرارا عدة. وكان عليّ ان اتـرك بيتي، والكثير من أهلي وذوي قرابتي، أعواما. ولن اذكر ما فقدت من مال، وضيعت من ارباح، وسلبت من راحة، فتلك أثمان بخسة لا يجب ان يعتد كثيرا بها.

مجابهة الحاكمين

وبسـبب هذا الإيمان العميق بالشعب جابهت الحاكمين في أقسى الظروف وأشدها بالحقيقة المرة التي أغضبتهم، واكتفي بذكر مثالين اثنين يغنياننا – فيما احسب – عن غيرها كل غناء. حيـنما وقـع العـدوان الثلاثي في خريف ١٩٥٦ على الشقيقة مصر، ووقف العراق الرسمي حيـنذاك موقفـه المـزري، وقـدم بعض الأساتذة الى الأمير عبد الاله عريضتهم المشهورة، وانتدبوني – فيمن انتدبوا – لمخاطبته، وشرح وجهة نظرهم، ووجهة نظر المثقفين عامة، قلت لــه: "ان حكـم نوري السعيد وسياسته في العراق. لن يشكلا خطرا ووبالا على شخص نوري

السـعيد فحسـب، اذ ان الحكومـة العراقية كلها ترى ايضا خطر أساسي على نوع الحكم في العـراق". ثـم أضـفت قـائلا: "ان الشعب العراقي ساخط على هذه السياسة اشد السخط، وان وزرائـك قد لا ينقلون اليك حقيقة شعور العراقيين. وأنا لست سياسيا. ونحن رجال التعليم نرى ان من واجبنا ان نقول الحقيقة كاملة كما تبدو لنا، ان الشعب حينما ينفجر لن يقف عند حد في انفجـاره". لقـد امـتقع وجه الأمير عبد الاله الحاكم بأمره حينذاك من صراحتي هذه، وآلمته أقوالـي العنيفة التي لم يتعود سماعها من وزرائه المستخدمين، وبطانته الفاسدة، وبدلا من ان ينصاع للحق، ويصغي الى النصح المخلص، ويستجيب لداعي الشعب، ركب رأسه، وجرى بعد ذلـك مـا جـرى من اعتقالي مع فريق آخر من أصحابي ووقوفي معهم أمام المجلس العرفي متهمين بالشيوعية والتحريض على اقلاق امن الدولة، ثم الحكم علينا بالابعاد مدة سنة[١].

واحسـب ان الحادث الثاني ابلغ في دلالته على عمق ايماني بالشعب، وهي قصة لا احسب ان الدهـر قـادر علـى ان ينسيني اياها بالنظر لما أحاط شعبنا في العراق يوم ذاك من إحداث جسـام أخافـت الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بالوطنية والقومية والثورية والتحرر، ممن اثروا العافـية فـي الجلـوس علـى التل، أو الانزواء في بيوتهم لا يحس لهم حراك، ولا يسمع لهم صوت، أو ممن هربوا من العراق يستنشقون هواء بيروت العليل، أو يستمتعون بالحياة الهادئة بالقـرب مـن غابـات فيينا أو غيرها ... انها قصة واقعية شهدها أشخاص آخرون غيري ما يـزالون أحـياء ويسـتطيعون ان يؤكـدوا وقائعها، ان كنت حقا بحاجة الى شاهد يؤكد صدق دعواي.

كـان الفوضويون والعدميون والذاحلون قد استولوا فعلا على شؤون البلاد بعد حركة الشـواف الوطنـية، ومقاومة الموصل الباسلة في ربيع سنة ١٩٥٩. ولست اشك ان التاريخ سـيحكم لتلك الحركة وللقائمين بها. ولن يضيرها تبرؤ بعض الانهزاميين منها، واتهامهم لها، والتـنكر للأبطـال القائميـن بهـا. ولقـد حشر الألوف من العراقيين في المعتقلات والمواقف والسـجون وكنـت قـد نقلـت مـن معتقل أبي غريب الى معتقل الدبابات الرهيب، أو (معتقل المتآمريـن والخونة) كما كانوا يسمونه وكان من عادة القوم المسيطرين على ادارة المعتقلات، بـل والقابضـين على شؤون البلاد كلها يوم ذاك، ان يقيموا في كل ليلة أو بين ليلة واخرى،

---

[١] يـنظر تفصيلات ذلك في كتابي ((صفحات من الأمس القريب "ثورة العراق هل كانت حتمية؟)) المطبوع في دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٦٠.

حفلـة مـن حفـلات "الترفيه" كما كانوا يسمونها، ويدعون اليها بعض من يقع عليهم الاختيار لـيذيقوهم فـي تلك الليالي الكوالح صنوفا شتى من العذاب، وليلقنوا العراقيين دروسا لا تنسى حيـن تشـيع فـي اليوم التالي أخبار تلك الحفلات الترفيهية في بغداد لتزيد الناس رعبا فوق رعـبهم بسبب الارهاب الذي كانوا يعيشون فيه. وفي ليلة من تلك الليالي السود استدعيت مع فريق من زملائنا المعتقلين، وكان من بينهم الدكتور سليم النعيمي. لقد جاءنا في ساعة متأخرة مـن الليل بعض العرفاء والجنود وهم مدججون بالسلاح، وفتحوا أبواب بعض المشاجب عنوة حيـث كنا مكدسين فيها كسمك "السردين" ولم يكن ليصيب الفرد الواحد منا من ارض الغرفة الا اقـل من متر مربع واحد. وفي جو رهيب، وصمت مروع، أخذنا الى صالة كبيرة تقع في طرف من أطراف المعسكر، وسمح لنا بالجلوس في ناحية من نواحي الصالة الكبرى.

لقـد كـان مـنظرها مقلقـا، ومثيرا للأعصاب. فحزم العصي القوية مجمعة في كل زاوية من زواياهـا، وحـبل الشنق الغليظ معلق في وسط سقفها – فقد انتزعت المروحة الكهربائية من السقف وربط في محلها ذلك الحبل الغليظ – وعلى جدران الغرفة لافتات وشعارات شتى فيها كل عـبارات الاهانة والتحقير والتهديد والتنديد بنا نحن المتآمرين العملاء الرجعيين الخونة أعداء الشعب، وفي أطراف عديدة من الغرفة وجدرانها آثار وبقايا المعارك السابقة من نجوم الضباط ((وتيجانهم)) وأوسمتهم والبستهم الممزقة وكل ما يوحي بالرعب والانزعاج. ويقف في مدخل الصالة، وفي بعض أطرافها وزواياها، جنود أشداء بقامات فارعة يحملون بنادقهم مربوطة فيها الحراب الحادة، ويحمل بعضهم رشاشات خفيفة أو أسلحة آلية اخرى.

وفـي حجـرة صغيرة متصلة بالصالة الكبرى اناس يدخلون ويخرجون، ويسمع منها أزيـز ((الـبريمس)) حيـث تحمـى عليه قضبان الحديد، والسفافيد[٢]، استعدادا لبدء التحقيق واعطائـه الهيبة اللازمة. ولقد جلس في صدر الغرفة السادة المحققون، ممثلو الشعب الشرفاء مـن الضـباط الذيـن كانت تتراوح رتبهم بين الملازم والمقدم بأزيائهم العسكرية وأوسمهتم، وبيـنهم شـخص واحد فقط ببزة مدنية كان قصير القامة، اقرب الى النحافة، تنم مظاهره عن الحقـد الدفيـن، وكـان فيما يبدو يترأس الجلسة، ويوجه التحقيق حسب الوجهة التي يريدها. عرفـت اسمه فيما بعد وهو المدعو(عطشان ضيئول) وبعد ان اشبعوا سبا واستهزاءا وتحقيرا بعـض مـن جرى معهم هذا التحقيق العجيب أمامي، جاء دوري، وبدأوا يمطرونني بوابل من

---

[٢] مفردها (سفود) ويراد به باللغة الدارجة سيخ حديد.

الأسئلة كنت اجيب عنها بكل هدوء واطمئنان غير عابئ بهذا الجو المرعب. وحين كانت تطرح علـــيّ من بعض الضباط الصغار، بعض الأسئلة المهمة ذات الطابع العقائدي كنت انبسط بها كل التبسط، وأفضي عليها طابعا علميا متزنا يغير من جو هذا التحقيق الغريب.

ولقد استهوت طريقتي هذه – والحق أقول – بعض الضباط الحاضرين، وصاروا لذلك يرغـــبون في الانصات بعناية، ويودون الاستزادة، ويستحثونني على الاطالة في أجوبتي. ولقد أغـــاض هذا الوضع (ضيئول)، وحاول ان يستعمل معي حرب الأعصاب ففشل، فقال لي عندما رانـــي مطمئنا في جلوسي غير عابئ بهذا الجو الذي حسبه كافيا لتحطيم أعصابي، قال بصوت عـــال: أنـــت عـــبد الرحمـــن الـــبزّاز جالس ومستقر في جلستك. فأجبته على الفور: نعم، كل الاســـتقرار، لأنـــي مطمئن بأنني لم ارتكب أي ذنب يدعوني للذعر، ولم اسئ الى الشعب، كما اننـــي مـــن رجال القضاء وآمل ان يأخذ العدل مأخذه، ولذلك فلست خائفا من أي شيء. وحين فشـــلت جولـــته الاولـــى معـــي حـــاول ان يستثيرني بطريقة أو اخرى فلم أعبأ به، عندئذ اخذ يتهددنـــي، ولكن عبثا كان تهديده، وحين فشلت طرائقه هذه كلها اخذ يستهزئ بي، ويعلق على أجوبتـــي ســـاخرا بآرائي، مسفها أفكاري. عندئذ امتنعت عن الاستمرار في الاجابة على أسئلة بعـــض الضباط الحاضرين، وقلت لهم ما معناه: أما ان يجري الحوار بأدب واحترام متقابل والا فإننـــي امتنع عن الاجابة عن الأسئلة التي توجه اليّ. وحسب صاحبنا (ضيئول) ان الفرصة قد فاتته فقال: إذا كان هذا التحقيق لا يرضيك فهل ترغب بان اسلمك الى الشعب ليريك كيف يكون التحقـــيق ؟ وطبيعـــي انني أدركت حالا ما أراده من قوله هذا. فقد قصد ان يهددني (بالسحل)) الـــذي كـــان شائعا بين ((الرفاق)) في تلك الأيام السود. ومع ذلك فقد أجبته بهدوء تام: أنا لا أخشـــى الشـــعب لأننـــي من الشعب ومعه، ولم الو جهدا في خدمته، وإنني لذلك متأكد من انه سيكون لي رفيقا ... ثم أضفت قائلا: ولكن من هو هذا الشعب الذي تريد ان تسلمني اليه؟ طبعا ان فـــي مقـــدورك ان تجمع عشرة أو بضع عشرات أو مائة وبضع مئات من الناس تلقنهم ما تريد، وتدفعهم الى ان يرتكبوا معي ما تريد، ثم تقول هذا هو الشعب ... اما أنا فأقول لك ليس هـــذا هو الشعب، إنهم جزء يسير جدا من أبناء الشعب قد لقنوا وجهة معينة. أما الشعب ككل فـــلا يمـــثلهم هـــؤلاء الذين تهددني بهم، وأنا سأبقى راضيا بحكم الشعب حين يتاح للشعب ان يصدر حكمه عليّ.

بعـــد هذا، وحين رأى فشل تجاربه وأساليبه معي كلها فشلا ذريعا، تدخل بشكل أحمق وأنـــا اجيـب علـــى استيضاحات بعض شباب الضباط. وكنت أتحيز الألفاظ لتلك الأسئلة الدقيقة تحـيزا، وصرت أحس ان أجوبتي قد استهوتهم، وصار بعضهم يحس انهم ليسوا على حق في محاولـــة الاســـاءة الـــي وهذه هي أفكاري. قاطعنا ضيئول بقوله: انك تحاول بكلماتك المنمقة، وعـــباراتك الرنانة المتكررة، ان تؤثر على ضباطنا. وحاول ان يسكتني، فقلت له بحذق لا يخلو مـــن دهـــاء "انـــني اعلم ان الضباط مثقفون، وهم يستطيعون ان يميزوا بين الخطأ والصواب، والحـــق والباطل" .ونظرت اليهم لأرى رد الفعل لأقوالي هذه في نفوسهم. فما كدت أتم كلماتي هـــذه حتى قال احدهم بعنف وهو يخاطب ضيئول: أرجوك استاذ، ارجو ان لا تهيننا، عندئذ فقط شـــعر صـــاحبنا أن الأمر قد فرط منه. وعيل صبره بهذا (الرجعي المتآمر الخائن السليط) الذي اســـقطت أجوبـــته بيده، واثر تركي تلك الليلة بعد ان فشل في إثارة أي من الضباط ممن حوله ضدي، وقرر ان يتموا حفلتهم الساهرة، وليلتهم الترفيهية، مع معتقل آخر استبقوه حين أمرونا بـــالعودة الى مضاجعنا. ثم أعادوا زميلنا إلينا آخر الليل محمولا ((ببطانية)) كالجثة الهامدة بعد ان أشفوا غليلهم معه في تلك الليلة النحوس.

ولقـــد عز على ضيئول هذا، وحز في نفسه ونفوس رفاقه انهم لم يشفوا غليلهم في تلك الليلة ((بالـــبزّاز))، فأرســـل فيما بعد عددا من صغار الضباط، بينهم احد ضباط القوة الجوية، تنقلوا علـــى عجل في المشاجب حيث كنا نتكدس، وفتحوا أبوابها بغلظة يشتمون هذا، ويهينون ذاك، ويـــتهددون هذا الشخص، ويضربون على عجل بايديهم ثالثاً. ولكن بيت القصيد في تلك الرحلة الميمونة كنت "أنا". ففتحوا المشجب الذي كنت فيه بعنف عنيف. فقال:احدهم بغلظة ظاهرة بعد ان اطـــل برأســـه علينا: ((منو عبد الرحمن البزّاز))، فقلت: أنا. فقال : اخرج. فخرجت، وغلق بـــاب المشـــجب من خلفي لئلا يرى احد ما عساهم صانعين بي. وبدءوا أول الأمر يمطرونني بوابل من الأسئلة فأجبتهم عنها برباطة جاش، ووضوح عبارة، فعيل صبرهم على عجل حين لم يســـتطيعوا ان يجـــدوا علـــيّ مأخذا فيما أقول. فقال احدهم : لم أهنت المحكمة ؟ (يريد محكمة المهـــداوي وعصـــابته، وكانت شهادتي في قضية الرئيس الراحل عبد السلام قد اذيعت، وكنت شـــاهدا كالمتهم. واحسب ان الالوف العديدة من العراقيين وغيرهم ما يزالون يتذكرون شهادتي وعباراتـــي). ثم أضاف آخر: كيف تتجرا على اهانة المدعي العام؟ فأجبتهم بأنني لم أهن أحدا، وان المحاكمـــة كانت سرية أصلا، والمحكمة هي التي أذاعت ما جرى فيما بعد. وعلى ذلك فلا

مجال للقول بأنني تعمدت اهانة أي انسان في محكمة سرية. فما كدت أتم قولي هذا الا وقد انهال عليّ احدهم بلطمة على وجهي بحيث سقطت نظارتي، وحاول ضابط آخر ان يرفسني برجله. ولم أزد على ان قلت: "اهكذا تعاملون متهما لم يزل قاضيا في محكمة التمييز، وكان الى الأمس القريب عميدا لكلية الحقوق، واستاذا فيها تخرج على يديه مئات من رجال القانون والقضاة؟".

وبعد ان أنهى ((الضباط الشجعان)) مهمتهم الشريفة هذه ببسالة نادرة انصرفوا جذلين، وعدت الى المشجب حزينا لا من اجل ما أصابني من سوء، بل - بالدرجة الاولى - بسبب الاستهتار بالقيم الانسانية، والاستهانة آخر الأمر بالشعب وقيمه الأساسية، ولقد وقع النبأ على المعتقلين وقع الصاعقة، وكان صدى الحادث عظيما في بغداد وخارجها واهتمت الحكومة ذاتها به بعض الاهتمام، مما اضطر آمر المعتقل لدعوتي الى غرفته بعد أيام قليلة واعتذر مني، وادعى عدم علمه بما حدث. وكان هذا الحادث بداية الانفراج في حياة المعتقلين في معتقل الدبابات الرهيب. فقد جاء في اليوم التالي ضابط كبير اخبرنا باستجابة السلطات لكثير من مطالبنا، بما في ذلك السماح لنا باستعمال المراوح الكهربائية، وشرب الماء البارد. وكان هذا مطلبا عظيما إذ كنا الى ذلك الحين، ننام تحت وطأة الخوف ليلا ونهارا. وبدا الصيف بهجومه وأخذت الحرارة في الازدياد، وليس للفرد منا أكثر من عشر دقائق يقضيها خارج الغرفة يتمشى بين قضبان الحديد والأسلاك الشائكة يمطي خلالها رجليه، ويحاول ان يستنشق بعض الهواء الطلق. ومع ذلك فكانت هذه الدقائق العشر امتحانا عسيرا لأعصابنا اذ كنا نستمع للشتائم المتنوعة، والتهديدات الشديدة، من بعض جنود المعسكر ((العقائديين)) الذين كانوا قد عبئوا، ودربوا على القيام بهذه البطولات والأعمال المجيدة. أما استعمال الثلج فنعمة ما بعدها نعمة بعد ان كان محرما علينا شرب الماء الا من الأنابيب. فما كنا نرتوي بجرعة ماء بارد الا بعد ان سمح لنا بشراء الثلج بعد دفع أثمانه من قبل ذوينا. ان لهذا الحادثة تتمة قد يجدها القارئ يوما ما مفصلا في مذكراتي.

ماذا يعني الإيمان بالشعب؟!

ليس الإيمان بالشعب مجرد عاطفة، أو محض تعلق وجداني به. ان هذا الإيمان يتطلب، فوق ذلك، أولا وقبل كل شيء، الإيمان بحقوق الشعب كاملة، والحرص على تمكينه من

استـــعمالها بصـــورة تامة. واجلُ تلك الحقوق واخلدها على مدى الدهر حرياته، حرية العقيدة، وحـــرية التعبير، وحرية الرأي، وحرية النشر، وحرية الفكر، وحرية التجمع، وحرية المساهمة بـــالحكم عن طريق اختيار ممثليه، مضافا الى ذلك كلمة صيانة جسمه وماله وعرضه وكرامته وكـــل مـــا يتعلق بشخصه ووجدانه من كل اعتداء أو سوء أو اكراه. وانما يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات الاخرى، ويفضل عليها، بحقه في الاستمتاع بهذه الحريات والحقوق كلها. ولا يكفـــي، بحال من الأحوال ايجاد السكن له، وتمكينه من العمل، وتوفير الغذاء واللباس، وتامين حاجاتـــه الماديـــة الاخـــرى، حتى ولا تأمينه ضد المرض والفقر والبطالة والشيخوخة. ذلك ان الإنســـان لا يعيش على الخبز وحده. انه يريد الخبز مع الكرامة، ولا كرامة لمخلوق حين يفقد حريـــته. ولا يخـــتلف كثـــيرا، وفي الحساب النهائي، ان يكون الذي يحول بينه وبين استمتاعه بحـــرياته الطبيعية والسياسية والاجتماعية عدو غاصب، أو مواطن يفرض نفسه فرضا، ويزعم انـــه قيّمْ على الشعب، وانه هو وحده يعرض ما يحتاج اليه الشعب الذي آلت اليه قيمومته، أو الوصـــاية الدائمة عليه. انه بذلك يهدر إنسانية الجماعة، ويجعلهم قاصرين وغير قادرين على اســـتعمال حقوقهم الطبيعية المشروعة. ثم ان هذا الإيمان بالحرية ليس مجرد ادعاء، بل يجب ان يكـــون ســـلوكا مستقرا تدل عليه حياة الفرد كلها. وهذا السلوك يتجلى ويكون أكثر وضوحا حينما يكون الإنسان ذا سلطة فعلية، اذ في ذلك الاختبار الحق لمدى صدقه في دعواه. وبذلك لا يمكن للإنسان السوي الا ان يسخر من بعض الأدعياء الذين يتباكوا اليوم على الحرية، يتباكون علىالعـــراق (في امة) لغده، وقد عرفهم الشعب كذابين متغطرسين لا يؤمنون بهذا الشعب، بل يؤمنون بطبقة ضيقة عتيقة، ويرعون، أول ما يرعون، مصالحهم الخاصة، ومصالح تلك الطبقة المحـــدودة، ناهيك عما في سلوكهم الشخصي المتعالي، واسلوبهم العنيف الذي لا يرعى للشعب ولا أبنائه وبناته حرمة وحقوقا.

متطلبات الحرية

ومـــا دمـــنا في ذكر الحريات فان أول متطلباتها ان يعد المتهم بريئا حتى يدان. وحين تهـــدر هـــذه القاعدة – كما هدرت مع الأسف الشديد، في أحيان كثيرة في أكثر من بلد واحد – فمعـــنى ذلك ضياع للقيم الأساس، وانحطاط في البشرية الى أدنى درجات الانحطاط. ولقد كنت شـــديد الحـــرص علـــى رعاية هذا المبدأ، اغضب اشد الغضب حينما أرى الاستهانة به وعدم

رعايــته تجـاه أي انسان مهما كان الجرم المتهم به شنيعا، واذكر على سبيل المثال انه حينما اغتــيل الملك عبد الله ملك الأردن الأسبق وأوقف عدد من الفلسطينيين، وجاءت الأخبار منبئة بــان بعــض وسائل التعذيب صارت تستعمل ضد المتهمين - وكان من بينهم شخص فلسطيني كــان زميلا لي في أثناء الدراسة في إنكلترا - غضبت لهذا، وأسفت اشد الأسف، وعملت بكل طاقاتــي لوضع الأمر في نصابه المشروع، وكان من بعض ما عملت إرسال برقية الى حكومة الأردن اطالــب فيها بإجراء التحقيق العادل مع المتهمين دون تعسف أو قسوة. ولم يجرا على توقــيعها معــي آنذاك الا الاستاذان محمد مهدي كبة، وكامل الجادرجي، وكانا رئيسين لحزبين سياســيين معلومـيــن. ولقد حاولت عبثا ان اغري المشرفين على شؤون حزب الجبهة الشعبية على الاشتراك معنا فأبوا وان اشارت جريدتهم الى مضمون البرقية بعد ان خففت في صياغتها قلــيلا. وانــي اليوم أجد لزعمائها - وقد اصطفاهم الله جميعا الى جواره - عذرا في ترددهم. فلــيس مــن السهل ان تحمل شخصا على ان يشفع لشخص آخر متهم في قتل ملك، في دولة ملكــية، بخاصــة اذا كــان القتيل عما لملك البلاد. أما أنا فمنطقي الشخصي كان يتسلسل على الوجــه الآتي، اذا كان زميلي الفلسطيني قد جاد بنفسه في سبيل ما كان يعتقده حقا، أو ما كان يتصــور فيه خدمة للامة العربية ا فلا يضيرني أنا ان اضحي بمركزي الوظيفي - وكنت يومئذ حاكما في محاكم العراق - واذا اقتضى الحال ان اضحي بحريتي الشخصية لمدة من الزمن، في محاولــة انقاذ ذلك الصديق والتشفع له ولقد أعقبت تلك البرقية قصة طويلة، ومناورات مخجلة مــن بعض الأشخاص. وقد تجد هذه القصة محلها الفسيح في مذكراتي. ومن الجدير بالذكر ان بعــض الانتهازيــين من رجال ذلك العهد الغابر ممن كانوا يطمحون في خلافة "الزعيم البارز"، وممــن يتنادون اليوم بالحرية، ويتظاهرون بالتدين،كانوا قد حاولوا استغلال تلك الحادثة، على حيــن وقــف فــي الناحية الاخرى رجل آخر - من الطبقة ذاتها، وممن اختلف معه في آرائه السياســية اختلافا جذريا - موقفا كريما حريا بالتقدير. ولعل الواقعة الاتية ابلغ في دلالتها على حرص هذا المبدأ السامي، وهو عد المتهم بريئا حتى يدان، ومرجع بلاغة الواقعة هذه الظرف العصــيب الــذي وقعت فيه، والاستبداد والطغيان الذين أرهقا العراقيين في تلك المدة المظلمة وحملهم من أمرهم.

عسراً حينما نقلنا من معتقل أبي غريب الى معتقل الدبابات في معسكر الرشيد حوالي أواخــر نيسان ١٩٥٩، ادخلنا غرفة آمر المعتقل الذي كان قد اتخذ لنفسه العنوان الاتي: ((آمر

معـتقل المتآمريــن والخونة))، وكان يجلس في وسط الغرفة المظلمة وأمامه منضدة بسيطة، وحولــه عــدد من الكراسي، ويقف الى جانبه عدد من الجنود والمراتب، كما كان يحرس باب غرفته بعض الجنود وهم مدججون بالسلاح. حييته حين دخلت عليه، فرد بصوت خافت، ولكنه لم يرفع رأسه، ولم يطلب الي الجلوس. وفي الحال اخذ احد أعوانه (وهو عريف اسمر الوجه، ربعــة القامـــة، سريع الحركة، عرفت اسمه فيما بعد، وهو المدعو عزيز باكستاني)، اخذ حال دخولـــي الغرفة يفتشني على نحو غير لائق. واخذ يفحص أوراقي وجيوبي، واخذ المفكرة التي كنــت أحملهـــا، كمـــا اخذ القلم ومحفظة النقود ووضعها جانبا. ثم صار يجذبني، ويكاد يمزق قميصــي بحركات مزرية. وصحب ذلك كلمات نابية في سب أشخاص لا علاقة لهم بوجودي في تلــك الغـــرفة أصلا، منهم الرئيس جمال عبد الناصر. لقد المني هذا الوضع واستغربت منه كل الاســتغراب، وقد كان ذلك لا يليق ان يحدث حتى مع جاسوس إسرائيلي القي القبض عليه توا، أو مـــع اسير جيء به قبل ساعات من جبهة القتال. وحينما تمادى رئيس العرفاء في غيه هذا التفــت الـــى الرئيس الجالس في وسط الغرفة، ولم أكن أعرفه يومئذ – وعرفته فيما بعد وهو فاضـــل البياتي – وقلت له بصوت قوي متين النبرات: انني لا اكلم رئيس العرفاء هذا فهو في رأيـــي تـــابع غير مسئول، ولا يقدر تبعة أعماله، ولكني أوجه اليك الخطاب، فأنت ضابط تدرك مســؤوليتك، وعليه اقدم اليك احتجاجي الشديد على هذه المعاملة المزرية السيئة)). ثم اختتمت كلامـــي قائلا: ((أهكذا تعاملون شخصا نقل من معتقل عراقي الى معتقل عراقي آخر، وهو على كل حال لم يزل محتفظا بمركزه القضائي الرفيع، وكان الى زمن قريب عميدا لكلية الحقوق؟)). عـــندئذ رفـــع الضـــابط رأســـه وعرفني وقال بلهجة صارمة: ((نعم هكذا نعاملك لأنك الان من المتآمريـــن والخونة وقد نقلت الى معتقلهم هذا)). فقلت له على الفور: ((ولكن كيف تعدني من المتآمريـــن والخونـــة وأنا محتجز الحرية بقرار لا ادري من أصدره، ولم اطلع بعد عليه، ولم توجه الي بعد أية تهمة، ولم يجر معي أي تحقيق؟ ان غاية ما يمكنك ان تقوله – وقولك هذا لا يخلو من تعسف أيضا – انك متهم بالتآمر والخيانة. مع ذلك فالأصل في كل متهم انه برئ حتى يـــدان، وعلى هذا فان المعاملة التي ألقاها غير كريمة ولا مناسبة لأي انسان، بغض النظر عن اعتـــباره ومركـــزه الشخصـــي)). ولكـــن الضابط الصلف قال بصوت عال: ((ولكننا في ثورة، والـــثورة تعدكـــم متآمريـــن خونة)). حينئذ قلت له بصوت عال قوي وبلهجة أكثر صرامة من لهجـــته: ((وأنـــا باســـم الثورة احتج عليك الان لتشويهك معنى الثورة. ان الثورة التي قامت

لـتحرير العـراق، وتحقـيق الكـرامة والحرية لأبنائه كافة، وان الثورة التي كنت من دعاتها والعامليـن لهـا فـي مجالات الفكر والتعليم والدعوة، لا أرضى لها هذا التشويه، وتحطيم اجل المـبادئ الانسانية واسماها، وأغلى ما تقرره قواعد القانون الطبيعي وروح العدالة، وهي كون الإنسـان أي انسـان – وكل انسان – بريئا حتى يدان من قضاة عدول، بعد ان يتاح له الدفاع الحر الكامل عن نفسه)).

لقـد صرعت كلماتي القوية هذه، وموقفي الحازم هذا، الضابط المتغطرس، فما كدت أتم (مرافعتي القصيرة) هذه حتى تغيرت لهجة خطابه، وطلب بأدب ان اجلس على كرسي قريب مـنه، ثـم تم دق الجرس ونادى حارسا وأمره ان يجلب الي كأسا من الشاي، كنت – والحق يقـال – فـي أمس الحاجة اليه لا بل غلتي الصادية، وارطب شفتي اللتين جفتا، ولهاتي التي كانـت قد يبست بسبب الانفعالات التي أصابتني في أثناء هذا المشهد المهين الذي تعرضت له، وسـبب الحمـاس الـذي أخذني وأنا أترافع في الدفاع عن مبدأ هو عندي من أسمى المبادئ وأجلها.

الانحراف عن مبدأ كل متهم برئ حتى يدان.

وبما دمنا في صدد ذكر هذا المبدأ، واعني به عد كل متهم بريئا حتى يدان. أقول انني لم الو جهدا في التنديد بالانحراف الذي بدا على ثورة الرابع عشر من تموز، والذي تجلى بشكل قاطع في المحكمة الخاصة – والتي صارت تعرف فيما بعد ظلما بمحكمة الشعب – وكنت استثار حيـن أرى رئيس المحكمة يوجه الكلام البذيء للمتهمين، ويخاطبهم وكأنهم مدانون، حتى قبل ان تبدأ المحكمة في مرافعاتها، وقبل ان تسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم. لقد عددت هذا الاسلوب من اشد بوادر الانحراف خطرا، وحاولت في مرحلة متقدمة، ان اوصل رأيي الى كل من أمكنني حينذاك ايصال رأيي اليه. وكنت أتحدث في خطورة هذا الأمر مع كل انسان أتوسم فيه التجاوب معي والايمان بهذا المبدأ البديهي. وكم كانت دهشتي حين وجدت شخصا كان طوال حياته يدعي الديمقراطـية ويتشـدق بالحرية والتقدمية، ومع ذلك وجدته حين راني متبرما بسلوك المحكمة يبرر اسلوبها هذا بحجة ان الشعب راضٍ عنها. ولقد زاد في دهشتي من رأيه هذا على انه من رجـال القـانون، ودعاة التحرر الفكري. ولا شك عندي انه اضطر فيما بعد الى تغيير رأيه في اسـلوب المحكمة، وخاصة بعد ان أصابه رذاذ، بل وابل، من لسان رئيس المحكمة البذيء. أما

أنا فقد كنت من أول يوم اعارض هذه الطريقة بشدة على الرغم من خلافي السياسي والعقائدي مـع الذيـن كانوا يحاكمون أول الأمر. ولقد صرحت مرارا وتكرارا بأنني أوشك ان أيأس من الثورة ما دام هذا هو اسلوب المحكمة، وهذه طريقتها. وكان اعتقادي المستقر ان التساهل في هـذا الأمر الخطير يدعو الى القلق في تقدير حقيقة مدارك بعض الثوار. ذلك ان صاحب الفكرة المستـقرة والعقـيدة الثابـتة، لا يجوز له ان يجعل حكمه متموجا ومتغيرا بالنسبة للأشخاص والحـوادث الفـردية، بـل تقتضيه الفضيلة ومنطق الأشياء والموضوعية الاستمساك بالمبادئ الرئيسة مهما اختلفت الظروف والأشخاص. وما أجمل قوله تعالى واجله: ((يا أيها الذين امنوا لا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا * اعدلوا هو اقرب للتقوى)).

ومهما يكن من أمر، فحين لم أجد صدى لفقداني لسلوك المحكمة المشين هذا، صرت اتخـذ من منصة الاستاذ منبرا لترويج آرائي. ولست بحال من الأحوال نادما على ما قمت به، ولا شـاعرا بالتبكيت، لأنني أخللت بمهنتي التعليمية، لأنني كنت اعتقد ان الذي قمت به – وفي تلك الفترة بالذات – كان من صميم واجبي الانساني والقومي والمهني. ولقد وجدت وأنا احاضر فـي موضـوع القانون الطبيعي – احد موضوعات اصول القانون الذي كنت ادرسه في الصف الأول مـن كلـية الحقـوق – وسـيلتي المجديـة للترويج لأفكاري، والتنديد بأسلوب محكمة المهداوي. لقد أسهبت في شرح هذا المبدأ بكل ما اوتيت من فصاحة وبراعة، وعددت بتفصيل كـل مـا يعنيه هذا المبدأ في التطبيق العلمي. ثم اختتمت المحاضرة بقولي: ((ان اجل ما يمليه علينا القانون الطبيعي هو ان نعد كل متهم بريئا حتى يدان، بعد محاكمة عادلة. وتمكين المتهم مـن الدفاع عن نفسه، دفاعا حرا كاملا)). وأضفت الى ذلك قائلا – ببيان ناصع، ونبرات كانت فـي حـد ذاتهـا تشير الى مقصودي بشكل صريح: ((ان أي مجتمع يتنكر لهذا المبدأ الانساني السـامي مقضـى علـيه بالزوال، لان ذلك يناهض فكرة العدل وحكمة الطبيعة. ان اهمال هذه القـاعدة الرفـيعة التـي هي حصيلة كفاح الانسانية قرونا عدة يعنى العودة بالبشرية الى حياة الـبربرية وقانون الغاب)). وكان واضحا لمئات الطلاب والطالبات الذين كنت احاضرهم ما كنت اعنيه بأقوالي هذه. وما كدت أتم المحاضرة حتى بادرني احد الطلاب بالسؤال الاتي: وهو يتعمد إحراجـي، هـل تـريدون ان نطبق هذه القاعدة حتى على الخونة الذين يحاكمون أمام محكمة الشعب؟. فاجتبه بصوت قوي وبنبرات حادة: ((اننا يا بني هنا في بيئة علمية، وعلينا ان نحترم ما يقرره العلم، والذي قلته هو بعض ما يقرره العلم، وعلينا ان لا نعبأ بما هو خارج عن قاعة

الـــدرس لان ذلك زائل. أما ما وصلت اليه الانسانية من تجاربها الطويلة، وبعد ان دفعت الثمن غاليا من دماء وأرواح الملايين من البشر، فلا يجب ان يهمل في سبيل أفكار طارئة خارجة عن جونا العلمي هذا)). لم يرض جوابي هذا الطالب ((العقائدي))، ولعل كثيرين غيره لم يستسيغوا هـــذه ((الهـــرطقة)) الـــبرجوازية، التـــي تبدو معارضة لما يذيعه كل يوم ((فيلسوف الثورة)) والـــناطق باسم الزعيم الأمين أبو الثوار، وما يكرره المدعي العام الذي اتخذ لنفسه حق النطق باســـم الشـــعب الـــذي لم يكن له حول ولا طول ولا رأي في اختياره وزمرته الذين مثلوا أسوأ الأدوار على مسرح العراق.

ولقد كنت على يقين من ان أقوالي هذه ستنقل الى الجهات المعنية، بل كنت أدرك جيدا انـــه سيضـــاف الـــيها الشيء الكثير مما لم اقله، كما كنت على ثقة بان طريقتي هذه ستغضب المسؤولين، وقد تدفعهم لاتخاذ اجراءات تعسفية ضدي. كنت اعلم هذا علم اليقين، ولكن منطقي الفطـــري البسيط كان يسيل هكذا: كيف يجوز لي ان أبقى صامتا ازاء هذا الوضع المشين، وأنا الـــذي امن بالشعب، وبالانسانية ومثلها؟ !. حقا لقد بلغ المسؤولين ما قلته في الصف في أثناء المحاضـــرة، وما كنت أقوله في غير الصف في كل مناسبة أرى لزاما عليّ ان أقول فيها كلمة الحـــق. وكنـــت اردد في نفسي دائما القول المأثور: ((الساكت عن الحق شيطان اخرس))، وما كنـــت أرضـــى لنفسي ان أكون شيطانا اخرسا أو ناطقا بحال من الأحوال. ولقد شكى المهداوي تجـــرؤي علـــيه لـــدى الزعيم الأوحد. وتشكى الزعيم الخالد عن سلوكي في مجلس الوزراء، وحـــاول ان يحـــول بينـــي وبين التدريس بالاغراءات في المناصب المختلفة حينا، بما في ذلك "الســـفارة" أو رئاســـة ديوان مجلس الوزراء.ثم لما تقطعت به الأسباب وجد في ثورة الموصل الباسلة فرصته المواتية، ولذلك كنت احد الخمسة الذين كانوا أول من صدر عليهم الأمر بالقاء القبض بعد ثورة الموصل الشجاعة التي كانت ايذانا بقرب انهيار ذلك العهد المظلم.

ثورة الرابع عشر من تموز والحريات العامة

حيـــنما قامت ثورة الرابع عشر من تموز كنت، كغالبية الشعب العراقي الفطن، اعتقد بحتميـــتها، وكنت أرى ان التمادي في الباطل، ومحاربة الأفراد والجماعات، والاستهتار بحقوق الشـــعب قد بلغ حدا لا يطاق. وقد أيقنت ان سبيل الاصلاح التدريجي لم يكن ممكنا، بخاصة بعد ان جـــرت انتخابات ((مجلس التزكية))، وازدادت القطيعة بين العراق من جهة ومصر وسورية

مــن جهة اخرى، وبعد ان ركب العناد رؤوس الحاكمين المسيطرين يوم ذاك. واستشرى الشر الــى حد مروع، وصار الناس يتنادون ان لا سبيل لانقاذ البلاد من سياسة الأحلاف والاستخذال للأجنبي، وقمع الحريات، الا بثورة عارمة تقلب الأوضاع رأسا على عقب، وتعيد للشعب حقوقه وحرياته. كنت اعتقد أن تلك الثورة كانت حتمية، ولم أزل على هذا الاعتقاد الى يوم الناس هذا. ولا عــبرة بالانحــرافات التي تعرضت لها الثورة لان الحكم انما يكون على الأوضاع كما كانت فعــلا. وكانــت الحالة يوم ذاك سيئة جدا، ما في ذلك أدنى ريب. ثم ان انحراف الثورة لا يقوم برهانا على بطلانها. ولست اريد ان اسهب في تحديد هذه النقطة، فقد يجد الراغب بالاستفاضة بغيــته فــي مقدمة كتابي ((ثورة العراق هل كانت حتمية؟)) ومع ذلك فقد تكون الفقرات الاتية موفــية في التعبير عن بعض ما اريد: ((الحق ان الثورة التي قضت على الملكية لم تقض على الــتحكم الفــردي، والتــي قضت على حكومة فاسدة لم تقضي على الفساد، وهي حينما حطمت مصــالح فريق من الجشعين المستغلين أقامت مقامهم طبقة جديدة من الوجهاء الجدد لا يقلون جشــعا واســتعلاء عن سابقيهم.... ثم ان حرص العهد الحاضر على تثبيت الحدود المصطنعة وتخليدها قد فاق أي مدى خداع العهد البائد[٣])).

لقد كنت ناقما على انحراف الثورة في عهد عبد الكريم قاسم، وكنت من أول المنبهين الــى هــذا الانحراف. وبذلت ما استطعت من جهد في تسديدها بالنصح الخالص أولا، ثم بالنقد المهــذب عــن طريق المحاضرات ثانيا، كما أشرت الى ذلك قبل قليل، أو الكتابة الموجهة بعد ذلــك. واحســب ان الذين قرأوا كتابي ((الدولة الموحدة والدولة الاتحادية)) – وكنت قد طبعته بعيد الثورة يدركون– جيدا انني كنت من اجرأ من انتقد الردة القاسمية باسلوب علمي رصين. ان الفقــرات الاتــية مــن مقدمة الكتاب كافية فيما احسب، للتدليل على صدق ما أقول. فتحت عــنوان: ((الثورة والانقلاب)) قلت بالحرف الواحد: ((ان الفارق الأساس بين الانقلاب والثورة هــو ان الانقــلاب يعني تغيير الحكومة القائمة بالعنف غالبا، واقامة حكومة محلها، على حين تكــون الــثورة حــركة شــاملة لها فلسفتها المعلومة، وأهدافها البينة، وهي ليست تغييرا في الحاكميــن فحســب، بــل تتطلــب، أولا بالذات، تغييرا جذريا في فلسفة الحكم، وطرق العيش، وأســاليب الحياة ... وكل ثورة تقتصر فيها الغاية على استبدال حاكم بحاكم – مع فرض صلاح الجديــد، وفســاد القديم المستبدل – ليست من الثورة في شيء، بل هي مجرد انقلاب أو تغيير

[٣] ينظر صفحة ٣٦ من الكتاب المشار اليه في أعلاه.

حكومـــة. مـــا لم تتغير مقاييس الحياة، وما لم تتجدد مفاهيم الحكم، وما لم تتبدل النظرة العامة للفرد حين ينظر الى حكومته، فليس هناك ثورة بالمعنى الصحيح الدقيق))[٤].

مقاومة الردة القاسمية

علـــى انـــه اتســـع الخرق، واستحالت الثورة الى انقلاب وتحكم فردي، وغمط لحقوق الشـــعب، وتســـويد الغوغائـــية، وقفت أمام محكمة المهداوي، شاهدا كالمتهم، اندد بالفوضى، وادعـــو الـــى ما اعتقده حقا من غير تلجلج ولا استكانة، ولا تزلف. ولست ادري انسي شعبنا موقـــف بعـــض دعاة الحرية والوحدة والاشتراكية والاستقلال الجامعي اليوم ممن تلجلجوا في أقوالهـــم، ورددوا القســـم تلـــو القسم باستكانة مهينة، وخوف يزري حتى بالجبناء؟ ترى كيف يصدق شعبنا ان هؤلاء هم أبطال الحرية، ودعاة القومية والاشتراكية. وكانوا يخططون لبعض لجان حلف بغداد ؟.

ضلال التحزب الأعمى

وبعـــد انهـــيار حكم عبد الكريم قاسم والزمرة الضالعة معه من أعداء الشعب وأعداء الحـــرية اغتبطـــت كما اغتبطت الكثرة الكاثرة من أبناء العراق بثورة الرابع عشر من رمضان والعـــودة بالـــثورة الى حقيقة أهدافها. ورجوت، كما رجت الملايين من أبناء الشعب ان ينبثق عليـــنا الفجـــر الصادق الذي طال انتظاره ليتمتع الشعب – كل الشعب – بحرياته، ويعبر بصدق عـــن وجـــوده. ولكن ضلال التحزب الأعمى ليس اقل سوء من هوس الحزبية القاتلة، والأنانية الحمقـــاء. وهكـــذا تكررت الأخطاء التي يعرفها القاصي والداني في عراقنا كله، وكان لابد من تصحيح جديد ...

ولقـــد كنـــت مـــن أوائـــل الذين انتقد الوضع الحزبي الذي صار اليه العراق في تلك المدة العصـــيبة، ولم الو جهدا في نصح القائمين على شؤون البلاد. لقد نبّهت بان السوء قد بلغ حدا مـــن الخطـــورة بحيث لا يمكن ان يصبر عليه أي انسان سوى. تحدثت بها مرارا مع الرئيس الـــراحل عبد السلام، ومع رئيس الوزراء حين ذلك، ومع كثير من المسؤولين الآخرين. واذكر مرة انني قضيت في ديوان رئيس الوزراء مدة طويلة من الزمن ابين له الأخطاء الفظيعة التي

---

[٤] ينظر ص ٢٥ من الطبعة الثالثة من كتاب ((الدولة الموحدة والدولة الاتحادية))، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦.

وقـــع فـــيها العهد. ولقد طال الجدال واشتد، واشترك فيه احد وزراء ذلك العهد الاستاذ شكري صـــالح زكـــي واظهر تبرمه من سياسة الحكومة وتأييده لكل ما قلت[٥]. ولقد طلب مني رئيس الـــوزراء ان اجتمع به في اليوم التالي وهكذا كان. ولقد سألني في اللقاء الأول ما لاحظت من دفـــاع رئـــيس الـــوزراء عن الأوضاع القائمة، والسياسة الحزبية المسيطرة دفاعا مهلهلا غير مقنع، ولكن سرني، في اللقاء الثاني، حين وجدته يعترف بسوء الأوضاع، ويعتذر لي عما أبداه مـــن آراء فـــي لقاءنا في الأمس وأكد رغبته في التخلص من هذه الأوضاع المشينة. وأدركت يومـــئذ ان للـــرجل – كما هو الحال في أكثر الحزبيين – شخصيتين، شخصية يشوهها التحزب ويبعدها عن الحكم السليم، واخرى ذاتية سليمة الفطرة تدرك الامور على حقيقتها.

لقـــد كنت يومئذ سفيرا في القاهرة أتردد على بغداد بين الحين والآخر. ولكني ما كنت اضـــيع أية فرصة للاتصال بالمسؤولين، ومكاشفتهم بحقيقة الأوضاع، وحقيقة مشاعر الشعب. ولـــم تحـــل صـــفتي الرسمية قط دون وقوفي الى جانب الحق الذي اعتقده، أو تبرم بالسياسة الخـــرقاء التي كانت تتبعها حكومتي. قد يكون ذلك مخالفا لآداب الوظيفة وشكلياتها ولكنني لم التزم بالشكليات قط في حياتي. واحسب ان الذين قرأوا محاضر جلسات المفاوضات الثلاثية بين العـــراق وســـورية والجمهورية العربية المتحدة حول ما صار يسمى بـــ((الوحدة الاتحادية)) نيسان ١٩٦٣، يعلمون مدى استقلالي في الرأي، وحرصي على كلمة الحق أقولها مهما كلفني ذلك. واحسب ان هذا السلوك كان من أسباب اعجاب الرئيس جمال عبد الناصر بي، وقوله في ما قال مما هو معلوم ومدون في محاضر تلك المفاوضات.

الأمل الذي تحطم

وبعـــد زوال حكومـــة الحزبيين في العراق أمل الشعب خيرا، واستبشر بالعهد الجديد. وكان رجاءهم وأملهم الذي طال انتظاره ان يبلغوا بوضعهم الراهن الى مرحلة الثورة الحقيقية، أي ان يصـــلوا الـــى معـــنى الـــثورة السليم، الثورة التي تحقق لهم الأمن والعدالة الاجتماعية والحـــرية الـــتامة بوصـــفهم مواطنين أصحاب الحق الأول في ادارة شؤون البلاد، الثورة التي تحقـــق لهم الخبز مع الكرامة، وترفع عنهم الحيف والظلم، وتزيل من أذهانهم أشباح الاستبداد الفردي والتحزب الأعمى، وتمكنهم من تحقيق ما يصبون اليه من حياة مستقرة كريمة، ليسيروا

---

[٥] ولقد استقال فيما بعد من الوزارة.

بـــارادتهم المحضة المخلصة نحو أهدافهم القومية العليا التي يؤمنون بها. ولاشك ان الوزارات التـــي تعاقبـــت الحكم بعد ذلك قد خطت، أو في الأدق حاول بعضها ان يخطو في هذا المضمار بعض الخطوات. وكان المرجو ان تطرد المسيرة في هذا الاتجاه السليم لتحقيق الغايات النهائية التي يهدف اليها كل مجتمع انساني متحضر.

الإيمان بالثورة

وانـــه لمن المؤسف حقا ان يتعثر العراق في مسيرته، وتظهر في الافق بوادر التسلط الفردي، وتشيع روح الاستهانة بالجماهير، فتعود الشكوى من جديد. ويؤدي ذلك الى ان تتنادى أصـــوات فـــي العلـــن، أو تتهامس في السر، ما جدوى الثورة ان لم تحقق للمواطنين كافة ما يريدون ؟ ومرة اخرى يجب ان نعلم ان الثورة في العراق كانت حتمية، وان الذين ينكرون هذه الحقـــيقة يغـــالطون ويتجاهلون امورا لا حصر لها، وستبقى الثورة لذلك حقيقة وجود لمجتمعنا الـــى ان تحقق كل غاية. وبعبارة اخرى: ((ان الدعوة الى الثورة – الثورة السياسية، والثورة الاقتصـــادية، والـــثورة الفكرية، والثورة الصناعية، والثورة الاجتماعية، وكل أنواع الثورات الاخرى – ضرورة قومية، واشاعة مفاهيمها الحقيقية، وتمهيد السبيل اليها، واجب قومي، وما فـــي ذلـــك أدنى ريب.... وأكثر من هذا ان الثورة هي روح العصر، وهي كذلك بصورة خاصة بالنســـبة للشـــعوب التـــي استيقظت أخيرا، وترى الشوط بعيدا وهي بذلك مضطرة لان تسرع الخطـــى، لتواصـــل ركـــب المدنـــية الزاحف بل الطائر. ان الثورة هي وسيلة للشعوب لتحقيق انطلاقهـــا، وللامـــم فـــي اقامـــة كياناتها، وجمع شملها، والأفراد لاثبات وجودهم اثباتا كاملا. والـــثورة، كل ثورة، حتى الفاشلة والمنحرفة ضرورة من ضرورات حياتنا القومية))[٦]. وجلي مـــن هـــذا ان الإيمان بالثورة وحتميتها ضروري لكل مجتمع يريد التقدم والحياة الحرة الفعالة. وطبيعـــي ان لـــيس غاية الثورة استبدال حاكم بحاكم، ولا حلول طبقة محل اخرى، ولا التنادي بشعارات لا يعرف دعاتها مفاهيمها بدقة، ولا يلتزمون بها حين تؤول اليهم مقاليد الامور.

---

[٦] ينظر ص ٣٢ من كتاب ((ثورة العراق هل كانت حتمية)) المشار اليه قبلا.

هل نجحت الثورة؟

يتساءل اليوم كثير من العراقيين – وهم تحت ضغط الأحداث المؤلمة والأجواء التي لا سبيل لنكرانها – هل كانت ثورة العراق ناجحة؟ والغريب انهم ينسون ان طبيعة الأشياء تفرض الثورة أحيانا. ثم انها ظاهرة طبيعية لا سبيل لصدها حينما تتوافر أسبابها، وكانت تلك الأسباب متوافرة حينما قامت ثورة الرابع عشر من تموز.

وان الثورة وان حققت بعض مطالب الشعب التي كان يراها أساساً يوم ذاك، بالقضاء على الاحلاف، والخروج من حلف بغداد، واتباع سياسة الحياد الايجابي، وانهاء – أو محاولة انهاء – انعزال العراق من الركب العربي، فانها لم تنجز بعد كل أهدافها النهائية. ان بلوغ تلك الأهداف يقتضينا مزيدا من العمق الدائم. ومزيدا من التضحيات، ومزيدا من الوعي والادراك السليم لحقيقة معنى الثورة. وأكثر من ذلك ((يخيل الي ان الحكم على ثورة ما، بالنجاح أو الفشل لا يمكن ادراكه الا بعد مدة طويلة من الزمن، والحكم الآني لا يعدو ان يكون سطحيا وظاهريا، وهو قلما يكون موضوعيا مجردا عن العواطف والنزعات الشخصية. ثم ان الثورات والانتفاضات يجب ان ينظروا اليها على كونها ظواهر اجتماعية لا تنعدم الا اذا مات المجتمع، وقضي عليه، ذلك لانها دليل الحياة، وعنوان الحيوية.

وفي عالم الأحياء حينما يفقس الفرخ قشر البيضة ويثور على محيطه الخارجي، وحينما يمزق الجنين الأغشية المحيطة به، ويندفع الى الأمام ثائرا على بيئته الضيقة – رحم امه – أيجوز لنا ان نتساءل هل كانت ثورة الفرخ ناجحة، وهل حقق الجنين غايته ؟))[٧].

حق الشعب في محاسبة نفسه

وليس معنى هذا انني أنكر على الشعب حقه في محاسبة نفسه، ومحاسبة الثوار والثورة محاسبة للنفس، لان الثورة، أولا وقبل كل شيء، هي ثورة الشعب، ومن صنع الشعب ذاته. ذلك ان الجيش، أو في الأدق الوحدات التي اشتركت في الثورة من الجيش هي جزء من الشعب أولا، ولأنه لولا مؤازرة الشعب، وكون الثورة مطلبا أساسا من مطالبيه لا تنجح أية حركة، ولا ترقى الى مقام الثورة ثانيا. وحين تفلح أية وحدة عسكرية في الاستيلاء على السلطة، والقضاء على الحاكمين السابقين، فان ذلك لا يعني ثورة بل مجرد انقلاب. ان للثورة مفهوما أعمق

---

[٧] ينظر ص ١١٢ من كتابي ((العراق من الاحتلال حتى الاستقلال)).

واعـــم، وغايـــات أوسع وابعد من مجرد الاستيلاء على السلطة، واستبدال حاكم بحاكم، ونظام بـــنظام حكم آخر. فليست العبرة بالمسميات بل بجوهر حقائق الأشياء. من هم الثوار اذن؟ هنا يجـــدر بـــنا ان ننبه الى خطا يشيعه بعض الذين اشتركوا في العنصر الانقلابي من الثورة من الضـــباط وغـــيرهم مـــن الحزبيين حين يتصورون انهم هم وحدهم أصحاب الثورة، وذلك فلهم بالنتـــيجة حق استثمارها، أو على حد ما يقولون أحيانا حمايتها، وان هذه الحماية لا تكون في زعمهم الا بالتسلط على مقاليد الامور وحكمهم هم للبلاد حسب مشيئتهم تحقيقا لأهداف الثورة فـــيما يقولـــون. لا شـــيء يســـيء الى الثورة مثل هذا الزعم. ان الثورة – كما قلت – ظاهرة اجتماعية، ودليل على حيوية أي مجتمع، وهي لا تتحقق الا بعد توافر عدد من العوامل الفكرية والاجتماعـــية، والا بعـــد جهـــد كبير من القومية وشعور الجماعة بالحاجة الى التغيير الجذري حيـــنما لا يعـــود الاصلاح التدريجي الجزئي موفيا بمتطلبات المجتمع الأساس. ثم انه لابد لكل حركة انقلابية لكي ترقى الى مستوى الثورة من أهداف معلنة، وغايات واضحة، ومبادئ أساس تسعى جاهدة، وفي كل الظروف، لتحقيقها. وهذه الامور كلها لا تستطيع وحدة من الجيش، (أو لفـــيف من الضباط، وفئات من الحزبيين) مهما اوتيت من اخلاص وشجاعة واقدام ان تقوم بها الا بعـــد ان يمهـــد لذلك دعاة مدركون، ومفكرون مثاليون، والا بعد ان يسهم في التحضير عدة مـــن الجـــنود المجهولين الذين يهيئون بتضحياتهم الصامتة البيئة المناسبة التي تمكن من قيام الـــثورة ونجاحها. ثم لابد لكل ثورة من عقول جبارة قادرة على السير بها قدما لتحقيق أهدافها الواحدة تلو الاخرى دون ارهاق للشعب، أو تفتيت لعزائمه.

أول متطلبات الثورة ادراك روح الشعب

وحين تنعزل أية حركة عن روح الشعب، وتبتعد عن متطلبات الجماهير الحقة، تذوى تدريجـــيا الـــثورة وتخمد وتستحيل الى انقلاب لا سبيل للحفاظ الا بالنار والحديد، ولا يمكن ان يدوم ذلك طويلا مهما كانت قوة النار والحديد. والذي اريد ان اخلص اليه من هذا كله ان نجاح الـــثورة – أيـــة ثورة – مقرونة ببقاء روحها حية. وهذه الروح لا تبقى حية برفع الشعارات، والقـــاء الخطـــب، ومـــلء الحـــناجر بترديد الهتافات، بل بالتجاوب الصادق مع حقيقة ما تريده الجماهير، ويطالب به الشعب.

ما هي مطاليب شعبنا؟

لقد كانت مطاليب شعبنا الأساس – ولم تزل – ان يتاح له ان يحكم نفسه بنفسه من دون ارهاب أو تسلط من أجنبي، أو فئة أو فريق من أهل البلاد. مهما سمت أفكار تلك الفئة الحاكمة، وخلصت نياتها، فانها لا تستطيع ان تحتفظ بروح الثورة حين تقر الناس على ما تريد قسرا، وتكلفهم بما هو خلاف طبائعهم وحاجاتهم.

ان الواجب الأسمى لقادة الثورة المخلصين ادارك هذه الحقيقة البديهية، وهي ان الشعوب لا يمكن ان تساق كالقطيع، وتقسر على ما لا تريد قسرا. ان مهمتهم الأساس هي معرفة ارادة الشعب الحقيقية والسير في تحقيقها، ومحاولة تجنيبه، في الوقت ذاته، أي شطط أو انحراف قد تدفع غرائز بعضهم أو مصالحهم اليه، أو قد تحاول أية فئة في الترويج بضلالة له. كل ذلك يكون بالتوعية المخلصة، وبالفهم الصحيح لروح الجماهير، والادراك العميق لمفاتيح المغلقات من أسرار نفوسهم وطبائع تكوين الجماعات البشرية.

وحين ينسى أي زعيم أو قائد هذه الروح، أو يتجاهلها، سيلقى معارضة شديدة هي فوق ما يتصور. كان لزعيم احد البلاد ((هوس)) في نقاط معينة، وكان يرى ان الصوم يرهق العمال، ويؤثر آخر الأمر في الانتاج، فأفتى بلزوم افطار العمال. ولم يكتف بذلك بل طلب الى بعض وزرائه ان يقوموا بتفتيش المعامل للتأكد من التزام العمال ((بهذه الفتوى)) واخذ المسؤولون يقدمون وجبة في الضحى من المرطبات يحملون العمال على الاستمتاع بها كرها. وماذا كانت النتيجة ؟ ان نسبة الصائمين بين العمال تلك السنة كانت أعلى من أية سنة قبلها. وشعر العمال – واحساسهم الديني لم يزل عميقا في قرارات نفوسهم – انهم يراد بهم ان يقسروا على الاستهتار بمعتقداتهم، فصار حتى الذين كانوا من قبل يتسامحون بالافطار يصومون ذلك العام كرد فعل ((لهوس الزعامة)) التي تريد ان تدفعهم الى ما لا يعتقدون دفعا، وأحست القيادة بخطأ رأيهم ولم تكرر تلك الفتوى العجيبة في السنة التالية، وتركت العمال وشأنهم يلتزمون شعائر دينهم، أو يتأولونها كل حسبما يمليه عليه وجدانه وظروفه واجتهاده الخاص.

ان هذا المثال حري ان يتعظ به بعض قادتنا حين يطرحون شعارات يعلمون علم اليقين – أو حرى بهم ان يعلموا – ان الشعب، بكثرته الكاثرة لا يرضى عنها. وانهم بطريقتهم المغالية في تفسيرها قد دفعتهم الى المغالاة من جانبهم الى الطرف المعاكس، انهم يحسنون

صـنعا لو تركوا ذلك لطبيعة الأشياء دونما زخرف في القول، ودونما تشديد وتأكيد يزيدان في شكوك الشعب ويدفعانه الى الغلو في رد فعله.

لقـد كانـت ((الوحـدة العربية)) مثلا شعارا محببا، وأملا يود أكثر أبناء الامة العربية ان يراه حقـيقة قائمـة. فما كادت بعض الأحزاب (العقائدية)) تتبناه، وتدخله مع كلمتين اخريين فتجعل منه "ثالوثا مقدسا" حتى فتر حماس فريق كبير من أبناء الامة العربية. ثم لما رأوا تلك الفئات، حيـنما اتيح لها ان تحكم، قد أحالت هذا الشعار الى فرقة، وكانت عاملا من عوامل تفتيت أول خطـوة وحدويـة جديـة قام بها العرب في العصر الحديث وبقيت مع ذلك تتاجر به، وتطرحه للمـزايدات السياسـية فـي مناسبة وغير مناسبة، حتى زهد أكثر الناس بهذه الوحدة، وكادوا يكفـرون بها ... ولست بطبيعة الحال ممن يدعون الى الزهد بالوحدة، أو التنكر لها، ولكن لكم يطيـب لـو لـم يغالِ بعض أصحاب الشعارات في استعمالها بالطريقة الطافحة بالوعود الكاذبة بحيث أدى الأمر الى هذه النتيجة المؤلمة.

آفات الثورة - احتكارها -

لكـل ثورة أخطارها وآفاتها التي تتهددها في الصميم. واذا ما تركنا الأخطار والآفات الخارجـية جانبا طالعتنا الآفات الداخلية التي منها الردة الرجعية، والثورة المضادة، واستغلال الانتهازية للثورة، وبالنتيجة افساد غاياتها، ولكن اشد الأخطار فتكا بالثورة، والذهاب بربحها، هـو انعزالها عن الروح الجماهيرية الحقة. ان الذي يمهد لهذا الانعزال هو احتكار الثورة من شـخص واحـد أو فئة صغيرة تدعي انها منجزة للثورة وصاحبتها التي يجب الا ينازعها فيها مـنازع، فتتنادى سرا أو علانية، ((نحن الثورة)) أو ((أنا الثورة)) كما كان يقول لويس الرابع عشـر مـن قـبل ((أنا الدولة)) سواء بسواء. وحين تبلغ الثورة - أية ثورة - هذه المرحلة المفجعة فان ذلك يعني القضاء النهائي عليها، اذ يصبح فشلها التام محتوما. ومن ابرز الطرق التي تؤدي عادة الى انعزال الثورة عن الجماهير، وبالنتيجة فشلها، هو اغراء بعض القابضين علـى مقالـيد الامور بسلوك طريق منفر يدعو الى انفضاد الجماهير من حولهم يوما بعد يوم، فتجمد الثورة، أو تنعكس، وتصبح جسما هامدا لا حياة فيه ولا رواء. وقد تبقى بعض الشعارات تـتردد فـي الأجواء، وقد يحافظ على بعض المظاهر التي قد تنفع لمدة قصيرة من الزمن في خـداع فـريق صغير من عامة الشعب. ولكن سرعان ما تنكشف الحقائق، ويدرك أبناء الشعب

انهـم مخدوعون، وان ما يسمى بالثورة ليس من الثورة في شيء، بل هو تسلط فئة أو أفراد يـريدون ان يحققوا مآربهم الشخصية، ومنافعهم الذاتية، عن طريق الادعاء الكاذب، والتنادي الباطل ((بالثورة)) و ((الثورية)) ...

ولنا في العراق انموذج حي على انحراف الثورة عن طريقها السوي. فعلى الرغم من تأييد أكثر من تسع وتسعين بالمائة من أبناء الشعب العراقي لثورة الرابع عشر من تموز، واغتباطهم الشديد بها، سرعان ما فتر حماس الجماهير، وخابت آمال الشعب، وصار شخص واحد هو "مفجر الثورة"، و "القائد الملهم"، و "الزعيم الأوحد"، و" الرجل الرجل"، و"المهندس الأعظم"، وما الى ذلك من ألقاب وكنى بلغت – كما أحصاها احد الكتاب العرب – ستا وستين عدا، أي بمقدار ثلثي أسماء الله الحسنى. ونحن نعلم جيدا، وما احسبنا نسينا، ما رافق هذا الوضع من فوضى، وما أعقبه من دماء والآم وتحطيم. على انه يجدر بنا – للانصاف – ان لا نقصر اللوم على شخص بالذات حين نذكر تلك النكسة المروعة. فالذين كانوا حول الزعيم الأوحد شركاء ضالعون في تحقيق هذه المهزلة البشرية، والنتيجة المفجعة ... ان الذين كانوا يتنادون بان ((أمر الزعيم قانون))، والذين كانوا يملئون الأجواء بهتافاتهم المدوية، والذين كانوا يرتبون المسيرات ويشاركون فيها، والذين دبجوا المقالات أو القوا الخطب، ونظموا القصيد في تعداد مواهب الزعيم الخالد ومآثره، كل اولئك مسؤولون مسؤولية تامة عن هذا الاجرام الخطير بحق الوطن، لقد كان الرجل في أيامه الاولى، شعبيا واقرب الى التواضع، ولكن بطانة السوء، والحاشية الفاسدة، وبعض الوزراء الجبناء، وبعض الساسة الذين كانوا يعملون بالخفاء، ويريدون عن طريق تكديس المديح للشخص الواحد ان يصلوا الى السلطة، كل هؤلاء جميعا هم الذين دفعوه، وسولوا له ان يتصور نفسه عبقريا حقا، وهم الذين ادخلوا في روعه ان العناية الالهية قد اختارته لانقاذ العراق، وانها تكلاه بعين الرعاية.

ان هذه التمثيلية المضحكة المبكية قد تتكرر في دنيانا، في عراقنا أو أي جزء آخر من وطننا العربي الكبير. فشهوة الحكم عارمة ومتوغلة في أنفس الكثيرين من أبناء قومنا، والمديح – وان كان مكذوبا – يطيب لأصحاب النفوس الصغيرة فيتوهمون ان ما يسمعون من ملق ورياء هو الحق الذي لا فرية فيه. ومع الزمن يتغير سلوكهم، ويخالط الغرور نفوسهم شيئا فشيئا، فيتصورون ان الثورة قد تجسمت بأشخاصهم، وان ما ينالون من رعاية هو حق لهم، لأنهم بذلك يحفظون الثورة، ويصونون أهدافها، ويحولون دون أية ردة رجعية. وهم لا

يعلمون انهم بسلوكهم هذا يخدمون الرجعية اجل خدمة، ويضربون الثورة في الصميم. وليست الفئة الصغيرة المحتكرة أفضل من الفرد المستبد في هذا. فالذين يريدون ان يجعلوا الثورة حكرا لهم، ويسبغون على أنفسهم القابا، هي في الغالب الأعم من نسيج خيالهم، والذين يتصورن انهم قادرون على انقاذ الثورة من كبوتها مخطئون. ان امارة صدقهم - ان كانوا صادقين - ان يتنادوا على رؤوس الاشهاد ان الثورة ثورة الشعب، وان الشعب وحده صاحب الحق فيها، وعليه تبعة الحفاظ عليها، وانه بالرجوع اليه والاستجابة الى رغباته، تتحقق معاني الثورة ذاتها، وتنجز جل غاياتها. ان الذين يتصورون لأنفسهم ولاية على هذا الشعب هم - مهما حسنت نيات بعضهم - مسيئون الى الشعب، ومفسدون لمعنى الثورة. انهم في أحسن الأحوال رجعيون بكل ما تعنى الرجعية من معان، وانهم الاخسرون الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا.

طريق النجاة

لا شيء غير الإيمان العميق الصادق بالشعب، والعمل الدائب المخلص من اجله، وتمكينه من تحقيق ذاتيته بحكم نفسه بنفسه، والتعبير عن وجوده، ينجينا من مغبة الانحراف، ويحقق معنى الثورة، ويتم اجل غاياتها. فليتيقظ الذين مازالوا سادرين في غيهم، وليعودوا الى الشعب صاحب الحق الخالد والمصلحة الدائمة، ان كانوا صادقين. ولست - مع ايماني العميق بالشعب - افكر مع ذلك ان فئة صغيرة ذكية أو قائدا جبارا قد يوهم الشعب لمدة من الزمن بما هو غير حقيقي، وقد يدفعه الى سلوك طريق ضار. ان ذلك متصور، ولكن صنبور الإيمان الذي يحول دون هذا هو الإيمان العميق بالديمقراطية والحرية الفكرية. فاذا سمح للناس ان يفصحوا عن آرائهم فلن يعدم الشعب عقلاء أو قادة حكماء يبصرونه بحقيقة الأمر، ويحولون بينه وبين ان ينحدر الى الهاوية. ومن المستحيل ان يندفع أكثر الشعب الى الهاوية مع وجود من يتنادى صراحة بمخاطر الانزلاق. "وليس من الممكن خداع كل الناس كل الوقت" كما يقول "ابراهام لنكلن".ولكن حين تحتكر فئة صغرى وسائل النشر والاعلام والعلانية، ووسائل التثقيف والتوجيه، فقد تقع الكارثة، ويحل الدمار. ومن هنا تصبح حرية الفكر، وحرية القول والتعبير، الضمان الأساس اللازم لكل مجتمع رشيد.

الإيمان بالحرية ايمان بالشعب

ان الإيمـــان بهذه الحرية هو صفو الإيمان بالشعب ذاته. لأنك لا تعد مؤمنا بالشعب ما دمـــت تحـــرمه مـــن التعبير عن مكنونات نفسه، وتحول بين مفكريه والاعراب عما يختلج في صـــدورهم، وعلى الرغم مما في الديمقراطية الحرة من مساوئ فانها، بلا أدنى ريب، الحارس الذي يحول من دون سقوط أي مجتمع في وهاد الضلال.

ان الديمقراطـــية هذه تدعو الى حرية الفكر، والدعوة، واحترام أراء الآخرين، وبهذا التسامح نضع للمجتمع مفاتيح السلام، ونحول دون الاستبداد وما يؤول اليه من عسف ودمار. وليكـــن واضـــحا ومعلومـــا اننـــي مع ذلك بين الشعب وبين اعلان أفكاره، فانهم كذابون لأنهم يســـلبون الشعب اقدس حقوقه. ان حق الحياة يعني ان يعيش الانسان حرا. وليست هناك حرية مادامـــت الأفواه مكممة، والأقلام مكسرة، ووسائل النشر والعلانية حكرا للدولة ولفئة قليلة من اجرائها وأكثرهم من الانتهازيين التافهين.

القول والعمل

وحيـــن يبلغ القارئ هذا المدى قد يقفز، بحق، السؤال الآتي على لسانه، وماذا عملت - وقد وليت المسؤولية - لتحقيق هذا الذي تدعو اليه، وتتنادى اليوم به؟ ومن حق هذا السائل ان يضـــيف الـــى ذلـــك شيئا آخر فيقول: وما قيمة الأقوال ان لم تقترن بالفعال؟. واحسب ان الجـــواب الدقـــيق الكامل يقتضينا ان نبحث، ولو على عجل وبايجاز، في الظرف الذي وليت به المسؤولية، وبعد ذلك تبيان الانجازات التي استطعنا تحقيقها خلال الاشهر العشر.

وضع البلاد حين توليت المسؤولية

انيطـــت بي مهمات رئاسة الوزارة في أعقاب فتنة داخلية مرت، بحمد الله، دون اراقة دماء، ولكن أوضاع البلاد المالية والاقتصادية والاجتماعية كانت سيئة من كل الوجوه، والأمان الداخلـــي لـــم يكن مستقرا تمام الاستقرار، ذلك ان الوضع في شمالي الوطن كان يدمي قلب كل انسان سوي يحرص على أرواح العراقيين، ويتألم حين يرى الأموال الطائلة تذهب هدرا فيما لا طـــائل تحته. ان الحرب - ولنسمي الأشياء بأسمائها - بين أبناء الوطن، والتي استمرت سنين طويلـــة، كانت قد استنزفت الدم الكثير، وبددت المال الوفير، وأضاعت الجهود الجهيدة من دون

جدوى. وأما سمعة العراق الخارجية، وعلاقاته بالدول العربية، وصلاته بالدول المجاورة ودول العالم الاخرى، فكانت في أحسن وصف لها انها عادية أو فاترة أو متوترة. فكان لزاما علينا ان نضع خطة محكمة بحيث نعيد الأمن والاستقرار الى ربوع العراق كافة، والدعة والعيش الكريم للعراقيين على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم ومذاهبهم، ونحقق - في الوقت ذاته - للعراق صلات أفضل بجيرانه، وتعاون اصدق مع أشقائه، ومناسبات أوثق مع دول العالم الخارجي كله.

السياسة الخارجية

ولنبدأ بعرض موجز للسياسة الخارجية التي اتبعناها خلال تلك الشهور المعدودات. لقد سرنا بدقة حسب أول تصريح أعلنته (وهو المنشور في هذا الكتاب) وقد كنت يومئذ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية في وزارة السيد عارف بعد الرزاق. وعلى الرغم من انتقاد بعض الفئات الصغرى المرفوضة لذلك البيان، واستغلال بعض الساسة المحترفين لبعض فقرأته، وتهجم بعض العاطفيين "شعرا" عليه، فقد كان ذلك البيان الصحفي قطعة سياسية محكمة كنت قد تخيرت كل لفظ من الفاظه وجملة من جمله، وقيمته الحقيقية مستقاة من كونه واقعيا ومنطقيا ومحققا لمصالح العراق، دون تضحية بأي مبدأ من مبادئنا. وماذا كانت حصيلة تلك السياسة؟ لقد كانت انفتاح العراق من جديد على جيرانه، وعودته الى الصفاء الذي ساعد على عقد اتفاقيات مختلفة معهم استفاد منها العراقيون كثيرا. وكان من آثار ذلك تبادل الزيارات الودية التي استثمرت بشكل أوسع بعد ان تركت الحكم. وانا مسرور ان أرى بعض الذين انتقدوا سياستي تلك صاروا يسيرون حرفيا عليها، وجنى الكثيرون ثمارها اليانعة، واستمتعوا بآثارها الطيبة. والمهم عندي ان يحقق للعراق نتيجة السياسة، الأمن، وقد تحقق هذا، وان يقوم حسن الجوار مع جيرانه، وهذا ماتحقق ايضا.

العلاقات العراقية الايرانية

ان تحسن العلاقة مع ايران بصورة خاصة أمر مهم جدا للعراق. وانا - كما قلت أكثر من مرة في ندواتي التلفازية ومؤتمراتي الصحفية - لا أزال اعتقد ان ليس لعاقل مدرك ان يتبع مع ايران سياسة غير تلك السياسة التي دعوت اليها، وسرت بمقتضاها. ذلك ان تشابك

المصالح وتنوعها، والارتباطات البشرية والتاريخية والدينية، والصلات المادية الاخرى لشعبنا، تقضي علينا ان نعبر بسلام وان نتعاون في كل ما فيه خيرنا المشترك.

كـــان بعض الحمقى، من أصحاب الهوس السياسي، يريدونني – ليرضوا عن سياستي – ان أسهم في توجيه الاذاعة والصحافة ووسائل الاعلام الاخرى في سب الايرانيين، والتشنيع على حكومتهم، والتحريض بملكهم. وكنت اعلم علم اليقين ان ذلك، اضافة الى مجافاته للأخلاق الكريمة والآداب والأعراف الدولية، أمر يضر كل الضرر بمصالح العراق والعراقيين. لقد كانت سياســـة ضبط النفس، والدعوة المخلصة للصداقة – حتى في الأحيان التي تجاوزت فيها بعض صـــحف ايـــران الحـــد المعقول، وغالى فيها قسم من المسؤولين في بعض تصريحاتهم – هي الطريق السوي الذي كان لزاما علينا ان نسلكه، والمبدأ القويم الذي علينا ان نلتزم به.

العلاقات العراقية التركية

وكـــان لزيارتـــي لتركيا، والترحيب الحار الذي لقيته من حكومتها وشعبها[٨]، وازدياد حجـــم التبادل التجاري بين بلدينا، واكمال بعض المشروعات المشتركة التي تزيد في ارتباطات قطريـــنا، والنهج الذي سلكناه في القضية القبرصية شأن كبير في السياسة التي بقيت – لحسن الحـــظ – الحكومـــات التـــي أعقبت وزارتي ملتزمة في السير عليها. وكان لزيارة الرئيس عبد الرحمـــن محمد عارف لتركيا، وزيارة الرئيس صوناي للعراق اثر مهم في احكام هذه السياسة. ومـــن حقي ان أقول اليوم بان السياسة التي اتبعناها مع تركيا لم تخدم العراق فقط بل أسهمت فـــي خدمـــة الامـــة العربـــية ايضا. ان موقف تركيا المتحسن تجاه قضية العرب الأساس في فلســـطين، وعـــودة العلاقـــات بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة، كان للعراق، ولسياستنا خاصة، شأن في هذا يعترف به كل المدركين لخفاياها.

لا أحلاف

ولـــم تكـــن هـــذه السياسة العراقية مع الجارتين المسلمتين قائمة – كما زعم بعضهم علـــى أســـاس مـــن العودة الى الاحلاف، حتى ولا الحلف الاسلامي المزعوم. كما لم تكن تلك

---

[٨] سبق زيارتي تبادل الزيارات بين وزير الدولة يومئذ الدكتور عدنان الباجه جي ووزير خارجية تركية السيد احمد صبري.

السياسة مناهضة لسياسة العراق العربية، أو قائمة على ضرر أية دولة من الدول العربية. لقد أكــدت هذه الحقيقة مرارا في مؤتمرات صحفية، وندوات عدة، وذكرت اننا دولة محايدة، نلتزم بمبدأ الحياد الايجابي كل الالتزام، ولا نقر الاحلاف العسكرية، وقلت عما سمي بالحلف الاسلامي انه كلمة حق اريد بها باطل.

ولم اسمع قط من أي مسؤول تركي أو ايراني في المملكة العربية السعودية دعوة الى أي حلـف بهذا الاسم، وجلّ ما هناك هو ان المملكة العربية السعودية كانت ترى – ومن حقها ان تــرى – لزوم تقوية الروابط بين الأقطار الاسلامية، وانا شخصيا لا أرى في ذلك بأسا، بل أرى ان في ذلك فائدة اذا عرفنا كيف نستغل هذه الرابطة، وادركنا المدى المعقول الذي يجب ان نقـف عـنده. وبالرغم من وضوح فكري في هذا الصدد، وتأكيدي أكثر من مرة على معارضة التكـتلات وسياسة الاحلاف، فقد سمحت بعض صحف بيروت – ذات الطابع الخاص، والاتجاه المهيمـن – لنفسها ان تدعي بأنني اعمل للأحلاف الرجعية، ونسجت من خيوط العنكبوت قصة بنـتها علـى ما قيل من انني قلت في أثناء زيارتي لتركيا انني "متردد" تجاه الحلف الاسلامي. وعن طريق الترجمة الى التركية ومنها الانكليزية ثم الى العربية استحالت كلمة اشك الى كلمة أتردد. وفي الحقيقة انني ما كنت مترددا قط حيال الاحلاف. لقد كنت ضد الاحلاف أيا كان الاسم الذي تتسمى به. أعلنت هذا مرارا وتكرارا. ولكنني مع كوني ضد الاحلاف لم أكن ضد الصداقة والـتعاون مع الجيران، بل كنت ادعو – وهذا طبيعي – الى عقد اتفاقات ثنائية غير عسكرية، مـع أي قطر مجاور أو غير مجاور، مادام في ذلك نفع للعراق، وتحقيق مصلحة من المصالح. كمـا انني كنت اعتقد بان الدين – بالرغم عن كل ما يقال وما يدعى – لم يزل رابطا مهما يثير الجماعـات البشرية، وان من الجهالة وسوء السياسة اهماله. ان مصيبتنا في فلسطين، وبيت المقـدس خاصة، تدعونا الى ان نستثير حماس المسلمين، ونستفزهم، ونستعين بهم ما وجدنا الــى ذلـك سـبيلا، لاسترجاع أرضنا المغتصبة، والبلد المقدس الطاهر الذي تدنسه اليوم اقدام الصهيونيين. ترى ما الضير في هذه السياسة ؟

ومــا ذنبــي اذا كنت قد أبصرت امورا لم يدركها غيري الا بعد فوات الأوان؟ وما هو تقصيري حين كانت الشجاعة الأدبية لتبيان ما اعتقد فيه مصلحة العراقيين، والصدع النازل به حين كانت بعض الشعارات الجوفاء تحجب عن أصحابها دعوات الحقيقة ؟!.

العلاقات العراقية السوفييتية

وإذا ما رجعنا الى سياسة العراق مع الدول الاخرى تطالعنا الانجازات التي حققت فتح صفحة جديدة من صداقة وطيدة مع الاتحاد السوفيتي. كانت العلاقة بهذه الدولة الكبرى قبل ان أتولى الحكم اعتيادية بل فاترة. وكانت على هذه الصورة منذ مصرع عبد الكريم قاسم، وازدادت سوءا بسبب ما أصاب الشيوعيين العراقيين على أيدي بعض المتشددين من المتحزبين. وعلى الـرغم من استمرار التمثيل الدبلوماسي مع العراق فقد بقيت العلاقات فاترة، بل وسيئة أحيانا. كان السوفيت لا يعدون العراق دولة متحررة، ويعدون نظامها اقرب الى النظم الفاشية الرجعية. وكانـت المشـروعات التي بدأت منذ عهد عبد الكريم قاسم آخذة بالتقلص والتلكؤ. وقد امتنع السـوفيت عـن تجهيز العراق بالأسلحة والمعدات التي سبق ان وعدوا العراق بها وكان لزاما علينـا ان نجـد السبل لنعيد العلاقات الى وضع طبيعي، بل وودي، اذ في ذلك مصلحة العراق، وهـذا يتماشى مع طبيعة العلاقات التي كانت بين السوفييت والجمهورية العربية المتحدة التي كـان العـراق مرتـبطا بها أوثق ارتباط. كان لابد من العمل بحذر ودقة في الوصول الى هذه الغايـة. وكـان لـزاما عليّ ان أقوم باتصالات جانبية، وان اوسط بعض الجهات العربية لخلق البيئة المناسبة، وان القي بعض التصريحات، واشير بنشر بعض المقالات والكلمات في الصحف والاذاعـة في الأوقات المناسبة. وقد أدت هذه السياسة ثمارها بسرعة عجيبة. وكان من نتاج ذلـك ان وجه المستر كوسجين اليّ دعوة رقيقة مع رسالة ودية حملها اليّ سفيرهم في بغداد. ولم أنس مدى سرور الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف حين أخبرته تلفونيا بهذه الرسالة بعـد ان غـادر السـفير السوفييتي غرفتي مباشرة. لقد تمت الزيارة والتقيت بالسيد كوسجين وبعـض زعمـاء السـوفييت، بمـا في ذلك رئيس الاتحاد بودغورني، ولقد لقيت حفاوة بالغة انعكسـت على جو المفاوضات الودية التي استغرقت عدة جلسات حصلنا في اخرها على كل ما كـنا نـريد تقريـبا فـي كل الميادين العسكرية والاقتصادية والصناعية والفنية، ومنها الوعد بالمسـاعدة فـي بناء السدود (في صيغة الجمع) ولهذه الكلمة قصة طريفة تتعلق بالكيفية التي اسـتطعت ان اغري بها المسؤولين السوفييت على ان لا تكون مساعدتهم في بناء السدود لأي فريق آخر ماسة بحقوق العراق المكتسبة واللازمة لرعاية فلاحيه ومزارعيه.

رعاية حقوق العراق في سد الفرات

وكانت هذه النقطة بالذات موضع تندر احد كبار المسؤولين، بل وانتقاداته أول الأمر، حتى اذا عرك الأحداث وحركته اخذ بالتراجع السريع، وصار يفتش في محضر المفاوضات عما كنت قد حصلت عليه من وعود وضمانات في هذا الصدد، وصار يعض عليها بالنواجز.واليوم وانا استمع بقلق، كما يسمع المواطنون كافة أخبار فيضان الفرات الهائج، أقول: ما هو ذنبي وقد مضى نحو من عامين على هذا الوعد بالمساعدة حين لم تستطع حكوماتنا المتعاقبة استغلال ذلك الأمر والافادة منه؟ ما ذنبي – وما ذنب العراقيين الذين يقاسون من الفيضان – حين يتعثر الذين ال اليهم الأمر ولم يستطيعوا الاستفادة في من اقامة بنيان وضعت لهم أساسه؟

السياسة العربية

ان سياستنا العربية لم تكن اقل نجاحا من سياستنا الخارجية، وقد أشرت الى أنبائها في طيات الأحاديث التلفازية والندوات والبيانات الصحفية. والذي ارجوه الا يتصور احد ان سياستنا الخارجية هذه كانت مبنية على أساس الاضرار بأي من الأقطار العربية، أو التفريط بأية مصلحة قومية. لقد كانت مصالح العرب ماثلة أمام عيوننا حين نتخذ أي قرار سياسي، أو حين نقيم أية علاقة مع أي بلد من البلدان. هناك فرق جلي بين السياسة الواقعية المخلصة التي كنا نتبعها والاسلوب العاطفي الاستغلالي الذي كانت بعض الفئات، وربما أحيانا بعض الأقطار العربية، تتبعه. كانت سياستنا تصدر عن فكرة واضحة مستقرة، وتهدف الى مصلحة العروبة خالصة. وما كنا نعبأ بالحملات التي كانت تشنها بعض الصحف الحزبية خاصة في بعض الأقطار العربية. ولقد سخرت كما سخر – وربما غضب – كل الذين يعرفون حقائق الأشياء مما كتبته جريدة صوت العرب بعد استقالتي، من ان سياستنا الخارجية كانت قائمة على الاساءة للبلاد العربية، والخيانة لقضية اليمن، بينما يعلم اخواننا اليمنيون قبل غيرهم مقدار ما قدم العراق لهم من مساعدات مادية وأدبية حتى يستطيعوا ان يقفوا على أرجلهم.

وحين مررت بانكلترا في أثناء ذهابي الى الامم المتحدة زرت المستر هارولد ولسن رئيس وزراء بريطانيا (بترتيب من الجانب البريطاني) وجرى حديث عن العلاقات العربية – البريطانية، والعلاقات العراقية – البريطانية، ولدي تقرير مفصل في خلاصة ما جرى معه ومع وزير الخارجية البريطانية، قد يأتي الوقت المناسب لنشره. ولكني اذكره ونحن في صدد البحث

عـــن قضية الجنوب اليمني،حيث كنت احمّل البريطانيين مغبة الأوضاع السيئة. فقال حينها لي رئيس وزراء بريطانيا : بل المسؤولية تقع على عاتق الرئيس جمال عبد الناصر. فقلت له: لم، وكيف تقع على الرئيس عبد الناصر هذه المسؤولية؟ قال: اننا أرسلنا المستر طومسن لمقابلته بقصد التحدث معه، وإيجاد حل للقضية ولكنه ألغى المقابلة بعد ان حدد ميعادها، وأدى ذلك الى الـــتازم الشديد واستعار الفتنة. وقلت له لم يكن في استطاعة الرئيس جمال عبد الناصر الا ان يلغـــى تلك المقابلة بعد العمل الأحمق الذي ارتكبوه (وكنت اشير بذلك الى القرار الذي اتخذته الحكومـــة البريطانية بإقالة السيد عبد القوي مكاوي واستلام البريطانيين السلطة المباشرة، ثم بعـــد ذلك اقامة حكومة هي من صنيعهم) فقال: اننا كنا نخشى لو اننا أقلنا وزارة المكاوي قبل لقـــاء المستر طومسن بالرئيس جمال عبد الناصر ان يؤدي ذلك الى عدم لقائه. ولو أقلناها بعد لقـــاء الرئـــيس عـــبد الناصر فقد يعد ذلك اهانة له. فاثرنا اقالتها يوم لقائه. وقلت له ساخرا: ولكـــنكم نسيتم احتمالا ثالثا هو انه لو تم اللقاء، وحسنت النيات، ولم تكونوا قد أقلتم المكاوي، لكان من الممكن ان يوجه الرئيس عبد الناصر بالاتفاق معكم حلا مقبولا وتتفادى بذلك المساوئ التي وقعت، وعلى ذلك فالمسؤولية مسؤوليتكم؟. فسكت الوزير البريطاني الأول ولم يحر جوابا. وفـــي هيئة الامم المتحدة قمت بكل جهد ممكن في خدمة القضايا العربية، وفي محاولة التوفيق بين الفئات المتنازعة من أبناء الجنوب اليمني. وعلى العموم فكنا نتبنى القضايا العربية، ونبذل في سبيلها كل طاقاتنا.

صلات العراق بالجمهورية العربية المتحدة

ان علاقاتـــنا بالجمهورية العربية المتحدة بقيت كما كانت ودية. وحاولنا مخلصين ان نوجـد جـوا من التعاون في مجالات أوسع، وان نخطو خطوات الى الامام في ترسيخ الصلات القائمـــة بينـــنا. ولقد تحدثت بهذا عند وجودي في القاهرة في مؤتمر رؤساء الوزراء العرب، وحينما استجبت لدعوة السيد زكريا محي الدين (رئيس وزراء حينذاك) للحضور في حفلات ٢٣ يولـــيو وســـاهمت بالقاء خطاب على الجماهير المحتشدة. ولذلك الخطاب قصة سأرويها يوما، وســـيطلع العراقـــيون والعـــرب على مدى ما يقاسيه السياسي المؤمن بعقيدته، والذي يرى ان المصـــلحة القومـــية العلـــيا هـــي فـــوق أية اعتبارات شخصية، مهما كان اثر تلك الاعتبارات الشخصية في واقع حياتنا.

ولقـــد أعلنـــت مخلصا في احدى المناسبات ان العراق راغب في تنفيذ اتفاقية الوحدة الاتحاديـــة التي عقدت في نيسان سنة ١٩٦٣، ولكن حالت سياسة الحزبية العمياء في كل من ســـورية والعراق حينذاك دون تنفيذها. لقد حملت الصحافة السورية وبعض أجهزة الاعلام فيها عليّ بسبب دعوتي تلك، وعد اقتراحي هذا محرجا لأنه يعريهم ويضعهم أمام الأمر الواقع، وهم يـــريدون ان تـــبقى "الوحدة العربية" كما قال احد الصحفيين الغربيين الساخرين: كالجنة يتحدث الاتقياء عن نعيمها، ولكن أحدا لا يرضى ان يموت ليدخل الجنة ...

ومهمـــا يكن من أمر فقد كنت أرى ان العراق العربي كان قادرا، اذا عرف قدر نفسه، واســـتطاع ان يـــثق بذاتيـــته، ان يقوم بدور مهم في جمع كلمة العرب، والتخفيف من غلواء الأطـــراف المتعارضة. فانا أرى ان العراق على الرغم من نظامه الجمهوري، ودعوته للتقدمية والاشـــتراكية، يجـــب ان لا يجعل من شعاراته واستمساكه الحرفي بها، حجر عثرة تحول بينه وبين العمل الجاد لجمع الصف العربي، والتعاون المخلص مع كل الأقطار العربية، كل في المدى الـــذي تستطيعه. انني اعتقد ان الانضمام بقصد التعاون الى الدول العربية "التقدمية" يفتت الامة العربـــية، ويذهـــب بربحها. ولست أدرى هل علمتنا نكبتنا الأخيرة في حزيران الماضي الدرس

الذي كان علينا ان نكون قد عرفناه وأتقناه من قبل؟ وكم نحن بحاجة الى ان نتنادى من جديد، أيها الاخوة المواطنين تعالوا الى كلمة سواء بيننا[٩].

انني اعتقد ان تقسيم العرب الى تقدميين وغير تقدميين، وان كان واقعا، يجب ان لا يدفعنا – في السياسة الخارجية، ومجابهة الصهيونية خاصة – الى مواجهة تلك التحديات منقسمين على أنفسنا. ان هذه مسالة حيوية جدا.وكل الامم حين تواجه الامور المصيرية التي يتعلق عليها وجودها أو عدمه، عليها ان تواجه ذلك المصير صفا واحدا، ناسية، أو متناسية (ولو لحين) كل خلافاتها الداخلية حتى يتم النصر النهائي لها. ان عدونا قد استطاع ان يكون من الكتل والأحزاب المتعارضة كتلة واحدة لمجابهتنا ونحن أحوج منه الى ان نسلك هذا الطريق. ان أي انقسام يبدد قوتنا، ويسهل لأعدائنا افتراسنا. اننا تقدميون وثوريون وغير تقدميين وغير ثوريين أعداء، ينظر الينا بمنظار واحد، ويعاملنا على حد سواء.

هذه بديهية كان يجب ان تكون عبر تاريخنا، وعبر التاريخ العام كله، قد علمتنا اياها. واذا بقينا الى يوم الناس هذا في تفكيرنا السطحي القديم، تهمنا الشعارات أكثر من الواقع، وتستثيرنا الصيغ والألفاظ من دون ان نعبأ بالجوهر، فستتكرر النكبات والنكسات، وقد تكون نكسة حزيران ١٩٦٧ شيئا تافها بالنسبة لما قد نتعرض اليه في مستقبلنا المظلم المجهول.

ولقد كدت اغفل عن عمد ذكر موقفي بالذات بعد ((الفتنة الثانية)) والجهد الذي بذلته لدفع الاتهام عن دولة عربية كانت الأصابع من كل جانب تشير اليها. وحاول الكثيرون – من الصحفيين الأجانب خاصة – ان يستدرجني، بطريقة أو اخرى، للتورط بكلمة أو اشارة كي ما يستغلها أعداء امتنا العربية الراغبون بان تشيع الفتنة بين بني قومنا. كدت اغفل ذكر ذلك كله الان لولا ان الأمانة تقتضيني ان اشير اليها، ما دمنا في ذكر انجازاتنا في الميدان الخارجي والعربي. وانا لم أزل على ثقة بان الوقت لم يحن للخوض في هذا الأمر باسهاب، كما وان بعض جوانب القضية لم تزل خافية، ولكني أستطيع ان أقول انني في تلك الظروف العصيبة والأحداث المؤلمة، بقيت محافظا على اتزاني كل المحافظة، حين يصح القول – كما قال الشاعر البريطاني (ريديارد كبلنج) في قصيدته المشهورة التي عنوانها (اذا If) – ان كل الذين من

---

[٩] هذا هو عنوان المقال الذي نشرته في جريدة العرب بعد عودتي من القاهرة قبيل نكبة حزيران، ودعوت فيه الى لزوم ترك الخلافات والتنادي بالشعارات الا شعارا واحدا هو مواجهة العدو مجتمعين، وقد نشر هذا المقال في باب من هذا الكتاب.

حولـــي قـــد فقدوا صوابهم، واصابتهم الهزة العنيفة والسخط اللذين افقداهم الاتزان. وبقيت – بالضــغط الشــديد علـــى أعصـــابي – اقلـــب الأمر من كل وجوهه، و ينظر الى مصير العراق والمصـــلحة العربـــية العليا، ولا شيء غيرهما. ولم اخضع للضغط الذي كنت أتعرض اليه في واقـــع الحـــال من كل جهة تقريبا. بقيت بمفردي احارب في معركة كنت أرى النصر فيها نصرا للعـــراق، ومستقبل علاقاته العربية، وكسبت المعركة وتراجع المعارضون، وكسبت مع المعركة احـــترام العـــالم قبل احترام بني قومي. فكتبت مجلة الايكونومست تعليقها المشهور عني، وقال صـــحفي أمريكـــي انه لم يعرف قط بين ساسة العالم من هم اكثرلباقة من كندي والبزّاز. وكتب كثـــيرون فـــي العراق وخارجه، في البلاد العربية والبلاد الأجنبية، التعليقات المهمة حول هذا الموقف الذي لا يستطيع ان يقفه غير رجل الدولة.

الانجازات الداخلية

تـــرى مـــا الذي استطاعت الوزارة ان تفعله في الميدان الداخلي، وهو الأهم والأكثر التصـــاقا بالجماهـــير، والأسرع تأثيرا على مصالحهم ؟ وقد يكون من المفيد ان الخص حوارا جـــرى بينـــي وبيـــن "سياسي متقاعد"، ان صح هذا التعبير، كان يعارض بعض اوجه سياستنا الداخلـــية، ويوجه اللوم علانية بسبب بعض ما اتخذناه من قرارات خطيرة. قال بلهجة تنم عن الغضـــب: ماهي الميزات التي تميز وزارتك ؟ انها ككل سابقاتها ليس لها ان تفخر بشيء على من قبلها؟ قلت ان كان ذلك حقا فهي اذن يجب ان لا تنتقد بأكثر مما تنتقد به الوزارات السابقة أيضـــا، فعلام اذن هذا النقد المركز الشديد الذي توجهونه اليها بين الحين والاخر ؟ ولم أنتظر جوابـــه، ومـــا كنـــت أحســـبه يستطيع ان يجيب بشيء، ولكنني استمررت في الحديث، وقلت لصـــاحبي: ومع ذلك فان هذه الوزارة تمتاز بأشياء على سالفتها، ولها طابعها الخاص، قال: ما هي ميزاتها؟ فأجبته على الفور:

محاربة الطائفية

أولا: انهـــا وفقـــت الـــى حد بعيد، في اخماد الروح الطائفية التي كانت متأججة قبل ان أتولى الـــوزارة. كـــان يـــتحدث بهذا الخاص والعام، ويشكو فريق من الناس من ذلك بالحق والباطل شكوى مريرة. وانا اعلم ان محدثي نفسه، على الرغم من مشاركته في المسؤولية فيما مضى،

كان هو الآخر احد الشاكين، فقلت له مستشهدا به وطالبا اليه ان يقسم بشرفه الم يكن هو من بيـن من كان ينتقد بعض زملائه، ويشكو أمر الشكوى من هذه الناحية من قبل؟ ثم استشهدته ثانـية عمـا اذا كـنا قـد وفقـنا فـي تغيير الوضع من هذه الجهة أم لا؟ فاعترف بذلك وقال بالانكليزية: "I give you Credit" أي اعطيك اعتبارا لهذه المسالة، أو بعبارة ثانية، اعترف لـك بهذا الأمر، ومعنى هذا بشهادة شاهد (من اهلها) اننا قد وفقنا في خلق جو جديد قائم على التسامح، وتحقيق المواطنة الشاملة دونما تمييز بين المواطنين غير كونهم مواطنين من حقهم ان ينالوا الرعاية من حكومتهم، وان يعاملوا بالعدل والمساواة.

ان الطائفـية روح مقيـتة، ويحز في نفسي ان أتحدث عنها، ولكنها ظاهرة تحس في العـراق بيـن الحين والحين الآخر، وقد تستغلها فئات داخلية وخارجية لأغراض لا علاقة لها بالديـن والمعـتقد أصلا. وقد يسهم بعض المسؤولين بجهالة في بعض تصريحاتهم، وخطبهم، وفـي بعـض اعمالهم وتصرفاتهم، في تأجيج هذه الروح. ولا شيء افعل في تفتيت المجتمع، وتشتيت قواه، والذهاب بريحه، من ان تظهر هذه الروح، وتفرق بين حين وآخر بني أبناء البلد الواحـد. وقـد كان من أثار سخط فريق من المواطنين من هذه الروح المفرقة تقديم المرحوم الشـيخ محمـد رضا الشبيبي، بعد أيام قلائل من تولي المسؤولية مذكرة جاء فيها، ((ان كثرة الشعب ساخطة جدا من جراء ما سماه (وجود مخطط طائفي يخططه فريق ضالع مع الاستعمار غايـته تقديم فئة على اخرى، ومحاباتها في المعاملات وفي الحقوق والواجبات، حتى أصبحت هـذه الـنعرات الطائفـية الممقوتـة اسلوبا في الحكم اليوم يستخدم لغبن كثير من المواطنين، والاجحـاف بحقوقهم عند تصريف الامور العامة، ومعالجة قضايا الناس في دواوين الحكومة، وأجهزة الدولة المختلفة) وانها تعد كرامتها مهانة، وحقوقها مهضومة، لا سيما وقد رافق ذلك سـوء اختيار بعض من يمثلونها في الحكم)). ولئن كانت عبارات الشيخ رحمه الله لا تخلو من غلو، فانا على يقين انه لو عاش شهورا اخرى لشهد التغيير الجذري الذي وقع في العراق في هذه الناحية وأحسه بنفسه، وقد يقول قائل وكيف وقع ذلك؟ ان ذلك حدث بفضل سيادة القانون قـولا وفعـلا، والنظر الى المواطنين نظرة مساواة كأسنان المشط، فالمرء وتضحياته، والمرء واخلاصه، من دون اهتمام بجنسه أو دينه أو مذهبه. ولست اذيع سرا حين اعلن هنا انني كنت في حديثي المستمر واتصالي الدائم مع الراحل العظيم اؤكد مسؤولياته بوصفه رئيس جمهورية العراقييـن كافـة عربا وأكرادا، مسلمين وغير مسلمين، سنيين وشيعيين، وانه لكل العراقيين

كافــة، ويجــب ان يــرعى حقوقهم، ويعاملهم على هذا الأساس من غير تمييز وتعصب. ولقد شــعرت انــه كــان مــتجاوبا معــي في هذا كل التجاوب. فاذا كان هناك ثمة سوء قبل تولي المســؤولية فمرجعه الأساس إلي من يحيط به من معاونيه، ومستشاريه، وحاشيته، ووزرائه. المهــم فــي هذا اننا اتخذنا كل ما يجب اتخاذه لرفع أي حيف حقيقي ضد أية فئة أو طائفة أو جماعــة. وقد يكون من الطريف ان اشير هنا الى تعديل الدستور المؤقت وحذف الفقرات التي كانــت قد عدتها طائفة من العراقيين ماسة بحقوقهم، أو معرضة بعروبتهم، وقد جرى ذلك بعد حــوار ســريع مــع رئــيس الجمهورية، كما وضعنا حدا للتعريض الذي كانت تستعمله بعض الصحف بجهالة أو بقصد سيء ومنعت استعمال بعض الألفاظ الحساسة التي كانت تزعج فريقا من المواطنين.

كمــا كــان لتشريع بعض القوانين: كقانون الوقف الجعفري والعتبات المقدسة – وهو مطلب مشروع – اثره الطيب في نفوس بعض المواطنين. وعلى العموم فمن حقي ان أقول اننا وفقــنا لتحقــيق ما جاء في منهجنا الوزاري من النظر للعراقيين على أساس الأوضاع المالية والاقتصادية.

تحسن الاوضاع المالية والاقتصادية

ثانــيا: قلــت لمحدثــي اننــا انجزنا في الناحيتين الاقتصادية والمالية في الشهور القليلة بعض الانجــازات المهمة. لقد كان الوضع الاقتصادي والمالي سيئا حين تولينا المسؤولية. ولا ادعي اننا حققنا كل ما كنا نطمح في تحقيقه، ولكننا ندعي – والأرقام شهود عدول – بأننا خطونا في هــذا المضــمار خطــوات طيــبة، وأزلنا بعض العراقيل التي كانت تعمل على تجميد الأوضاع الاقتصــادية وركودها. واتخذنا من القرارات والتشريعات ما كفل لنا تحقيق هذه الغاية دون ان نــتأثر بنعيق بعض الذين اتهمونا بالردة والخروج عن أهداف الاشتراكية. وقد جرى بيني وبين محدثــي هذا جدل طويل حول النقطة ذاتها. فما كان يريد ان يصدق اننا عملنا في هذه الناحية شيئا يذكر، على الرغم من ان المواطن الاعتيادي قد احس بهذا ولمسه بيديه. ولكي أكون أقوى حجــة في الاقناع قلت لمحدثي علينا ان نرجع الى الأرقام فانها لا تكذب، وطلبت اليه ان يذهب الــى محافظ البنك المركزي ليستفسر عن الملايين العدة التي عادت الى البنوك – خرج بعضها من غرف الدور المغمورة، وعاد بعضها من خارج العراق. ورأس المال، كما هو معلوم، جبان

لا يظهر الا اذا اطمأن وشعر بالأمن التام – خلال الشهور الستة من تولينا المسؤولية وليقارنها بالشهور الستة التي سبقت ذلك، وسيرى البون شاسعا، كما طلبت ان يذهب الى وزارة الصناعة ليتحرى منها عن الطلبات التي قدمت للقيام بأعمال صناعية صغرى ومتوسطة، أو لاتمام مشاريع كانت واقفة، وليدرك منها عدد العمال الذين بدءوا يشتغلون من جديد بعد ان خيمت البطالة على الكثير من الصناعات بسبب ألازمة الاقتصادية من جهة، والخوف من المستقبل من جهة اخرى. ومن الحق ان أقول ان عامل الخوف من المستقبل المجهول كان افعل في ارباك الأوضاع الاقتصادية في العراق من حقيقة الأزمة الفعلية ذاتها. ان تصريحات بعض المسؤولين، وأحاديث بعض المتحدثين في الاذاعة والتلفاز، ودعوات بعض الداعين من أصحاب الشعارات، كانت سهاما تسدد الى قلب الصناعة العراقية الناشئة، وعوامل فتك تهد من كيانها.
وعلى النقيض من ذلك فقد عملت ندواتي التلفازية، وتصريحاتي الصحفية، وبعد ذلك المنهاج الوزاري، عملها السحري في تحسين الأوضاع الاقتصادية. وأستطيع القول جازما ان الوضع بدا بالتحسن من أول تصريح لي، بل منذ ان طرحت شعار "الاشتراكية الرشيدة" وهاجمت ما كان يسمى بالاشتراكية في التطبيق العراقي.

اصل الاشتراكية الرشيدة

وقد يكون من المفيد ان أقول كلمة عن هذه التسمية. أما مدلولها فسيجده القارئ في أكثر من تصريح وندوة ومحاضرة مما يحويه هذا الكتاب. ان لفظ "الاشتراكية الرشيدة" ورد في كتاب التكليف الذي وجهه الرئيس المرحوم عبد السلام الى السيد عارف عبد الرزاق. ولست اذيع سرا انني كنت المسؤول لا عن ادخال هذا اللفظ فقط، بل عن صيغة المواد السبع الواردة في كتاب التكليف، كما انني المسؤول عن تسلسلها، واعطاء بروز لبعضها، مستشفا روح المجتمع وحاجاته، وما كان يرجوه من التغيير الوزاري الجديد، وأقول بفخر انني كنت موفقا في تشخيص الداء، وكنت قد وضعت يدي على الجروح التي كان يقاسي منها مجتمعنا، وحاولت مخلصا، ما وسعني الجهد، ان أضع البلسم الذي كنت احسبه شافٍ، ومهما يكن من أمر، وعلى الرغم من كل الانتقادات من بعض الفئات المتحزبة في الداخل، وبعض الصحف العربية في سورية ولبنان بخاصة، فقد شاع المصطلح، وأصبحت "الاشتراكية الرشيدة" مذهبا له معالمه الواضحة، ودعوة لها مردودها. ويسعدني ان اسجل بفخر ان الرئيس عبد السلام – طيب الله

ثـراه – صـار يتنادى بهذا الشعار الذي كرره في العشرات من تصاريحه وخطبه واحاديثه مع الصـحفيين، وتـرك التعبـير الأقدم "الاشتراكية العربية " أو " الاشتراكية الاسلامية" وكان لهذا التعبير مدلوله النفساني اضافة الى اثاره الفعلية.

لقد وضحت مدلول هذا المصطلح ومداه كما قلت من قبل، ولكن قد يكون من المفيد ان ارد علـى السؤال الذي سألته مرارا من بعض العراقيين ومن غيرهم: هل هناك اشتراكيات عدة حـتى تصـف اشتراكيتك بهذه الصفة؟ الجواب نعم بالتأكيد لان هناك مذاهب اشتراكية لا حصر لهـا، كمـا ان هناك أحزابا اشتراكية لا حصر لها أيضا. والذين يتصورون ان لا اشتراكية الا الماركسـية، ولا حزبا اشتراكيا الا الحزب الشيوعي مخطئون اشد الخطأ. ويكفي ان اشير الى انه كان في روسيا ذاتها مثلا قبيل ثورتها الكبرى سنة ١٩١٧ من الأحزاب الاشتراكية ما يأتي: ١-الاشتراكيون الشعبيون، ٢-حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، ٣-المناشفة، ٤-المناشفة الامميون، ٥-البلاشفة، ٦-الاشتراكيون الديمقراطيون الامميون المتحدون، ٧-الحزب الاشتراكي الثوري، ٨-الاشتراكيون الثوريون اليساريون، ٩-المتطرفون[١٠]. أما تعدد المذاهب الاشتراكية فقد يكفينا لتوضيحها العبارة الاتية: ((ان في الاشتراكية من السعة والشمول والتنوع ما يحقق أغراضا متعارضة كل التعارض، وما قد يؤدي الى مبادئ متنافرة متخاصمة كل التنافر والتخاصم. ان الاشتراكية مصطلح واسع يضم من المذاهب الاجتماعية والاقتصادية عددا كبيرا تـتدرج: مـن الفلسفة الافلاطونية والانسانية المثالية، ومن المذاهب الطوبائية الى الاشتراكية الدينـية، ومن الاشتراكية النقابية والتعاونية الى اشتراكية الدولة والاشتراكية القومية، ثم من الاشـتراكية الديمقراطـية السليمة الى الماركسية والاشتراكية الجمعية فالشيوعية، ناهيك عن عشرات من المذاهب والآراء والمدارس الاخرى كالفابيه وكالاصلاحيين[١١].

---

[١٠] يـنظر تفصـيلات عـن هذه الأحزاب والكتل في ص ١٧ وما بعدها من كتاب (عشرة أيام هزت العالم، تأليف جـون ريـد، وهـو صحفي شيوعي امريكي كان قد عاصر ثورة اكتوبر، ووضع كتابا هو وصف شاهد عيان لها، ترجمه الى العربية فواز طرابلسي.

[١١] نقلـت هـذه العبارة من ص٢٨١ من كتابي (هذه قوميتنا) المطبوع في دار القلم في القاهرة. ونحيل القارئ الذي يـريد التوسـع في دراسة الاشتراكية العربية مقارنة بالاشتراكيات الاخرى الى قراءة الفصل الثالث من الباب الثالث (ص٢٨١-٣٠٤) من الكتاب المذكور.

ومــن الطريف ان نعلم انني كنت أدعو الى نوع من الاشتراكية الرشيدة منذ أمد بعيد، وأشــرت الى ذلك صراحة في كتابي (اصول القانون) بطبعته الاولى والثانية، وكلتاهما صدرتا قــبل ثورة الرابع عشر من تموز. كما أشرت الى هذا وانا انتقد قانون تسوية حقوق الأراضي تحت عنوان كبير في الاصلاح القانوني كنت قد أذعته من دار الاذاعة العراقية بتاريخ ١٥-١٠-١٩٥٠. وأكــثر من ذلك صراحة انني في كتابي المعنون (الدولة الموحدة والدولة الاتحادية) والــذي كنــت قد نشرته بعيد ثورة ١٤ تموز، وعندما بدا لي انها متجهة الى اتجاه غير سليم، وان انحــرافها أصــبح واضحا، قلت تحت عنوان جانبي "ثورة قومية" ان هدف الثورة الأساس الذي كان يضطرب في قلوب مؤيديها من تلك الفئات المختلفة هو السير في العراق في الطريق الســوي الذي لا حياة للعراق من دونه، طريق القومية العربية النيرة التي تريد ان تحقق التكتل العربــي الشامل، وتقيم دعائم "الاشتراكية الرشيدة"، والديمقراطية الصحيحة، وتجعل من العرب امــة سعيدة متمتعة بخيراتها، قادرة على اداء رسالتها، لتحقيق الأمن الحقيقي لبنيها، والسلام العالمي العادل لجميع شعوب الأرض وأقوامها"[١٢].

ولــيس من الغريب بعد هذا ان يتردد لفظ " الاشتراكية الرشيدة" في صفحات عدة من كتابــي (صــفحات من الأمس القريب – ثورة العراق هل كانت حتمية؟) فقلت في ص ٢٧ وانا انــدد بالعهد البائد، وادافع عن القومية العربية التي وصفتها بأنها تقوم ((على اسس التحرير، والــثورية الانســانية، والكلــية التي تنكر الحدود، "والاشتراكية الرشيدة" التي تحارب الطبقية، وتتحول في الوقت نفسه من دون سيطرة رأس المال)). كما قلت في ص ١٦٤ من الكتاب ذاته، وأنا انتقد سياسة العهد البائد التي تلتزم جانب الاقطاعيين، وتؤيد كبار الجشعين المستغلين، ولم تــأخذ بوســائل الاصــلاح الجدية، على حين تدعونا القومية العربية" لان نسلك سبيل التجديد، والانطــلاق حــتى نقــيم الديمقراطية الحقة في بلادنا، ونحقق المجتمع الاشتراكي الرشيد في ربوعنا".

وقــد يبدو للقارئ انني أطلت الحديث في نقطة ثانوية، ولكن الذي أهدف اليه هو انني باستعمالي لمصطلح الاشتراكية الرشيدة كنت اصدر عن وعي كامل في قرارة نفسي، وليس ذلك مجــرد نحــت لمصــطلح "الاشــتراكية الرشيدة" بل كان ذلك شأني في كل صيغة أو مصطلح،

---

[١٢] يــنظر ص ٣٩ مــن كتاب (الدولة الموحدة والدولة الاتحادية) الطبعة الثالثة، دار القلم، القاهرة ١٩٦٦. ان هذه العبارة وردت في كل الطبعات.

استعملته في أحاديثي، وخطبي، ومحاضراتي، وبياناتي الصحفية. فانا في واقع الحال اصدر عن فكر واضح، ومبادئ جلية. ومن هنا كان التناسب والتناسق كاملا بين ما أقوله في مدد مختلفة، وبصور شتى، دون ان يستطيع أي انسان ان يجد تناقضا جديا في أقوالي، أو تعارضا مهما في آرائي، لانها تكون كلا مترابطا، ووحدة منسجمة. ومن هنا يحق لي ان أقول – دونما رغبة في الافـتخار – انني لم أكن أجد أي تناقض بين ما كنت اكتبه بوصفي استاذا، أو اصرح به حينما كنت سفيرا، وأقول به وأنا في المسؤولية، اعلن الشيء في العراق، وفي خارج العراق، واردده فـي المجتمعات الخاصة والعامة دون خشية التناقض أو التعارض. فانا اصدر عن معين واضح أصيل. وقد يجد العراقيون البون شاسعا بيني وبين بعض المسؤولين الآخرين الذين لهم في كل مجلس رأي، ولهم في كل مقام مقال. أما رأيي فهو هو، في كل المجالس، ومقالي هو هو، في كل المقامات. قد تكون هذه مثلبة في السياسي الممارس الذي يحسن به أحيانا ان يكون حرا في ان يتصـرف حسب ما يمليه الظرف المعين. ولكني أفضل ان أبقى كما أنا، حتى وان قيل عني بأننـي لست سياسيا. وغاية ما اطمح به ان يقال عني انني كنت صادقا دائما مع نفسي، وانني كنت يوما ما رجل دولة.

الوحدة الوطنية

ثالـثا: ولـنعد الـى حديثـنا مع صاحبنا، قلت له : لقد وفقنا في تحقيق الوحدة الوطنية بإصدار بيان ٢٩ حزيران، وان هذا العمل يجب ان يعد انتصارا للحكومة القائمة. وليس هذا هو مقـام تبـيان رأيـه، والانتقادات التي وجهها الى البيان المذكور، ولكني اليوم بغالبية الشعب العراقي العظمى، عربا وأكرادا وغيرهم، أدرك اننا فتحنا الطريق لحل عقبة مستعصية، ومشكلة خطـيرة، كانت ولم تزل، تتهدد وجود العراق وتقضي على وحدته. ولست بصدد بيان الظروف التي دعت الى اصدار هذا البيان، ولا بيان بعض الأسرار التي تقتضيني المصلحة العامة الحفاظ عليها، ولكن من حقي ان ابين العوامل التي دعتني الى انتهاج هذه السياسة، وهي بالذات كانت عوامل فعالة في توفيقي بها، حين فشل غيري.

لماذا نجحت سياستي حين فشل غيري

لقــد كنت مؤمنا بان الحل السلمي هو الحل الأجدى، وكنت أتنادى بهذا واعلنه في كل مناســبة، ففــي كتابي (الدولة الموحدة والدولة الاتحادية) خصصت بحثا تحت عنوان (الأكراد والاتحــاد العربــي) قلت في مقدمته : ان القومية العربية النيرة لا يمكنها ان تنكر على غيرها الشــعور القومي ومتطلبات ذلك الشعور. وعلى ذلك فالقومية العربية المتحررة المخلصة تقف موقفــاً كــريما من شعور الأكراد القومي، وهي ترى ان من حقهم الطبيعي تنمية هذا الشعور، والعمــل بكــل وســيلة مشــروعة مهذبة لتحقيق أهداف الأكراد القومية. وهي ترجو ان يدرك اخوانــنا الأكراد ان السير في ركاب القومية العربية – وهي غير عنصرية – لا يعني أي هضم لحقــوق أي فــريق مــن سكان العراق الأصليين، أو انتقاصا من ميزاته. فانا اذن مؤمن بحق الأكــراد القومــي، وارى ان مــن حقهــم ان يعملــوا حسب متطلبات تلك القومية بكل طرقها المشروعة. ان موقفي هذا كان يستدعيني أحيانا ان ادخل في جدال عنيف مع بعض المسؤولين العراقييــن الذي كانوا بسبب الجهل غالبا، لا يريدون ان يدركوا طبائع الأشياء، ويقولون بآراء مناهضــة للحقيقة من جهة، وضارة بمصلحة العراق ذاته من جهة اخرى. ولقد ضمني مجلس مهــم خــارج العراق بحضور شخصية عربية كبيرة، وجرى حوار طويل حول مشكلة الأكراد، وأبــدى المســؤولون العراقيون آرائهم، وكنت أراها خاطئة من كل الوجوه، فأبديت رأيي داعيا للحل السلمي، ومبينا الأسباب التي تدعوني لاعتناق هذا الرأي. غضب بعض المسؤولين غضبا شــديدا. ولكنني أصررت ان الذي أقوله هو الحق. وسرني ان أرى العربي الكبير الذي كنا في مجلسه يؤيدني فيما أقول.

وحيــنما وليــت المسؤولية كان واضحا من المواد السبع التي جاء في كتاب التكليف الــوزاري اننــي اؤمن بوحدة التربة العراقية، كما اؤمن بحق الأكراد القومي، وكان من اللازم علــيّ ان اعمل لحل المشكلة حلا سلميا عادلا. وبدأت من أول الأمر في اتخاذ ما يلزم للوصول الــى هذه الغاية، وجرت اتصالات عدة استمرت شهورا غير قليلة، ولقاءات مع فئات شتى في أمكــنة وأزمــنة مخــتلفة. وفوق ذلك جرى تمهيد فكري لتحقيق السلم بدأته بعد مدة قليلة من تحمــل المســؤولية، حيــن أجبــت ســائلا، بعد المحاضرة التي القيتها على أساتذة الجامعة، ووضــحت لهــم موقف الحكومة تجاه المشكلة الكردية. كانت لغتي مهذبة، وأفكاري واضحة، ورغبتي في حل سلمي مشرف صادقة.

وكانت أحاديثي التلفازية ومؤتمراتي الصحفية تنقل هذا المعنى الى المواطنين عربا وأكرادا، فأوحت لهم الثقة، وأعادت الى نفوسهم الأمل. وأخيرا تحقق ما كنت اصبو اليه، وصدر البيان، وقبله الشعب والجيش بالغبطة التي لا غبطة بعدها. وطبيعي ان يبقى فريق صغير من أصحاب المصالح الخاصة، أو أصحاب الهوس وغرابة الأطوار، أو من دعاة العنف والقسر والعنصرية معارضين ومنددين، وهم يشيعون القول المفترى حول البيان، ويحاولون ان يفسروا المواد على غير حقيقتها. ومن اغرب ما قيل بهذا الصدد، انني لم استشر أحدا في تحقيق هذه السياسة عند اصدار البيان، مع العلم ان هذه السياسة قد اتفق عليها أولا مع الرئيس الراحل، ومن بعده مع رئيس الجمهورية الحالي الفريق عبد الرحمن محمد عارف، واطلع عليها مجلس الوزراء الذي كنت احيطه علما بين الحين والحين، بالتطورات المهمة والخطوط العريضة فيها. وأود ان اسجل للتاريخ ان زميلي المرحوم عبد اللطيف الدراجي الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية كان مؤمنا بهذه السياسة، وعاملا على تحقيقها ما بقي حيا. وكان من الطبيعي ان نحتفظ سرا ببعض اللقاءات، وبعض المراسلات التي بدأها الدراجي الى ان يتبلور الأمر، ويأخذ شكله النهائي، لان ذلك بعض ما تقتضيه المصلحة العامة. كما ان قادة الجيش وهيئة أركانه، كانوا على علم بما يجري، وقد استشيروا بالمدى الذي تجب فيه الاستشارة. وجرى أكثر من اجتماع واحد مهم معهم، وانهم جملة كانوا يقرون تلك السياسة. ومن الطبيعي ان الصيغ وطريقة العمل، يجب ان تبقى بيد الوزارة المسؤولة، كما انه من الطبيعي أيضا ان تكون القرارات النهائية، وتبعات تلك القرارات عليها. ولكن الزعم بأنني كنت أتصرف في هذه القضية ديكتاتوريا، كما قال لي أخيرا احد كبار الضباط، ذلك ما لا ظل له من الحقيقة.

ليس باستطاعتي، بطبيعة الحال، ان أبوح بكل ما عندي من معلومات، ولكنني اعلن دونما تردد ان ذلك البيان كان لمصلحة العراق عربا وأكرادا، وانني في السعي اليه، والعمل الجاهد من اجله – والله يعلم كم من الليالي سهرت، وكم من الاجتماعات عقدت، وكم من الأشخاص التقيت بهم وتحدثت طويلا اليهم – كنت، اضافة الى تحقيق رغبتي في السلم، واقامة الوحدة الوطنية على اسس متينة، اريد ان احرر الجيش العراقي ليتفرغ الى مهمته الكبرى التي كنت اعلم انها تنتظره. ولذلك قلت، يوم اذاعة البيان المذكور، وانا اخاطب الجيش بما يأتي:

((واحسب ان أول الذين يجب ان يهنئوا هم أفراد جيشنا الباسل من قادة وضباط ومراتب وجنود. فقد ابلوا بلاءا حسنا وتحملوا العبء الكبير، فاذا ما طلب اليهم بعد اليوم ان يقوموا بالجهاد الأكبر، جهاد التعمير والانشاء، وإحلال الأمن والسلام، واشاعة الطمأنينة، وتوزيع العدل، والقيام بكل ما يتطلبه الواجب لتحقيق وحدة الوطن، فتلك مهمة جديرة بان يهنئوا من اجلها. فأليهم اذن، قبل غيرهم، أزف التهنئة والتبريك. ولكني لن أنسى الملايين من ورائهم من امهات واباء وزوجات واخوة وأخوات، الذين يتطلعون الى اليوم السعيد الذي يعود فيه اولئك الأبطال الى بيوتهم ليستمتعوا كما يستمتع المواطنون كافة بحياة اعتيادية. ولينصرفوا بعد ذلك الى ما يجب ان ينصرف اليه الجنود الأشاوس – وجنودنا أشاوس شجعان –، لينصرفوا الى الأعداد لخوض المرحلة الحاسمة في بنيان جيشنا وتحضيره لمعركتنا الكبرى حينما ينادى المنادى لاسترجاع الوطن السليب)). لينصرفوا وقد يقول قائل: ولكن النتائج التي توقعتها أو حضرت لها لم تنم. وجوابي على ذلك بداهة: ان ذلك ما أردت. ثم أقول ((اني أردت الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله)).

رد على بعض اخواننا الأكراد

وما دمنا في ذكر بيان ٢٩ حزيران وسياستنا في حل القضية الكردية في العراق، فقد يكون من المفيد ان ارد على بعض أصدقائنا من الأكراد، وخاصة الذين غضبوا حينما رددت على جريدة التآخي، وأنكرت استعمالها لكلمتي ((مفاوضات)) و((اتفاقية))، وأنكرت أصلا وجود ما سمي بالبنود السرية. وعلى الرغم من ان الرد واضح في بيانه، أود ان أقول للذين قالوا ان السياسة كانت تقتضيني عدم الرد لئلا اخسر بعض الأصدقاء. قلت لهم: انني كسبت صداقة الشعب العراقي وحبه وثقته بصدق القول " فكيف تريدونني ان اكذب واسمي الأشياء بغير أسمائها ؟ ولولا الثقة التي تحققت لدى المواطنين بعامة والأكراد بخاصة، ما كان من الممكن ان تتبع السياسة التي انتهجتها، وكان سبب هذه الثقة الأساس صدق القول واقترانه بالعمل. ومرة اخرى اعلن – كما أعلنت جريدة التآخي ذاتها – ان ليس هناك سرية لأنني أؤمن بالعلانية، وبمكاشفة الشعب بالحقائق كاملة. كما اعلن انه لو اتيح لذلك البيان ان ينفذ بصدق، وجد، وخلوص نية، لما حققنا وحدة العراق واستقراره ورفاهته حسب، وانما كان بالامكان ان

نسهم جديا في رد العدوان الصهيوني؛ أو كان من الممكن ان نحول دون وقوع الفاجعة المؤلمة، أو في اقل تقدير تخفيف آثار النكسة المروعة.

ان الذي حمل اخواننا الأكراد على الاطمئنان لبيان ٢٩ حزيران، والترحيب به، على حين كان قد سبق لوزارات عراقية اخرى ان عرضت عليهم أكثر كثيرا مما جاء في البيان المذكور ولكنهم وقفوا منه في شك مريب حينا، ورددوه غاضبين في أحيان اخرى، أقول ان الذي حملهم على هذا الرضا والترحاب هو الثقة التي لمسوها في حكومتهم القائمة يوم ذاك، وادراكهم ان ما كنت اعلنه وأقوله لا اريد به كسبا سياسيا، أو مناورة رخيصة، بل انني كنت اعبر مخلصا عما اعتقد، واضع خطة يمكن تنفيذها وتصلح لحل المشكلات، وتحقيق ما يريده العراقيون كافة من وحدة وطنية، كما تحقق في الوقت ذاته كل المطاليب المشروعة لاخواننا الأكراد. ان الجو الودي، وروح التآخي الصادق، والتأكيد على رباط العقيدة المشتركة التي تجمعنا وتجعلنا اخوة في الدين، جعلت كل الفئات التي تريد انهاء هذه المشكلة متجاوبة، وأخضعت المترددين لرغبة الجماهير القوية فلم يجرأوا على معارضتها. وقد تسآءل كثيرون عن سر النجاح الذي وفقت اليه حين اخفق آخرون، وزعم كثيرون مزاعم باطلة، ونسوا ان العزيمة الصادقة، والروح الطيبة، والنية الحسنة أسلحة فعالة تفعل مفعولها، وتحقق ما يريد المخلصون المؤمنون.

رد على فرية

وقد يكون من المناسب هنا انْ ارد على فرية روجها بعض العراقيين – ويؤسف ان أقول ان بعضهم كان من المثقفين، أو على الأقل ممن يعدون مثقفين – كما أشاعها بسوء نية بعض اخواننا العرب خارج العراق. ووجدوا في مقال نشرته احدى الصحف البريطانية، وهي (الصاندي تايمز Sunday Times) ضالتهم المنشودة، وخلاصة ذلك المقال – وهو من ألفه الى يائهٰ مكذوب ولا ظل له من الحقيقة، وقد كذبه فيما بعد ناطق باسم وزارة الخارجية البريطانية – انني قبلت المسؤولية في تولي الوزارة في العراق بعد ان أشار عليّ من سمي يومئذ بصديقي "المستر طومسن" الذي كان وزيرا للدولة في وزارة الخارجية، بان اقبل هذه المسؤولية، وانه عَبدّ الطريق أمامي لحل المشكلة الكردية، ثم نسج صاحب المقال من خياله قصة طويلة عن صلتي بالوزير البريطاني المذكور بسبب ما اسماه مشاركتي له في الكتابة في

مجلـــة اشـــتراكية كان يصدرها، فعلى الرغم من انني لم أكن اعرف الرجل الا بعد ان أصبحت ســفيرا في لندن، وزرته أول مرة بوصفه الوزير المسؤول عن شؤون منطقتنا، ولم تكن بيني وبينه قبل ذلك أية معرفة، أو أية صلة بصورة مطلقة، فقد وجد الكثيرون من أعداء السلام في عراقنا الحبيب، وسيلة للطعن المشترك، بي من جهة، وبزعماء الأكراد من جهة اخرى، فانا لا اقــبل المسؤولية الا بمشورة الانكليز ونصحهم، والأكراد خاضعون لتوجيهات البريطانيين اذ هم الذيــن يشيرون عليهم بالحلول المعقولة. انه دس رخيص لا يقتضيني في هذا المقام ان اضيف شيئا!

ولكــن الســؤال الاتي مع ذلك يفرض وجوده، لو سلمنا جدلا ان القصة صحيحة فما الضير فيها مادام الحل يحقق السلام في البلاد، ويطمئن رغبات كل الأطراف المعنية؟! انها روح التحطيم والتشكيك، والدعاية الرخيصة هي التي دفعت اولئك النفر - في العراق وخارجه - الى الــتهريج في هذا الأمر، واتخاذه وسيلة للتشنيع وليس غريبا بعد هذا ان يروج احد الحاقدين - مــن لــم يكــن له أمس ولن يكون له غد - لهذه القصة، ويؤكدها في كتابه المليء بالأباطيل والمفــتريات من كل نوع. كما انه انتقد البيان انتقادات تدل على مدى جهله، وضحالة تفكيره، اضافة الى حقده الدفين على العراقيين عربا وأكرادا.

إعادة الثقة للمواطنين وفتح أبواب الأمل

رابعا: ولابد ان اضيف هنا نقطة رابعة وانا اعدد منجزات الوزارة، لم أكن قد ذكرتها حين ذاك لمحدثي الذي أشرت اليه من قبل، وهي عندي أهم من الانجازات الثلاثة التي أشرت اليها قبلا، واجــل من كل ما حققناه في ميدان السياسة الخارجية، وهي اننا قد أعدنا للمواطنين كافة الثقة بنفوســهم، وبددنا - لحد بعيد - الشعور بالقلق والذي كان يساورهم، والخوف من الغيب الذي يؤرقهــم ويقــض مضــاجعهم، وفتحنا أمامهم للأمل أبوابا واسعة. لقد أعدنا للمواطنين معنى المواطــنة الكــريمة، فــأرواحهم مصــانة، وحقوقهــم مرعية، وحرياتهم محترمة، ووجودهم محســوس. فهــم لم يعودوا مجرد رعايا عليهم ان يسمعوا ويطيعوا بل مواطنون أسوياء ذوي كفايــات مــن حقهــم ان يشاركوا في شؤون بلادهم بابداء الرأي المخلص، والتعبير الحر عن مكنونات نفوسهم.

صـحيح ان الحـياة النيابية لم تكن قائمة، ولم يكن في مقدوري ان اقيمها بين عشية وضـحاها، ولكن روح الحياة النيابية، أي الشورى، ومعنى الديمقراطية الحق، أي الحرية، كانا قائمين الى حد بعيد.

لقد كان الحاكم يشعرهم انه أجير لهم، ووكيل عنهم، يعمل حسب مقتضيات مصالحهم، مستوحيا مشاعرهم وأحاسيسهم. ان هذا المعنى لم اعلنه في أول حديث تلفازي فقط بل كررته فـي كل مناسبة شعرت فيها ان المقام يسمح أو تأكيد هذا المعنى أو يتطلبه. ولم اكتف بالقول المجرد لاني اعلم ان ذلك لا يغني فتيلا، بل أقمت لهم على ما أقول البرهان القاطع تلو البرهان القـاطع. فبابـي وأبواب الوزراء مفتوحة تستمع لآرائهم وشكاويهم، والصحافة حرة تنشر ما تشـاء. وقـد نشـرت جريدة الثورة العربية مقالات عنيفة ضدي شخصيا، وضد السياسة التي اتبعـتها وانا رئيس وزراء، ولم احاول حتى تنبيههم الى لزوم تغيير لهجتهم فيما يكتبون. ولقد أصدرت بيانا جعلت كل الموظفين مسؤولين عن توقيف أو احتجاز أي شخص اذا اصدر ذلك بلا وجـه قانوني، ومعنى هذا انني حققت، بطريق خفي، مبدأ (الهابس كوربس)، ذلك المبدأ الذي يعـد الضـمانة الأكيدة للحرية الشخصية، والذي نص عليه ميثاق حقوق الانسان. لقد غضبت بعـض الجهـات، وبعض أجهزة الدولة من هذا البيان بالذات، وعدوه شلا لطاقاتهم، ولكني لم أعبأ بذلك، وشعر الناس انهم مطمئنون على أرواحهم وأبدانهم وكرامتهم.

ولقـد اتبعنا سنة استشارة ذوي العلاقة في كل تشريع خطير، فالمحامون يستشارون قـبل وضـع قانون المحاماة، والصيادلة وتجار الأدوية وبعض الأطباء، يستشارون قبل وضع خطـة جديدة للمؤسسة العامة للأدوية. ولجان تؤلف من ذوي الاختصاص تمثل فيها كل الآراء وكـل التيارات قبل الاقدام على تعديل قانون الاصلاح الزراعي، مثلا. لقد سرت هذه الروح بين أبناء شعبنا سريان النسيم العليل، فتنفس المواطنون الصعداء، وشعروا – وربما لأول مرة منذ أمـد طويـل جدا – ان الحاكم منهم ولهم، وان الاستعلاء والتسلط لا محل لهما، وان التوقيف الاعتباطي واحتجاز الحريات لا يمكن بعد اليوم ان يقع، وان تعذيب المتهمين لن يجرؤ عليه بعد اليوم احد. ولقد بلغتني أنباء حادثة تعذيب، ومس بكرامة استاذ موقوف فأقمت الدنيا واقعدتها، وهـددت بالاستقالة ووضع على أثر ذلك حد لكل تصرف كيفي، وكان من الطبيعي ان يأمن لنا على وجودهم، وتطفح البشرى على وجوههم، ويتحرك السوق، ويبدأ العمران بالازدهار وتنشط

الحركة في كل مجال فيشعر، سواق سيارات الاجرة أثار هذه السياسة قبل غيرهم، ويرحبوا بها فقد بدأ الناس يخرجون من بيوتهم باطمئنان، ويسهرون ويتنقلون، كما بدأت السياحة بالازهار.

لجنة تحري الحقائق

ولقد فتحنا بابا عن طريق لجنة تحري الحقائق للنظر في شكوى كل من يدعي بوقوع مخالفة من موظف عمومي أو استغلال لمركزه أو سلطته في الدولة. لقد احلنا للمحاكم بعض القضايا التي أوصت لجنة التحري باحالتها للتحقيق القضائي، وذعر بعض أصحاب الفساد، وبدءوا يحسبون كل حساب لتصرفاتهم وسلوكهم، ولكن ما ان سقطت الوزارة وجاءت وزارة جديدة الا وقد اغلقت احدى تلك القضايا التي ثبت فيها حصول وزير سابق على ملبغ خمسة الاف دينار حصته من مكتب بقي يديره شريكه حين كان هو يشغل الوزارة، ويوجه الأعمال الى مكتب شريكه البار، بحجة ان العمل المرتكب من الوزير الاستاذ كان بحسن نية. ولا ادري كيف فات الشخص الذي غلق الدعوى ان يضيف الى ملاحظته، العبارة الاتية: "ان ما عمله ذلك الوزير اجتهاد محظ وللمجتهد ان أصاب حسنتان، وان أخطأ فحسنة واحدة، وكفى الله المؤمنين القتال.... وهكذا انهار البنيان الذي أقمناه، وتبددت الآمال التي أنعشناها في نفوس المواطنين، وعادت الكآبة تغشي النفوس، ولكن القوم لا يعقلون الا في أثناء فاجعة للبلاد برمتها.

حفظ الامن في أثناء فاجعة البلاد برئيسها

خامسا: ولست ادري لِمَ احس ان من حقنا ان نعد الحفاظ على الأمن، وصيانة أرواح الناس وأموالهم، أثناء الفاجعة المؤلمة بفقد الرئيس الراحل، احدى مآثرنا. لعل مرجع ذلك الرسائل والبرقيات والتلفونات الكثيرة التي استلمتها وهي في جوهرها تريد ان تعبر عن امتنان الشعب من الطريقة الحازمة الحكيمة التي اتبعتها في تصريف شؤون البلاد في تلك الأيام العصيبة. وفي رسالة من شخص عربي من خارج العراق يقول فيها "اذا نسي العراقيون كل شيء قمت به فلك ماثرتك فيما قمت به في أثناء تلك الفاجعة، ففي ذمة كل فرد منهم لك حق عليه". ولن اطيل التحدث عن هذه القضية بل اترك ذلك للتاريخ. ولكن من حقي ان أقول بهذه المناسبة، ان الله وحده يعلم كم قاسيت من الم، وسهر، واعياء، في تلك الأيام الثلاثة التي لم افارق فيها غرفتي وانا احس وكان كل نفس، وكل مال في العراق أنا مسؤول عنه مسؤولية

مباشرة، وان واجبي الأول هو الحفاظ على ذلك كله الى ان تتم الحلول الشرعية، ويتولى الأمر مـن يتولاه دون عنف أو اراقة دم أو اساءة الى أي مخلوق. واشهد الله انه لم يكن لي في تلك المـدة من مطمح غير هذا، وهو شاهد انني قاومت كل الاغراءات التي لوح لي بها بعض من كان ينفع أو يضر في مثل تلك الأوقات العصيبة.

أشياء لم نحققها

تلـك حصـيلة مـا حققـناه، وبقيت، بطبيعة الحال، أشياء كثيرة كان ينتظرها الشعب ويـريدها، وكـان فـي مقدمـتها انهـاء المرحلة الانتقال، والقيام بتشريع قانون الانتخابات، واجـرائها، وتحقـيق الاستقرار التام، والانتقال بالثورة الى معناها النهائي في تسويد الشعب، وجعلـه الحاكم الحقيقي الذي لا يعلو سلطانه سلطان، ولا تفوق ارادته ارادة. ولقد كنا عاقدين العـزم علـى هـذا. وحين شاركت في وزارة السيد عارف عبد الرزاق جرى حوار طويل مع الرئـيس الراحل عبد السلام حول هذه النقطة بالذات، وتكرر ذلك حين أصبحت رئيسا للوزارة، وثبـتّ هذا بشكل واضح جلي في المادة الثانية من المواد السبع التي وردت في كتاب التكليف. ولا ضير من تكرارها هنا: "الاسراع في تحقيق الحياة الدستورية الدائمة، وقيام النظام النيابي، ووضع لائحة قانون الانتخابات في أسرع وقت مستطاع، لانهاء المرحلة الانتقالية، والسير في الـبلاد الى حالة الاستقرار في حدود المدة المنصوص عليها في الدستور المؤقت". ولقد كنا قد اعددنا لائحة للانتخابات النيابية قائمة على مبدأ حق العراقيين كافة في المشاركة فيها (أي ليس هـناك عـزل سياسي). وعلى أساس من الانتخابات المباشرة السرية الحرة في وحدات صغيرة (أي خلافا للقانون الذي وضع في وزارة السيد ناجي طالب والذي جعل الوحدة الانتخابية كبيرة وفي هذا رجوع الى الوراء وتمكين للحكومة من التدخل في الانتخابات)، كما وضعنا الضمانات اللازمة لحريات الانتخابات في جو مستقل تتحقق فيه الحرية للمواطنين. ولكن حدثت في العراق كمـا هـو معلوم، أحداث غيرت خطة العمل، وفرضت علينا ان نواجه مشكلة حادة كانت أولى بالـرعاية بالـنظر للظروف الطارئة، الرئيس الراحل من جهة، والفتنة الثانية من جهة اخرى، وزيـادة الحاجـة الـى العمل على تثبيت الأمن، والحيلولة دون حركة الذين يريدون القفز الى الفـئات الصـغرى، ونشـاطها المحموم من جهة ثالثة لم تمكنا من انجاز هذا المطلب العظيم. وركـزنا الجهـود – ولم يكن في مقدورنا غير هذا – في هذه الامور الملحّة الى ان طُلب اليّ

الاستقالة بعد عودتي من زيارة موسكو مباشرة كما هو معلوم، ولكن اؤكد هنا اننا كنا عازمين علــى هــذا، وما ثبت في النقاط السبع كنا نعنيه ونريد تحقيقه، وان الرئيس عبد السلام محمد عارف – رحمه الله – كان مقتنعا تمام الاقتناع بضرورة اجراء الانتخابات النيابية للبر بالوعود المقطوعــة في بيانات الثورة المختلفة من جهة ثانية، وللحد من أطماع (الفئة الصغرى) التي كانــت تــريد – ولــم تــزل – ان تحتكر نوعا من السلطة لها لكونها صاحبة الحق في الثورة والمســؤولة عن حمايتها من جهة ثالثة. كنا قد تدارسنا هذا الوضع، وصرفنا الساعات الطوال فــي الحديث عنه، والأعداد له. وكان من المقرر ان يتم كل شيء في الموعد المحدد قبل نهاية مرحلة الانتقال، ذلك ما عزمنا عليه وكنا نقدره ولكن يصح فينا قول الشاعر:

وتقدرون فتضحك الأقدار

لقد قلت بعد وفاة الرئيس الراحل، ان موته خسارة لا تعوض، وان الفراغ الذي أحدثه لا يمكن ان يملئ بيسر. وانا اليوم أكثر ايمانا بهذا. فقد كان – أهطل الله عليه سجال رحمته – عازمــا علــى ان ينــتقل بالبلاد الى مرحلة جديدة تقوم على أساس من ادراك لارادة الشعب، وتمكيــنه من ممارسة حرياته الديمقراطية في الحدود المعقولة التي تتناسب وظروف العراق. وقــد اقتــنع عن ايمان بان في هذا مصلحته الشخصية، ومصلحة العراقيين، ومصلحة الثورة، وفيه الصيانة الحقيقية للنظام الجمهوري ذاته، اذ به، وبه وحده، يمكن ان يوضع حدّ لمغامرات المغامريــن، واســتئثار المســتأثرين، وبــه تقع التجربة الحقة لكشف ادعاء المدعين، ومدى صــدقها، اذ يكــون الشــعب حكما في (من هم الذين ينطقون باسم أوسع الجماهير) كما كانوا يعلنون في بعض مناشيرهم الصفراء.

ولكــن مشيئة الله غلبت كل مشيئة، وفقدنا الرئيس الراحل في وقت كان العراق أحوج مــا يكــون الــيه. والمرجو ان يكون الذين خلفوه، ووعدوا بإتباع سياسته، والتزموا ببيانات واضحة في هذا الخصوص، ان يدركوا مصالح الشعب، وروح الشعب، وان لا يركنوا الى الذين يزيــنون لهم ببهرج القول، ومكذوب الكلم، أوضاعا تناقض حقائق الوجود، وتتنافر مع رغبات الشعب، والعاقل الحكيم، العاقل المدرك من يتنفع بعبر الدهر، ويكون سعيدا بالاتعاظ بغيره.

رد على مفتريات أشاعها مغرضون: هل كنا ضد الجيش؟

لقد وجهت الينا تهم كثيرة، أخذت أشكالا مختلفة، وصورت بأشكال شتى، أهمها اننا ضد الجيش، واننا ضد العمال والفلاحين، واننا ضد الوحدة. فلننظر في هذه التهم بشيء من الافاضة لنرى نصيبها من الحق، ان كان لها أي نصيب منه. هل كنت ضد الجيش؟ لنبدأ بأهم هذه التهم وأكثرها ترددا على السنة بعض الحاقدين. اننا ضد الجيش، هل هذا صحيح ومن هو الجيش؟ وكيف تكون ضده؟ ولماذا؟ لن اسهب في توضيح هذه المسائل التي سبق ان أوضحتها في رسالة لم تنشر من قبل ولكن أضيفها هنا[١٣].

انني، من دون شك، قد عرضت بعض مصالح الضباط المتقاعدين أو غيرهم الى ما لم يكن يرضيهم. ولكن دافعي في هذا كله المصلحة العامة، والالتزام بالقانون والعدل. فاذكر مثلا ان ضابطا كبيرا كان قد عين سفيرا، وسمي اسمه لبلد معين فقبله ومرت الشهور تلو الشهور وهو يرفض الذهاب الى البلد الذي اعتمد فيه على كل أمر يصدر له، فلما أصحبت رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية استدعيته، وحاججته بالمنطق والمعقول، وطلبت اليه – وهو الجندي الذي يجب ان يعرف معنى الطاعة – أما ان يسافر الى البلد الذي عين فيه، أو ان يستقيل لنستطيع ان نسمي أحدا غيره لممارسة مهمات السفارة التي لا نستطيع ان نتركها شاغرة، وقد مر على هذا الوضع الغريب بضعه شهور، ماطل ذلك الضابط أولا، ثم في اللقاء الثاني حددت له مدة زمنية، وأدرك ان الأمر جدّ، وان سياسة التسيب ومراعاة الخواطر لا علاقة لها، فاستقال، وغضب، وربما غضب لغضبه آخرون من الضباط، وبخاصة من أصدقائه وأبناء بلدته، ولكن ما حيلتي وانا وان كنت اقدر شجاعة ذلك الضابط، واعرف انه أسهم في بعض المسائل الوطنية، ولكن الحق أحق ان يتبع، وهكذا كان. وحينما كنت نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية في وزارة السيد عارف عبد الرزاق علمت، بعد عودتي من الرباط ان رئيس الجمهورية بالاتفاق مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع، حينذاك، قد نقلا ضابطين كبيرين الى وزارة الخارجية وعيناهما سفيرين. غضبت لهذا الأمر، وكان مخالفا للخطة التي اتفقنا عليها يوم قبلت المسؤولية لان احد الشروط كان لا يتخذ قرار في أي أمر مهم الا باتفاقنا نحن الثلاثة (رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ونائب رئيس الوزراء)، وقررت عدم تنفيذ هذا المرسوم. فامتنعت عن اصدار الأمر الوزاري لمباشرة سفيرين في وزارة الخارجية. أما احدهما – وكان

---

[١٣] نشرت هذه الرسالة في هذا الكتاب

– والحق أقول – شهما يعتز بكرامته – فقد أدرك عدم رضاي بهذا التعيين، وعدم رغبتي فيه، فاستقال، وأما الآخر فبقي يكرر الزيارات مستعطفا الى ان قبلت اصدار أمره على ان يكون ذلك في البلد الذي اختاره حسب مقتضيات المصلحة لا البلد الذي كان يريده هو، وعلى شروط اخرى فرضتها رعاية للمصلحة العامة عليه تقبلها. ولكنه بقي غضبان أسفا. فبعد ان قضى شهورا قليلة عاد الى بغداد، واستحصل تقريرا باجازة مرضية طويلة للاستشفاء خارج العراق، الا انه لم يغادر بغداد للاستشفاء، ولم يكن مريضا أصلا، وكان غرضه ان يقضي الشهور ويمددها لقبض أعلى راتب تقاعدي حسب قانون التقاعد العسكري. لم استسغ هذا الاحتيال على القانون، وطلبت اليه أما السفر للعلاج حالا أو الاستقاله، فاستقال وهو في أعماق نفسه يتهدد، ويتوعد، ويروج حولي الافتراءات

وكنا ذات مرة في جلسة في مجلس الوزراء فقال وزير الداخلية، وهو الدراجي رحمه الله، هناك ثلاث متصرفات شاغرة ارشح الأشخاص الاتية أسمائهم. فقرأ أسماء ثلاثة ضباط في الخدمة (اعلاهم على ما أتذكر، برتبة عقيد). فغضبت أولا لهذه الطريقة في عدم مفاتحتي مسبقا حول هذه القضية الحيوية قبل الجلسة لان تعيين المتصرفين أمر مهم، ولا بد ان نتأكد من كفايتهم ومؤهلاتهم، ووظيفة المتصرف، من دون شك، أهم من المدير العام في أكثر الوزارات. عارضت الفكرة بشدة من ناحيتي الشكل والموضوع، وقلت في الجلسة ان الاتيان بضباط (مع تقديري لشجاعتهم وقدراتهم العسكرية) كلما شغرت متصرفية أمر غير معقول، واقل ما فيه انه سيحطم آمال الموظفين الاداريين الذين يقضون سنوات عدة ينقلون في النواحي والاقضية الى ان يصبحوا معاوني متصرفين، وينتظرون دورهم ليصبحوا متصرفين وهذا نادرا ما يقع لان عدد المتصرفيات محدود، ولا بد من اختيار بعضهم لأشغال المتصرفيات الشاغرة. أيدني مجلس الوزراء بالإجماع فيما قلت، وسحب وزير الداخلية اقتراحه، وطبيعي ان يسمع الضباط الذين حلت بينهم وبين صيرورتهم متصرفين ولكنهم لا يستطيعون ان يفهموا انني في موقفي هذا لم أكن ضد الضباط، أو الجيش كمسلك، ولا ضدهم شخصيا، انما أتصرف حسب ما تقتضيه المصلحة العامة، كما أراها محافظا على حقوق الموظفين الآخرين الذين يجب عليّ ان أرعى حقوقهم. ولا شك ان هؤلاء الضباط أو بعضهم قالوا انني ضد الجيش، وهي تهمة أقوى في الاستثارة والتشنيع من ان يقال انني ضد اشغال هؤلاء بالذات لمناصب ادارية لم أكن متأكدا من انهم مؤهلين لها. وليس معنى هذا ؟ انني لا أرى ان هناك ضابطا مقتدراً. لان يكون متصرفا.

وانا قد عينت احد الضباط المتقاعدين متصرفا للواء الموصل، وكان ناجحا في عمله وآخر للسليمانية وكان موفقا في ادارة اللواء، كما انني أسفت حينما اضطر متصرف لواء بعقوبة، وهو الآخر ضابط، الى الاستقالة، وكنت قد زرت اللواء كله تقريبا، وأبصرت الجهد المخلص والناجح في ادارة ذلك اللواء. كل ما في الأمر انني كنت اريد ان نضع قواعد معقولة، وان نرعى حقوق الأطراف المختلفة كافة دونما تحيز لفريق أو تجن عليه. ان هذا الذي وقع في المتصرفيات، تكرر بالنسبة لبعض المديريات العامة الاخرى، فانا كنت مثلا أرى ان مديرية الشرطة العامة يجب ان يشغلها احد أبنائها. وفي الشرطة ضباط كثيرون مثقفون وذوي كفايات جمعوا الى دراستهم المسلكية، دراسة القانون، وتخرجوا في كلية الحقوق. كذلك مديرية الأمن العامة كان يشغلها ضباط على الرغم من وجود المقتدرين المدربين من موظفي الأمن أنفسهم. وكانوا يحسون بالألم المثبط حينما يرون ان المديرية العامة تعطى دائما لشخص من خارج مسلكهم. فعملت حين كنت وزيرا للداخلية اضافة الى رئاسة الوزارة على انصافهم، ووضع الأمر في نصابه العادل المعقول. ونقطة اخرى استغلها بعضهم في الزعم بأنني ضد الجيش حينما شرعنا بوضع قانون التقاعد المدني الأخير، وارتفع بعض الشيء الحد الأعلى للمرتب التقاعدي بعد ان رفعنا نسبة الاستقطاعات، وجعلناها متدرجة، قال احد الوزراء (وكان عسكريا) من الأفضل ان تعدل قانون التقاعد العسكري أيضا وترفع الحد الأعلى للضباط كي لا يغضبوا، فأجبته ان هذا الطلب غير معقول وغير عادل فالرواتب التقاعدية للضباط عالية ولا يمكن وفي مثل الحالة المالية التي كنا فيها ان نرفعها، وضربت مثلا بان المقدم الفني قد يبلغ راتبه التقاعدي أحيانا أكثر من الراتب التقاعدي لرئيس محكمة التمييز، أو رئيس الجامعة، وهذا غير عادل وغير معقول. أنا لا استبعد ان هذا القول وأمثاله وقد تحدثنا في هذه الامور في جلسات مختلفة في مجلس الوزراء قد شاعت واستغلها بعضهم استغلالا قذرا، فبدلا من ان يروا الحق الذي كنت ادافع عنه، صوروا المسالة وكأنها مهاجمة لمسلك، أو محاربة لفريق من المواطنين واعني بهم ضباط الجيش.

ومهما يكن الامر، فالحق انني لست آسفا على ما قلت وفعلت. وأنا متأكد ان الكثيرين من الضباط أنفسهم يدركون اليوم وجه الحق فيما قلت وفعلت، وان قالة السوء قد روجها بخاصة بعض المتقاعدين من الضباط من تجار السياسة، أو من الطامحين في اشغال مراكز لا

علـى أسـاس الكفايـة والتضحية، بل على أساس من التصحب، والتعصب المسلكي، وفرض الوجود، من دون اهتمام بالحق والمصلحة العامة، وحقوق الآخرين من المواطنين.

وقـد يكرر بعضهم القول ان الذي اغضب الضباط ليست هذه التصرفات، انما ما قلته فـي بعض بياناتي الصحفية على رؤوس الاشهاد. وانا احيل القارئ الى تلك البيانات والندوات بنصها الكامل، وسارتضي حكمهم، ولكن لتيسير مهمتهم انقل حرفيا هنا بعض ما قلت بعد وفاة الرئـيس الـراحل عـبد السلام محمد عارف، وانا متأكد من انهم لن يجدوا فيه أية اساءة الى الجـيش، أو الى الضباط ككل، أو أي فريق في الضباط المحاربين:" أود ان اؤكد لاخواننا ضباط الجـيش... كفانـا انقسامات على أساس الشمال والجنوب، والمدن، والمذاهب، والعقائد، حتى ننقسـم انقسـاما جديـدا علـى أسـاس مدنيين وعسكريين. ان المقياس السليم هو المواطنة الصـالحة. لا يوجد عاقل لا يعرف ما للجيش من فضل، وما للبلاد اليه من حاجة. وما كان من سياسـتنا علـى تعزيـزه ورعايته، والعمل على جعله قوة فعالة لخدمة هذا الوطن، والاسهام بالرسـالة الكـبرى التـي تنتظرنا يوم ينادي المنادي لتحرير الوطن السليب. فالجيش اذن هو موضـع العناية، وموضع التقدير. والذين يزعمون اننا قد نقصر لأننا مدنيون مخطئون، كالذين يـزعمون ان الـبلاد لا يمكـن ان يحكمها الا ضباط. أنا لا أنكر ان بين الضباط القدامى اناس يمـتازون بالحكمة والمقدرة والاخلاص ومن حقهم ان يحكموا. واذا أرادهم الشعب ان يحكموا فعلـى الرحـب والسعة. ولا ازعم انني، أو ان زملائي، أفضل منهم بحال من الأحوال. ولكن لا أسـتطيع، ولا احسـب أحدا من أبناء الشعب يقر الذين يقولون ان الحكم لا يمكن ان يكون الا بـايديهم ... والمعرفة والفهم قد توجد في الضابط الممتاز وفي غير الضابط الممتاز. وقد يحكم البلاد ضابط قدير، وقد يحكمها غير ضابط قدير ... والذين يريدون ان يجعلوا من أنفسهم طبقة بمـثابة البدرييـن، أو العشرة المبشرة بالجنة هم من دون سواهم يجب ان يحكموا، ويجب ان يستشـاروا، ويجب ان يصار اليهم، هذا الرأي – مع احترامي للقائلين به – لا أظن ان الشعب يـريده. الشعب يحكم على الناس بأعمالهم. الضابط الفلاني ضحى فهو اذن قدير وان كان اليوم سياسيا محترما، وفلان غير مقتدر فالشعب لا يريده. وزير من الناس ليس بضابط ولكن رضي الـناس به، واستطاع ان يحكم البلاد بطريقة أو اخرى معقولة... فإذن القول بأننا سننتقص من قـيمة الجـيش، أو نـنـتقص من شأن الضباط قول باطل. كل ما في الأمر نحن نعتقد ان الحكم للأقدر والأصلح، والحكم النهائي في هذا هو الشعب. ان الذين يريدون ان يستأثروا بسلطات أو

ميزات لمجرد كونهم ضباطا، وان كانوا شجعانا، وان قدموا فيما مضى تضحيات، لا أظن ذلك يجب ان يكون بثمن، ولا يجب ان يكون ذلك مفروضا. فحينما يحكم الشعب ويقرر ذلك ستستجيب لحكمه، ونرضخ لقضائه، وسنكون جد مسرورين بل ومغتبطين. " قلت هذا القول بعد وفاة الراحل العظيم وانا اعلم أسرار المناورات" والمغامرات التي أراد ان يجربها بعض الطامحين للاستيلاء على الحكم لولا الحذر، والجرأة التي أبديتها خلال الأيام العصيبة التي أعقبت وفاة الرئيس عبد السلام محمد عارف. ولم يحن بعد أوان كشف كل التفصيلات ولكني أقول ان الذي قلته حق، أقوله اليوم، ويقول به الشعب كله، ويقول به كل الضباط الشجعان المحاربين الذين يعرفون واجبهم. ولن تنطلي بعد اليوم عليهم الدسائس الرخيصة التي يريد ان يتخذها بعض الطامعين وسيلة لتحقيق مآربهم. دون عبء بالجيش، ولا بالشعب أو الامة ومصالحها.

وهناك قضية اخرى حاول بعض الساسة من الضباط المتقاعدين ان يستغلها استغلالا غير كريم، واذكر واحدا من هؤلاء من أصحاب السلوك الشخصي الغريب، والسلوك السياسي الأشد غرابة، قال في جلسة حافلة بالضباط المتقاعدين والقيادة من الضباط المحاربين انك أهنت الجيش حين قلت ان خمسين من المتمردين في الشمال قد يقضون عليه، وأضاف الى ذلك عبارات استفزازية اخرى. وصف الجيش بالشجاعة والاقدام وما الى ذلك من صفات لم أكن اعارضه فيها، ولكن الذي كنت استنكره انه أراد من ذلك التهويل واثارة الضباط الحاضرين ضدي، ودفعهم الى معارضة بيان ٢٩ حزيران. وانا كنت اعلم يومئذ ان ما يقوله تدجيل محض. ورجعت الى النص الذي قلته، وانقله هنا ليستطيع القارئ ان يحكم عليه "وانا اعلم ان فريقا من اخواننا، وربما من العرب قبل غيرهم، قد ينكر هذه السياسة ويعدها هزيلة أو ضعيفة. وانهم لا يرضون الا بالقضاء على آخر متمرد، أقول لهؤلاء ... ان الوضع في شمال الوطن ما لم يتم عن طريق الرضا، والتسوية المعقولة، والاعتراف الكامل بالحقوق المتقابلة، لا يمكن ان ينتهي نهائيا. ذلك لأننا لو أبقينا الفا أو خمسمائة أو حتى خمسين غير راضين فيستطيعون ان يقلقوا المنطقة ويحدثوا من الاضطراب، ويحدثوا ما يقض مضاجع الاهلين". هذا هو النص بحرفه. ان الألف أو الخمسمائة أو الخمسين – وأستطيع ان أقول الان حتى الخمسة من الأشقياء المسلحين الذين يحاربون حرب العصابات، ويتنقلون بين الجبال العالية، والوديان العميقة بازيائهم التي لا تتميز عن باقي الاهلين، ان هؤلاء، بلا ريب يقلقون المنطقة المجاورة

ويحدثون الاضطرابات، ويقضون مضاجع الاهلين. انني لم اقل ان الألف، أو الخمسمائة أو الخمسين سيقضون على الجيش العراقي أو يغلبونه. ان الذي قلته واضح كل الوضوح لكل ذي عقل سليم، وفطرة لم تفسرها الأطماع، وبصيرة لم تعمها المطامح الشخصية. ان خمسة من الأشقياء كما حدث لعصابة خولة بيزة المشهورة يستطيعون ان يحدثوا قلقا واضطرابا واخلالا بالأمن يربك الأوضاع، ويجعل حياة المنطقة غير مستقرة. ان حروب العصابات، حين يكون الوضع الجغرافي والطبوغرافي - مساعدين - تنهك قوى أكثر الجيوش النظامية كفاية. وأحسنها تسلحا، وبخاصة في المناطق الجبلية الوعرة". وانني لاحتكم اليوم الى كل ضابط عسكري ليرى هل في هذا القول اهانة للجيش وعفى الله عن الأبطال الثوريين أصحاب القصور الاشتراكية وهداهم الطريق السوي.

وانه لمن المؤلم حقا ان يتكرر مثل هذا القول من اناس أكرم معدنا، وأطيب فطرة من صاحبنا، ولكنهم يقبلون ببساطة وسذاجة هذا الافك المفترى، ولا يرون بأسا من اشاعته. وانه لمما يحز في نفسي أحيانا ان أرى بعض اخواننا المخلصين من المدنيين والعسكريين يقولون لي في معرض النصح الخالص، والتوجع المخلص، انك لو لم تتعرض بالجيش لكان كذا وكذا.... وحين اسألهم أين هو التعرض؟ وهل قرأتم نصوص خطبي وأحاديثي أو سمعتموها كلها؟ فيجيبون بالسلب، ولكنهم يقبلون الشائعات على علاتها. ان الامنية السائدة حتى بين المتعلمين من مواطنينا، والكسل الفكري تجعلهم يقبلون القول المشاع المتكرر، وان لم يكن له خلل من حقيقة، وكم كنت سأسر لو جاءني احد هؤلاء الأصدقاء وبيده النصوص. وهو يحاججني فيقول ان هذه عبارة خاطئة، وان تلك الجملة غير موفقة، أو ان هذا التعبير كان يحسن بك ان تصوغه صياغة اخرى، وما الى ذلك من نقد بناء يشعرني بجدية محدثي الذي كان سيثير اعجابي ويجعلني أدرك بأنه قرأ النصوص، وعرف معناها، أو اشتبه معناها عليه، فأجادله عندئذ جدلا موضوعيا قائما على النصوص ذاتها.

وأما تكرار القول المعاد من دون تمحيص، وقبول الشائعات من غير ادراك لأغراض مروجيها، فذلك إسهام في الضلال الداعي الى الهلكة. وما أجمل قوله تعالى واحكمه: (يا أيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق فيتبنوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين).

هل كنت ضد الفلاحين والعمال؟

منذ ان طرحت شعار الاشتراكية الرشيدة، ونددت "بالطبقة الجديدة" التي استغلت التشريعات الاشتراكية الثورية استغلالا فضيعا، ومنذ ان بدأت بتطهير بعض الدوائر الحكومية والمؤسسات العامة من بعض "صغار الاباطرة" اخذوا يشيعون، بل ويكتبون - وفي الجرائد التي كانت تعد جرائد للحكومة - مقالات يروجون فيها بأننا حماة الرجعية، ومناصرو الرأسمالية، والعاملون على إعادة الاقطاع، ونحن بالنتيجة اذن ضد العمال الكادحين، والفلاحين المضطهدين، والطبقات المحرومة الاخرى. ترى هل هذا صحيح؟ الحق اننا حاولنا ان نجد شيئا من الاستغلال، ومن سوء الاستعمال، بشتى طرائقه، وبأي زي تزيا، أو اسم تسمى به. وحاولنا ان ننصف المواطنين كافة، وان نضع حدا للجمود الاقتصادي، والأزمة المستحكمة، وان نعيد الآمال للناس ليتحركوا، ولتخرج الأموال ناشطة للعمران، والازدهار الاقتصادي، وهكذا كان. ولكننا لم ننقض بحال من الأحوال أي حق من حقوق الفلاحين أو مكسب حقيقي من مكاسب العمال، بل كنا حريصين على الحفاظ على مكاسب الثورة الحقيقية وزيادتها حين تنتعش الأوضاع، ويعم الخير. أين هو الظلم الذي يصيب الفلاحين حين ترجع الأقساط للأرض المستولي عليها الى عشرين سنة بدلا من الأربعين سنة التي غالى فيها بعض المتحزبين؟ وأين هو الظلم للفلاحين حين تفي الحكومة بوعدها فتدفع لبعض أصحاب الحقوق حقوقهم التي قد انتظروها أمدا طويلا؟ وأين هو العدل في تعويض من يملك ما قيمته خمسة الاف دينار من الأسهم والسندات في المشاريع الصناعية المؤممة حين لا يدفع فلسا واحدا لمن يملك ما قيمته خمسة الاف دينار؟ فحين نقرر ان ندفع لكل المساهمين مبلغا بحدود الخمسة الاف دينار نصبح رجعيين حماة للرأسماليين، ودعاة لاشتراكية "الشورجة" على حد ما كانوا يعبرون؟ والطريف في هذا ان الحكومة الحاضرة سارت في التعويض على الخطة التي وضعناها، وهو أمر عادل ومعقول، ولكن الذين كانوا يعدون ذلك منا تصحيحا للرأسماليين حين دفعنا لهم جزءا من المبلغ الذي وعدنا به لن يعلقوا بشيء حين وقعت الحكومة القائمة قسطا اكبر. أفلا يدل هذا على ان القوم دجالون لا يؤمنون بمبادئ، ولا يصدرون عن عقيدة مستقرة؟

ولقد كنا - والحق يقال - نريد ان نضع حدا للبلبة التي أحدثها قانون الاصلاح الزراعي وتعديلاته التي بلغت مع البيانات والقوانين الملحقة العشرات عدا، لا بإلغاء قانون الاصلاح الزراعي، ولا بتحطيم فكرة الاصلاح الزراعي، - لأننا نؤمن بها، وكنا في العهد

الملكـــي نطالب بها – بل يوضع الأمر في نصابه المعقول الذي يحمي الفلاح، ويحقق له الرفاه من جهة ولا يحول دون توسع الانتاج وازدهاره من جهة اخرى. ان عصر الزراعة الآلية، وفي بـــلاد شاسعة كالعراق، يجب ان لا نجهد فيه على المساحات التي وضعت على عجل، ومن دون دراســـة مستفيضـــة للحـــد الأعلـــى الذي يمكن للفرد أو العائلة ان تتصرف به أو تمتلكه. ان الشـــعارات لـــن تعطـــي الفلاحين خبزا، وهي ان هيأت لهم الرغبة أحيانا ستعطيهم اياه بعد ان تسلب كرامتهم، اننا كنا ولم نزل، نريد للفلاحين والمزارعين والعمال والمواطنين كافة خيرا مع الكـــرامة، ولا يـــتأتى هذا حين تسود عقليات أصحاب الشعارات، أو النظريات المستوردة، ولا عقلية أصحاب الأرقام التي يفسلسفونها – ولا أقول يحسبونها – على الورق في دواوينهم.

لقد أضحكني مرة خبر قرأته أخيرا في جريدة نقله مخبر صحفي عن وزير "عبقري" لم اعـــد اذكـــره حرفـــيا ولكـــن فحواه هكذا: بعد كذا سنة (واغلب الظن انها كانت ثلاث سنوات) سيتضاعف انتاج القمح في العراق أضعافاً مضاعفة وستصدر الى العالم مقادير هائلة. خبر سار ولا شـــك. ولكنهم على أي أساس بنوا هذا الخبر المفرح؟ بني على ان نوعا من القمح أعطى حاصلا في بعض التجارب أضعاف أضعاف ما تنتجه بذور القمح في العراق. فاذا بذرنا كذا طنا مـــن هـــذا الـــبذر المحسن في كذا دونم، فسيكون الحاصل بعد كذا سنة كذا مليون طن. مسالة حسابية بسيطة! أما عامل التربة، وعامل الجو، والرطوبة، والسقي، والحر، والآفات الزراعية" والآفـــات الكثـــيرة الاخرى، والعوامل التي لا حصر لها في تحقيق انتاج القمح في بلد كالعراق فـــتلك مسائل ثانوية سيعالجها وزيرنا الهمام بالطاعة التامة باشارة واحدة من عصاه السحرية ... فلينعم العراق وليستبشر بغده الموعود!!

ولست اريد هنا ان افند الفرية القائلة بأننا ضد الفلاحين والعمال والطبقات الفقيرة من ذوات الدخـــل المحـــدود بعشـــرات الأمـــثلة الشخصية التي تشعر بحب هؤلاء وايمانهم العميق بالسياسة الحكيمة التي كنا قد اتبعناها، فليس مجال ذلك هذه المقدمة.

هل كنت ضد الوحدة العربية ؟؟

لم يتردد المرجفون، وبخاصة من بعض الفئات الصغرى المتحزبة، ومن بعض الشباب الغر، من ان يقبلوا شيوع فرية لا أساس لها من الحقيقة. وهي اني لم أكن وحدويا ولا قوميا. ولســـت أرى من اللازم هنا ان اؤكد ايماني بالقومية العربية وبكل متطلباتها، وعملي من اجلها

منذ كنت طالبا في انكلترا، أو استاذا في العراق، أو معتقلا ينظم المعتقلين ويزيد ايمانهم بقوميتهم وعروبتهم، أو بعد ذلك في حياتي العامة سفيرا للعراق في القاهرة، أو في لندن، ذلك، ما ستوضحه يوما مذكراتي. ولكني أقول انني كنت افهم الوحدة العربية على وجهها الذي اعتقده صحيحا والذي تفرضه طبائع الأشياء، ووضع بلادنا واتساعها وتعدد مشكلاتها، واختلاف بيئاتها بعض الاختلاف. فالوحدة عندي عقيدة وهي هدف يجب ان نسعى اليه، وهو مصير نحن سائرون اليه. ولكني – كما وضحت ذلك بجلاء في كتابي "الدولة الموحدة والدولة الاتحادية"، وكما وضحت ذلك أيضا في الفصل الخاص من كتابي "هذه قوميتنا" الذي كنت قد القيت محتواه محاضرات على طلاب الدراسات العربية العليا في القاهرة – لا أرى الوحدة صنوا للدولة "الموحدة البسيطة" فانا افرق بين نظام الحكم، والعقيدة القومية. ان أنظمة الحكم تتعدد، وتأخذ أشكالا دستورية مختلفة ويجب ان يراعى في هذا كله الظروف الزمنية والاعتبارات الكثيرة التي لا حصر لها. كما اني كنت اعارض ما كان يسمى "بالوحدة الفورية العسكرية" وارى ان ذلك مناهض لمصلحة امتنا العربية بمقدار ما هو عمل لا أخلاقي. اننا يجب ان ندعو الى أفكارنا بالطريق الديمقراطي الحر، وان نقنع الناس بما نعتقده حقا، فذلك أبقى على الدهر من أي طريق قسري، لان ما يتحقق قسرا يزول حين تزول الظروف التي تفرض على الناس الخضوع للقوة. ولعل العبارات الاتية من "الميثاق" الذي وضعته الجمهورية العربية المتحدة انصع في تبيان هاتين النقطتين؛ تنوع أشكال الوحدة، وعدم جواز فرضها على الناس بالقوة: (ان الوحدة لا يمكن – بل ولا ينبغي – ان تكون فرضا، فان الأهداف العظيمة للامم يجب ان تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها. ومن ثم فان القسر بأي وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة. انه ليس عملا غير أخلاقي فحسب ... ، وانما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية، ومن ثم بالتالي فهو خطر على وحدة الامة العربية في تطورها الشامل ... وليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لامناص من تطبيقها. لكن الوحدة العربية طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولا الى الهدف الأخير.

ان أية حكومة وطنية في العالم العربي – تمثل وحدة شعبها ونضاله في اطار من الاستقلال الوطني – هي خطوة نحو الوحدة من حيث انها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية في الوحدة. ان أية وحدة جزئية في العالم العربي تمثل ارادة شعبين أو أكثر –

مــن شعوب الامة العربية - هي خطوة وحدوية متقدمة تقرب من يوم الوحدة الشاملة، وتمهد لها، وتمد جذورها في أعماق الأرض العربية.

كـم كنـت أتمنى للذين يتنادون بجهالة، أو عن سوء قصد، بالوحدة الفورية، حتى لو تأتي عن طريق القسر والمؤامرات والانقلابات العسكرية، ان يقرأوا هذه الفقرات بدقة وامعان. وكـم أتمـنى للذين يتصورون الوحدة العربية شكلا ثابتا مستقرا لا يحتمل التدرج والتنوع ان يقـرأوا الـباب التاسـع مــن "الميثاق" ويتدبروه ويقرأوا معه كتابي "الدولة الموحدة والدولة الاتحاديــة" فسـيرون ان روح الميـثاق منسجمة مع كتابي الذي وضعته عام ١٩٥٨، وعندئذ سـيجد القارئ المدرك الفرق بين "روح الميثاق" وكتابي من جهة وبين بعض كتابات بعض من تسـتهويهم الصيغ وتدفعهم الشعارات بحيث يرددون الفاظا وصيغا جوفاء لا تنطبق على واقع حياتـنا مــن جهة اخرى... يقول كاتب: "ومما يؤسف له ظهور شعوبية جديدة تحارب الوحدة وتعرقل مسيرتها وتكرس الاقليمية وتدعو لها.

كــان من يكره الشعب العربي أو يعاديه أو يعمل سرا ضد العروبة في القديم شعوبيا. أمــا اليوم فباعتقادي ان كل شخص يحارب الوحدة، أو يعرقل مسيرتها أو يؤخر قيامها أو يقف حجـر عــثرة أمام تكوينها، أو يشك في امكانيات نجاحها، فهو شعوبي خائن حتى ولو كان من نسـل يعرب بن قحطان ابي العرب. فكل عربي لا يؤمن بوحدة العرب، ولا يعمل من اجلها فهو ليس منا بل هو أسوء شعوبي. وان الواجب القومي الوطني يدعو كل عربي في أية بقعة عربية كانـت امن بوحدة امته ان يحارب هؤلاء الشعوبيين الجدد مهما سمت منزلتهم. وليعلم الجميع ان الوحدة قدر لابد انه آت". ولنترك الان جانبا الأخطاء العلمية كالخلط بين " الشعب العربي " و " الامــة العربــية "، والأخطاء التاريخية واللغوية حول مدلول الشعوبية قديما وحديثا، ولنترك كذلــك مناقشــة مدى الدقة العلمية في اعتبار "يعرب" أبا العرب أجمعين، ولننظر الى المحتوى، والمعنى الذي تثيره هذه العبارات. واغلب الظن ان اسلوبا كهذا كان يستساغ من شاب متحمس يكتــب بعاطفــة جامحة قبل ثلاثين أو أربعين سنة، أي قبل كل التجارب المريرة التي مرت بها امتــنا العربية، وقبل كل الأحداث القاسية، والنكسات المؤلمة التي واجهتها. ولنتساءل بعد ذلك كــيف الســبيل الــى تحقيق هذه الوحدة؟ أما الكاتب الذي اقتبسنا منه العبارات السابقة فيجيبك ببســاطة: "واذا مــا اختار الشعب العربي قائده ورئيسه فعلى الآخرين ان يتخلوا عن مراكزهم ومناصبهم، ويتركوا له قيادة الامة ليدخلوا التاريخ من بابه الواسع". ما أيسر الحل وأسهله!!.

تـرى اهكذا تعالج قضايانا المعقدة المتصلة بمصائرنا ؟ أما البحث عن تثقيف الشعب في كل قطر عربي تطبيقا قوميا عميقا، أما الدعوة الصادقة لتحويل الشعارات القومية الى واقع حـياة تحياها تغرس بالتربية الصالحة، والإعداد السليم، والجهد المتواصل في أعماق النفوس، أمـا اشـاعة روح الديمقراطية القائمة على حرية الفكر والوجدان، والدعوة السليمة المهذبة، وكسـب الأنصـار عـن طـريق الاقناع، وتحقيق الغايات الكبرى آخر الأمر عن طريق الوعي والايمـان العمـيق وهما أجدى من كل انقلاب، وأعظم من كل حركة طائشة سرعان ما تكشف الأحداث خلاف القائمين بها أو انخداعهم، فتلك امور تحتاج الى صبر، وجهد، وبذل، وتضحية، وحكمـة، لا قبل لأصحاب الشعارات بها، ولا قدرة عندهم على العمل بمقتضاها، انهم متعجلون وغـير مقدريـن لحقائق الأشياء وطبائع الوجود، ويبقى السؤال الآتي: واذا ما رفض أصحاب المراكـز والمناصب التخلي عن مراكزهم ومناصبهم ولم يرضوا في ان يدخلوا التاريخ من بابه الواسـع؟ فسيجيبك أصحاب الهوس: لتقم الطلائع الرائدة بانقلاب عسكري، وليدبروا مؤامرات جديـدة، ولتذهب ضحيتها الضحايا، وليتحطم من الطائرات والأسلحة الاخرى ما يتحطم، وليتلف مـن العتاد والذخيرة ما يتلف، فكل فداء، وكل تضحية، وكل شهيد في سبيل الهدف السامي هو امـر هيـن ويسير. واذا ما سألتهم؛ ولكن أين هذا الاسلوب من قول الميثاق "من ان الأهداف العظـيمة يجب ان تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها، ومن ثم فان القسر بأية وسيلة عمل مضاد للوحدة"؟ ضحكوا، أو استهزأوا، أو في أحسن الأحوال سكتوا ولم يحيروا جوابا ... ان اخواننا هـؤلاء لـم يدركوا بعد عبرّ التاريخ، ولم يستوعبوا بعمق طبيعة المجتمعات البشرية، وطبيعة الزمن الذي نعيش فيه، وهم بحماسهم هذا – ولنكن معهم صريحون – قد أساءوا الى العروبة، وخلقـوا جوا مضادا للوحدة العربية يتناسب في عنفه مع عنف دعواتهم وأساليبهم اللاعقلانية. فهـم اذن، اذا جـاز لـنا ان نستعمل لغة الكاتب، ونصطنع مصطلحاته، "الشعوبيون المحدثون" المسيئون الى القومية العربية العاملون – وقد يكون الأمر بحسن نية – على عرقلة بلوغ امتنا غاياتها بإتباع الطريق السوي المهذب المتناسب شرفا مع غاياتنا الرفيعة.

سبب آخر للخصومة!

ومهمـا يكـن مـن أمـر فلئن وفقت في ارضاء الكثرة الكاثرة في سياستي الداخلية والخارجـية، وعد أكثر الناس ووزارتي فتحا جديدا عبر الشعب عن رضاه عنها بطرائق شتى،

واستحال هذا الرضا، بعد مدة قصيرة الى حب وتقدير لم أزل احس باثارهما، يعترف فيهما كل المواطنين الأسوياء، فقد بقيت مع ذلك فئة صغيرة تثير حول سياستي الشكوك بالتلميح حينا، وبالاتهام الصريح أحيانا. وحين لا استبعد اخلاص بعض هؤلاء وحسن نواياهم، وكونهم مغررا بهم اندفعوا بجهالة الى ما اندفعوا اليه، أستطيع ان اوكد جازما ان الدافع الرئيس للفريق الآخر كان شخصيا، بل وأنانيا. فقد شعر هؤلاء ان سياستي الواضحة الصريحة، ومخاطبة الشعب مباشرة بصدق واخلاص، وتوالي الانجازات، ستقطع عليهم طريق "الوساطة"، أو في الأدق ستقضي على تلك الفئات الصغرى التي كانت تدعي انها تمثل الشعب تمثيلا حقيقيا "وتنطق باسم أوسع الجماهير" كما تزعم، حين كنت على علم بشبه اليقين انهم لا يمثلون، مع أنفسهم، الا بضع عشرات، أو بضع مئات من الناس في أحسن تقدير. وكان من أخطائي – وانا غير نادم على ذلك – انني عارضت فكرة اشراك ممثلين عن تلك الفئات الصغرى بصفة وزراء دولة على ان يمثل شخص واحد منهم كل فئة من تلك الفئات في وزارة السيد عارف عبد الرزاق الذي قبل هو مبدأياً هذه الفكرة، وتسامح بها الرئيس عبد السلام محمد عارف. ولكنني أصررت على عدم جدوى ذلك للأسباب الاتية: أولا: ان هؤلاء بالنظر للتنافر بينهم، والتنافس الشديد سيعرقلون عمل مجلس الوزراء. ثانيا: انهم سيكلفون الخزينة مبالغ طائلة دون ان يرتجى منهم أي نفع جدي، بل علهم سيزيدون في ارباك الوضع الذي كان، أصلاً، مرتبكا. ثالثا: انني كنت اعتقد ان اشراكهم في الحكم مع الاعلان بعدم الاعتراف بالحزبية والتحزب، يكون عملا لا أخلاقيا، ويدفع الشباب الطامح لتكوين كتل صغيرة تفرض هي الاخرى وجودهم عن طريق بعض النشرات أو المظاهر التافهة الاخرى، وسيكون مشجعا لها ان ترى بعض الفئات الصغرى قد بلغت مركز الوزارة دونما جدارة أو وجود حاجة للبلاد الى خدماتهم، بل يقصد اسكاتهم فقط. لقد انتصرت فكرتي آخر الأمر، واقتنع رئيس الوزراء المكلف بها، كما اقتنع رئيس الجمهورية منها. لقد شاع موقفي هذا لان احد ممثلي تلك الكتل الصغرى كان حاضرا طرفا من تلك المناقشة. فحين يأس هؤلاء من تحقيق مطامحهم اخذوا يشاركون في اشاعة الدعايات الرخيصة، ونظم بعضهم قصائد يهجونني بها ويعرضون بي. ولم يكتف هؤلاء بمناشيرهم في بغداد بل اتخذوا من بعض صحف لبنان الحزبية ومجلاتها منبرا لترويج الدعايات المغرضة. وذهب بعضهم الى القاهرة ليخلق جوا يستطيع من خلاله ان يشيع فيه لبعض الافك المفترى، ويروج باطل القول ومرذوله. ولأنهم فشلوا بالنسبة لكبار المسؤولين، فقد استطاعوا ان يتخذوا من بعض الأجهزة، ومن

بعـــض الصحف، وبعض "المهرجين" ممن انكشفوا فيما بعد، وعرف الناس حقيقتهم أبواقا تردد الكلام المفترى، ونفوسا لا تحس بالأثم من اشاعة الباطل، والتجرؤ على الحق.

السياسة النفطية

لقد قرأت بعض ما كتب، وبلغني بعض ما قيل، ولكن مقالة واحدة(١٣) حزت في نفسي بعض الشيء لان كاتبها كان، حينما كنت في القاهرة يتملقني، ويتظاهر بصداقتي وودي، وهي تـــتعلق بسياســـتنا النفطية، وسبب الألم ان ما ورد في المقال من أدلة الى اخره لا ظل له من الحقـــيقة، واغلب الظن ان كاتبه يعلم هذا الأمر، ولكن الطرائق التي تحمي بعض الصحفيين في مصـــر والعـــراق وغيرهما لم تعد بعد اليوم تجعلني مندهشا حين أرى تنكر من كان الى الأمس القريـــب يعدنـــي قدوته ومثاله الأعلى الذي يفخر به. وخلاصة ذلك المقال ان سبب اقالتي من الـــوزارة هـــو سياستي النفطية والاتفاقات السرية التي كدت أبيع بها مصالح العراق للشركات الاستعمارية، أو على حد قول الكاتب، "لقد فاحت رائحة البترول في الآونة الأخيرة حتى زكمت انوف العراقيين جميعا ... ولهذا وقطعا للطريق في مواجهة أي احتمال تولي ناجي طالب بنفسه وزارة النفط ... حتى تهدأ النفوس وتنتهي البلبلة، ولتعرف شركة البترول بان عصرها الذهبي الـــذي اندثـــر لـــن يعود يوما. وقد ذهبت شركات البترول في مفاوضاتها الجديدة مع الحكومة العراقـــية الـــى الدوران حول مقصدها للوصول اليه. هذا باختصار هو مشروع الاتفاقية، وهو المشـــروع الـــذي أحاطته بالصمت الحكومة السابقة (أي وزارتي) ومنعت مناقشته بالرغم من جمـــيع الشخصـــيات الوطنـــية في العراق قد هاجمت هذا المشروع. هذه خلاصة آراء الكاتب المطلع، المنصف!!! وغني عن القول بأنها باطلة من الفها الى يائها، وانها مزيج من التهريج الغوغائي والأقوال المفتراة، والجهالة الموغلة في الضلال.

ولـــم يكتف الكاتب بالذي قال بل حشر امورا اخرى تدل على مدى جهله. فقد ذكر أمر مفاوضـــات "الاوبك" التي كنت قد ساهمت فيها بوصفي احد ثلاثة ممثلين اختارهم المؤتمر الذي انعقـــد فـــي الـــرياض من وزراء نفط للدول الأعضاء في المنظمة. لقد اشتركت فعلا في وضع النقاط الأساس للتفاهم الذي تم فعلا حول "تنفيق الريع". وانني – على حد تعبيره – "قد انبريت فـــي انفجـــار عاطفي وانفعال شديد للدفاع عن مشروعي هذا في وجه المعارضة الوطنية التي

---

(١٣) نشرت المقالة في العدد ٢١٨٤ من مجلة "المصور" الصادر في ١٩ أغسطس ١٩٦٦، بعنوان "حرب الذكاء".

كانت تطالب برفضه في أثناء انعقاد مؤتمر البترول العربي الأخير في القاهرة". ثم أضاف الى أقواله السابقة: "وهنا كان يثور التساؤل والقلق هل سيقبل عبد الرحمن البزّاز رئيس الحكومة العراقية بما قبله، بل واقترحه شخصيا ودافع عنه علنا عبد الرحمن البزّاز سكرتير منظمة اوبك. وصرحت حكومة البزّاز السابقة على ان تحيط قضية البترول ومشروع الشركة المقترح بالصمت والصمت والصمت ... وفاحت رائحة البترول في أنحاء العراق وزكمت الانوف الحادة الحساسة المميزة وسقطت حكومة عبد الرحمن البزّاز".

وحين لا اريد ان ادخل بتفصيل في تبيان كل الأخطاء والأباطيل التي روجها صاحب هذا المقال، يحسن بي ان اشير الى انني وان اشتركت في مفاوضات تنفيق الريع، وبذلت قصارى جهدي في تحقيق المبدأ الذي كانت تماطل به الشركات وتراوغ فيه، لم انصح أحدا بقبوله قط، بل كنت اعارض في الاستقطاعات بشدة. وكان موقفي هذا قد جرني الى مشادات عنيفة مع ممثلي بعض الدول الأعضاء في المنظمة، وبخاصة ممثلي ايران والمملكة العربية السعودية. كما انني حينما قمت بجولتي في بلاد الأعضاء المشتركة في المنظمة وزيارتي لرؤساء الدول، ورؤساء الحكومات، وغيرهم كان همي الأول ان اقنع ذوي الشأن بلزوم الوقوف بصلابة، ورفض العرض بشكله الأخير. كل هذا مدون في محاضر جلسات الاوبك، ويعرفه الأعضاء المساهمون، كما تعرفه الشركات ذاتها. ولو كان للكاتب أي خلق علمي لرجع اليها، ولرأى الحقيقة ناصعة، ولما وقع في وهاد الضلال الذي وقع فيه. وأكثر ايغالا في التجني قوله انني وقفت بانفجار عاطفي شديد للدفاع عن مشروعي. وهذا باطل كل البطلان، ومغاير للحقيقة. فالذي وقع حقيقة في مؤتمر البترول العربي الذي انعقد في القاهرة، وشهده الكثيرون من العرب وغيرهم ممن حضروا المؤتمر المذكور، هو انني اضطررت اضطرارا بطلب مباشر، أو غير مباشر، من رؤساء الوفود العربية على التعليق على محاضرة للاستاذ عبد الله ام الطريفي؟ دعا فيها الى تأميم النفط كحل وحيد لمشكلة النفط في بلادنا. ومع انني لم أكن قط ضد مبدأ حق الدولة في التأميم، فقد تساءلت عن قدرتنا الحقيقية في هذا الصدد، وعن الاحتمالات الكثيرة التي ستصادفنا، وطلبت من المحاضر ان لو كان قد بين، لنا باسلوب علمي، الطريق الأمثل لتذليل تلك الصعاب الكثيرة التي تواجهنا بدلا من تكرار أقوال عاطفية، وعرض أرقام قد تمثل أنصاف الحقائق. ولقد تراجع الطريقي نفسه عن رأيه في تعليقه على تعليقي، ثم قال صراحة بعد مدة في محاضرة القاها في بغداد، بان أية دولة نفطية تلجأ بمفردها الى التأميم

ترتكب خطا فاضحا هو بحكم الانتحار. هذا كل ما جرى ولم يكن له أية صلة بمبدأ تنفيق الريع من قريب أو بعيد.

لقد أسهبت بعض الشيء في مناقشة رأي هذا الصحفي لأنه يمثل انموذجا صارخا لما كتب في بعض صحف ومجلات بيروت وبغداد وغيرهما. ويقيني ان هذا الاسلوب العاطفي الانفعالي، بل والتهريجي، لن يحقق لمواطنينا أفضل المكاسب من ثروتنا الطبيعية المهمة. وليس هذا موضع تبيان اقوم سياسة علينا ان نتبعها في هذا الصدد، فلذلك محله، وله رجاله الأكثر مني اطلاعا من أصحاب الاختصاص الدقيق، ولكني ذكرته لابين ان سياسة حكومتي النفطية كانت واضحة، وليس هناك سرا، كما زعم صاحب المقال المذكور.



واغلب الظن ان هذا المقال واضرابه من مقالات ونشرات وشائعات هي التي حملت مسؤولا كبيرا حين ولي شؤون النفط لأول مرة ان يبدأ بالتفتيش بحماس في الأدراج عن تلك "الاتفاقية السرية" المزعومة. وغضب حين لم يجد شيئا، بعد ان تحرى في كل مكان؛ في وزارة النفط، وفي وزارة الخارجية، وفي مجلس الوزراء، وفي شركة النفط الوطنية. وسال كل من عنّ له ان يسأله. وكان الجواب القاطع الواحد ان ليس هناك أية اتفاقية سرية، ولا اتفاقية علنية، فاسقط في يده، واعتقد آخر الأمر بعدم وجود شيء من هذا القبيل، ولكنه صار يقول اننا بقينا سلبيين لم نعالج مشكلة النفط، وهذه سياسة خاطئة ... على ان سياستنا النفطية لم تكن سلبية في واقع الحال، بل كنا نرى – بالنظر للظروف والأحوال، وتراكم المشكلات والأسبقيات والصدارة التي كان يجب علينا ان نعطيها لبعض المسائل الكبرى الاخرى – ان نؤجل الدخول في مفاوضات مع شركات النفط لأننا كنا نعتقد انه ما لم تتحسن أوضاع العراق الداخلية، وتتنفس، بصورة خاصة، أوضاعه الاقتصادية والمالية، ويتحقق نوع من الأمن في شمالي الوطن، وما لم تكسب الحكومة ثقة المواطنين وتحصل على شعبية بمقدار معقول، فلن نستطيع ان نفاوض الشركات من موقف القوة. هذا من جهة، ومن جهة اخرى كنت احس ان مشكلات النفط من الأهمية والخطورة بحيث يتعين ان يسهم في معالجتها العراقيون كافة عربا وأكرادا، وما كان الأكراد ممثلين في مجلس الوزراء تمثيلا يتناسب مع حقيقة وجودهم. كما انني كنت اعتقد ان النفط، وهو مورد اخر الأمر ناضب، لا يخص فئة أو جيلا من الناس، بل يخص العراقيين جميعاً، وبكل أجيالهم القادمة. وكذلك كنت أؤثر ان اجعل الاتفاق النهائي بشأنه مقرونا بقيام الحياة النيابية، وتحقيق الديمقراطية والاستقرار، وانهاء مرحلة الانتقال لتحقيق

اجـل اهـداف ثورة الرابع عشر من تموز بعد ان يستفتى الشعب في هذا الأمر الحيوي، ولئلا يقال عنه انه أمر دبر بليل.

ان هـذه السياسـة لـم تكن سرا مكتوما فقد أعلنتها لممثلي شركات النفط، وكررت اعلانها لكل من زارني منهم، وتحدثت فيها للكثير من الصحفيين في العراق وخارجه، وتناقشت بهـا طويلا مع الرئيس الراحل، وأقنعته بجدواها وحكمتها. وقلت له اننا لا نستطيع ان نحصل على أفضل الشروط من الشركات الأجنبية، كما لا نقدر على استغلال نفطنا أحسن استغلال، الا اذا حللـنا قـبل ذلـك الكثير من مشكلاتنا الداخلية، وصرنا في وضع نستطيع به ان نساوم و "نناور" حتى نحصل على بغيتنا.

وبهـذه المناسـبة اننـي لم التزم قط بالاتفاق السابق الذي كاد يصادق عليه مجلس الـوزراء لولا ظروف خاصة، ومعارضة بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة حينذاك. ولرفع أي التباس أو توهم لدى الشركات العاملة في العراق لم نضع المبالغ التي كانت ستعود الى الخزينة العراقية فيما لو صدقت تلك الاتفاقية في الميزانية العامة. ونحن بهذا قد عملنا خلاف ما عملت الوزارة السابقة التي وضعت تلك المبالغ الجسيمة ايرادا، وبذلك أشعرت الشركات وكان الاتفاق وشيك الحصول خلال السنة المالية القائمة حينذاك.

هـذه ببساطة هي سياستنا النفطية. وانا اليوم افكر موضوعيا وأتساءل مع نفسي هل كـنا علـى حق؟ ولا شك عندي ان كل منصف مدرك سيرد بالايجاب. ولست اريد ان ادخل في التفصيل في سياسة وزارة السيد ناجي طالب، أو الوزارة الحاضرة. فليس هذا مقامها، والحكم عليها للتاريخ وللشعب العراقي كله، ولكني أود ان اسجل رأيا كنت قد أبديته لشخص كبير وهو يسـألني عن رأيي في الاتفاقيات التي عقدت مع مجموعة الشركات الفرنسية (ايراب) فقلت له: ((قرأت الاتفاقية وقراءتها تطلبت مني ساعات طوالا ولم استطع ان أكون رأيا دقيقا، اذ ان ذلك سيقتضـيني قـراءات اخـرى أعمـق وأدق، كمـا يتطلبنـي الاسـتعانة بالكثير من الخبراء والاختصاصيين لان المسائل من التعقيد، والدقة، والتفرع، بحيث يعسر على الانسان بمفرده ان يكـوّن رأيـا علميا دقيقا ونهائيا)). ولكني أضفت، وانا اخاطب السائل الكبير: "لقد استمعت الى بعـض الاذاعات، وشاهدت بعض الندوات التلفازية، وقرأت بعض ما كتبته الصحف، ولا اخفيك ان الطريقة التي عولجت بها هذه القضية الحيوية تثير شكوكي، وان العنف البالغ الذي اصطنعه بعـض المتحدثيـن بخاصـة (من أصحاب المواهب العالية المتنوعة، والعبقريات التي لا حصر

لهـــا!) توحي اليَ وكأن في الأمر سرا مكتوما. ولست اريد ان اشك في احد، أو ان اتهم أحدا، ولكن لو كنت في وضع تقبل مني النصيحة لأوصيت بإتباع طريقة اعلامية اخرى هي أجدى في اقـــناع شـــعبنا بهـــذا الذي سمي نجاحا رائعا وتكسيرا للطوق الاستعماري "الامبريالي" وانجازا عظيما " للحكومة الوطنية ".

ولســـت ادري لـــم احس بدافع يدفعني الى ان أقول هنا شيئا آخر قد يكون نافعا لمن بـــايديهم زمام التوجيه والتثقيف. ان تكرار "كسر الطوق" يوحي بالبداهة انه لم يكسر بعد والا لاكـــتفى بذكـــره أول مرة، لأنه يكون قد انكسر وانتهى أمره. ثم ان الشتائم واتهامات الآخرين، وضـــيق الصـــدور بكـــل نقـــد يوصي بالبداهة ان في الأمر سرا والا لقورعت الحجة بالحجة، ولأصطنع الحكمة في القول المهذب في الرد على المعترضين.

ومـــا دمـــنا في هذا المجال فقد تردد خاطري الان تعليق لصحافي أجنبي قاله في عهد عـــبد الكريم عبد قاسم في احدى صحف الغرب: "ان شتائم الزعيم الأوحد، واتهاماته، أصبحت كالعملة التي فقدت غطاءها؛ كثيرة التداول وعديمة النفع". ما أجدرنا اليوم، وقبل اليوم، ان نزن الكلام، وان لا نغالي في وصف الأشياء حتى ولا سب الخصوم ليبقى لكلامنا الاعتبار، وليصدق الـــناس وعودنـــا اذا وعدنا. ولَيعدُ كلامنا كالعملة المغطاة كاملا بالذهب والأحجار الكريمة وكل شـــيء ثابـــت القيمة لا تزعزعه الأعاصير. تلك هي الحكمة البالغة "ومن يأت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الألباب".

كلمة ختامية

تلـــك هـــي جملة ما استطعنا ان نقدمه من إعمال خلال المدة الوجيزة التي تولينا فيها المسؤولية. ونحن لا ندعي العصمة، فانها لله وحده، ولا نزعم لأنفسنا الكمال، فانه غاية يسعى الـــيها المخلصـــون، وقد يقتربون منها، أو يبتعدون، بمقدار ما تسمح لهم مواهبهم وظروفهم. ومـــع ذلـــك فاننا فيما احسب قد وفقنا في قطع شوط كبير في تقريب العراق من بعض غاياته الأســـاس، وتحقيق معاني ثورته الحقيقية. واننا لم نأل جهدا في خدمة شعبنا، ولم ندخر طاقة فـــي تحقـــيق أهداف امتنا، واننا لم نكن نبغي من وراء ذلك كله – بعد رضا الله تعالى – غير تحقيق الخير وتعميمه لمواطنينا كافة، وتمكينهم من اثبات وجودهم والتعبير عن ذوات نفوسهم، وتمتعهم بحقوقهم وحرياتهم بالكرامة اللازمة للانسان الذي كرمه الله ...

وقــد نكون قد اخطأنا في أشياء اجتهدنا فيها فلم نوفق للاصابة فيما اجتهدنا فيه، وقد يكون التوفيق قد خاننا في مسائل كنا نبغي من ورائها الخير، وقد نكون فوق ذلك قد اسأنا الى بعـض الأشــخاص، ولكنــي اوكد جازما ان السوء لم يكن قصدنا، واننا لم نتعمد الاساءة لأي مخلــوق، اللهم الا اذا كانت تلك الاساءة نتيجة حتمية لتصورنا ما تقتضيه المصلحة العامة. كل ذلــك ممكن ومتصور ... ولكن شيئا واحدا لا احسبه صوابا، وان تكرر القول به من كثير من الأصــدقاء. الذيــن يقولــون انك لو فعلت كذا، أو لم تفعل كذا، أو لو قلت هذا، أو لم تقل هذا، لامــتدت مدة حكمك، ولعاشت الوزارة مدة اخرى ... انني اعتقد أولا ان لكل اجل كتاب، وفوق ذلك انني أتصور مخلصا ان الحكم السليم على أية وزارة يجب ان لا يكون بطول عمرها، وبما قضت وهي في سدت الحكم من الشهور والأعوام، بل – وهذا هو الحال أيضا بالنسبة للأفراد – بما قامت به من أعمال، وقدمته من خير، من دون عبء كبير بالزمن طال ام قصر. ومن حقنا ان نقــول تطبــيقا لقولــه تعالى: "وأما بنعمة ربك فحدث" اننا قد انجزنا الشيء الكثير، وحققنا للمواطنيــن كافة الخير العميم. يعترف بهذا كل انسان سويّ لم يفسد التعصب الأعمى سريرته، كمــا لــم يَعـم التحزب المقيت بصيرته، وبخاصة اذا ما أخذت الظروف والأحوال التي أحاطت العراق في تلك المدة بنظر الحسبان ...

وثمــة كلمــة خيرة لا ادري هل أنا بحاجة اليها هنا، وهي انني في أحيان كثيرة كان يقتضــيني اسلوب الكتابة التحدث عن نفسي، واستخدمت "تاء" المتكلم وتاء البينية وضمير "أنا" ولكنــي على يقين ان هيئة الوزارة كالباخرة الفضل فيها، مع الربان، للملاحين والبحارة جميعا حينما تصل بر السلام. وما دام من واجب الربان الأدبي – كما تقرر أعراف البحرية العريقة – ان ينــتحر حيــن تغــرق ســفينته، فمن الطبيعي والعدل ان تكون له في بعض الحالات الكلمة النهائــية. ومرة اخرى ان الفضل فيما وفقنا اليه – بعد فضل الله، وثقة الشعب – الى التعاون المخلص الصادق من زملاء كثيرين أكن لهم كل حب وتقدير.

وما كنت لأتطرق الى هذه القضية في خاتمة هذه المقدمة المفصلة، بعد ان كررت هذا القــول مــرارا في مناسبات عدة في أحاديثي وندواتي، ولكني اثرت التلميح اليه ليذكر متذكر، وليبوء بالفشل سلفا كل من يسعى الى الفتنة، ويحاول ان يفرق بين المرء وأخيه. وأخيرا انني اكــرر مــا سبق لي ان أشرت اليه في مناسبة سابقة اني أرضى بحكم الشعب، والتاريخ، فهما شهود عدول، وحكام صادقون ... وليقل بعد ذلك أصحاب الهوس ما طاب لهم ان يقولوا.

الوثـــائق

نص كتاب التكليف الذي وجهه السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام محمد عارف الى السيد عارف عبد الرزاق.

السيد عارف عبد الرزاق

السلام عيكم ورحمة الله وبركاته

بناء على استقالة وزارة السيد طاهر يحيى ونظرا لثقتنا بكم فقد قررنا اسناد رئاسة الوزارة اليكم استنادا الى المادة (٤٣) من الدستور المؤقت على ان تعرضوا علينا أسماء زملائكم مع مراعاة الامور التالية:

العمل الدائب على تحقيق الرفاه التام لأبناء الشعب كافة في ظل اشتراكية عربية رشيدة تهدف الى زيادة الانتاج، وعدالة التوزيع، وترعى القطاعين العام والخاص في آنٍ واحد.

الاسراع في تحقيق الحياة الدستورية الدائمة، وقيام النظام النيابي، ووضع لائحة قانون الانتخابات في أسرع وقت مستطاع لانهاء المرحلة الانتقالية، والسير في البلاد الى حالة الاستقرار، في حدود المدة المنصوص عليها في الدستور المؤقت.

تحقيق مبدأ سيادة القانون تحقيقا تاما بحيث يصبح جميع أفراد الشعب سواء في الحقوق والواجبات دون تمييز أو تفريق، واقامة كيان الدولة على اسس رصينة بالقضاء على عوامل التفرقة وسوء الاستعمال.

الحفاظ على وحدة التربة العراقية لتحقيق الوحدة الوطنية التي هي المنطلق الأساس للوحدة القومية .

العناية بالتنظيم الشعبي على اسس جديدة ليصبح الاتحاد الاشتراكي القاعدة الوطنية التي تجتمع عليها القوى المخلصة كافة.

رعاية الجيش والقوات المسلحة لأنهما سياج هذا الوطن، والعامل على تحقيق أهداف امتنا العليا.

الالتزام ببيان القيادة السياسية الموحدة الصادر في ٢٥-أيار-لعام ١٩٦٥.

كتب ببغداد في اليوم التاسع من شهر جمادى الاولى لسنة ١٣٨٥ المصادف لليوم السادس من شهر أيلول لسنة ١٩٦٥.

المشير الركن

عبد السلام محمد عارف

رئيس الجمهورية العراقية

نص كتاب التكليف

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد عبد الرحمن البزّاز

السـلام علـيكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فنظرا لإعفائنا عارف عبد الرزاق بناء على فـراره، ولمـا كنـت نائـبا لرئيس الوزراء في الوزارة السابقة، ولكونك على علم تام بتصـميمنا علـى تنفيذ المواد التي أوردناها والزمنا بها الوزارة السابقة، فاننا ثقة بكم نعهـد الـيكم رئاسـة الوزارة، مؤكدين تلك المواد على ان تعرض علينا أسماء زملائكم الوزراء والله ولي التوفيق.

التوقيع

المشير الركن عبد السلام محمد عارف

رئيس الجمهورية

كتـب بـبغداد في اليوم الرابع والعشرين من شهر جمادى الاولى لسنة ١٤٠٦ المصادف لليوم الحادي والعشرين من شهر أيلول سنة ١٩٦٥.

المنهاج الوزاري

تمهيد:

ان معالم منهج هذه الوزارة قد أصبحت، على العموم، جلية. فما أجمله كتاب التكليف من السيد رئيس الجمهورية، وضحته بيانات رئيس الوزراء وتصريحاته في مؤتمره الصحفي، وحديثه التلفازي، وندوته مع أساتذة جامعة بغداد.

ومع ذلك، وسيرا مع العرف الدستوري الجاري، واستجابة لرغبات المواطنين، نعلن المنهاج الاتية، مراعين القصد في القول، مؤكدين ان العبرة بالعمل المثمر، مدركين قيمة المرحلة الانتقالية الدقيقة التي يمر العراق بها، والتي نرجو مخلصين باجتيازها ان تحقق للمواطنين كافة الأمن، والدعة، والسلام، عاقدين العزم الأكيد على العمل الدائب الرتيب لتحقيق أهداف شعبنا العليا، بوصفه جزءاً من امتنا العربية الواحدة.

السياسة الاقتصادية:

ان الاشتراكية العربية الرشيدة التي اتخذناها شعارا ومنهجا لسياستنا الاقتصادية ليست غاية في ذاتها، وانما هي وسيلة تهدف لهدفين رئيسين هما:

زيادة الانتاج، وعدالة التوزيع.وبعبارة اخرى؛ تحقيق مجتمع الكفاية والعدل.

ولزيادة الانتاج تقوم بما يلي:

أولا – الاسراع في تنفيذ مشاريع الخطة الاقتصادية الخمسية كي يتمكن القطاع العام القيام بدوره الرئيس في عملية التنمية الاقتصادية.

ثانيا – الأخذ بمبدأ المركزية في التخطيط، واللامركزية في التنفيذ، قدر الامكان، وذلك لضمان مرونة العمل وسرعة التنفيذ.

ثالثا – الاستعانة بالقروض والاستثمارات المصحوبة بالخبرة وطرق العمل الفنية.

رابعا – اقامة قطاع مشترك واسع النطاق يجمع بين مزايا القطاعين العام والخاص، ويتبنى خاصة المشاريع التي لم تتضمنها الخطة الخمسية.

خامسا – تشجيع القطاع الخاص على المساهمة في عملية التنمية الاقتصادية، والسماح له بتأسيس شركات من كافة الأنواع برأسمال يصل الى حد (ربع مليون دينار) قابل للزيادة عند الضرورة بقرار من مجلس الوزراء، مع العمل الدائب على تقديم المساعدات

المتيسرة لمشاريع هذا القطاع، وذلك بتقديم المعلومات الفنية، والدراسات المتيسرة لدى الدولة، وشموله بالإعفاءات و التسهيلات التي يتمتع بها القطاع المشترك. وعلى العموم تشجيع القطاع الخاص، بتمكينه من الإسهام الجدي في بناء الكيان الاقتصادي في العراق.

سادسا ـ تشجيع اقامة المشاريع المشتركة من رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية المصحوبة بالخبرة، وطرق العمل الفنية، مع إعطاء الضمانات الكافية لحماية رؤوس الأموال المستثمرة في هذا القطاع.

سابعا ـ الاهتمام التام بالزراعة وما يتصل بها من ري، وبزل، واستصلاح للأراضي، يتناسب مع أهمية الزراعة في العراق بوصفها أهم مصادر الدخل القومي الثابت. والعمل على زيادة الانتاج الزراعي وتنويعه، وايجاد الأسواق اللازمة لفائض الانتاج الزراعي، والتحري عن أسباب التخلف الذي أدى الى انخفاض الانتاج، والقيام بدراسة عميقة موضوعية لقانون الاصلاح الزراعي المعدل، والقوانين الاخرى ذات العلاقة بهذا الموضوع، بعد الاستعانة بالخبرات اللازمة، بقصد تحقيق زيادة الانتاج، وعدالة التوزيع، مع عدم المساس بأي مكسب حقيقي ناله الفلاح العراقي.

ثامنا ـ جعل منهج الاستيراد والتصدير أداة فعالة لخلق توازن بين حماية الانتاج الوطني من جهة، وسد الحاجات الاستهلاكية الضرورية من جهة اخرى، على ان تعطي الاولوية لاستيراد سلع الانتاج، والمواد الأولية للصناعة والمواد ذات العلاقة بالتنمية الاقتصادية، والعمل بكل الوسائل المؤدية الى زيادة الصادرات العراقية دون الاخلال بمتطلبات السوق المحلية.

تاسعا ـ استثمار الموارد الطبيعية، وثروات البلاد غير المستغلة حتى الان، عن طريق عرضها على شركات وطنية أو أجنبية أو مشتركة.

ولتحقيق الهدف الثاني من أهداف الاشتراكية العربية، أي عدالة التوزيع، تستهدف السياسة الاقتصادية للحكومة بصورة عامة ما يلي:

أولا ـ التقليل التدريجي من تركز الثروات بأيدي أفراد قلائل، وذلك للحيلولة دون الاحتكار والاستغلال، مع التأكيد بأنه من سياسة هذه الحكومة وضع حد أعلى لما يستطيع الفرد ان يتملكه في شركات القطاع المشترك الخاص.

ثانيا – التوزيع الجغرافي العادل للمشاريع المختلفة، بحيث يتحقق التوازن بين الدخل القومي للفرد في القرية أو الريف.

ثالــثا – التأكيد على مبدأ إعطاء العمال حصة من أرباح الشركات التي يعملون فيها، وجعل هذه الحصة تصاعدية كلما زاد الانتاج.

رابعا – الأخذ بمبدأ اشراك ممثلين عن العمال والمستخدمين في مجالس الادارة.

خامســا – تحويــل جــزء مــن الأربــاح لتمويل صندوق الضمان الاجتماعي للعمال والمستخدمين ودعمه لرفع مستواهم الصحي والثقافي والاجتماعي وزيادة الخدمات العامة التي يجب ان تقدم لهم.

سادســا– اعادة النظر في قوانين المؤسسة الاقتصادية، والمؤسسة العامة للمصارف، وما يتعلق بهما من قوانين وأنظمة بحيث ينسجمان مع سياسة الدولة الاقتصادية، وبحيث يمكن تحقــيق هدفي الاشتراكية العربية الرشيدة المشار اليهما من قبل، تبديد المخاوف السلبية التي خلفها تطبيق تلك القوانين، وكذلك الآثار السيئة الناتجة عنها.

السياسة المالية:

أولا – تقــوم الوزارة بدراسة وافية للضرائب والرسوم المفروضة حاليا بعد الاستعانة بالخــبرات اللازمة بقصد تخفيض بعضها وزيادة بعضها الآخر لكي تنسجم السياسة الضرائبية انسجاما كاملا مع أهداف سياسة التنمية الاقتصادية.

ثانــيا – تعديــل كل من قانوني ضريبة الدخل، "والتركات والمواريث"، بحيث ينسجم التعديل مع طبيعة الظروف الاقتصادية والاجتماعية الراهنة في العراق.

ثالــثا – إعــادة الــنظر ببعض القوانين والأنظمة السارية لتحقيق الاقتصاد التام في الــنفقات، وذلك بالتقليل من النفقات الاستهلاكية، وتشديد الرقابة على المصروفات، والحد من الــتمايز الشديد بين موظفي ومستخدمي الدولة من جهة، وموظفي ومستخدمي الدوائر الملحقة والشركات والمؤسسات المؤممة من جهة اخرى، مع العمل على وضع حد للزيادة المستمرة في عدد الموظفين والمستخدمين الأمر الذي أدى الى ارهاق كاهل الخزينة من جهة، وعرقلة العمل في دواوين الدولة الرسمية والدوائر الملحقة والمؤسسات والشركات المؤممة، من جهة اخرى.

رابعـا ــ العمـل علـى ايجاد موارد جديدة للخزينة العامة بفرض بعض التكاليف أو الاجـور لقـاء الخدمات التي تقدمها الحكومة للشعب، مع مراعاة عدم ارهاق أصحاب الدخول الضئيلة.

خامسـا ــ اتـباع سياسـة مالـية تضـمن التوسع في التسهيلات المصرفية لتمويل المشـاريع الصـناعية والانشائية بنطاق واسع، واعادة النظر في أسعار الفوائد بما يؤدي الى زيادة القروض الانتاجية وكذلك أسعار الفائدة للودائع بما يؤمن تشجيع المدخرات الفردية.

الشؤون الداخلية:

ان هـذه الـوزارة سـتعمل كـل ما في وسعها لاعادة الأمن الى ربوع العراق كافة، والحفاظ على وحدة تربته، وهي حين تعترف بحقوق اخواننا الأكراد القومية (تلك الحقوق التي جاء تعديل الدستور المؤقت تأكيدا جديدا على قيامها) فانها ترغب مخلصة في العمل حسب ما نص عليه الدستور.واضافة الى هذا كله فان الوزارة ستشرع بأسرع وقت مستطاع قانونا جديدا لـلإدارة المحلـية[١٤] الذي يمهد للحياة الديمقراطية السليمة تمهيدا عمليا ، ويكون خطوة الى الامام في سبيل تحقيق أفضل حياة نيابية .

ان قـانون الادارة المحلـية الجديد سيؤكد ذاتية القومية الكردية، ويمكن مواطنينا في الشـمال من الحفاظ التام على لغتهم، وتراثهم الفكري، وتمكينهم من النشاطات المحلية التي لا تتعارض مع وحدة البلاد، ولا تمهد بحال من الأحوال لانتقاص جزء من أطراف وطننا الواحد.

الحياة النيابية:

ان هـذه الوزارة جادة في التهيئة للحياة النيابية، وقد اختارت لجنة من بين أعضائها لدراسـة هذا الموضوع، وستستعين بآراء الهيئات والشخصيات الوطنية، وأصحاب الاختصاص، للاسـتئناس بهـا، والاستماع لوجهات نظرها. وسيتم تشريع قانون الانتخابات في أسرع وقت مستطاع، بحيث تجري الانتخابات النيابية في المدة المحددة في الدستور المؤقت.

---

[١٤] كـان قانون المحافظات قد اعد بشكله الأخير، ودخل في منهاج جلسات مجلس الوزراء وذلك قبل الاستقالة بأيام قلائل. وقد الفت لجان عديدة، واعيد النظر في كثير من مواده والظاهر ان الذين جاءوا من بعدنا ما يزالون متمسكين بالمركزية ويخشون اللامركزية الادارية ولذلك يفتر تشريع هذا القانون المهم.

جهاز الدولة وسيادة القانون:

ان مـــبدأ سيادة القانون من البديهيات التي يوجهها كل حكم صالح، وان هذه الوزارة لا تتوانى عن اتخاذ كل ما يلزم لجعل هذا المبدأ حقيقة قائمة لا مجرد شعار.

ان تحقـــيق هـــذا المبدأ السليم يتطلب ايجاد جهاز إداري كفوء، وادارة حكومية فعالة. وان هذه الحكومـــة عازمـــة علـــى ان تضع حداً للسلبية التي تصاحب إعمال الكثيرين من موظفي الدولة ومنتســـبيها، كما انها ستقوم بالتحقيق مع الأشخاص الذين لم يكترثوا بحكم القانون، أو حصلوا علـــى مغـــانم نتيجة التسيب في الادارة الحكومية. وستتخذ، بعد ثبوت هذا التقصير، الاجراءات الحازمة العادلة الكفيلة باعادة هيبة الحكم والفعالية لأجهزته. كما انها تنظر الى المواطنين كافة نظـــرة موضوعية واحدة، فلهم جميعا مغانم هذه البلاد، كما عليهم مفارمها. ولن يكون هناك أي تمييز بسبب اختلاف الجنس، أو النسب، أو المعتقد الديني. ومعيار التفاضل هو المرء وقابلياته، والمرء واخلاصه، والمرء واستعداده للسير قدما بالبلاد لتحقيق أهداف ثورتنا في التقدم والرفاه والاستقرار.

الاتحاد الاشتراكي:

تعـــتزم هذه الحكومة ان تجعل من الاتحاد الاشتراكي العربي السند الشعبي الذي يجب ان تركن اليه كل حكومة تعني بالرأي العام، وتعد جماهير الشعب سندها الحقيقي. ولذلك سيعاد النظر في الاتحـــاد الاشـــتراكي العربـــي في ضوء التجارب في الفترة الماضية، وتجارب شقيقتنا العربية المتحدة. وستصدر التشريعات والقرارات اللازمة بهذا الشأن قريبا.

الطلاب والجامعة:

تعنـــي هذه الوزارة كلها بشؤون الطلاب كافة، والطلاب الجامعيين خاصة، وستعمل على تعزيز مقام الجامعة، وتمكينها من اداء رسالتها على الوجه الأمثل.

النقابات:

تعـــير هذه الحكومة النقابات العمالية، والمهنية، والجمعيات التعاونية للفلاحين، وغيرهم المزيد مـــن العـــناية بحيث تصبح معبرة بصدق واصلاح عن رغبات منتسبيها اضافة الى اسهامها في

خدمـــة الصـــالح العام، والمشاركة في تحقيق الأهداف الوطنية القومية. وستشرع قريبا قانون المحاماة لتعيد النقابة الى ذويها[١٥]، ولتعزز مقام هذه المهنة الرفيعة ، وتحقق مصالح منتسبيها على أحسن وجه.

الخدمات العامة:

ستستمر هذه الوزارة بتقديم الخدمات العامة للجمهور، وتيسير وسائلها وتبسيطها، بحيث ينتفع بأوســع قســط مــنها اكــبر عدد من أفراد المجتمع. وكخطوة في هذا السبيل، انشأت الوزارة المؤسسة العامة للأدوية لتخرجها من النطاق التجاري الصرف الى مجال الخدمات، بحيث يتيسر العــلاج بأســعار معقولـــة لأفراد الشعب كافة، وبحيث ينتفع بالخبرات الأهلية، ويسمح للقطاع الخاص بالمساهمة في هذا الأمر الحيوي بالقدر الذي يقتضيه الصالح العام.

الجيش:

ان الجــيش لكونـــه الحامـــي لحياض هذا الوطن، وبوصفه طليعته الثورية، سيحضى من هذه الحكومـــة بكـــل عـــناية ورعايـــة. وسيستمر تسليحه وتجهيزه بأحدث الأسلحة والمعدات، كما سيســتمر تدريـــبه واعداده، لا للحفاظ على وحدة العراق حسب، بل للإسهام في معركة العرب الكبرى لتحرير الوطن السليب[١٦]. وستلقى القوات المسلحة الاخرى العناية ذاتها.

السياسة النفطية:

عــندما يتهــيأ الجــو المناسب، ستدرس هذه الوزارة نتائج المباحثات التي جرت بين الحكومـــة الســـابقة، وبين شركات النفط العاملة في العراق، وتؤكد هذه الوزارة حرصها على المحافظـــة على مصالح البلاد، وستأخذ بنظر الاعتبار الاتفاقيات التي عقدت مؤخرا بين بعض

---

(١٥) انجزت الوزارة بسرعة هذا المطلب وعادت نقابة المحامين حرة فعالة تعبر عن ارادة منتسبيها باستقلال تام.

(١٦) كـــان من الدوافع الرئيسة للاسراع في حل مشكلة الشمال تمكين الجيش من الانصراف الى مهمته الأساس. ومن المؤســف حقـــا انه حينما وقع العدوان الأخير في حزيران الماضي نقلت بعض الوحدات الى الاردن على عجل من الشـــمال وهـــي مـــرهقة، ولـــم يكن قد اعيد تدريبها لمهمتها الأساس وكانت النتيجة عدم مساعدة العراق الجدية في المعركة مما هو معروف للمواطنين كافة.

البلدان النفطية والشركات العاملة فيها، وخاصة الدول العربية. وتعلن هذه الوزارة انها لن توقع أية اتفاقية الا بعد التأكد من انها قد حققت مطالب العراق الأساس، وامنت مصالحه العامة. وستدعم هذه الوزارة منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبك) وتجعلها أكثر فاعلية بالسعي لضم أقطار منتجة اخرى اليها. كما ان هذه الوزارة ستدعم المنظمات النفطية العربية وتتعاون معها [١٧].

السياسة العربية والخارجية:

تلتزم هذه الوزارة بميثاق القيادة السياسية الموحدة، وبيانها الصادر في ٢٥ أيار ١٩٦٥، وسيتم الاجتماع القادم عما قريب وفقا لما نص عليه البيان المشترك الصادر في القاهرة وبغداد بتاريخ ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٥ والموقع من رئيسي الحكومتين الشقيقتين. وسيبقى العراق حريصا على ايمانه بوحدة الامة العربية، وحدة تتجلى قبل كل شيء في وحدة الهدف، والكفاح والمصير. وسيسير العراق مع شقيقته الكبرى الجمهورية العربية المتحدة الى ابعد مدى في تحقيق أهداف امتنا العربية في اقامة كياننا العام المشترك. وتتعاون هذه الحكومة مع الدول العربية كافة في اطار الجامعة العربية، وخارجها، في خدمة القضايا العربية، وتنسيق سياستها الدولية، وخاصة في نصرة اخواننا أبناء الجنوب العربي وعمان. وستعمل جاهدة في دعم الجامعة العربية، وتنشيط فعاليتها، وأجهزة اعلامها كما ستتقدم في الدورة القادمة لمجلس الجامعة العربية بمقترحاتها حول تعديل ميثاقها، بحيث تصبح دولة متجاوبة تجاوبا كاملا مع حاجة العصر، والتطور الذي أصاب الامة العربية خلال أكثر من عشرين عاما.

كما ان هذه الوزارة تلتزم بميثاق الامم المتحدة، وتتبع سياسة الحياد الايجابي، وعدم الانحياز، التزاما كاملا، وتتعاون مع الدول المحبة للسلام العادل كافة بما يحقق الأمن والسلام الدوليين.

وستسعى هذه الوزارة خاصة لإقامة أفضل العلاقات مع الدول الاسلامية المجاورة، وتنمية العلاقات التجارية، والاقتصادية، والثقافية معها. والله ولي التوفيق.

---

[١٧] لقد شرحت في المقدمة العوامل التي دفعتنا الى تأخير المبادرة في حل مشكلة النفط كما بينت رأيي في السياسة النفطية التي القت فيما بعد. وللمواطنين الحق المطلق في الحكم على أي السياستين كانت احكم وأكثر رعاية لصالح العراقيين.

نص البيان

بيان حول سياسة الحكومة

في شمالي الوطن

ان هــذه الحكومــة رغـبـة منها في حد الوضع غير الطبيعي في أنحاء شمال الوطن، وســيرا وراء ما جاء في الفقرة الرابعة من كتاب التكليف عند تشكيل الوزارة "في الحفاظ على وحدة التربة العراقية وتحقيق الوحدة الوطنية"، وتأكيدا للروابط الوثيقة القائمة فعلا بين العرب والأكــراد والتي تدعوهما للعمل الحثيث المخلص لخير وطنهما المشترك تعلن المنهاج التالي، وتؤكد عزمها القاطع على الالتزام به، وتطبيقه نصا وروحا، بأسرع وقت مستطاع.

أولا- قد اعترفت الحكومة بالقومية الكردية بشكل قاطع في الدستور المؤقت عند تعديله، وهي مســتعدة لتأكــيد هذا المعنى وزيادته جلاء في الدستور الدائم بحيث يصبح من الواضح اقرار القومــية الكــردية وحقــوق الأكراد القومية ضمن الوطن العراقي الواحد الذي يضم قوميتين رئيستين هما العرب والأكراد، وبحيث يتمتع العرب والأكراد بحقوق وواجبات متساوية.

ثانــيا ــ والحكومــة علــى اســتعداد لاعطــاء هذه الحقيقة الكلية وجودها الفعلي في قانون المحافظات (الذي هو في طريقه الى التشريع) على أساس من اللامركزية بان يكون لكل لواء، ولكــل قضاء، ولكل ناحية، شخصية معنوية معترف بها. ولكل من الوحدات الادارية مجالسها المنتخبة وسلطاتها الواسعة في الشؤون الخاصة بها بما في ذلك امور التربية والتعليم والصحة وكل ما له صلة بالشؤون المحلية والبلدية حسبما فصله القانون المذكور.

كما ان القانون المذكور يمكن من اجراء التعديل في حدود الوحدات الادارية، كما يمكن من انشاء وحدات ادارية جديدة عند الضرورة ومقتضيات المصلحة العامة.

ثالــثا ــ وطبيعي ان الحكومة تعترف باللغة الكردية لغة رسمية مع اللغة العربية في المناطق التــي تكــون غالبية سكانها أكرادا. وتكون لغة التعليم ــ مع العربية ــ في الحدود التي يقرها القانون، وتحدها المجالس المحلية.

رابعا ــ ان الحكومة عازمة على اجراء الانتخابات النيابية في الحدود الزمنية التي نص عليها الدســتور المؤقت وحددها المنهاج الوزاري بشكل صريح. وسيمثل الأكراد في المجلس الوطني القادم بالعدد الذي يتناسب مع مجموع السكان الكلي وبالطريقة التي يفصلها قانون الانتخابات.

خامسا– وطبيعي ان يشارك الأكراد اخوانهم العرب في كافة الوظائف العامة بنسبة سكانهم بما في ذلك الوزارات والوظائف الادارية العامة والقضائية والدبلوماسية والعسكرية دون الاخلال بمبدأ الكفاءة.

سادسا – وسيكون هناك عدد من طلاب البعثات والزمالات والمنح الدراسية في مختلف الفروع وعلى شتى المستويات من الأكراد يرسلون للتخصص في خارج البلاد دون الاخلال الكلي بالكفاءة وحاجة القطر.

كما ستزيد جامعة بغداد من اهتمامها بدراسة اللغة الكردية وآدابها وتراثها الفكري والحضاري. وتسعى الجامعة لفتح فروع لها في الشمال عند توفر الإمكانيات.

سابعا – وسيصبح من طبيعة الأشياء ان يكون (الموظفون المحليون) في الألوية والاقضية والنواحي الكردية من الأكراد ما توفر العدد المطلوب منهم. ولن يصار غيرهم الا بمقدار ما تقتضيه مصلحة تلك المناطق ذاتها.

ثامنا – سيرافق الحياة النيابية انشاء بعض التنظيمات السياسية وتمكين الصحافة من التعبير عن رغبات الشعب وستسمح الحكومة للأكراد بذلك في الحدود السياسية التي يرسمها القانون. وستكون الصحافة السياسية والأدبية في المناطق الكردية باللغة الكردية أو اللغة العربية أو بهما معا حسب طلب ذوى العلاقة.

تاسعا – ا – عندما تنتهي أعمال العنف يصدر العفو العام عن كافة الذين ساهموا في أعمال العنف في الشمال، أو كانت لهم صلة بها، بما فيهم جميع من صدرت بحقهم أحكام بسبب الأعمال المذكورة أو لصلتهم بها أو احتجزت حرياتهم.

ب – يعود جميع الموظفين والمستخدمين من الأكراد الى وظائفهم السابقة، كما يؤمن الملاك اللازم لهم ويلاحظ انصافهم.

ج – تسعى الحكومة لاعادة جميع العمال الأكراد المفصولين الى اعمالهم السابقة بكل طاقاتها.

عاشرا – على منتسبي القوات المسلحة البدء في العودة الى وحداتهم فور صدور هذا البيان على ان يتم ذلك كله خلال مدة أقصاها (شهران). وسيعامل العائدون بالرفق ويصدر العفو عنهم.

ا – فمن كان منتسبا الى الجيش عليه ان يعود الى الجيش بسلاحه.

ب ــ ومن كان منسبا الى الشرطة عليه ان يعود الى الشرطة بسلاحه.
ج ــ أمــا الآخــرون ممن حملوا السلاح فيعدون هيئة تابعة الى الحكومة التي عليها ان تعمل على عودتهم الى الحياة الطبيعية. والى ان يتم ذلك فالحكومة مسؤولة عن اعاشتهم. وعلى كل من يتم تحويله منهم الى الحياة الطبيعية اعطاء كافة معداتهم واسلحتهم واعتدتهم وتجهيزاتهم الى الحكومة. ويجرى ذلك كله حسب خطة مدروسة من جميع ذوى العلاقة.
د ــ وطبيعــي ان يعــود الفرسان الى اماكنهم بعد احلال الأمن ويجرى استعادة الأسلحة منهم حسب خطة مدروسة.

أحــد عشــر ــ وغني عن القول ان الأموال التي تبذل اليوم في مقاومة العنف، وكذلك الأموال التــي تصــرف فــيما لا طائل تحته، ستصرف في اعمار الشمال وستؤلف هيئة خاصة لاعمار المــنطقة الكردية من العراق تخصص لها المبالغ اللازمة المناسبة من الخطة الاقتصادية للقيام بالتعمــير والنهوض بالمشاريع الانمائية في المنطقة وترتبط بوزير مسؤول يناط بوزارته ادارة مصــاريف الشــمال، وشــؤون الغابات والتبوغ في الشمال، كما يشرف على تنسيق الشؤون الخاصــة بــالوحدات الادارية التي يكون غالبية سكانها من الأكراد مما هو من صميم القومية الكردية كالعناية بالثقافة الكردية ومناهج التعليم باللغة الكردية.

وســتحاول الحكومة بكل طاقاتها تعويض، كل، المتضررين تعويضا عادلا يمكنهم من العــودة الــى حياة منتجة نافعة للإسهام في النهوض في اقتصاديات البلاد وازدهارها والعيش بأمن وسلام .

كمــا ان الحكومــة لاعتــبارات وطنية وانسانية ستعنى بكل الأرامل واليتامى وذوى العاهــات الذين كانوا من ضحايا أعمال العنف في شمال الوطن، وستنشأ بالتعاون مع الهيئات المختصة الملاجئ ومعاهد التأهيل اللازمة بأسرع وقت مستطاع.

ثانــي عشــر ــ تسعى الحكومة في توطين كل الإفراد والجماعات الذين نزحوا أو هجروا من مــناطقهم. وسيكون الأصل في هذا العودة الى الوضع الطبيعي القديم. مع العلم بان ما سيكون لازمــا للدولــة الســيطرة علــيه فيما بعد للمنفعة العامة يجب ان يقترن حسب أحكام القانون بتعويض سريع عادل.

وليكــن معلومــا لمواطنينا الكرام جميعا من أقصى شمال الوطن الى أقصى جنوبه ان الحكومة ــ والحكومة وحدها ــ هي المسؤولة عن امن البلاد الداخلي والخارجي. وان لها من

جيشها الشجاع، وقواتها المسلحة النظامية المخلصة، ما يمكنها من اداء واجبها المقدس هذا. وانهـا عازمـة علـى إعادة الحياة المدنية الهادئة لأنحاء الوطن العزيز كافة، كما انها راغبة بـإخلاص وتقدير تـام لتبعاتها في اشاعة العدل، وسيادة القانون بروح المساواة التامة بين المواطنيـن جمـيعا دونما تمايز. والمرجو بعد ذلك من المواطنين من أبناء الوطن عامة، ومن اخواننا الأكراد خاصة، ان يعينوها بإخلاص على اداء واجبها الخطير هذا. وهي تعلم عن يقين بـان اعـلان هذا المنهاج اليوم، مهما سمت المبادئ التي جاء بها ليس أكثر من بداية البداية وان نجاحـه التام يتوقف ـ بالدرجة الاولى ـ على تعاون المواطنين الصادق. وهذا التعاون لا يمكـن ان يـتم علـى الوجه التمثل، الا حين تشيع روح الود ويسود مبدأ الإخلاص التام بين المواطنيـن كافـة، وبينهم وبين حكومتهم. واني لانتهز هذه الفرصة السعيدة فأهيب بإخواني المواطنيـن، من رسميين وغير رسميين، من عسكريين ومدنيين، من عشائريين وسكان مدن وقـرى، ممـن كـانوا يحملون السلاح الى الأمس القريب أو ممن اثروا السكينة، ممن كانوا يقـاومون الحكومة أو يؤيدونها، اهيب بهم جميعا بان يدركوا ان الوقت قد حان لان نصبح من جديـد اخوة في هذا الوطن متحابين، ولماسي الماضي ناسين، ولخير يومه وغده بجد عاملين، ومـن اجـل رفاهيـته واستقراره وتقدمه ووحدته متفانين. اهيب بهم جميعا لكي يعقدوا العزم الأكيد على ان نحيا حياة حرة كريمة، اخوة سواء في كل الحقوق والواجبات، مستقبلين الذكرى الثامـنة لثورة الرابع عشر من تموز في هذا العام بروح جديدة لنحقق الغاية المثلى التي قامت مـن اجلها تلك الثورة واعني بها لتحقيق حياة أفضل للمواطنين كافة، والسير بالبلاد قدما الى مراقي الفلاح.

ولـنرجو بعـد ذلك ان يكون منهاجنا هذا اسهاما جديا للاسراع في اقامة حياة نيابية تمهد لوضع الدستور الدائم وتشييد صرح مجتمع العدالة والكفاية والاستقرار. واني لعلى يقين مـن ان نجاحـنا فـي تحقيق وحدة هذا الوطن ـ وحدة قائمة على الاعتراف الكامل بالحقوق القومـية لمواطنيه ـ سيفتح صفحات جديدة أمام العراقيين وتمهد أفضل تمهيد لان نعيش في وطنـنا الواحد بأمن واستقرار ولنفتح صفحات جديدة لكل الذين يحبون عراقهم العزيز ويودون مخلصـين ان يعيشـوا فـيه امنين متعاونين، راغبين بإخلاص ان يسدلوا ستارا على الماضي وماسيه، ويفتحوا صفحات نيرة تبشر بغد مشرق وحياة عزيزة سعيدة.

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

بيان حول لجنة تحري الحقائق

كانــت هــذه الوزارة قد أخذت على عاتقها منذ بدء تشكيلها حماية حقوق المواطنين. وصــيانة مصالح الدولة من عبث العابثين. فشكلنا (لجنة تحرى الحقائق) بالأمر المرقم ٩٧٢٩ في ٢٠-١١-١٩٦٥.

وقــد حــددت مهمــتها بكل ما يقتضي للتحري عن المعلومات وجمع الحقائق والأدلة لغــرض كشف المخالفات والتصرفات غير القانونية التي يرتكبها كل من عهدت اليه مسؤولية عامة في هذه الدولة كبيرة كانت أو صغيرة وكان الدافع لانشاء هذه اللجنة التي شكلت برئاسة عضــو مــن مجلــس محكمــة تميــيز العراق، وحاكم، ومدير عام -وكل مشهود له بالكفاءة والــنزاهة- ان تــتحقق من صدق ما يحال اليها فاذا وجدت فيها ما يستوجب اتخاذ الاجراءات القانونــية أوصــت بذلك. وعلى هذا الأساس فان اللجنة لن تستطيع القيام بواجبها على الوجه الأكمل ما لم يتقدم كل مواطن بما لديه من معلومات صريحة، وأدلة ثابتة. ونحن من جانبنا لا، ولــن، نتهاون في محاسبة المسيئين مهما ارتفعت منازلهم، لا فرق بين وزير أو موظف كبير وصــغير، فالمواطنون أمام القانون سواء لا فرق بينهم الا بما يقدمون من جهد خالص، وعمل نافع. فالحق أحق ان يتبع، ولنا في قوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) خير مرشــد ولــنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حين خاطب الناس، بعدما تشفع اسامة في حد من حدود الله اذ قال: (والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) فما صلحت امة الا وكان العدل أساسها، وما هلكت الا بمجانبتها الحق، والتستر والفساد.

هذه سبيلنا نرجو الله مخلصين ان يوفقنا للسير فيها الى نهاية الطريق. لذا فاني أعود فأهيب بإخواني المواطنين كافة ان يشدوا من أزر حكومتهم، ويقدموا لها العون الصادق لتضع حدا" للشائعات، وكل ارجاف يضر بهيبة الدولة، ولا يخدم آخر الأمر غير أعداء البلاد. وسواء عــندنا ان يكــون المتهم مسؤولا سابقا أو لم يزل يمارس سلطاته ونؤكد لهم من جديد اننا لن تأخذنا في الحق لومة لائم.

عبد الرحمن البزّاز

رئيس الوزراء

قرار رقم (٧)

صيانة الحريات الشخصية

عمـــلا بمـــا جاء في المادة (٢٣) من الدستور المؤقت من ان المتهم برئ حتى تثبت ادانته.

ولمـــا كـــان من واجب الحكومة ملاحظة ومتابعة تنفيذ القوانين والقرارات والمراسيم الجمهوريـــة والمحافظة على امن الدولة وحماية حقوق المواطنين المنصوص عليها في الفقرة (ى) من المادة (٦٩) من الدستور المؤقت.

وتأكـــيدا لما ورد في المنهاج الوزاري من ان مبدأ سيادة القانون من البديهيات التي يوجهها كل حاكم صالح قررنا ما يلي: -

لمـــا كـــان مـــن أولـــى الضـــمانات التي يتطلبها مبدأ سيادة القانون وحماية حقوق المواطنين المحافظة على الحرية الشخصية، ولما كان الأصل ان الضمانات لممارسة حق الدفاع أصالة أو بالوكالـــة، ولمـــا كان (التوقيف) اجراء تقتضيه الضرورة أو يوجبه القانون في بعض الجرائم، ولما كان استعمال هذا الحق منوطا بالحكام بموجب قانون اصول المحاكمات الجزائية البغدادي أو بموجب قانون السلامة الوطنية عدا من يملكون هذا الحق بموجبه، فاننا نلفت أنظار الأجهزة كافـــة بعدم جواز توقيف، أو قبول توقيف، أي شخص الا بأمر صادر من جهة ذات اختصاص وبموجب مذكرة توقيف صادرة حسب أحكام القانون.

وعلـــى كافـــة السجون والمواقف عدم قبول أي موقوف دون مذكرة وإخبارنا عن كل مخالفة تقع.

لما كان حجز الأشخاص المشتبه بسلوكهم الإجرامي أو فرض الإقامة الجبرية عليهم في بيوتهم أو فـــي مديـــنة يختارونها وفق الفقرة (٢) من المادة (٤) من قانون السلامة الوطنية رقم ٤ لســـنة ٦٥ المعـــدل - اجراء استثنائي قد تقتضيه بعض الحالات أو الظروف استثنائية - ولما كان استعمال هذا الحق منوطا برئيس الوزراء ولمن يخولهم استعمال هذا الحق وان استعماله يكـــون بأوامـــر تحريرية أو بلاغات أو بيانات تنشر في الجريدة الرسمية وفق المادة السادسة مـــنه. ولما كان الشخص المحجوز أو المبعد يعد موقوفا بموجب الفقرة الثانية من المادة (٤) من القانون المذكور فعلى كل من يعنيهم الأمر عدم قبول أي شخص محجوزا أو مبعدا الا بناء

علـــى أمـــر تحريري صادر من رئيس الوزراء أو من خول ممارسة هذه الصلاحية وهو وزير الداخلية وقائد قوة الميدان بالنسبة لامور الشمال.

لمـــا كـــان التوقـــيف ليس عقوبة وانما هو اجراء تحفظي قد تقتضيه بعض الحالات كما ذكرنا حمايـــة للصـــالح العـــام وحيث لا يجوز استمرار بقاء الشخص موقوفا، ولما كان هناك بعض الموقوفين قد امتدت بهم أيام التوقيف بعد ثورة الرابع عشر من رمضان دون ان تجرى أو تتم محاكمتهم فعلى كافة محاكم امن الدولة إعطاء هذه القضايا الأهمية اللازمة والنظر في القضايا التـــي اوقـــف المـــتهمون بها وإعطائها الأسبقية على القضايا الاخرى حسب أهميتها وتسلسل ورودها.

لمـــا كـــان قـــانون السلامة الوطنية (المعدل) قد حدد مدة للنظر في الاعتراضات على الأحكام الصـــادرة مـــن المجالس العرفية ومحكمة الثورة والمحكمة العسكرية العليا الخاصة – الملغاة جميعا – كما حدد لها مدة لانجاز أعمالها بموجب المادة الثالثة والثلاثين منه ولما كان الغرض مـــن ذلـــك هو النظر في قضايا المحكومين بروح العدل وبغية التخفيف عن بعض المحكومين الذين لا موجب لبقائهم حسب القانون، ولكي ما يستفيد كافة المحكومين من هذا الحق بالسرعة الممكـــنة، وبالنظر لمنح أعضاء الهيئة المخصصات الكافية للأشتغال خارج أوقات الدوام أيضا، فيرجى العمل الدائب والاشتغال خارج أوقات الدوام علاوة على الدوام الرسمي.

وانـــي على يقين بان كافة اخواني المسؤولين يشعرون الشعور ذاته، وانهم يقدرون المصلحة العامة، وروح العدالة خير تقدير، وفي ذلك ضمان للجميع وتأكيدا لسيادة القانون.

رئيس الوزراء

عبد الرحمن البزّاز

النص الكامل لخطابي في الامم المتحدة [١٨]

تهنئة.. وثناء

السيد الرئيس

اسـمح لي أيها السيد الرئيس ان أضم صوتي الى صوت الزملاء الذين سبقوني كافة بالتقدم اليكم بخالص التهنئة على انتخابكم لرئاسة الجمعية العامة، وانني لواثق من ان صفاتكم الشخصـية المعـروفة وخبرتكم الواسعة في الشؤون الدولية ستكلل مناقشاتنا في هذه الدورة بالـنجاح. وأود أيضـا بهـذه المناسبة ان اثني على جهود وزير خارجية غانا الفاضل المستر الـيكس كيسـون ساكي الذي ترأس الدورة السابقة التي اكتنفتها صعاب لم تعرف المنظمة لها مثـيلا. ولقـد ساعدت حكمته وانصرافه التام الى خدمة المنظمة في التغلب على اشد معضلة جابهتها الامم المتحدة طيلة العشرين سنة من عمرها، وبفضل مجهوداته ومجهودات السكرتير العـام فقد استطاعت الجمعية العامة ان تأتلف في دورتها العشرين في جو مشبع بالأمل، على عكس ما كان يخيم على الدورة الماضية من جو قاتم ملؤه اليأس والقنوط.

مرحلة جديدة

السيد الرئيس

ان بـلادي توشك ان تدخل في مرحلة جديدة من مراحل تطورها، الذي بدأت بثورتها الوطنـية عـام ١٩٥٨ لبـناء مجـتمع تقدمي في العراق، يستهدف تطبيق الحقوق والحريات الأساسية والعدالة الاجتماعية. وعلى الرغم مما تفرضه علينا المرحلة الحاضرة من تطورنا من واجـبات جسام، فلقد شعرت ان من الواجب علي ان احضر أمام هذا المجمع الجليل، لأعرض وجهة نظرنا فيما يتعلق بالمشاكل الكبرى التي يجابهها العالم.

---

[١٨] القى في الجمعية العامة يوم ٢٤-١٠-١٩٦٥.

مسؤولية الامم المتحدة

ولقد كان لنداء البابا بولس السادس، ودعوته للسلام ونبذ الحرب، اثر كبير في تركيز اهتمامنا، على المشكلة الرئيسة لعصرنا الحاضر، غير اننا وياللاسف عندما نستعرض الوضع الدولي نجد ان هناك مناطق عديدة يسودها النزاع والتوتر.

فالخلافات التي نشأت فيما يتعلق بتمويل عمليات حفظ السلام ما زالت قائمة. كما ان مستقبل المنظمة باعتبارها وسيلة فعالة من وسائل السلم ما زال يكتنفه الغموض. ان أسباب ذلك لا تنحصر بالنواحي العملية لانشاء حفظ السلام وتنظيمها وادارتها وتمويلها حسب، كما انها لا تقتصر على المشكلة الدستورية التي تخص تفسير الميثاق وتحديد مسؤوليات كل من مجلس الأمن والجمعية العامة، بل ان ذلك يتعلق بفكرة الامم المتحدة بأكملها، وبالفلسفة التي قامت عليها. ان عمليات حفظ السلام، كما ظهر لنا من خبرة السنين العشر الماضية، هي في جوهرها عمليات تستهدف منع قيام النزاع المسلح، وتعريض امن العالم وسلامه الى الخطر. وعلى الرغم من ان الأعمال الوقائية هذه لم يتناولها الميثاق بصورة محددة، فان الامم المتحدة قد تجد نفسها مدعوه للقيام بالمزيد من هذه العمليات في المستقبل. وبناء على ذلك فقد أصبح من الضروري وضع قواعد تحدد انشاء مثل هذه العمليات بصورة عاجلة. ان اللجنة المعروفة بلجنة الـ ٣٣ التي الفت لدراسة قضية عمليات حفظ السلام بأكملها ستشرع بفحص هذه المشكلة بصورة مفصلة. وحين تضطلع هذه اللجنة بالواجبات الهامة المناطة بها فينبغي ان يتوفر لها أقصى ما يمكن من الحرية والمرونة. اننا لا ننكر ان مناقشة هذه الامور خلال هذه الدورة سيكون نافعا، الا اننا نعتقد انه ينبغي على الجمعية ان تتجنب اتخاذ القرارات النهائية، لكي تتيح للجنة الفرصة التامة لدراسة المعضلة بكافة أوجهها. ان الوضع المتفجر في فيتنام يهدد سلام العالم وأمنه وهو يسير من سيئ الى أسوا بصورة مستمرة، في الوقت الذي تقف فيه الامم المتحدة موقف المتفرج العاجز. والحقيقة ان اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٥ لم تحدد دور الامم المتحدة في هذه القضية، غير ان ابتعاد المنظمة كليا عن أي دور فعال في التوصل الى حل سلمي، قد يعبر عن أهم نقاط الضعف فيها، الا وهو عجزها عن تناول أية مشكلة من المشاكل التي تقوم بشأنها خلافات بين الدول الكبرى وتصطرع مصالحها حولها.

وجهة نظر العراق

ان وجهــة نظــر الحكومــة العراقــية هي ان النزاع في فيتنام يجب ان يحل بموجب اتفاقــيات جنــيف لعام ١٩٥٤، غير ان ذلك لا يعني الا تلعب الامم المتحدة دورا هاما في هذه المعضــلة بــل على العكس من ذلك فان باستطاعتها ان تبذل مجهودات من شأنها التوصل الى تســوية فــي نطاق هذه الاتفاقات. غير اننا نعتقد بعدم امكان قيام مفاوضات في ظل العمليات الحربــية المتواصــلة، اذ يجب ان يسبق هذه المفاوضات اتفاق لوقف اطلاق النار يشمل كذلك وقف الغارات الجوية.

ولقد اظهر النزاع الفيتنامي خطا استبعاد جمهورية الصين الشعبية عن الامم المتحدة. ان مشــكلة تمثــيل الصــين في الامم المتحدة يجب ان تحل بصورة نهائية، وعلى الوجه الذي ينســجم وميثاق الامم المتحدة، ونعني بذلك إعادة حق حكومة الصين الشعبية في تمثيل الصين فــي المــنظمة بصورة مطلقة كاملة. وتتصل مشكلة نزع السلاح التي هي اشد اختبار تجابهه المنظمة بقضية تمثيل الصين في الامم المتحدة اتصالا وثيقا. وليس هنالك بين مسؤوليات الامم المــتحدة قضــية اخطر من قضية نزع السلاح أو أهم منها. وانه لما يبعث على الأسف ان لا نلمس أي تقدم في الاجتماعات الأخيرة للجنة نزع السلاح – لجنة الثماني عشر – اذ ان تدهور العلاقــات بين الدول المنتجة للأسلحة النووية، واشتداد النزاع في أجزاء عديدة من العالم، قد ســاعد دون شك على فشل محادثات جنيف، وذلك مما يؤكد الرأي الذي يؤمن به الكثيرون من ان الــتقدم في نزع السلاح يكون صعبا، حينما تصبح النزاعات الكبرى العديدة بدون حل، وفي الوقت الذي تكون فيه احدى دول العالم الكبرى معزولة تماما عن الامم المتحدة.

اقتراح بعقد مؤتمر

ومــن اجــل ذلك يشعر وفدنا الى ان يحين الوقت الذي يصحح فيه هذا الوضع الشاذ، بضــرورة عقــد مؤتمــر آخر لمفاوضات نزع السلاح تشترك فيه كافة دول العالم. ان مؤتمر الاقطارغــير المنحازة الذي انعقد في القاهرة في السنة الماضية قد اوصى بعقد مؤتمر عالمي لــنزع السلاح، كما ان لجنة نزع السلاح قد اتخذت قرارا بهذا المعنى في الربيع الماضي. واننا لنأمل ان تصادق الجمعية العامة على هذا الاقتراح بصورة عاجلة في دورتها هذه، كما نأمل ان يعين الاهتمام الذي أبدته الدول الكبرى بخصوص انتشار الأسلحة النووية على ايجاد حل لهذه

المشكلة الملحة الخطيرة. وان من أهم ما يساعد على نزع السلاح العام الشامل تصفية القواعد الأجنبية التي كانت وما زالت أعظم سبب في قيام التوتر وعدم الاستقرار في العالم.

مشكلات من دون حل !!

وفـــي الجزء الذي نعيش فيه من العالم ما زالت قضية قبرص دون حل. ويهم العراق ان يتم التوصل الى حل عادل للمشكلة على أساس استقلال قبرص ووحدة أراضيها، مما يضمن الحقــوق الأساسية والمصالح المشروعة لكلا المجتمعين اللذين يقطنان الجزيرة. ويجدر بالامم المتحدة ان تواصل مساعيها للتوصل الى حل عادل للمشكلة حسب مبادئ الميثاق.

وهــنالك مشــكلة خطــيرة اخــرى تثــير اشد القلق، الا وهي النزاع القائم بين الهند وباكســتان حول كشمير. ولا أراني بحاجة الى ان اشير الى الروابط التاريخية التي تشدنا الى هذيــن القطرين العظيمين في آسيا، اللذين دخلا في صراع تسبب فيه نكبات عظمى لشعبيهما. ان وقــف اطــلاق النار الذي أمر به مجلس الأمن، كان في الحقيقة بمثابة الخطوة الاولى في طــريق التوصل الى سلم دائم، واننا لمدينون للسكرتير العام بالشكر لما ابدأه من مهارة وصبر فــي معالجــته المفاوضات الصعبة التي أدت الى اتفاق وقف اطلاق النار، ذلك الاتفاق الذي لم يــنفذ بعــد تنفيذا كاملا وياللاسف. لقد قلت بان وقف اطلاق النار هو الخطوة الاولى، ذلك ان واجب الامم المتحدة لا يمكن ولا ينبغي له ان ينتهي بوقف النزاع المسلح. ذلك ان من واجباتها الأساســية معالجــة أسباب النزاع بغية التوصل الى تسوية سلمية. ولقد اتيح للنزاع الهندي – الباكســتاني ان يــناقش بجديــة وبصورة مفصلة في مؤتمر رؤساء الدول العربية الذي انعقد مؤخرا في الدار البيضاء، وقد توصلنا هناك الى ان أي حل عادل دائم لمشكلة كشمير ينبغي ان يقوم على مبادئ الميثاق وقرارات الأجهزة المختصة لهذه المنظمة.

ثلاث قضايا خاصة

السيد الرئيس

هــنالك ثــلاث قضــايا خاصة في جدول أعمال دورتنا الحاضرة ذات الأهمية الخاصة لــبلدنا، أولاهما قضية فلسطين التي ذهب شعبها ضحية لأسوأ ضروب الاستعمار وأتعس ألوان الظلــم. فالاعــتداء الصــهيوني في فلسطين لم يكن مقصورا على غزو البلاد غزوا عسكريا،

وفـــرض حكـــم أجنبي على سكانها، بل كان يستهدف القضاء على الشعب العربي في فلسطين، ويقتطع بصورة دائمة عن بقية الوطن العربي قطرا كان جزءا لا يتجزأ منه طيلة ما يزيد على أربعـــة عشـــر قرنا. ولم يحدث قط في أية منطقة محتلة من العالم ان يكون طرد شعب بأجمعه الهدف الواضح للغاصبين الأجانب. ومن اجل هذا يجب ان ينظر الى مشكلة فلسطين باعتبارها نزاعا بين شعب فلسطين المصمم على استعادة وطنه وبين الغاصبين الصهاينة الذين أرادوا ان يثبتوا عدوانهم ويضفوا عليه صفة الشرعية.

ان اللاجئيـــن الفلسطينيين العرب مثل حي لأبشع الجرائم التي ارتكبت ضد أي شعب. انهـــم يصرون على العودة الى وطن أجدادهم، وان حقهم في هذا المجال غير قابل للجدل، فهو حـــق مطلق غير مشروط، اقره وأكده كل قرار صدر عن الجمعية العامة حول مشكلة اللاجئين مـــنذ عـــام ١٩٤٨، بينما هزات به إسرائيل وخرقته طيلة هذه الفترة. وسيواصل الفلسطينيون كفاحهم من اجل استرداد وطنهم السليب بمساندة ومعونة الامة العربية باسرها.

ان الوضـــع فـــي عـــدن وبقية الجنوب المحتل يشكل مثلا فاضحا من أمثلة خرق مبدأ تقرير المصير، ولقد سبق للجمعية العامة ان اتخذت قبل عامين وبأغلبية ساحقة قرارها المرقم ١٩٤٩ الذي يعترف بحق شعب المنطقة في تقرير مصيره وتحرره من الحكم الاستعماري، كما يوصـــي باتخـــاذ خطوات معينة تستهدف معرفة رغبات الشعب، وانشاء مؤسسات حرة تمثيلية للمنطقة باسرها قبل الحصول على الاستقلال. ودعت الجمعية العامة أيضا السلطة الحاكمة الى الغـــاء حالـــة الطـــوارئ، وايقاف كافة الاجراءات القمعية فورا، وكذلك العمليات العسكرية ضد شـــعب المـــنطقة، والغـــاء جمـــيع القوانين التي تحدد الحريات العامة واطلاق سراح السجناء السياســـيين. ومـــنذ اتخـــاذ هذا القرار في كانون الأول عام ١٩٦٣، فقد واصلت لجنة تصفية الاســـتعمار دراســـة الوضـــع واستعراضـــه، واتخذت عددا من القرارات استهانت بها السلطة الحاكمـــة وتجاهلتها. ولقد أعلنت الحكومة البريطانية في أوائل هذا العام بأنها تتفق والأهداف الرئيسية للقرار المرقم ١٩٤٩ – للدورة الثامنة عشر – وانها ستنظر في تأسيس دولة موحدة بناء على طلب شعب المنطقة وتوصية الجمعية العامة ولجنة تصفية الاستعمار. غير ان الأفعال أقوى دلالة من الأقوال حيث قامت حكومة المملكة المتحدة بخرق هذه القرارات وتجاهلتها، فيما لا يقل عن الحالات الخمس الاتية:

استمرار حالة الطوارئ.

مواصلة العمليات العسكرية ضد شعب المنطقة.

رفض النظر في التصفية النهائية للقاعدة العسكرية في عدن.

قرار الحكومة البريطانية بقطع المحادثات الابتدائية مع الزعماء السياسيين في شهر اب الماضي بسبب (اصرار وفود معينة على القبول التام للقرار ١٩٤٩ لعام ١٩٦٣ دون قيد أو شرط)، كما اعلن وزير المستعمرات البريطانية ذلك.

وأخيرا قامت الحكومة البريطانية في ٢٥ أيلول الماضي بتعطيل دستور عدن، ومنحت المندوب السامي الذي أقال حكومة عدن الشرعية التي يترأسها السيد عبد القوي مكاوي سلطات مطلقة...

وقد اتخذت الحكومة البريطانية هذه الاجراءات في وقت كانت تتظاهر فيه بأنها تحاول تحسين علاقاتها مع العرب. ولا يمكن ان يخفى على المسؤولين في لندن بان مثل هذه الاجراءات وتوقيتها الغريب ستؤدي الى ازدياد تردي العلاقات العربية - البريطانية. ولقد القى القبض على ما يزيد على سبعمائة شخص في يوم واحد مؤخرا. ان هذه الأرقام منقولة عن الصحف البريطانية ذاتها ووسائل الاعلام الاخرى. والله وحده يعلم كم هم الذين قبض عليهم أو احتجزت حريتهم الى هذه الساعة. كما ان اجراءات تعسفية واستبدادية اخرى قد اتخذت ضد الشعب في عدن. ان عظم هذه الأرقام يمكن ادراكها بصورة أجلى، اذا ما عرفنا ان عدن مدينة صغيرة، وان الرقم الذي نشر يشير الى الاعتقالات في حي واحد من أحياء تلك المدينة الصغيرة.

ولا يكفي ان يعلن بان سياسة الحكومة البريطانية هي منح الاستقلال قبل عام ١٩٦٨، بل المهم ان نعرف نوع ذلك الاستقلال، وهل سيكون استقلالا وهميا يديم السلطة بيد العملاء المخلصين للاستعمار البريطاني في المنطقة، ويبقى القاعدة العسكرية في عدن التي أعلنت الجمعية العامة عام ١٩٦٣ بأنها تعرض سلامة المنطقة الى الخطر وأوصت بازالتها عاجلا ؟!

ان الجمعية العامة مدعوة في دورتها الحالية الى اتخاذ اجراءات حازمة لمعالجة حالة تهدد السلام العالمي. وان اقل ما يطلب من الحكومة البريطانية هو ان تعلن من دون مواربة قبولها المطلق للقرار ١٩٤٩ واستعدادها لتنفيذه بأمانة. وليس هنالك غير هذا السبيل للبدء بمعالجة هذه القضية، وتمكين سكان المنطقة من الحصول على حريتهم بصورة سلمية نظامية.

وفـي عمـان يواصل الاستعمار مقاومته لمطامح الشعب في الحرية، وانكاره حقه في تقرير مصـيره، وفـي الوقت الذي تهب فيه رياح التغيير على كافة أجزاء العالم، ونرى فيه الـنظام الاستعماري يتراجع من موقع بعد آخر، نجد ان الاستعمار يرفض بعناد مجابهة الواقع فـي عمـان وفـي المناطق المجاورة لها في منطقة الخليج العربي وفي جنوب شرق الجزيرة العربـية. ففي ذلك الجزء من الوطن العربي يستميت الاستعمار على أوضاع بالية، يحتفظ فيها بـنفوذه بطرق ملتوية وأساليب مفضوحة. ومن أمثلة أساليب القمع الاستعماري البريطاني في مـنطقة الخليج العربي هو الابعاد التعسفي لحاكم الشارقة، الذي كانت خطيئته الكبرى وجريمته العظمـى ! انه طالب بالمساعدة الفنية لمشيخته من جامعة الدول العربية !!.. ولنا وطيد الأمل بان تتخذ الخطوات اللازمة هذا العام للتعجيل بحصول عمان على حريتها، وفق القرار الصريح الـذي اتخذتـه الامـم المتحدة، والذي يتعلق بتطبيق (اعلان منح الاستقلال للأقطار والشعوب المستعمرة) بصورة عاجلة في كافة المناطق التي لم تحصل على استقلالها بعد.

كفاح ضد الاستعمار

السيد الرئيس

لا تقتصـر المشـاكل الاستعمارية التي تواجهها الامم المتحدة على هذه القضايا فقط، ففـي أفريقـيا يستمر الكفاح الهادف الى استئصال آخر ما تبقى من الاستعمار، وان الحكومة البريطانـية مدعـوة في (روديسيا) الى اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لمنع قيام حكومة الأقلية العنصرية هناك باعلان الاستقلال بصورة انفرادية من جانبها. اذ ان الحكومة البريطانية وحدها باعتـبارها السلطة الحاكمة مسؤولة أمام الامم المتحدة بموجب الميثاق واعلان منح الاستقلال للأقطار والشعوب المستعمرة.

ان مجهـودات البرتغال اليائسة للابقاء على موضع قدم لها في أفريقيا لابد ان يكون مصـيرها الانهيار أمام تيار القومية الأفريقية الجارف. وان على كافة أعضاء الامم المتحدة لا سـيما الأقطـار التـي لها علاقات خاصة بالبرتغال ان تتحمل مسؤوليتها كاملة للمساهمة في تصـفية الامبراطورية الاستعمارية في أفريقيا بصورة عاجلة. وما زالت جنوب افريقية تواصل تحديهـا للامـم المـتحدة والـرأي العـالمي باحتلالها جنوب غرب افريقية بصورة غير مشـروعة، وبسبب اتباعها لسياسة التمييز العنصري، وان حكومتي ستبذل كل ما في وسعها

للتخفـيف مــن الآلام الناشــئة عن التمييز العنصري، وستساند أي اجراء تتخذه الامم المتحدة لتاميــن قيام حكومة جنوب افريقية بتنفيذ القرارات العديدة التي اتخذتها الجمعية العامة في هذا الصدد.

إنجازات الامم المتحدة

السيد الرئيس

لقد حققت الامم المتحدة إنجازات باهرة في حقل الإنماء، وفي حقل التعاون الاقتصادي والاجتماعــي بصــورة عامة. فلقد تجاوزت فعالياتها في هذه المجالات المدى الذي كان متوقعا لهــا، حيــن توقيع الميثاق قبل ما يزيد على العشرين عاما في سان فرانسيسكو. على ان ذلك يجــب ان لا يحجب عنا الحقيقة وهي ان ما أمكن التوصل اليه حتى الوقت الحاضر يعد ناقصا نقصــا فضيعا. ذلك ان مشكلة تضييق الثقة التي تفصل بين الأقطار المتنامية والأقطار المتقدمة لــم تعالج بعد بصورة جدية. وقد ساهمت برامج المساعدات الفنية والصندوق الخاص بصورة فعالــة، غــير ان مواردهــا محدودة كما انها لا تتناول سوى جانباً واحداً من هذه المسؤولية الجسيمة. فالامم المتحدة ما زالت غير قادرة على معالجة مشكلة تمويل مشاريع الإنماء بصورة فعالــة. ففــي الوقــت الذي نتفق فيه تماما مع الرأي القائل بان حل مشكلة التمويل يكون عن طــريق التجارة أكثر منه عن طريق المساعدات، الا اننا نشعر بأنه حان الوقت الذي تتخذ فيه الاجــراءات المؤدية الى تخصيص نسبة أعلى بكثير من المساعدات المالية عن طريق مصادر دولية متعددة. ولقد انخفضت مكاسب الدول المتنامية في السنة الأخيرة في حقل التجارة، الأمر الــذي أضــفى صــفة الاستعجال على ما سيقوم به مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والإنماء من اجراءات. الا انه مما يدعو الى الأسف ان لا ينفذ سوى القليل من توصيات المؤتمر الأول، كما ان الدورتين اللتين عقدهما مجلس التجارة هذا العام غير مشجعتين.

وهكذا تظل مشكلة تضييق الشقة بين الأقطار المتنامية والاخرى المتقدمة مشكلة جدية صــعبة، كمــا كانت عليه دوما. أما الأعوام الخمسة الاولى من عقد الإنماء فقد جاءت مخيبة للآمال، حيث ان معدل النمو ما زال يقل كثيرا عن نسبة ٥ بالمائة التي افترضها القرار المتخذ من قبل الجمعية العامة عام ١٩٦١. ان الجمعية العامة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع لها مدعوان لاتخاذ اجراءات فعالة لعكس هذا الاتجاه في النصف الثاني من هذا العقد. ولا يمكن

تحقــيق ذلك الا اذا أبدت الأقطار المتقدمة اهتماما أكثر في جعل تجارتها وسياستها الاقتصادية منســجمة مع أهداف السنين العشر. كما ان على الأقطار المتنامية بدورها ان تبذل المزيد من المجهودات لإتباع سياسة مالية واقتصادية سليمة، وتخطيط يعينها على اجتياز المراحل الصعبة التي تنتظرها.

ومــن الناحــية التنظيمــية ينبغــي على الامم المتحدة ان تكيف نفسها وفقا للظروف المتغــيرة التي يمر بها التعاون الاقتصادي والاجتماعي الدولي. وينبغي عليها كذلك ان تحسن أجهزتها لتستطيع النهوض بالواجبات والمسؤوليات المتزايدة الملقاة عليها في هذا المجال.

السيد الرئيس

هــذه هي بعض الأفكار التي وددت ان اعرضها على الممثلين الأفاضل المجتمعين في هذه الجمعية، وكلي أمل بان تؤدي مناقشاتنا في هذه الدورة الهامة الى تقريب العالم من أهدافه السامية في السلام العادل والرفاه الشامل للبشرية.

الأحد ١٩٦٥/١٠/٢٤.

الاستقالة

السيد رئيس الجمهورية الفريق عبد الرحمن محمد عارف المحترم

تحية طيبة:

وبعد فتذكرون سيادتكم انني وليتُ المسؤولية منذ نحو احد عشر شهرا في عهد أخيكم الــراحل فــي ظروف قاسية، وتأزم اقتصادي حاد وبلبلة اجتماعية وسياسية لم ير العراق في تاريخــه الحديث – فيما اعلم – أسوء منها. فعملنا – أنا وزملائي – بكل طاقاتنا لاعادة الوضع الى نصابه المعقول، بتحقيق مبدأ سيادة القانون، ورعاية حقوق المواطنين كافة دونما تمايز أو تحــزب، واصــلاح مــا أمكن اصلاحه من وضع مالي واقتصادي مترد. ثم كانت الكارثة بفقد الرئــيس المــرحوم عــبد الســلام، ومر العراق بأيام عصيبة ووفقت (أنا وزملائي بعون الله وتســديده) في تخليص العراق من مغبتها، واستطعنا ان نحقق مبدأ الشرعية ورعاية الدستور المؤقــت نصــا وروحا فأصبحتم رئيسا للجمهورية بالطريق السلمي الذي عزز من مقام رئاسة الجمهورية وأضفى على العراق هيبة انعكست في الميدان الدولي بما لا يقل عن آثارها الحسنة فــي داخــل العــراق. وبعد ذلك طلبتم الي ان اشكل الوزارة التي سارت على منهاجها المعلن

السابق وحاولت ما وسعها الجهد، ان تحقق للمواطنين ما يصبون اليه من طمأنينة وازدهار في اطار من وحدة وطنية صادقة تكون المنطلق الطبيعي المخلص لوحدتنا القومية. ولقد وفقنا لحل أعضل مشكلة واجهها العراق منذ بدا تكوينه واعني بها مشكلة شمال الوطن فقد كان مما يقض مضاجع المخلصين ان يروا الاخوة يقتتلون، ويروا الأموال والطاقات الهائلة تصرف فيما لا طائل تحته.

وفي ميدان السياسة العربية والخارجية استطاعت الحكومة ان تثبت وجود العراق، وترعى مصالح بنيه، وتكسب احترام كل الدول - اذا استثنينا حكومة المنشقين في سورية - على اختلاف أنظمتها وتباين سياستها. وليس البيان العراقي السوفيتي الذي صدر في بغداد وموسكو منذ أيام عنكم ببعيد ...

على الرغم من هذا كله كنت احس، بين الحين والحين، ببعض الصعوبات توضع في طريق الحكومة، وتحد من مسعاها، ولكنا كنا دائما نتذرع بالصبر، ونركن الى الحكمة في ايجاد الحلول والتسويات يحدونا الى رغبتنا ذلك في خدمة هذا الشعب ورعاية مصالحه.

أما وقد لمست هذا الصباح من سيادتكم رغبة في استقالة الحكومة، فرعاية للدستور المؤقت أتقدم اليكم راجيا قبول استقالتي من رئاسة الوزارة سائلا المولى جلت قدرته ان يعينكم، ويسدد خطاكم، ويوفقكم لما فيه صلاح هذا الشعب وخير امتنا العربية الواحدة.

١٧ ربيع الثاني ١٣٨٦ هـ الموافق للسادس من اب ١٩٦٦ م.

المخلص

عبد الرحمن البزّاز

كلمات عند افتتاح المؤتمرات

مؤتمر مجمع اللغة العربية المنعقد في بغداد[١٩]

أيها الاخوة الكرام:

بسم الله الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم، وحمدا لله الذي كرم الانسان، وحمل ذريته في البر والبحر. وزاد في تكريم هذه الامة حين جعل كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وجعل هذا الكتاب ذكرى للنبي المصطفى، وامته المختارة (وانه لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون).

وبعد فاحمد الله اليكم أيها السادة الخالدون، أعضاء المجمع اللغوي العربي، حين قبلتم دعوة المجمع العلمي العراقي لعقد مؤتمركم هذا في بغداد، بغداد عاصمة المنصور والرشيد والمأمون، بغداد

يا مغرب الأمل القديم ومشرق الأمل الجديد

كما قال المرحوم علي الجارم، احد الخالدين من أسلافكم، طيب الله ثراه .

بغداد التي ما أظن أن أحدا منكم الا وقد ردد فيها، في سره أو علنه، في ظاهره أو باطنه، في عقله الواعي أو الباطني، ما أظن احداً منكم الا ردد قول ابي تمام:

في الشام أهلي، وبغداد الهوى، وانا بالرقمتين وبالفسطاط اخواني

ولا احسب ان عربيا، حيثما يكون، في بغداد أو القاهرة أو الرباط أو صنعاء، في أقصى العروبة، أو أقصى مغربها، في أية حاضرة من حواضر عالمنا العربي، الا ويحس في أعماق نفسه، انه بين ذويه واهله.

قلت اريد ان ارحب بكم، وانتم بين اهليكم ومواطنيكم، ولكنني اشعر بالفخر ان يتاح لي ان ارحب بكم، واشعر بهذا الفخر أضعافا مضاعفة حين تكون هذه المهمة قد عهدت الي نيابة عن السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام محمد عارف الذي يعرف لكم قدركم، ويعرف الجهد المشكور الذي تبذلونه في الحفاظ على هذه اللغة، وبقائها حية نامية متطورة موفية بمتطلبات هذا العصر من علوم وفنون وآداب ومخترعات.

---

[١٩] ارتجلت هذه الكلمة عند افتتاح الدورة الثانية والثلاثين لمجمع اللغة العربية المنعقد في بغداد مساء السبت المصادف ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٥ برعاية الرئيس عبد السلام عارف، وقد طلب الي ان أنوب عنه.

وانــــي لعلى يقين إنكم قادرون على الوصول بهذه اللغة الكريمة التي اختارها الله تعالى لتكون قادرة على ان تفي بكل هذه المتطلبات. وإنكم بعملكم الدائب، وجدكم المستمر، وأعمالكم المشكورة، بالغون الهدف.

وانــــي لعلى علم ان الكثيرين ممن لا يعلمون ما تعملون، سيقدرون ما تلقون من عظيم المشقة، ومدى الجهد الذي تبذلونه، والصبر الذي تتحلون به.

واني لعلى يقين اننا سندرك جميعا يوما عظم هذه الجهود المشكورة المباركة.

وإنكم بإذن الله، بعملكم هذا، تقيمون لا اللغة العربية وحدها – من حيث هي أداة للتعبير وواسـطة للحفــاظ على التراث – ولكن باعتبارها الدعامة الأساسية، التي تقوم عليها قوميتنا وامتنا العربية.

والقومــية – أيهــا الســادة – هي أولا وقبل كل شيء، لغة القوم. وستبقى العروبة، وسـتبقى الامــة العربية – كما قال احد زملائكم السالفين أهطل الله عليه سجال رحمته محمد شـفيق غـربال – (وسـتبقى الامة العربية بخير ما بقيت اللغة العربية في خير). فانتم اذن تعملون لهذه الامة ولقوميتها اصدق عمل، واهدأ عمل، وأرضَ عمل، وتقيمون دعائم هذه الامة الواحدة على امتن الاسس.

ان الـروابط التــي تربطــنا – أيهـا السادة – لا حصر لها، ولكن لغتنا هذه هي أقوى الروابط وأثبتها على الدهر. هذه هي اللغة التي عبر عنها شاعرنا الرصافي بقوله:

وتجمعنا جوامع كبريات ... وأولهن سيدة اللغات

على ان هذا المعنى لم يختص به الرصافي، فقد سبقه اليه من قبل كثيرون. ولعل أمير الشعراء طيب الذكر المرحوم احمد شوقي قد أراد هذا حينما قال:

فنحن في الشرق والفصحى بنو رحم ... ونحن في الجرح والآلام اخوان

ونحــن فـــي واقع الحال اخوة، لأننا – أولا وقبل كل شئ – أبناء لغة واحدة... الامة العربية هم ابناء اللغة الواحدة، حينما تصبح تلك اللغة لغة وجودهم، ولغة كيانهم، ولغة تراثهم، ولغة آدابهم ومشاعرهم.

فنحن اذن بهذه اللغة سنقيم وجودنا، وبالحفاظ عليها، وبالعمل الدائب من اجلها، نحقق وحدتنا.

ولســت اريد ان اطيل، وان اكرر القول فيما انتم به عارفون، ولكن حبي لهذه اللغة – وانا احد تلامذتكم المعجب بالجهد الصادق الذي تقومون به – دفعني الى ان أقول ما قلت.

ومــرة اخرى اكرر الشكر خاصة لاخواننا الذين تجشموا مشاق السفر ولا أقول وعثاء الســفر، بعد وجود الطائرات، ولكن اقدم الشكر على تفضلكم بالحضور الى بغداد في هذه المدة بعد ثلث قرن من حياة مجمعكم العتيد الخالد.

سدد الله خطاكم، وابقاكم حفاظا وسدنة لهذه اللغة الكريمة، والسلام عليكم ورحمة الله.

المؤتمر الطبي السنوي نيابة عن السيد الرئيس [٢٠]

أيها السادة أعضاء المؤتمر، حضرات السيدات والسادة

مــن دواعي غبطتي العظيمة ان افتتح مؤتمركم هذا نيابة عن السيد رئيس الجمهورية الذي شرفني حين أناط بي هذه المهمة الكريمة.

واني لأعلم عن يقين بان هذا المؤتمر سيقدم لهذا البلد، وللإنسانية جمعاء، فوائد جلى، ولا شــك انــي اعــبر عــن أماني السيد الرئيس الذي طلب الي ان انقل اليكم مشاعره الطيبة ورجــاءه فــي ان توفقوا في المهمة التي أخذتم أنفسكم بها. وارى لزاما علي أيضا ان ارحب بالســادة الكــرام الذين جاءوا من الأقطار العربية الشقيقة، أو الذين جاءوا من مختلف أنحاء الدنيا. انهم سيجدون هذا البلد المضياف أهلا وسهلا واخوة وأصحابا، وزملاء.

ولســت ادري امن حقي، وانا افتتح هذا المؤتمر، ان اطيل فأذكركم بعظم رسالتكم التي تعــرفونها حــق المعــرفة ؟! ولكنــي أرى مــن المفيد ان أقول كلمة عن عظم الآفات وآلام والأمــراض التــي نشــكو مــنها، وانتم الأطباء، وانتم اساة الذين يداوون جروح هذه الامة، ويشفونها من الأسقام ...

تلك بديهية لست بحاجة الى ان اعلنها. ولكن فكرة خطرت لي وانا في طريقي اليكم من اجــتماع لمجلــس الــوزراء، قلــت لنفسي: ترى أنشكو من الآم جسيمة فقط، ام هناك الآلام وأمراض اخرى نحن بحاجة ماسة الى من يشفينا منها ؟ وتذكرت ان العرب قديما كانوا يسمون

---

(٢٠) عقد المؤتمر في ٥ كانون أول ١٩٦٥.

الأطباء حكماء، بمعنى انهم لا يعالجون أبداننا، بل يعالجون نفوسنا، وأرواحنا، لان الحكمة هي جماع المعرفة من علم وأدب، ومعرفة للنفس، وادراك لحاجة المجتمع.

فكونـــوا -رعاكم الله- حكماء لهذه الامة لا يشفونها من أدوائها واسقامها الجسمية فقط -وهـــي كثـــيرة- بـــل تعملون أيضا جاهدين على اشفائها من أمراضها التي أخذت، في الأيام الأخيرة خاصة، تتفشى فينا تفشى الوباء الوافد.

رجائي اليكم ان تدركوا، وانتم الحكماء، معنى هذا الايجاز، ورب اشارة ابلغ من عبارة...

اكرر أطيب تمنياتي راجيا لكم التوفيق، ولهذا البلد وللإنسانية الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الموسم الثقافي الاول لاتحاد الجمعيات العراقية

نظرتنا الى المجتمع قائمة على التعارف والتعاون

افتـــتح الاســـتاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء في الساعة الثامنة من مساء يوم ١٩٦٣/٣/١ الموســـم الثقافي الأول لاتحاد الجامعيات العراقيات وألقى كلمة[٢١] استهلها بحمد الله وشـــكره تلا الآية الكريمة (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

وقال الاستاذ البزّاز ان هذه الآية الكريمة التي تحمل من المعاني الكبيرة الشيء الكثير قد أجملت الحكمة من الوجود الانساني في التعارف والتكامل والسكينة والرحمة. وهذا ما يتمثل فـــي المـــرأة سواء أكانت جامعية ام غير جامعية. وتأكيد هذه المعاني الكريمة واشاعتها بين الـــناس هو واجبها الأول. وقال ان المعلومات التي أوردتها الدكتورة لميعة البدري حول ازدياد عـــدد الجامعيات دليل على بعض التقدم اذ انني لا أرى ان التخرج في الجامعة سواء للمرأة أو للـــرجل دلـــيل علـــى الثقافة ما لم يقترن ذلك بالمثل الصالحة. انه لجميل ان يتخرج المرء من الجامعة، ولكن الأجمل منه ان يقترن هذا التخرج بالثقافة العامة المقترنة بالشعور بالمسؤولية.

واســـتطرد الاستاذ البزّاز يقول: ان مهمة المجتمع الفاضل هو ان يشيع روح المعاونة المـــدرك للواجب، الروح التي تتواصى بالحق والرحمة، وتشيع في المجتمع المحبة والتسامح.

---

[٢١] سجل احد الصحفيين خلاصة الكلمة على الصورة التي انشرها في هذا الكتاب.

ومــن هنا يبرز دور الجامعية. ويجب – ونحن نمر بهذه المرحلة من مراحل تطورنا – ان تعي المرأة، وخاصة الجامعية، عظم الرسالة.

ان تطورنــا كأمة يحتاج الى المرأة الصالحة التي تعي مسؤولياتها، وتشيع في أبنائها معاني الرجولة والانسانية، وتعد بيتها وأبنائها وبناتها الى هذا. وهذه نقطة حيوية لكل مجتمع يريد الرقي.

وتطرق الاستاذ البزّاز الى الآراء والأفكار التي غزت مجتمعنا خلال السنوات الماضية وقــال: ان بعض هذه الآراء قد أوهت من قيمة الروابط التي تربط أبناء المجتمع. فهناك أفكار تــنظر الى المجتمع على انه صراع طبقي ويرى من الخير في قضاء طبقة على الاخرى. علينا ان نــبدد هذه الفكرة من أذهان الناشئة، فهي لا تشيع الا الحقد والبغضاء. انني أنكر ان يكون الخير ضيقاً أو طبقيا أو في ان يحارب الانسان أخاه الانسان. ان هذه النظرية قد تكون صالحة لمجــتمع غير مجتمعنا. ان نظرتنا الى المجتمع قائمة على التعارف والتعاون والتعاطف لا على الصراع الطبقي والبغضاء ...

وأضــاف الاســتاذ الــبزّاز يقــول: هناك أفكار اخرى غزت مجتمعنا، وهي تتمثل في الــتحزب الأعمى. انني لست ضد من يتكتل لعمل مشروع، ولكني احارب التحزب الأعمى الذي يجعل باطل الحزبي حقا، وحق غير الحزبي باطلا.

ان التحزب لا يشيع غير المقت والكذب، وعلى المرأة، والخريجة في الأخص، ان تعي ذلك، وتعمل كثيرا في توضيح هذه الناحية.

وهــناك أيضــا نــزعات ودعوات اخرى أكثر سوءا، اذ انها تنادي بالتفرقة بين الأخ وأخيه. ان هذه الدعوات سواء أكانت عنصرية، ام دينية، لا تقوم على الفضائل الانسانية وهي لذلــك باطلة. ان رسالة المرأة، ورسالة الجامعية، هي محاربة هذه الأفكار جميعا، والعمل على إبطالها.

انــنا لا نســتطيع ان نحقق الخير لمجتمعنا ولامتنا مالم تقم المرأة بإرضاع الفضائل الانسانية، والمثل الصادقة مع لبن ثديها.

في مؤتمر المهندسين نيابة عن السيد رئيس الجمهورية

" بــرعاية السيد الرئيس عبد السلام محمد عارف افتتح في الساعة العاشرة صباحا وفي قاعة الشــعب المؤتمــر الهندسي العراقي السابع لنقابة وجمعية المهندسين. وقد أناب السيد رئيس الجمهوريــة لحضور حفل الافتتاح الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء. كما حضر حفلة افتــتاح المؤتمر عدد من السادة الوزراء ومتصرف لواء بغداد ووكيل أمين العاصمة وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي وجمهور غفير من المهندسين أعضاء المؤتمر ".

وقد القى الاستاذ البزّاز كلمة قال فيها:

بســم الله المنشــئ الــذي استخلفنا في هذه الأرض لغمرها، والحمد لله القائل في كتابه العزيز "ولقــد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون". يقول الامام الغزالي فــي تفســير هذه الآية الكريمة " الصالحون" هم الذين يصلحون الأرض ويعمرونها. والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام الهداة، وسيد البناة المنشئين. وبعد أيها الاخوة المهندسون انه لمــن دواعــي غبطتــي وســروري العظيمين ان أسهم في مؤتمركم هذا، ويزيد في سروري وغبطتــي انني أقوم بهذه المهمة المحببة نيابة عن السيد رئيس الجمهورية الذي حملني اليكم عاطــر تحــياته، وطيــب تمنــياته، وهــو يقدر لكم الدور الكريم الذي تقومون به في الإنشاء والتعمير، ويرجو لمؤتمركم هذا السداد والتوفيق.

عقــد فــي العــراق فــي الســنوات الأخيرة – وربما في الأشهر الأخيرة خاصة – العديد من المؤتمــرات، وكــان من حسن طالعي انني حضرت في كثير منها. وانا اعلم انها جميعا مثمرة ومجدية، ولكني، وانا في طريقي اليكم كنت أقول لنفسي اننا أحوج ما نكون الى مؤتمركم هذا. ذلــك ان هــذا الــبلد بحاجــة الــى التعمير والإنشاء، وانتم البناة المنشئون. نحن بحاجة الى الاقتصــاديين، والــى الادبــاء، والى المحامين، والى الأطباء، والى مؤتمراتهم لان المؤتمرات تعطــي فرصــة طيبة للالتقاء، وتبادل الرأي، ولكن حاجتنا اشد الى اولئك الذين يستطيعون ان يعمــروا هذه الأرض الطيبة، ويعيدوا اليها نظارتها وجدتها. ولا اريد ان أتحدث اليكم فيما انتم اعلــم بــه منــي ولكنها بعض العواطف أقولها للذكرى. لست ادري ما هو شعوركم يذهب الى البحر هدرا وعلى جنبات الرافدين أراضي بلقع تشكو الظمأ ؟!

أيــن هم المهندسون الذين يعمرون هذه الأراضي ويعيدون لتلك التربة العطشى نظارتها ؟!أين الذيــن يبــنون لنا السدود ويحفرون لنا القنوات ؟ ولقد اتيح لي ان ازور بعض المشاريع التي

اظــن انها مجدية، ولا شك انها بعض الشيء، وكم ساءني حينما رأيت التربة قد استحالت الى ارض سبخة تعلوها مادة بيضاء، لان الذين أنشأؤها نسوا ان يعملوا المجاري والمبازل لصرف الماء الكثير. فأين هم المنشئون الذين يفكرون بعمق وإخلاص حتى لا تضيع تلك الجهود سدى؟
ولســت ادري ماذا تقولون حينما تمرون - كما مررت قبل قليل - من شوارع بغداد ، وكنا قبل أيــام نشـكو الظمأ ، حتى اذا جادت السماء بمطرها الغزير امتلأت الشوارع بالمياه ، فأين هم المهندسون الذين يعملون لنا المجاري ولا يجعلون هذه الشوارع خربة ، حينما يبلطون الشارع ينســون ان يفكــروا فــي الماء الذي يجب ان يجري في مجاريه ؟ فكثيرون منكم رأوا المدن الكــبرى، ورأوا المطر الغزير فيها، ولكن بعد دقائق من انتهاء المطر تعود الشوارع وكأنها قد غسلت ونظفت دونما بركة من الماء، بله الأوحال والأوساخ ...
هذه نماذج مما يحس بها المواطن، وتحسون بها انتم. وأستطيع ان اذهب في هذا المضمار الى ابعــد مــن هــذا. كنــت قبل أيام في كركوك، وقبل أيام قليلة كنت في الزبير، وكنت أرى النار الملتهبة، ويحسبها الجاهل انها شيء عابث لا خير فيه، ولكني اعلم، كما تعلمون، انها طاقات مــبددة، انهــا قــوى تذهب هدرا منذ عشرات السنين، فأين هم المهندسون الكيمياويون الذين يحيلون لنا هذه الطاقة الى مادة منتجة في بلاد تحتاج الى كل فلس وتحتاج الى كل طاقة !
هــذه نماذج أيها الاخوة المنشؤون، واسمحوا لي ان أصفكم بالمنشئين، كما أسميت قبل شهور قليلة أعضاء المجمع اللغوي بالخالدين.
أيهــا الاخوة المنشؤون: هذه نماذج مما يجب ان تفكروا فيه، وانا سعيد اذ اخبرني الان رئيس نقابتكم بان عدد المهندسين في العراق قد اربى على ثلاثة الآلاف، ولكن يزيد ان يتضاعف هذا العدد، وان يتضاعف من جديد بالجهد المخلص، لأنك تستطيع ان تضاعف العمل مرارا وتكرارا لا بــالعدد فقــط، وانما بالطاقات المبذولة. فانتم في سبيل اعمار هذا الوطن - والوطن وطنكم والمســؤولية مســؤوليتكم وليســت هي مسؤولية شخص، أو وزارة، أو رئيس جمهورية أو جماعــة صــغيرة من الناس بل هي مسؤوليتنا جميعا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته - والــيكم أشكو خراب هذه البلاد، وبكم اهيب، لكي تشمروا عن سواعدكم، وتجدوا في بناء هذه الــبلاد واعمارها، وتعيدوا اليها نظارتها، ولتعود بغداد، كما كانت، كعبة القصاد. وأحس دائما حيــنما يأتيني أجنبي ويقول زرت بغداد اشعر بألم يحز في نفسي لأنني متأكد- ان القائل منهم يقــول انهــا قد عناها اللورد ماكولي حينما وصف بعض الأبنية القديمة في الهند بقوله " انها

كالخرائب الحديثة، ليس لها بريق الجدة، ولا عراقة القدم ". هذا شارع الرشيد، وهذه بغداد، فأين هي اليوم مما هي عليه في خيال الاوربيين الذين يتشوقون اليها ؟ أعيدوا اليها بعض ماضيها، واعملوا مخلصين جادين.

وليبارك الله جهودكم، ولينتفع الوطن منكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في الاحتفال بالذكرى السابعة لثورة الموصل المجاهدة[٢٢]

بسم الله وحده، صدق وعده، واعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، احمده على جزيل نعمه، اذ جعل العاقبة للمتقين، واشكره على ان أبقى لنا الموصل، كما أرادها ان تكون دائما وأبدا، حصنا للعروبة ومعقلا من معاقل الاسلام ...

وبعد، أيها الاخوة الأحرار أبناء هذه البلدة الخالدة، احييكم أطيب تحية، واشكر لكم هذا اللقاء الكريم، وهذا الترحاب الصادق، وانقل اليكم تحيات السيد رئيس الجمهورية الذي ان غاب بجسمه، فهو معنا بقلبه، وحواسه، ومشاعره، وأفكاره، وجميع ملكاته. هو معنا في هذا الحفل لأنه يعرف من انتم، ويعرف ما هي منزلة بلدتكم، وما هي تضحياتها. ويعلم – كما كنا نعلم جميعا – قيمة هذه الذكرى، وهو يقدر لذوي الفضل فضلهم، ولا يعرف الفضل لأهله الا ذووه. انقل اليكم تحياته وتمنياته. وكان من مدعاة سروري وغبطتي انني هنا بشخصي، ونيابة عن السيد الرئيس بالدرجة الاولى.

واسمحوا لي ان أقول كلمات عن مشاعري، وانا اصل الى بلدتكم هذه، التي كنت دائما وأبدا أتمنى ان أزورها، وخاصة بعد ان منيت بالنكبة، وبعد ان قامت في وجه الطغيان قبل سبع سنوات. واذكر انني يوم قامت في هذه البلدة العربية المجاهدة ثورتها الخالدة ضد الظلم والطغيان كنت من أول من اعتقل من فريق من اخواننا. وبقيت في المعتقل الاقي أفواجا من أبناء الموصل من شباب ضباطها الأشاوس، ومن رجالها المخلصين، وشبابها الناهض. وكنت أرى العذاب الذي ينصب عليهم وعلينا. رأيتهم في معتقل ابي غريب، ورأيتهم في معتقل الدبابات الرهيب، وعشت مع بعضهم مددا طويلة، وذكراهم العاطرة تملأ جوانحي في هذه الساعة وانا واقف أمامكم تشخص أمام عيني صورة السيد داود رفيقي في الغرفة، ونافع الذي

---

[٢٢] كان ذلك في ٩-٣-٦٦ في حفل مهيب ونقلت الحفلة بعد ذلك في الاذاعة العراقية.

كـــان بجواري، أنا معكم في هذه الساحة وأتصور اولئك الشهداء الذين ضحوا من اجل الوطن، أنا معكم في هذه الساحة وأتصور النفوس البريئة الطاهرة التي ذهبت الى ربها راضية مرضية فـــي ســـبيل عروبة هذا البلد وإسلامه، في سبيل عروبة هذا الشعب وإسلامه وفي سبيل هذه الامة وعروبتها ووحدتها.

ان تلـــك التضـــحيات التـــي قدمتها هذه المدينة الخالدة كانت الطعنة الاولى التي أجهزت على الشـــعوبية، وعلـــى الردة في هذا القطر. وان الدماء الكريمة التي سالت في هذه المدينة وفي سجونها، والدماء الكريمة التي سالت من بنيها، ومن بني العراق كافة في ذلك اليوم الأسود في ام الطـــبول، ســـتبقى عطرة، وان الذين جادوا بنفوسهم الزكية كأنهم هم الذين عناهم الشاعر حينما قال:

يجود بالنفس ان ظن الجواد بها　　　والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ان هذه الذكرى، مع ما تحمله من الآم ومع ما تثيره فينا من شجن، حرية ان توقضنا، وتذكرنا بعظم مسؤوليتنا. ان الماسي والآلام أعظم أثرا من غيرها في تذكير الامة برسالتها، وافعل في تحقيق وحدتها وأمانيها، كما يقول المفكر "ارنست رينان" . ذلك ان المآسي، على نقيض من الانتصـــارات والأفراح، هي التي توقظ ضمير الامة. فهي التي تذكرها بماضيها، وتحفزها الى العمل الدائب لتحقيق الرسالة التي تسعى جاهدة في سبيل انجازها ...

ومـــا جئت هذه الساعة من اجل ان اشيد بذكرى تضحيات الموصل، وهي جد جسيمة حسب، بل لأذكركم أيضا أيها الاخوة المواطنون من ان الدرب لم يزل طويلا، وان المتاعب التي تعـــترض سبيلنا الى ان نحقق وحدتنا الكبرى والى ان نقيم كياننا الواحد، والى ان نحرر جميع أجزاء وطننا، والى ان نقيم حياة فاضلة لجميع المواطنين، لم يزل طويلا وشاقا.

ونحـــن بحاجـــة، أيمـــا حاجـــة، الى ان تتظافر جهودنا. ونحن بحاجة، الى ان نتخذ من ذكرى شـــهدائنا الأبرار – تلك الذكرى العاطرة – مهمازا يدفعنا قدما الى الامام لان نسير على الدرب الذي اختطوه، وان نقتفي الطريق الذي سلكوه، وان نعمل من غير ما وجل ولا تردد ولا خور، لتحقيق الأهداف العليا التي من اجلها ضحوا، وضحى الكثيرون من قبلهم، وسيضحي الكثيرون من بعدهم ...

أيها الاخوة، أبناء الحدباء، اني اعلم يقينا إنكم قد قاسيتم كثيرا، وإنكم قد لقيتم من نكد الأيـــام الشيء الكثير، وان من حقكم على حكومتكم المدركة لمسؤوليتها ان تقوم بقسطها تجاه

تضحياتكم، ولا اريد ان اكيل لكم الوعود جزافا، ولكنني اؤكد لكم مخلصا انني وزملائي ندرك عن يقين حاجاتكم وندرك ان من حقكم علينا ان نعمل جاهدين لتحقيق تلك المتطلبات. ولكنكم تعلمون – كما اعلم – ان الأمر ليس هينا ولا ميسورا. ولكن العزيمة قائمة، والنية الصادقة موجودة، والتوفيق بعد ذلك بيد الله.

اننا نريد ان نحقق لهذه المدينة، – كما نريد ان نحقق لأبناء شعبنا كافة– الخير والرفاهية والطمأنينة. وأود بهذه المناسبة– وانتم على مقربة من بعض أجزاء هذا الوطن العزيز علينا جميعا، تلك الأجزاء التي لم تزل تقاسي من الفتنة – ان اذكركم بان الله تعالى قد حذرنا من الفتن، وقال في محكم كتابه (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة).

وانا اعلم عن يقين بان الكثير من اخواننا من أبناء الشمال قد قاسوا، ومن حقهم ان تعني الحكومة بهم، وان تستجيب لمطالبهم المشروعة. وهذا ما سيكون. ولكنني اطلب اليهم، كما اطلب اليكم جميعا، ان تتضافر الجهود لنعيد الأمن والسلام الى هذا الوطن في جميع أجزائه، ذلك لأننا مع وجود الاضطرابات في أجزاء من الوطن – وان كانت صغيرة – سنضطر رغما عن انوفنا ان نبذل الكثير من طاقاتنا وأموالنا وجهودنا في سبيل الحفاظ على الأمن، والحفاظ على وحدة هذا الوطن. وكنا نود ان تصرف تلك الطاقات، وتلك الأموال، في سبيل الاعمار والانشاء والتصنيع. وانتم، والقطر كله، بحاجة الى مثل هذا الجهد. ولكن ما دامت هناك فتنة، وما دام هناك اضطراب، لا بد لنا ان نعمل ما وسعنا الجهد للقضاء عليه بكل وسيلة ممكنة، وليس في ذلك دعوى الى الظلم أو التعسف فما نريد بأحد شرا. نحن نعلم ان الكثرة الكاثرة من اخواننا في الشمال ينقمون على المتمردين سلوكهم، وهم مطالبون قبل غيرهم ان يشدوا أزر حكومتهم الوطنية، وان يعملوا معها جاهدين حتى تعود السكينة الى ارض الوطن كله، وعندئذ سننصرف بكل طاقاتنا لا لاعمار الشمال، واعمار الموصل، واقامة السد في الموصل القديمة، أو كما تسمونها "اسكي موصل"، بل لاعمار العراق كله، وإعادته كما كان في عهوده الزاهرة جنة من جنان هذه الدنيا ... لقد حبانا الله بالخير الكثير، والماء الوافر، والأرض الخصبة، والزيت الكثير، والمعادن الثمينة، وابشركم بان الكبريت الموجود بالقرب من هذه المدينة يوشك ان ينتقل من النظريات المجردة الى الواقع العملي، وان شركات كبرى تتصل بنا اليوم للاتفاق معها للقيام بإنجاز هذه المهمة الكبيرة التي أرجو ان تدر على هذا الوطن المال الوفير الكفيل بتحقيق المشاريع الكبرى. واني اعد مشروع السد في هذه البقعة بمثابة السد العالي في ارض

الكنانة. انه المشروع الجبار الذي يجب ان نتعهده، لا لنحمي الأرض من الأخطار، ولكن لنشيع الخير في الأرض المعطاء ولنعيد النظارة الى الجزيرة الواسعة من ارضنا ومن قطرنا، ولنجعلها جنانا خضراء وارفة تدر الخير الوفير، وتستغل فيها الأيدي الكثيرة... هذا بعض ما نريد ان نعمله ، ولكن التوفيق بيد الله . ولا أرى من حقي ان اطيل عليكم وانا اعلم ان سلسلة من الخطباء بعدي سيتكلمون، ولكنني قبل ان اترك موقفي هذا أود ان نتذكر شهداءنا، وان نستدر الرحمة والرضوان عليهم أجمعين، وان نسال الله تعالى ان لا يخيب آمالهم فينا، وان يبقينا جميعا سالكين الدرب الذي سلكوه، وان يهبنا العزيمة الصادقة لان نسير على طريق الحق، غير هيابين ولا وجلين.

سدد الله خطاكم، وبارك فيكم، ونفع بكم أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

افتتاح المؤتمر العلمي العربي الخامس

" افتتح في الساعة السابعة من مساء ٢٧-٣-٦٦ في قاعة الشعب تحت رعاية السيد الرئيس عبد السلام محمد عارف المؤتمر العلمي العربي الخامس وقد أناب سيادته الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء لحضور حفلة افتتاح المؤتمر".

وألقى الكلمة الآتية:

بسم الله افتتح مؤتمركم الخاص هذا، ومنه استمد العون لي ولكم. وبعد، حضرات السادة والسيدات، احييكم أطيب تحية، واعتذر اليكم حين تجدوني مقصرا في إيفاء هذه المناسبة حقها. وكان باستطاعتي ان اعتذر اليكم، وانا اعلم إنكم كرام تقبلون العذر، فان ما بي من الآم مبرحة تعقل لساني(٢٣)، وتجعلني عاجزا عن ان أفي هذه المناسبة حقها. ولولا حرصي الشديد على الا تضيع فرصة كهذه للقاء بكم، ولولا ان السيد رئيس الجمهورية قد طلب الي ان أنوب عنه في هذه المناسبة، لكان من حقي ان أتغيب. ومهما يكن من أمر فلا أحسبكم بحاجة الى ترحاب وانتم تطأون أرض العراق سهلا، وتجدون في موطنكم هذا أهلا، فمرحبا بكم...

وارى لزاماً علي ان انقل لحضراتكم تحيات السيد رئيس الجمهورية الذي يعرف أقداركم، ويعرف الجهد الكريم الذي تبذلون، ويعلم، وكما اعلم، وكما تعلمون، قيمة المؤتمرات

---

(٢٣) القيت هذه الكلمة في ٢٨-٣-٦٦ ولما تمض الا بضعة أيام على فقدي وليدتي" عامرة " بعد مأساة مفجعة من مرض عضال أودى بحياتها بعد ان اقتطفت من قبل يد المنون أخا واختا لها وهم جميعا في عمر الزهور...

العلمـــية، والدور الكبير الذي يقوم به العلماء في انشاء الدول واقامة الحياة الفاضلة. وسأكون سعيدا لو اتاحت لي الظروف ان احضر بعض المؤتمرات، لأكون، في اقل تقدير، متعلما، ولئلا يصـــح فـــي القـــول المأثور كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالثة فتهلك. وفي الختام أرجو لكم التوفـــيق، وأرجو لكم النجاح التام في المهمة الكبيرة التي أخذتم أنفسكم بها، وأسال الله تعالى ان ينفع هذه الامة بجهودكم المباركة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكلمة التوجيهية التي القيت في مؤتمر البلديات[٢٤]

بسم الله الذي امرنا بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغـــي. ان احمـــده على جزيل نعمه، واصلي واسلم على سيدنا محمد القائل: (ان الله جميل يحـــب الجمـــال) والقائل: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها كلمة ان لا اله الا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق).

ولقد اخترت-أيها السادة- هذه الآية التي صورت مهام وزارة البلديات تصويرا موجزا بلـــيغا، وانا استمع الى السيد وزير البلديات يلقي كلمته، كما اخترت هذين الحديثين الشريفين لعمـــق دلالـــتهما فـــيما نحـــن مقبلون عليه، وانا افكر فيما عسى ان أقول على عجل في هذه المناســـبة التي كدت أنساها لولا ان ذكرني صباح اليوم مذكر، فجئتكم مسرعا، واضطررت الى ان الغي عددا من المواعيد لئلا تفوتني هذه الفرصة الثمينة.

وأود، فـــي البداية، ان اشكر لوزارة البلديات ولكم هذه الفرصة التي أتحتموها لي لان أتحـــدث الـــيكم – وعـــن طريقكم- عن شؤون البلديات. واوثر ان يكون حديثي اليكم بوصفي مواطنا بلديا- اذا صح هذا التعبير – وبعبارة اخرى مواطنا لأمانة العاصمة، كبرى بلدياتنا.

ان هـــذه الصـــفة أحب عندي، في هذا المقام، وانا أتحدث اليكم، من أية صفة اخرى. سأتحدث اليكم بالصراحة التي أشار اليها السيد وزير البلديات، وانني اتفق معه كل الاتفاق في اقتراحه بلزوم التكاشف بالحقائق، واني لأرجو ان تلتزموا بهذا المبدأ في كل جلساتكم. والوزير هـــو الذي سيحضر كل جلساتكم، واني لآسف لان أوقاتي لن تسمح لي بالحضور في غير هذه الجلسة، أو في الأدق، لن تسمح لي بالحضور الا وقتا قصيرا منها.

---

[٢٤] عقد المؤتمر برئاسة وزير البلديات بين ١٢-٤/١٥ سنة ١٩٦٦.

وبهذه المناسبة كنت، وانا استمع الى دعوة الوزير في لزوم المكاشفة، افكر في واقعة حـرية بان نتذكرها في جلستنا هذه. تذكرت (مدحت باشا) الوالي العظيم الذي انشأ البلديات في العراق، وأوجد مبدأ انتخاب رؤساء البلديات في العراق قبل أكثر من ثلاثة أرباع القرن. وحين درسـت حياته – من خلال دراستي لتاريخ العراق الحديث – تذكرت ما روى عنه من انه حين أصبح واليا على العراق دعا وجهاء بغداد وأراد ان يمتحنهم أيما امتحان. جمع الوجهاء وقال لهـم – فيما قال– هذه بغداد ترونها خربة، وبحاجة الى الاعمار، ولا بد من المال للانفاق، ولا بـد مـن وضـع الضـرائب حـتى نستطيع ان نقوم بكذا وكذا من وجود العمران والاصلاح.. وتسـاءل: الا تـرون ان المصـلحة ان نفـرض بعـض الضـرائب حتى نستطيع ان ننهض بالمسـؤوليات الجسـيمة ؟ فأجاب الوجهاء جميعا الرأي رأيك، ونعم ما قلت وصنعت. وكتبوا محضـرا بذلك يقترحون على الباب العالي " السلطان " ان يفرض الضرائب حتى تستطيع ولاية بغـداد ان تقوم بواجباتها.. وفي اليوم التالي استدعى الوجهاء أنفسهم وقال لهم – فيما قال – أيهـا السـادة فكرت مليا في الأمر فوجدت ان معظم أهالي بغداد فقراء، وان الحالة الاقتصادية سـيئة، وان اضافة أية كلفة من الضرائب عليهم ستسيء اليهم، وترهقهم. فماذا ترون لو اننا كتبـنا الـى الـباب العالي ليلغي بعض الضرائب أو يخففها ؟ فأجابوا نعم، ذلك عين الصواب. وكتبوا محضرا ووقعوا عليه. وبعد ان فعلوا ذلك قال لهم مستغربا: بالأمس وافقتم على فرض ضـرائب جديـدة، والـيوم وافقـتم على الغاء بعض الضرائب. وهذا محضركم بالأمس، وهذا محضـركم اليوم، فما الصواب !؟ ثم أضاف قائلا: انني لم أستدعكم حتى تؤيدوا كل رأي أقول بـه، وانـني أرسـل المحضر الأول الى الاستانة وانما أبقيه حتى اريكم انني حينما ادعوكم للاستشارة أرجو ان تبدوا لي آرائكم الخاصة لا ان توافقوا على كل رأي أقوله...

هـذه القصـة في حياة ذلك الوالي العظيم – وقد أيدها بعض من ترجموا لـه –، حرية بـان نكتبها في جميع مجالسنا ومؤسساتنا، حتى نقول كلمة الحق غير هيابين ولا وجلين. وانا اؤكد لكم اننا لو استطعنا، في مجالسنا البلدية، ان نسير على هذه الروح بابداء الرأي المخلص، لا مجـرد الـنقد الهـدام، الرأي الناضج الموجه، لصلحت أحوالنا. وصلاح البلديات مظهر من صـلاح المجـتمع لانهـا الخلية العامة الاولى التي يتكون منها مجتمعنا. فاذا استطعنا ان نقيم أنظمة وأجهزة بلدية بروح الآية الكريمة التي استهللت بها كلمتي من تحرى العدل والإحسان، لأقمنا وجودا سليما. والعدل هنا ينظر اليه على انه – بالدرجة الاولى – العدل الاجتماعي ...

ان الـــبلديات مسؤولة عن العدل الاجتماعي لانها تحقق التضامن بين الأفراد بان تدفع مـــن مال الغني لسد نفقات العاجز، وتقيم الملاجئ، وتسعى جاهدة لمساعدة المحتاجين، وايتاء ذي القـــربى واليـــتامى. ومعنى هذا ان من واجب البلديات، بوصفها خليات متضامنة، ان تعني بـــالمجموع. ثـــم انها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وكل ما يسئ الى المجتمع، وكل ما يشـــوه وجود المجتمع، وكل ما يجعل الحياة الاجتماعية مضطربة غير آمنة، وهو، بمعنى من المعانـــي، مـــن الفحشاء والمنكر- بالمعنى الأعم -. ولذلك يحسن ان تكون هذه الآية الكريمة شعارا للبلديات جميعا لانها في محتواها الكلي تجمل المعاني أو المتطلبات اللازمة من أية بلدية حديثة.

وفضلاً عن المعاني السامية التي احتوتها الآية الكريمة، فقد أيد الحديث الشريف الذي جعـــل إماطـــة الأذى عـــن الطريق شعبة من شعب الإيمان، هذا المعنى وأكد عظم مسؤوليات المواطنيـــن كافـــة فـــي هذا الصدد. ولست بحاجة الى ان اؤكد لكم أهمية هذا المعنى في مهام الـــبلديات. ان ابقـــاء المدينة جميلة، ورفع الأوساخ عنها، وازالة الأحجار من طرقاتها، وجعل الشوارع سالكة، هو اعطاء الطريق حقه، كما ورد في بعض الأحاديث. ان هذا كله من واجبات البلديات. ولكن المؤسف اننا نجهل هذه المعاني...

ولقد تشكى الوزير من أمانة العاصمة. وانا الآخر أتشكى من فقدان الذوق الاجتماعي لـــدى الكثير من مواطني العاصمة. ان روح المواطنة الصادقة لم تنم بيننا، ولم تشع معانيها، ويالالاسف حتى بين المثقفين منا، أو في الأصح ظاهريا. وان روح الاسلام لم تنشر بها أرواحنا بعـــد. ان معانـــي الاسلام الجميلة – ومنها ان يجعل الرسول العظيم إماطة الأذى عن الطريق شـــعبة من شعب الإيمان، مع الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله – انه شيء يستحق التفكير العمـــيق. ان رفع الأذى عن الطريق شعبة من الإيمان، ولكن أين هم المؤمنون الذين يرفعون الأذى عـــن الطـــريق؟! بل أين الذين يرعون حقوق البلديات فلا يتجاوزون على الطرقات بأي معنى من معاني التجاوز؟! .

وأود ان اؤكـــد لكـــم اننا بوصفنا مسؤولين معنيون بشؤون البلديات وان أية اقتراحات إنشائية يقـــرها مؤتمركم هذا سنأخذ بها دونما تردد، ولكن ذلك لا يتم الا اذا تضافرت الجهود، والا اذا بدأتـــم انتم-وانا هنا اخاطب رؤساء البلديات، وكان بودي ان يكون بيننا أيضا أعضاء مجالس

الـبلديات-الا اذا اتخذتم الخطوة الاولى، وجئتم بالمقترحات العملية. أما ان تتركوا الأمر في كل شيء الى الحكومة، والى وزارة البلديات، فذلك ما أرجو ان تتجنبوه.

ان مشـاكل الدولـة المركـزية في بغداد كثيرة، والافكار اللامعة، والافكار المجدية، والافكار الصالحة للتطبيق، هي تلك التي تنبع - في الغالب الأعم - من الهيئات الخاصة ذاتها. فعليكم ان تشمروا عن سواعد الجد، وان تتقدموا بكل ما ينهض بمؤسساتكم، ويرفع من شأنها، حتى تزهو البلديات، وتزدهر الاقضية والقصبات والمدن، ويزول هذا البؤس المخيم هنا وهناك، وهـذه الكآبة التي نراها في كل ناحية من نواحي حياتنا ... وهناك أشياء كثيرة في النفس كان بـودي ان أتحدث عنها. ولي أحاديث طويلة مع أمين العاصمة بالنيابة. ولقد تحدثت معه مرارا عـن العاصـمة لاني أعيش فيها، ولاني مواطن من مواطني هذه البلدة. وان كان، - بصفتي الاخـرى - يعنيني العراق كله بطبيعة الحال. ولكن في بغداد يرى المرء الاضطراب، ومظاهر مـزعجة كثـيرة. هناك تركة مثقلة، من ذلك المجاري مثلا، فاذا وقعت قطرات المطر - ونحن ندعـو الله صـباح مسـاء ان يسـقينا الغيـث - أقول اذا وقعت قطر المطر انقطعت الطرق، واضـطرب السير. هذه مشكلة حرية بالمعالجة الجدية. هناك نقطة اخرى - مادمنا نتحدث عن العاصـمة - هـي شـيوع الكلمات الأجنبية فمثلا على مقربة من اجتماعنا هذا مقهى عنوانها (كازابلانكـا) فكـان لفـظ (الـدار البيضاء)، اقل جمالا من الكلمة الاسبانية التي معناها (الدار البيضـاء) واسـم المدينة بعد استقلال المغرب، كما تعلمون، هو الدار البيضاء. فلماذا يسمى المطعم أو المقهى اذن بكازابلانكا[٢٥]. وكلمة (كروبي) مظهر من مظاهر السيطرة الأجنبية على مصر، انه اسم لتاجر يوناني فتح مقاهي ومطاعم ومحلات لبيع المرطبات والمعجنات وما يزال الاسم نفسه الى اليوم في القاهرة، ولكن لماذا نسميه هكذا في بغداد أيضا؟ هناك مئات الأشياء المتصـلة بـالذوق والتـي تدل على تأخر فكري، ومنها سيطرت اللغات الأجنبية على مخازننا الكـبرى وشركاتنا، وكان الفرد حين يمر ببغداد كأنه يمر ببومباي أو كلكتا في أثناء الاستعمار البريطانـي فـي الهند ... والخلاصة لا بد لنا من يقظة وادراك لمسؤولياتنا حتى تصبح مدننا

---

[٢٥] الحق ان صاحب هذا المطعم قد استجاب تلقائيا اثر سماعه هذه الملاحظة فاستبدل الاسم الأعجمي وأصبح الاسم الحالـي " الدار البيضاء " ولكن كم هي أسماء المطاعم والمقاهي والمخازن والمتاجر والملاهي التي هي بحاجة الى تغيير !

جمـيلة بذوقها، وشوارعها، بلافتاتها، بحياتها العامة، متذكرين دائما قول الرسول الكريم (ان الله جميل يحب الجمال).

أيهـا الاخوة احييكم ثانية، واشكر لكم مسعاكم، وأرجو الله مخلصا ان يوفقكم في اداء الرسـالة فـي خدمة مدنكم وقصباتكم. كما آمل ان نوفق في انجاز ما أشار اليه الزميل وزير البلديات مـن تشـريع قانون للبلديات، لنخطو خطوة الى الامام، ونمهد للحياة النيابية، لأنني اعـتقد (ويعـتقد بهـذا زملائي) بأننا ما دمنا ندعو الى حياة نيابية فلا بد ان نبدأ من الحلقات الادنـى ونتدرج فيها. ان إعطاء حق انتخاب المجالس البلدية، وخاصة انتخاب رؤساء البلديات للمواطنيـن، فكـرة جمـيلة طبقت في العراق كما قلت قبل أكثر من ثلاثة أرباع القرن. ان من العبـث ان نبقى على الطريقة الحالية في التعيين، وان كان لها بعض محاسنها أيضا وبخاصة فـي المـدن التي فيها خصومات عائلية وفيها نظام قبلي أو عائلي قد يؤدي الانتخاب فيها الى مشـاجرات. ولكن يجمل بنا، في اقل تقدير، ان نطبق هذه الطريقة في المناطق التي يمكن فيها تفادي هذا المحذور.

ختاما آمل لكم، والذين جاؤوا من خارج بغداد خاصة، حسن الإقامة، وأتمنى لمؤتمركم السداد والتوفيق والسلام عليكم.

الجامعة العربية

* فـي هـذه الحلقة من برنامج " معرض الرأي " موضوع مهم نريد ان نناقشه، والموضوع (الجامعة العربية)، ويناقش هذا الموضوع الاستاذ عبد الرحمن البزّاز سفير الجمهورية العراقية في لندن، والاستاذ ناصر الدين النشاشيبي الممثل المتجول لجامعة الدول العربية[٢٦].

* يا استاذ بزّاز هل لي ان أسالك كيف ظهرت الجامعة العربية الى الوجود، ولماذا؟ .

-كلنا يعلم، من الناحية الزمنية، بدأت فكرة الجامعة العربية بالظهور قبيل نهاية الحرب العالمية الثانـية. وبدأت سلسلة من المفاوضات في الاسكندرية في عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ انتهت فيما صـار يسمى "بروتوكول الاسكندرية". وأما اذا ما أردنا ان نذهب الى الواقع التاريخي فان فكرة

---

[٢٦] اشـتركت فـي هـذه الـندوة حيـنما كنت سفيرا في لندن في حوالي ١-٦-١٩٦٥. واذيع من محطة الاذاعة البريطانـية(القسـم العربي). ينظر تفصيلات حول نشوء فكرة الجامعة وما سبقها في كتاب ميثاق الجامعة العربية والوحدة العربية، تأليف الاستاذ سامي حكيم، القاهرة ١٩٦٦.

التكتل، أو التجمع العربي على أي شكل من الأشكال، عريقة، بدأت قبل ذلك بمدة طويلة، وعلى وجه التأكيد في أثناء الحكم العثماني. ذلك ان العرب أدركوا انهم غير الأتراك، وان من حقهم، بوصفهم امة، ان يوجدوا لهم كيانا مستقلا كبقية الامم الاخرى. هذا هو الأساس فيما أظن لقيام الجامعة العربية.

*يـا استاذ بزّاز، الجامعة العربية لها نواحي اخرى من الأعمال ، ما هي هذه النواحي الاخرى من انشطة الجامعة؟

- لا شـك ان للجامعة العربية نشاطات شتى في النواحي الاقتصادية ، وفي النواحي الثقافية ، وفي نواحي كثيرة، في التشريع مثلا. وبوصفي احد رجال التعليم السابقين ، اعتقد ان إنجازات الجامعة العربية في النواحي الثقافية من اجل الانجازات، وقد عملت كثيرا على تنسيق المناهج وترتيبها أحيانا ، وانشات - وهذه حقيقة يجب ان تذكر - معهدا للدراسات العربية العالية، كان ولم يزل يؤدي قسطه في الثقافة القومية، والوعي القومي، والفكر القومي. ذلك ان هذا المعهد يدعـو أساتذة من مختلف الأقطار العربية، ويضم طلابا من مختلف الأقطار العربية أيضا. وله مكتـبة فـي القاهـرة لعلهـا من انسق المكتبات العربية التي لا تتعلق بقطر عربي واحد، بل بمخـتلف الأقطار العربية. وانا اعتقد ان فريقا من الكتاب حينما ينقمون على الجامعة، ينقمون بانفعال بسبب اليأس الذي حدث عن فشلها أحيانا في الشؤون السياسية، وينسون هذه النواحي المهمة في الثقافة، والتعليم، والاقتصاد، وفي النواحي المختلفة الاخرى.

*بالطـبع مـن الناحـية الثقافية أيضا هناك مسالة مهمة جدا، وهي مسالة التوحيد في اللغة، توحيد المناهج والمصطلحات العلمية.

-هـناك في الواقع للجامعة ما يسمى الان بالمجلس الثقافي أو اللجنة الثقافية. ان مجمع اللغة العربـية في القاهرة بالتعاون مع الجامعة العربية خدم اللغة العربية خدمة جلى. وبطبيعة الحال ان أية امة، واية قومية، لا يمكنها ان تنهض الا اذا قامت على لغة قومية حية. واللغة القومية الحية يجب ان تنمو وتنمى. فالجامعة العربية، وكذلك المؤسسات الاخرى، عملت كثيرا في هذه الناحـية، وخدمت الفكر العربي في توحيد المصطلحات. وبالطبع ما يزال المجال واسعا، وهناك مجـالات كثـيرة يجـب ان تزيد الجامعة نشاطها فيها، ولكن اذا نظرنا الى ما أنجزت يجب ان نعترف انها أنجزت قسطا لا يستهان به.

*ولو سمحت لي يا استاذ البزّاز، في الميدان الدولي أيضا استطاعت الجامعة ان تثبت وجودها.
منذ عام ١٩٥٠ دعا الأمين للجامعة العربية لكي يحضر اجتماعات الامم المتحدة بوصفه مراقباً، وفي حزيران، يونيو ١٩٥٧ على ما اذكر عقدت اتفاقية بين الجامعة العربية من جهة ومنظمة اليونسكو من جهة اخرى، وفي سنة ١٩٥٨ أيضا عقدت اتفاقية بين الجامعة ومؤسسة العمل الدولي مثلت بموجبها الجامعة في اجتماعات المؤسسة، وأيضا عقدت اتفاقية بين الجامعة ومؤسسة التغذية الدولية وكذلك منظمة الصحة العالمية، وكان هناك تنسيق للعمل، واستفادت المنظمة والجامعة من مثل هذا التعاون بين الجامعة والجهات الاخرى.
هذه الحقيقة. وربما تذكرون أخيرا ان الهند اعترفت بالجامعة كمنظمة دولية، وعقدت اتفاقية بين الجامعة والهند، وهناك دول اخرى تقبل ممثل الجامعة لكونها من قبيل المنظمات الدولية، وتمنحهم الحصانة الدبلوماسية. ومن هذه الناحية أيضا يستطيع الانسان ان يعد ان الجامعة ناجحة.

* المظهر الأخير مثلا، يمكن ان تتذكر في هذه المناسبة مثلا اجتماع الأقطاب العرب، بالطبع تعتقدون ان هذا من جملة الأسباب التي تجمع وتوثق الصلات بين الدول العربية والأقطاب.
لا شك ان مؤتمر الأقطاب، أو مؤتمر القمة العربي الأول، رفع الجامعة من مجرد منظمة إقليمية الى ما يصح تسميته اتفاق دولي، أو الى شبه كونفدراسيون، ولا أقول اتحاد دولي، أو كونفدراسيون، كما يقال باللغة الأجنبية، ذلك ان اجتماع رؤساء الدول وتخطيطهم للسياسة، واستمساكهم بتلك السياسة، رفع من قيمة الجامعة العربية. ونظر العالم وقتئذ الى الدول العربية، ونظر كثير من المخلصين للامة العربية، ومن أصدقائها، نظرة تقدير واعجاب، واتخذت قرارات مهمة. واسمح لي ان اضيف شيئا آخر لكوني احد الذين حضروا مؤتمر القمة الأول مع الوفد العراقي، وسئلت عن رأيي في هذا المؤتمر. في واقع الحال كنت اعتقد ان من أهم ما جرى هناك هو التجاوب الكامل بين مشارقة العرب ومغاربتهم. تحدث أكثر من رئيس دولة عربية بلغة واضحة كاملة، وما زلت اذكر قول احدهم انه يعد بلاده قد استقلت بعد ان جلا آخر جندي أجنبي، وبعد ان تحقق ان هذا الاستقلال سيسير في الصف العربي هو وشعبه الى أقصى ما تقرر الدول العربية. ولا يعني ما حدث بعد ذلك من بعض خلافات، ولكني مؤمن بان الشعوب العربية – في مشرقها ومغربها – امة عربية واحدة، وان التجاوب الكامل، وان ما

حدث بعد مؤتمر القمة الثاني من خلافات أرجو ان تكون عارضة، ولا يمكن ان تنسب الى الامة العربية بل الى بعض زعمائها.

* في قضية اخرى تعرضت لها الجامعة العربية، ربما تريدون ان تقولوا كلمة، وهي مسالة المانيا الغربية حيث وقع كثير من الجدل حولها، وبعض الخلافات بالطبع بين الدول العربية الأعضاء في الجامعة العربية ...

حسبما اذكر ان ممثلي الملوك والرؤساء كانوا قد اجمعوا من قبل على انهم سيقاطعون أية دولة تعترف باسرائيل. طبعا من المؤسف والمؤلم للعرب ان تجد بعض الدول العربية، لظروف خاصة، انها غير قادرة على تنفيذ هذا القرار. ولكن حتى تلك الدول التي لم تستطع ان تنفذ هذا القرار، يجب ان تتذكر انها احتجت على المانيا، حينما قبلت التمثيل السياسي مع إسرائيل، ولا شك ان شعوبها تشعر، كما يشعر بقية العرب، بمرارة وألم ...

لقد سبق لي ان زرت بعض أقطار المغرب العربي، وأستطيع ان اضيف هنا انني سررت بزيارة تلك الأقطار، وتعرفي الى مختلف الفئات (بقدر ما يستطيع ان يتعرف الانسان في مدة قصيرة). وأؤكد ان الشعور هو هو . فالعربي في ليبيا كالعربي في مصر وكالعربي في تونس، وكالعربي في المغرب. تحدثت الى فريق من الشباب قبل أسابيع قليلة وانا في المغرب، فوجدت شعورهم طافحا، والتجاوب بينهم وبين اخوانهم في المشرق تجاوب كامل، وتذكرت قول شوقي:

فنحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والآلام اخوان

* فيما يتعلق الامر ببعض الخلافات، عندما يثير بعضهم نقطة – ربما لا يكون لها نصيب كبير من الصحة – ولكن يعتقدون ان بعض الدول العربية لها نصيب أكثر من بعض الدول العربية الاخرى، وربما توجهون الى هذا الشيء من الانتقاد ؟

في واقع الحال هذه نعمة نسمعها من كثير من المرجفين، وهم يحاولون ان يثيروا الحساسية بين الحاكمين، ولا نقول بين الشعوب، لان الشعوب العربية هي امة واحدة، ولذلك لا يضيرهم ان يكون لقطر من الأقطار مكانة خاصة. وانما كما قلت منذ البداية، ان الدولة من ثلاثين مليون نسمة يجب ان يكون لها وضع يختلف عن دولة من ١٥٠ ألف شخص، والدولة التي لها جيش جبار، ولها مسؤوليات عظيمة، يجب ان يحسب لها حساب في أية منظمة دولية، كأن تجتمع الولايات المتحدة الأمريكية وترينيداد أو دولة من هذا القبيل. والنسبة بين الولايات

المتحدة ودولة اخرى كالترينيداد هي كالنسبة بين الجمهورية العربية المتحدة و (دويلة) أو دولة عربية اخرى. والجمهورية العربية لم تحاول ان تفرض رأيها قسرا، ولكن بطبيعة الحال ممثلو الدول العربية يدركون سياستها، ويدركون العبء والمسؤولية الثقيلة التي تتحملها الجمهورية العربية المتحدة في مختلف الأدوار، سواء أكان في وضعها الراهن بعد ثورة ١٩٥٢ ام قبل ذلك، فمن حق كل دولة في مثل هذا المقام ان يكون لها مقامها المرموق في المنظمة، وهذا ليس بدعا، بل هو من طبيعة الأشياء. ولكن لا يعني هذا ان مصر يجب ان تفرض وجودها فرضا، وانما الطبيعة، طبيعة الأشياء، هي التي تجعل من الجمهورية العربية المتحدة مركز الثقل. مصر هي قلب الامة العربية، بمعناها الجغرافي، وبمعناها الاجتماعي. هي اكبر كتلة، ولها اكبر جيش وأعظم ميزانية، وهي أكثر تحملا للتعبئة. فمع هذه الأوصاف من الطبيعي ان يكون لها وضع خاص، وهذا لا يعني التعالي، ولا احتقار الباقين، مثلهم مثل الاخوة، أخ كبير ونشيط، وأخ آخر اصغر يعطف الكبير عليه ويرعاه، ولكن يجب ان ينظر للأخ الكبير والأقوى والأصح بوضع يتناسب مع مكانته...

*هنا سؤال بسيط في نهاية المناقشة ما دام هذه هي الاخوة القائمة بين الدول العربية، بالطبع انتم توافقون انه لا يجوز لدولة عربية ان تتدخل بشؤون دولة عربية اخرى؟!

هذه النقطة تحتاج الى بحث تفصيلي. التدخل شيء و تحمل التبعة من اجل مصلحة الامة العربية العليا شيء آخر. وانا لم أر ان مصر مثلا تتدخل في الشؤون الداخلية، ولكنها تعمل من اجل المصلحة العربية كمجموعة كاملة، وهذا لا يعد تدخلا بالمعنى المعروف بالقانون الدولي، ولذلك فلست اعد هذا تدخلا، وانما اعد ذلك استجابة لنداء الواجب القومي ...

صَــوتُ الأثيــر

ندوات اذاعية

شؤون الساعة[٢٧]

أوفد القسم العربي في الاذاعة البريطانية السيد فؤاد جماعي، في رحلة اذاعية الى العراق على مدى اسبوعين، وستتمكنون من الاستماع الى الكثير من التسجيلات التي أجراها هناك مع كبار المسؤولين في برامجنا المختلفة خلال الأسابيع القلائل القادمة.

أمـــا هذا المساء في حديث (شؤون الساعة) فنقدم لكم أهم مقابلة سجلها في بغداد وهي مقابلة مع سيادة الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس وزراء العراق، تحدث خلالها – بصراحته المعهودة – عن المشكلات السياسية التي تهم العالم العربي في الآونة الحاضرة. وكان أول سؤال وجهه فؤاد جماعي الى الاستاذ عبد الرحمن البزّاز هو:

* أشرتم سيادتكم في عدة تصريحات الى " الاشتراكية الرشيدة "، فهل تتفضلون بتوضيح معنى هذا الوصف للاشتراكية ؟

فـــي الحقيقة سبق لي ان استعملت هذا المصطلح قبل عدة سنوات في أكثر من كتاب واحد من كتبـــي، والذي اريده هو الاشتراكية المشتقة من طبيعة حاجتنا، وطبيعة مجتمعنا وامتنا، والتي تهـــدف الـــى تحقيق العدالة الاجتماعية، دونما تقيد بمذهب اشتراكي على وجه التخصيص. أو بعـــبارة اخـــرى اننـــي ينظر الى الاشتراكية بوصفها الوجه الاجتماعي للقومية العربية، وهذه الاشـــتراكية يجـــب ان تكون هادفة، وان تكون مدركة لطبيعة البيئة التي نعيش فيها، وطبيعة امتنا، وطبيعة حاجاتها، دون ان تجمد جمودا ضيقا على شعارات ومبادئ مستوردة.

لا ادري اذا كان في هذا كفاية، أم أنت بحاجة الى مزيد من التوضيح ؟

أظن في هذا الكفاية، وواضح ...

* ســـيدي، الان، بوصـــفكم ســـفيرا ســـابقا للجمهورية العراقية في بريطانية. فهل لديكم أية اقتراحات معينة لتحسين العلاقات وتطويرها بين العرب وبريطانية ؟

-لاشك ان كل عربي مخلص لبلاده يود ان تكون للبلاد العربية علاقات طيبة مع الدول جميعا. ونحـــن بوصفنا دولة تؤمن بالحياد الايجابي، نود مخلصين ان تكون لنا علاقات طيبة مع الدول كافـــة. وعملت من دون شك، ما وسعني الجهد، في اقامة علاقات طيبة بين العراق وبريطانية، وبين البلاد العربية عامة وبريطانية. ولكن في الحقيقة هذا الأمر يتطلب تغييرا جذريا – واسمح

---

[٢٧] اذيع هذا الحديث مرتين من القسم العربي في الاذاعة البريطانية وهذا نصه الحرفي كما نقل عن شريط مسجل.

لـــي ان أكـــون صـــريحا - فـــي العقلية البريطانية في نظرتها الى المشاكل في البلاد العربية. ويؤســـفني ان أقـــول ان الرأي المتحرر الموجود الى حد ما، في المجتمع البريطاني، لم يثبت وجوده فعليا في السياسة العملية، ولم تزل ترسبات الماضي باقية بطريقة أو باخرى، ولم تزل النظرة الضيقة الى مشكلات العالم العربي كما هي. فالتحسن يتأتى، أولا وقبل كل شيء، في ان يغير البريطانيون - واريد بذلك ساستهم وقادتهم الحاكمون، من أي حزب كان، - نظرتـهم الى العـــالم العربـــي بان تكون نظرة واقعية عملية مدركة لروح القومية العربية المتجددة، القائمة على فكرة العدل الاجتماعي، والتعايش السلمي.

* لقد لمست أثناء زيارتي للجمهورية العراقية، مظاهر عديدة للديمقراطية، وللحياة الانتخابية، فقـــد حضـــرت في اسبوع واحد انتخابات نقابة المعلمين ونقابة المحامين، فمتى ستعود الحياة النيابية البرلمانية بصورتها الشاملة الى العراق؟

- لعلـــك تذكـــر، اننا - أنا وزملائي - حينما قبلنا المسؤولية كان من شروطنا ان نقيم، أو ان نسعى لاقامة الحياة النيابية في العراق، وكم لاحظت أنت بنفسك، اننا مهدنا لذلك في الانتخابات التـــي جرت، والتي اعترف الخصوم قبل الأصدقاء، بأنها موضوعية وحيادية، في النقابات كما أشـــرت، وفـــيما ســـيجرى من انتخابات اخرى. أما الموعد المحدد للحياة النيابية فقد ذكر في المـــنهاج الـــوزاري، وهو لن يعدو هذا العام بحال من الأحوال. والمرجو ان يتم تشريع قانون الانـــتخابات خلال الشهور القليلة القادمة، وبعد ذلك تجرى الانتخابات حسب القانون الذي سيتم تشريعه.

* هل أدخلتم أية تعديلات جوهرية على سياستكم، أو ما كنتم تنوون تنفيذه، منذ توليكم رئاسة الوزارة، منذ نحو ستة اشهر؟

بدقـــة مـــنذ اقل من خمسة شهور. ومهما يكن من أمر فأود ان اؤكد لك ان سياستنا هي، هي، لأنـــنا لا نؤمـــن بالتغيـــير، ولكننا حين وضعنا المنهاج لم نرتجله ارتجالا. كنا ندرك طبيعة هذا المجـــتمع، ونـــدرك حاجاته الحقيقية، وندرك طاقاتنا، فلم نغال بالوعود، ولم نضع في المنهاج أشياء خيالية. ولذلك يسعدني ان أقول بأننا لم نغير شيئا أساسيا فيما أعلناه، وليس في نيتنا ان نغير. أعلنا الاشتراكية الرشيدة، ونحن ملتزمون بها. أعلنا سيادة القانون، ونحن جادون للعمل بـــه. أعلـــنا اعطاء الفرص للمواطنين كافة، أعلنا كل النقاط التي أعلناها، ونفذنا بعضاً منها، وقلـــنا للمواطنيـــن جميعا اننا لن نأتي بالمعجزات، وانـنا سنقوم بقسطنا، وان الاصلاح يتطلب

الوقت الطويل. ولكن الذي وعدنا به، نرجو مخلصين ان ننفذه دونما تحوير أو تغيير أو تراجع...

* الان، وقد اسست القيادة السياسية المشتركة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، فما هي الخطوة التالية لتحقيق الوحدة الشاملة بين البلدين ؟

-هذا الموضوع حيوي. لاشك ان العرب جميعا في العراق وفي غير العراق، يطمحون لإقامة " كيانهم العربي الواحد ".

واسمح لي ان أكون دقيقا في هذا التعبير، وانا اؤثر لفظ "الكيان العربي الواحد" لئلا يلتبس الأمر بين " الدول البسيطة"، "والدول المركبة"، لان الأشكال الدستورية قد تختلف، وتتنوع، وتتباين، كما جاء في الميثاق الذي نشرته الجمهورية العربية المتحدة[28]، وكما سبق لي ان أعلنته في بعض مؤلفاتي وكتبي[29]، فانا اؤمن بالوحدة العربية، والامة العربية الواحدة، ولزوم اقامة كياننا العربي الواحد. أما فيما يتعلق بالوقت الذي يقوم فيه ذلك فأمر متروك الى المستقبل؟. المهم في تقديري هو ان نؤمن بالفكرة، وان نعمل جاهدين لها، وان ننتهز الفرص، وان نسعى الى ان نحقق ما نستطيع تحقيقه، كما قلت من قبل، من دون مغالاة، ومن دون افراط في اعطاء المواعيد التي قد لا نستطيع تحقيقها. وعلى هذا ليس في مقدوري، ولا احسب انه في مقدور أي انسان آخر غيري، ان يحدد زمنا ضيقا. ولعلك سمعت تصاريح الساسة، وعلى رأسهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر، وكيف انه يرى ان المدة قد تطول بعض الشيء – وهي طويلة بالنسبة لحياة الأفراد، ولكنها ليست طويلة جدا في حياة الامم – المهم، مرة

---

[28] جاء في الباب التاسع من الميثاق وهو المعنون " الوحدة العربية " ما يأتي: " وليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها، لكن الوحدة العربية طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولا الى الهدف الأخير.

ان أية حكومة وطنية في العالم العربي – تمثل ارادة شعبها ونضاله في اطار من الاستقلال الوطني – هي خطوة نحو الوحدة من حيث انها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الامال النهائية في الوحدة. ان أية وحدة جزئية في العالم العربي تمثل ارادة شعبين – أو أكثر من شعوب الامة العربية – هي خطوة وحدوية متقدمة، تقرب يوم الوحدة الشاملة، وتمهد لها، وتمد جذورها في أعماق الأرض العربية ".

وكم يحسن ببعض دعاة الوحدة البسيطة الفورية ، ودعاة الوحدة القسرية ان يقرأوا هذا الباب كله ويتدبروا معانيه!!

[29] وبصورة خاصة كتاب " الدولة الموحدة والدولة الاتحادية "، ط٣، القاهرة ١٩٦٦.

اخــرى، هو اننا نؤمن بالوحدة بهذا المعنى، ونعمل من اجلها، ونرجو الله مخلصين ان تتحقق بأسرع وقت مستطاع ...

* ســؤال أخــير، وأرجو ان تسمح لي به، وهو سؤال شخصي، فقد تدرجتم في عدة مناصب جامعية، فهل يا ترى، تتوق للعودة الى الحياة الجامعية ؟ ...

-بالتأكيد نعم. وأستطيع ان اضيف الى هذا، انني امارس التعليم، على شكل من الإشكال، حتى يوم الناس هذا. فأول أمس القيت محاضرة في كلية الآداب، وبعد أيام قلائل سألقي محاضرة في كلــية العلــوم السياسية. وانا ملتزم بوعد إلقاء عدد من المحاضرات في كلية الأركان[٣٠]. ولا اريــد، ان اكشف سرا، ولكن هذه الحقيقة أعلنتها من قبل، انني انتظر اليوم السعيد الذي تكون مهمتــي الأساسية الانصراف التام للتعليم. فأنا سياسي رغم انفي، ان جاز لي هذا التعبير. أنا اؤثــر التعلــيم وافضله، واعده اجل مهنة. على انني أيضا شاعر بأنني قائم بقسطي من عملي الحالي، وأرجو ان أكون قد وفقت فيه أيضا.

* أشكركم جزيل الشكر...

في طريق الثورة

ذكريات عن الرئيس الراحل – ومستقبل العراق[٣١]

• سيادة الرئيس أهلا وسهلا ومرحبا بكم ، يسر برنامجنا في "طريق الثورة " ان يلتقي بأحد رجــالات الدولــة ، بالسيد رئيس الوزراء الاستاذ عبد الرحمن البزّاز . ولدينا يا سيدي بعض الأسئلة نريد ان نطرحها على سيادتكم.

• نــرجو مــن سيادتكم ان تحدثونا عن أول معرفتكم بالسيد الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف؟

-معرفتــي بالرئيس الراحل، رضوان الله عليه، ترجع الى عهد الطفولة. فهو، وانا، من منطقة واحــدة، بل ان دارنا لا تبعد عن داره الا مئات من الأمتار. وانا وان كنت اكرم منه في السن،

---

[٣٠] كــان الرئــيس الراحل عبد السلام محمد عارف قد طلب الي القاء عدد من الحاضرات في كلية الأركان ، وكنا نرتقــب الــدورة الجديدة للبدء في القاء عدد من المحضرات في السياسة الدولية وصلتها بالقومية العربية ، ودراسة المذاهب السياسية والاقتصادية الرئيسة ومدى أفادتنا منها ... ولكن ذلك بطبيعة الحال لم يتم ...

[٣١] اذيع هذا الحديث من محطة الاذاعة العراقية بعد مدة قصيرة من وفاة الرئيس عبد السلام محمد عارف .

ولكن الصلات العائلية كانت وثيقة بيننا. كان أبوه وأبي رحمهما الله صديقين، وكانت امي وامه صديقتان، وكانت لنا صلات ود وجوار عريقة. ولكن حياتي وحياته اختلفتا. فحينما كنت أواصل دراستي في انكلترا، كان، تغمده الله برحمته، يتم دراسته العسكرية في العراق. وبعد عودتي كنا نلتقي في فترات بعيدة من الزمن، ولكني اسمع إخباره، واحسب انه كان أيضا يسمع إخباري .

وقبيل ثورة تموز المباركة التقينا مرارا في نادي الضباط، ويبدو انه رحمه الله ، كان يرتب تلك اللقاءات ، وكان يصطحب معه ، في تلك الآونة، عبد الكريم قاسم ، وكنا نتحدث في شؤون شتى ، وكان يومئ أحيانا الى معان كبيرة في ذهنه ، ما كنا نعرفها وقتئذ ، ولكن الأحداث بعد ذلك فسرتها. وطبيعي ان صلتي به بعد الثورة ازدادت. فقد كان رحمه الله قد اقترح تعييني رئيسا لديوان مجلس الوزراء، ولكنني أبيت ان اشغل ذلك المنصب مع عبد الكريم قاسم لحس باطني انني وذلك الرجل لا يمكن ان نتفق، ولا ان نتعاون ...

*سيادة الرئيس دعيتم لان تكونوا في حكومة عبد الكريم قاسم، يعني وقتها ؟

-في واقع الحال العنوان الذي عرض علي هو رئاسة ديوان مجلس الوزراء، ولكن عبد الكريم قاسم فسره فيما بعد ، بان المقصود منه ،وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء. ولكني اثرت البقاء في عمادة الحقوق ، وكانت من الناحية المادية، بطبيعة الحال، لا تكاد ترقى الى نصف مرتب المنصب الآخر ، ولكني اثرت العمادة لانها المجال الطبيعي، والبيئة التي كنت احس انني اقدر على الخدمة فيها.

ورحم الله عبد السلام كان كثيرا ما يذكرني، أو يعتب علي بسبب هذا الرفض. أما عبد الكريم قاسم فقد بقى حاقدا لأنني رفضت الاستجابة له وقبول هذا المنصب، والتعاون المباشر معه. مع ذلك بقي ان أقول انه، حينما كان رحمه الله نائبا للقائد العام، ونائبا لرئيس الوزراء، ووزيرا للداخلية، كنت التقى به بين الحين والحين. وكانت اللقاءات، بالدرجة الاولى، لكي ابدي له بعض الملاحظات. وكنت احس ان عبد الكريم قاسم كان يدفعه في بعض الاتجاهات ليستغل بعض نقاط الضعف التي كانت ترد في بعض خطبه المرتجلة. فقد كان الحماس أحيانا يدفعه لان يقول أشياء ما كنت اريد ان يقولها. وهو متحمس دائما، وشجاع دائما. وكنت أقول له: ان ليس من مصلحتك – وقد أصبحت مسؤولا- ان تبقى بهذا الحماس، وبهذا العنف، وان هناك من قد يحاسبك على بعض العبارات أو من قد يؤول عباراتك ... وفي واقع الحال فقد أشرت

الـــى هـــذا الأمـــر في أثناء المحاكمة (المستهجنة)، أمام ما كان يسمى "بمحكمة الشعب". فقد اســـتدعيت شاهدا على المغفور له، شاهدا كالمتهم. والالوف بل عشرات الالوف، ولا أبالغ اذا قلـت الملاييـن مـن العراقيين والعرب أجمعين سمعوا المحاكمة، وسمعوا شهادتي، وسمعوا افادتـي، وكان المهداوي وقتئذ يريد ان يجرني الى انتقاد الراحل العظيم، وكنت متحرزا، واذكر ان المهـداوي غضـب حينما قلت له مرة انه ربما أسهم في الشيء الفلاني، ولكن ذلك بحسن نية. فغضب وقال ليس لك ان تبدي رأيا، أو شيئا من هذا القبيل[٣٢].

---

[٣٢] لقـد أوجـزت بالإشـارة الى هذه القضية. ومن يريد الاطلاع الكامل على ما جرى فلينظر شهادتي في محاكمة المـرحوم الرئيس عبد السلام محمد عارف المنشورة في الصفحات ٢٠٦٦-٢٠٧٧ من الجزء الخامس من محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة. ومع ذلك فاقتبس الفقرات الآتية:

الشاهد: ان العقيد عبد السلام كان متسرعا في سياسته ... الرئيس: ما هو هذا التسرع. نورنا، وأنت من رجال الفكر لكي لا نتسرع نحن أيضا؟

الشاهد: انا أتذكر بعض كلمات من خطبه كانت انفعالية.

الرئيس: مثلا؟

الشـــاهد: مثلا، لا قصور، ولا دور، ولا حاكم ولا محكوم، شيء من هذا القبيل. وطبعا انا متأكد انه كان مخلصا فيما يقـول، ولكـن هـذا القـول أثناء ارتجال، واثناء حماس. وانا رجوته ان يكون أكثر اتزانا لان المجتمع يحتاج الى طمأنينة، ويحتاج الى سكينة ويحتاج الى عمل.

الرئيس: هل تعتقدون ان البلبلة التي حدثت في البلد هي نتيجة تصرفات المتهم ام لا؟

الشـــاهد: ... ان البلـبلة لها دواع كثيرة قد يكون (المتهم) وهو مخلص، أسهم في بعض كلماته في ايجاد نوع من البلبلة وهذا رأيي ولكني اؤكد انه كان مخلصا فيما يقول.

الرئيس: (غاضبا) الشاهد يجاوب على السؤال... انا لاحظت انك كشاهد... تجاوب أكثر من السؤال. نحن لم نسألك ان المـتهم مخلـص ام لا. المحكمة تعرف جيدا، تحاكم ثم تقرر ثم تحكم وهكذا. ولكن سألتك هل ان سوء التصرف ومـن بعض الخطب التي أنت نبهت المتهم عنها هل كان من نتيجة هذه التصرفات البلبلة التي وجدت في البلد، ولو انها لا تؤثر على سبر الجمهورية نحو أهدافها الديمقراطية الصحيحة...

-(قال رئيس المحكمة هذه الكلمات بعنف وانفعال، ولكني أجبته بهدوء وتحرز كامل بالكلمات الآتية:

-من المحتمل ان تكون بعض كلماته ساعدت على شيء من البلبلة.

ملاحظـة: ان مـا نشر في الجزء الخامس لم يحو بدقة تامة كل كلماتي فقد حذف فيما يبدو بعضها، وهناك أشرطة مسجلة هي أدق في دلالتها على الروح التي سادت في المحكمة أثناء أدائي الشهادة. هذا مع العلم بان المحاكمة كانت فـي الأصـل سـرية، ولم تذع الا بعد ان اضطرت المحكمة الى ذلك اضطرارا. وقد يكون من المحتمل جدا انها قد

-وعلــى كل حال أستطيع ان أقول ان الصلة بقيت وثيقة بيني وبين الرئيس الراحل، وبطبيعة الحــال حينما أصبحت بالمسؤولية تطورت هذه الصلة الى شيء أكثر من علاقة رئيس وزراء برئيس الجمهورية.

* سيادة الرئيس هل يحدثنا سيادتكم عن الانطباعات، اقصد انطباعاتكم عن الرئيس الراحل، في أثناء مشاركتكم المسؤولية مع سيادته؟

-حقــيقة لي انطباعات عديدة. وقد يأتي يوم ادونها في مذكراتي، ولكني أستطيع ان أقول على عجــل، ان صفات معينة كانت تستهويني قبل كل شيء من الراحل العظيم، شجاعته، ورجوعه الــى الحــق، واخلاصـــه لمن يحب اخلاصا يدفعه أحيانا الى التعصب. فأما شجاعته فحقيقة لا يمــارى فــيها احــد. أمــا رجوعه الى الحق، فكنت أحسه لأنني حين شاركت في المسؤولية، وتحملــت معه التبعة، كنا أحيانا نختلف، وقد قلت ذلك صراحة في المؤتمر الصحفي، ولقد كان الخــلاف والجــدل يشــتدان بيننا أحيانا. فقد أرى رأيا في شخص، ويرى هو فيه رأيا معاكسا تمامـــا، ثم نستمر في الجدل والحوار، وقد أعيد الكرة، وكنت انتهز فرص لقاءاتنا في المساء. وكان رحمه الله قد تعود على ان أتعشى معه في اغلب الليالي في القصر الجمهوري، وكنا على مــائدة الطعــام نحل كثيرا من مشكلاتنا. كنت اعرف الطريق الذي اسلكه حتى اصل الى إقناعه فيما نحن بشأنه مختلفين. وكنت أحيانا، اذا لم اصل الى مبتغاي في الجلسة الواحدة، لا أيأس، لأنني كنت على ثقة من انه اذا عرف الحق رجع اليه. ولقد تغيرت كثير من آرائه، في كثير من الــناس والأشــياء، نتيجة هذا الحوار لأنه كان آخر الأمر يقول بلهجه، تزال ترن باذني (والله الحــق وياك لا. لا . لا صحيح. صحيح..) بعد ان كان في البداية مثلا يقول (لا. لا). وهو حاد الذكــاء ويصدر أحكاما صارمة حول الأشخاص والأوضاع العامة، وقد تكون في رأيي متعجلة. ولكني أبقى في الحوار، وفي النقاش، وفي ضرب الأمثلة، وبالجدل الى ان اصل الى ما اريد...

لا ادري اذا كــان يصــح لي ان اضيف شيئا آخر في هذه المناسبة. اذكر على سبيل المــثال، واقعة تدل على الوفاء لمن يحب. كان رحمه الله، يحب خالي الحاج نجم الدين الواعظ حــبا جمــا، وكــنا نتحدث يوما بشأن يخص شخصا معينا وقال لي: لا اوافق... لا يحب عمي الحاج، وقلت له: يا أخي ان الله سبحانه وتعالى قال (يا أيها الذين امنوا لا يجرمنكم شنآن قوم

أجــرت بعض التحويرات بالحذف والتنميق عليها قبل ان تعلنها للجمهور... ومع هذا كله ففيما نشر دلالة كافية على ما جرى من صخب وعنف.

علـــى ان لا تعدلوا، اعدلوا هو اقرب للتقوى) . فلو كان حقا هذا الشخص لا يحب خالي. بل لو كـــان عـــدوا له، وهـــو عدو لك، ولي فنحن مطالبون بحكم القرآن ان نكون عادلين مع الناس جميعا. فسكت رحمه الله ثم قال: غلبتني، واستجاب الى وجهة نظري.

كثير من هذه النوادر، وهذه الأحداث، مما له أعمق الأثر في نفسي، وما تزال ترن في اذني، وانا أقول مخلصا ان الألم الذي تركه فقده لا يمكن ان يعفى الزمن عليه سريعاً.

* سيادة الرئيس. ماهو شعوركم في لحظات الترقب ؟وهل هناك جوانب خاصة لم تعلن بعد ؟

-حينما حدثني زميلي الدكتور محمد ناصر، مساء تلك الامسية المفجعة الأليمة، بتأخر الطائرة بدأت تساورني الشكوك، وبقينا نتخابر بين حين وآخر، كل نصف ساعة، أو كل عشرين دقيقة أحيانا، وكنت اعلل نفسي بالآمال، وكنت أرجو الله مخلصا ان يكون الحادث طفيفا، وان الطائرة جنحـــت الـــى مأمـــن. ولكـــن كلما مر الزمن ولم نحصل على ما يشفي غليلنا، كنت ازداد ألما وتوجســـا، وبطبـــيعة الحـــال كانـــت لـــيلة لـــيلاء لم انم فيها كما لم ينم الكثيرون غيري من المســـؤولين، وكنـــت هـــنا على هذا السرير، (على هذه الأريكة) نائما شبه مستيقظ، والتلفون بجواري، أتلقى الأخبار، واتخذ ما يجب من الاجراءات، وأدعو الله مخلصا ان اسمع الخبر الذي يطمأننـــي. حتى اذا بلغت الساعة حوالي الخامسة، أو الخامسة والربع صباحا قيل لي ان آثاراً للطائـــرة وجـــدت، ولكن ليس هناك دليل على حياة من فيها أو هلاكهم، وبقيت في تلك الدقائق أترقب بلهفة آخر الأنباء، راجيا من الله تعالى ان يكتب السلامة على من في الطائرة. وبعد ربع ســـاعة اخبرني زميلي محمد ناصر من البصرة في جهشة: "ان السوء قد حدث"، فاجهشت معه في البكاء، ورددت قول المتنبي في نفسي:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر

فزعت فيه بآمالي الى الكذب

حتى اذا لم يدع لي صدقه أملا

شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

هذا هو وقع الحادث في نفسي.

أمـــا مـــا تسأل عنه من الجوانب التي لم تعلن، في واقع الحال كما ذكرت في المؤتمر الصحفي، هناك تقرير قضائي (أعطيت اللجنة القرار التمهيدي) وسيكمل بشكله النهائي، ولكنه لـــم يضـــف جديدا على جوهر الموضوع، بان الحادث، كما عبرت عنه " بتقدير قادر جبار، لا

قــدرة لأحــد في رد مشيئته " تلك حقيقة واضحة من التقارير الفنية والتقارير القضائية ، ومع ذلك حين يكمل التحري القضائي كاملا ، قد ينشر على الجمهور ليطلع على تفسير الحال[٣٣].

* سيادة الرئيس بالمناسبة أيضا، ما هو تأثير الرئيس الراحل في الثورة العربية المعاصرة في رأي سيادتكم ؟

-لا شك ان الراحل العظيم كان قوميا عربيا، يؤمن بالعروبة، ويؤمن بالاسلام، فهو اذن من هذا الطــراز مــن القوميين الذين يؤلفون بين معتقدهم الديني وشعورهم القومي. كان يؤمن بالامة العربــية ايمانا عميقا لا غبار عليه، وكان يؤمن بحقها في العيش الكريم، وتحررها، ويستشعر أحــيانا في نفسه القدرة على الإسهام في تحقيق أهدافها العليا. ولا شك انه من الذين أسهموا فــي الوعــي في العراق وفي غير العراق. فأنت تعلم ان للرئيس الراحل محبين ومعجبين في ســورية ومصــر وفلســطين والاردن والكويــت، وأنحاء كثيرة من العالم العربي، بل والعالم الاســلامي، وــله معجــبون كثيرون وهم على حق في الاعجاب به، لأنه، بحماسه، وبأيمانه، وبعلمــه، أســهم -كمــا قلت- في الوعي القومي، القومي المهذب الذي لا يؤمن بالعنصرية، ويســتنير بنور الاسلام. وانا اكرر هذا المعنى لان فريقا من القوميين يحاول ان يحيل القومية الــى عصــبية عنصــرية، أو الى عنجهية جاهلية. أما هو فكان كما قلت، يؤلف بين مشاعره القومية، ومعتقداته الدينية التي كانت تطغي أحيانا حتى على مشاعره القومية.

لقد كان في سلوكه الشخصي ملتزما بالعبادات بحدود تتجاوز تقديري، الاعتدال أحيانا. وكنــت كثــيرا ما الح عليه الا يغالي في هذا. كنت أراه لا يصوم رمضان فقط وانما يصوم، أو يريد ان يصوم، رجب وشعبان، وأغريته في آخر الأمر ان يصوم يومي الاثنين والخميس، من كل اسبوع فقط. وكان يصوم أياما من شهر شوال، ويصوم محرم، ويصوم لأية مناسبة اخرى، ويصــلي الســنن، وكنــت اداعــبه أحيانا وأقول له: إما أنا فاختلف عنك في هذا، ومثلي مثل الاعرابــي. قال وما هو مثل الاعرابي. قلت له مرة ونحن على مائدة الطعام: جاء اعرابي الى رســول الله (ص) فقــال له يا رسول الله: أنا اصلي ولا اصلي، وأصوم ولا أصوم، وازكي ولا ازكــي، وأحج ولا أحج. فأجابه عليه السلام: ان صدق الاعرابي دخل الجنة. ثم فسرت له كلام الاعرابــي بالتزامه للفرض دون سواه، وأضفت قائلا: (أنا أصوم، وأصوم رمضان، ولا شيء

---

[٣٣] نشــرنا فــي حينه التقرير القضائي الاولى ويهم الجمهور ان ينشر التقرير النهائي الذي قدم بعد استقالة الوزارة لكي يوضع حد لبعض ما يشيعه – أحيانا – بعض من لا أخلاق لهم ولا ذمة ...

غير رمضان، واصلي الفرائض، ولا اهتم كثيرا بالسنن والنوافل). ثم أضفت علام ترهق نفسك بالصــوم الزائد، وعليك مسؤوليات كثيرة ؟ ولكنه كان متصوفا بعض الشيء. وكنت دائما، كما قلت، احاول ان اخفف من هذا لان ذلك كان يؤثر في صحته ويسبب له نحافة.

هذا هو الراحل في معتقده الشخصي والقومي والديني. تغمده الله برحمته ...

* ســيادة الرئيس تقفون اليوم في خط المسؤولية والثورة، ما هي خططكم في تخطيط مستقبل العراق ؟

-يعســر علينا بكلمات قصيرة، ان أوضح كل ما تريد، وللأمد القصير، الذي أرجو ان يتم فيه منهاجــنا المحــدد، تخطيطــنا هو ان نحقق معاني الثورة كاملة، نحقق للمواطنين كافة الأمن، والرفاه، والدعة. ونحقق لهم ما يختلج في صدورهم من مثل عليا قومية، ونحقق لهم ما تهدف الــيه الاشــتراكية السامية الرشيدة، من عدل اجتماعي، وتكافؤ في الفرص. وقد أوضحنا هذا بمنهاجنا الوزاري، وكان من قبل قد أجمل في النقاط السبع التي جاءت في كتاب التكليف الذي وجهــه الراحل الكبير الي ونحن ماضون، بمقدار طاقاتنا،- وهي طاقات محدودة- في انجاز ما وعدنا الشعب به.

ومهمتــنا الاولــى في هذه المرحلة هي تحقيق "وحدة العراق"، ومحاولة انهاء الوضع غــير الطبيعي في بعض أجزاء الوطن، وكذلك تشريع القانون الذي وعدنا به المجتمع أكثر من مرة، وهو قانون الادارة المحلية، أو قد ما نسميه " بقانون المحافظات " للتمهيد للحياة النيابية، ومســاهمة المواطنيــن كافــة في ادارة مناطقهم ثم تشريع قانون الانتخابات، وبعد ذلك اجراء الانــتخابات. ومع هذا يسير جنبا الى جنب انجاز مهمة الاتحاد الاشتراكي وجعله الادارة الفعالة لتجمــيع القوى القومية المخلصة والتقدمية التي تؤمن بالثورة وبالاشتراكية، وبالامة العربية، وبحقهــا في الوحدة والتحرر، هذه القوى يجب ان تتجمع ونحن جادون بهذه الدعوة، وجادون في القاء مع اخواننا ممن يشاركوننا الرأي، ونرجو مخلصين ان نوفق الى ان نجمع اكبر عدد ممكــن مــنهم بخط الثورة، والتجمع الاشتراكي، والوحدة العربية الشاملة التي نؤمن بها، في الحدود التي أعلنا مرارا وتكرارا.

هــذه أعمــال اذا اســتطعنا إنجازها في المدة التي ارجو ان تنتهي بانتهاء المرحلة الانتقالية، سيبقى من واجب أية حكومة في المستقبل، يرتضيها الشعب ان تخطط للأمد البعيد.

أما الان فلا أظن ان في مقدورنا ، بل وليس من مسؤولياتنا ، ان نخطط للأمد أكثر من انهاء هذه المرحلة ، والتهيوء للمرحلة الجديدة ، حتى تحقق الثورة حقيقة وجودها.
واسمح لي بهذه المناسبة ان اوضح بعض الامور...

ان بعـض اخواننا تضايقوا من بعض تعبيراتي حينما كنت أقول ان الحركات التي قامت فـي مـرحلة من المراحل المختلفة هي انقلابات تمهد الى الثورة، لأنني دائما اعتقد ان تغيير الحكومـة ليس هو ثورة. ان القضاء على العهد الملكي بحد ذاته قام به اناس ثوريون. ولكن ليس هو الثورة، الثورة هي ما يجب ان يعقبه، وفي تقديري ان ما أعقب ذلك لم يحقق الثورة، لأننا نعلم ان عبد الكريم قاسم قد انحرف، وأحال الوضع الى حكم استبدل بحكم. فإذن لم تتحقق أهـداف الـثورة، على الرغم من ان الذين قاموا بالثورة، في الأصل، كانوا يريدون ان يحققوا الـثورة، ثم جاءت بعد ذلك فئة اخرى قضت على عبد الكريم قاسم. وكانت ثورية في تفكيرها، ولكـن الحزبية والتعصب، حال بينها وبين ان تنجز معنى الثورة لانها أحالت الأمر الى تحزب أعمى، والى أوضاع معينة لم تحقق معنى الثورة، وهكذا بقى الأمن في تقديري حتى الحكومات التي أعقبت ذلك، وكانت حكومات مخلصة، أسهمت في تحقيق الأمن، ولكن أين نحن من تحقيق أهـداف الاشـتراكية ؟ أين نحن من تحقيق الحرية للعرب جميعا ؟ أين نحن من تحقيق الحرية الكاملة للمواطنين ؟ أين نحن من المفاهيم الحديثة للثورة؟.

هـذه معـان فـي تقديـري يتطلع الناس اليها، وواجب المخلصين ان يكاشفوا الناس بحقيقـتها. وفي تقديري – وأقولها مخلصا – اننا في سبيلنا اليها، اذ هي لم تتحقق بعد، وهذا هـو الـذي اريـده، ذلك اننا أحيانا، تجاوزا، أو باعتبار ما سيكون، نسمي هذه الثورة، وتلك ثـورة... الـثورة بدأت، أو يجب ان تبدأ، أو قائمة، أو هي مستمرة، لكن ما لم تحقق أهدافنا فنحـن فـي طريقنا اليها. هذه هو المعنى الذي اقصد اليه. وفي تقديري، وقد أكون مخطئا، اذا اسـتطعنا ان نحقـق الحـياة الهادئة الرتيبة من جهة، وإبقاء الروح الثورية المؤمنة بالامة، والمؤمـنة بالشـعب، والمؤمـنة بالعروبة الشاملة، والمؤمنة بالاشتراكية الهادفة، والمؤمنة بالديمقراطـية السليمة، والمؤمنة بحق الامة العربية بالتكتل والتجمع واقامة كيانها الواحد من جهة اخرى أقول: اذا استطعنا ان نحقق هذا، نبقى نحن في طريقنا الثوري. أما تحقيق الثورة، فلا يتم الا اذا حققنا هذا كله ...

* يعني سيادة الرئيس الانقلابات هي التي تمهد للثورة في رأيكم ؟

- قـد تمهد الى الثورة اذا نجحت، ووضعت اسسا للثورة، فبعد الكريم قاسم، مثلا، اذ كان معه ثوريـون مخلصون، ولكنه هو وفئة اخرى- وكانوا قد اشتركوا في الثورة - أحالوا الثورة الى انقلاب.
والحزبيـون الذين جاءوا كان فيهم من يفكر تفكيرا ثوريا، ولكن النتيجة كانت استحالة الثورية الـى اهانـة زيـد، والـتحرش بعمرو، وتعذيب بكر، وتعيين خالد، وما الى ذلك... ليست هذه ثورة!..
* سـيادة الرئـيس، بالمناسبة ولو أطلت عليكم الحديث، طبعا ان المسؤولية اخذت من وقتكم الفكـري. يعني اقصد يعد سيادتكم من المفكرين في البلد، هل المسؤولية اخذت، أو شغلت من هذه الكتب التي كنتم تصدرونها الى الشعب في الافق الأدبي؟.
يؤسـفني ان اعترف انها في واقع الحال، حالت بيني وبين أي انتاج جدي. وان كنت اقرأ بين حيـن وآخر، وأتوق للعودة الى القلم. وغاية ما فعلت، حينما كنت في القاهرة أخيرا في مؤتمر القـيادة المشتركة، اغتنمت فرصة خلو يوم من الاجتماعات فكتبت مقدمة جديدة لكتابي (الدولة الموحـدة والدولة الاتحادية)، وطبع الكتاب في طبعته الثالثة في القاهرة، وتذكرت القلم، وزاد حنينـي الـيه، واعـدت كتابة صفحات قليلة من الكتاب. وفيما عدا ذلك لم أنتج شيئا جديا لان المسؤوليات تلهي عن الكتابة.
* سيادة الرئيس ، أخيرا البرنامج يرجو من سيادتكم ، كلمة ، لو تكرمتم.
-لا ادري مـاذا تـريد بالكلمة. كل هذه الكلمات قلناها، وعلى كل حال أنا لا اريد ان اتخذ من نفسـي واعظا بهذه المناسبة، ولكن ما دام الحديث قد بدا عن الراحل العظيم، فلتكن كلمتي الى الشـعب، والـى أبناء الامة، ان نحتفظ بذكراه عاطرة في قلوبنا، وان نسير على الطريق الذي خطـه، وان نلتف حول الرئيس الذي اخترناه، والذي هو الآخر يقتدى بأثر الراحل، وان نعمل مخلصين مجردين عن الهوى، من اجل المثل. فكل انسان فان، والبقاء للشعوب. ما دام للحياة بقاء، والبقاء الأبدي لله وحده. والسلام عليكم.
* شـكرا سيادة الرئيس، ونأمل ان نلتقي معكم في طريق الخير لهذا الشعب ولهذه الامة، وان يوفقكم الله جميعا.
-شكرا بارك الله فيك ...

المقابلة الاذاعية في الكويت[٣٤]

كلمة المذيع

أيها السادة والمواطنين أيها الاخوة العرب

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

اسر في تقديم محدثي ومحدثكم وهو غني عن كل تعريف.

السادة المواطنون، والاخوة العرب الذين ضاقت بهم رحبات قاعة جامعة الكويت فلم تتسع لجميعهم لكي يستمعوا الى المحاضرة، والمواطنون – والسادة المستمعون والمشاهدون – الذين لم تصل اليهم كلماته بالرغم من اتساع رسالة الشاشة الصغيرة في تلفاز الكويت والى الانحاء العربية المجاورة – هؤلاء جميعا يلحون علينا إلحاحا لابد ان نقف أمامه لنلبي طلباتهم فنسعى للقاء إذاعي آخر الى جانب المحاضرة، والى جانب اللقاء التلفازي، آملين من ذلك ان تصل كلماته العربية القوية الى الأسماع العربية في كل أجزاء وطننا العربي الكبير.

وكما ذكرت اسر في تقديم محدثي ومحدثكم، وهو غني عن كل تعريف. فهو الاستاذ عبد الرحمن البزّاز. وان أحب الألقاب اليه ان اقدمه بالاستاذ، فقد كان استاذا عمل في تدريس الحقوق مدرسا وعميدا ومحاضرا، وكان القاضي، وكان مديرا لمعهد الدراسات العربية العالية، وكان سفيرا، ونائبا لرئيس الوزراء، ثم رئيسا للوزراء.

عرف عنه – كما قدمه الاستاذ الدكتور عبد الفتاح اسماعيل – عرف عنه طيلة حياته صفاء فكره وعمق ايمانه بربه، وثقته بمستقبل امته. ظهر ذلك كله في كتبه المؤلفة في القانون وفي التربية وفي الاجتماع وفي السياسة وفي الوحدة القومية العربية.

ويسعدنا اليوم ان تنتقل الاذاعة الى لقاء مع سيادة الدكتور عبد الرحمن البزّاز لتسعد بنقل صوته العربي القوي الملئ بجميع معاني الحياة الى السادة المستمعين هنا، والى السادة المستمعين في كل وطننا العربي الكبير.

* حيا الله الدكتور عبد الرحمن البزّاز.

---

[٣٤] اذيعت المقابلة من محطة اذاعة الكويت عند زيارتي الى الكويت بدعوة من حكومتها في شهر شباط سنة ١٩٦٨ وتكررت أذاعتها عدة مرات فيما بعد.

- وحــياك وشكرا على كلماتك الطيبة، وشكرا لإذاعة الكويت اذ تتيح لي الفرصة لأتحدث الى المواطنيــن كافــة في هذا الجزء من وطننا العربي، وفي كل أجزاء الوطن العربي الكبير. وانا متهيئ للإجابة على أسئلتك فتفضل؟

*ســيادة الدكتور كما ذكرت في مقدمة الاجتماعات للمحاضرات في جامعة الكويت على سعتها وشاشــة تلفــاز الكويــت علــى اتســاع إرسالها، فقد وصل الى الكويت والى الانحاء العربية المجــاورة، ولكن الاذاعة، والكلمة المذاعة، - ولها وسيلتها في سعة الإرسال - توجه سؤالا لســيادة الدكــتور عبد الرحمن البزّاز لا يخرج عن كونه سؤالا معادا مكررا، طرح على سيادة الدكــتور فــي قاعة الاجتماعات بجامعة الكويت، وفي تلفاز الكويت كذلك. واقعنا العربي الذي نعيش فيه، تحدثتم عنه سيادة الدكتور بكثير من الإسهاب، فهل لنا ان نوجز للسادة المستمعين - ممــن فــاتهم ســماع المحاضرة في قاعة الاجتماعات، ومن فاتهم سماع حديثكم في تلفاز الكويت - ان نوجز بعض ما قلتم في التحديات الكبيرة التي تجابهها امتنا العربية؟

-ربمــا هــذه الحــالات القلــيلة التي يصح القول فيها بان في الإعادة إفادة، فلا أرى باسا في تلخــيص ما أوجزته في المحاضرة، أو في الأصح أسهبت فيه في المحاضرة، وهو ان واقعنا، كمــا يبدو، واقع مؤلم، ما في ذلك أدنى ريب، واننا نمر بمرحلة جد عصيبة، واننا في تاريخنا الطويل قد ابتلينا بنكبات عديدة، ولكن لا احسب اننا مررنا بالمصاعب التي نمر بها اليوم، ذلك أمــر لا مجــال لنكرانه، ولكني، مع ذلك، على ثقة عظيمة بأننا سنتخطى هذه المرحلة. وليس مــرجع ذلك تفاؤل مجرد، أو آمال لا أساس لها من واقع، وانما يستند ذلك كله الى حقيقة هذه الامة، وعظم مقوماتها، وعظم طاقاتها. فاذا استطعنا ان نتعظ - وليس لنا الا ان نتعظ - بحكم هــذه النكسة الخطيرة، سنستطيع مع الزمن ان نتغلب على آلامنا، وسنستطيع ان نعيد الكرامة المهــدورة، وسنســتطيع ان نسترجع الوطن السليب. لكن ذلك كله سيحتاج الى جهود طائلة، والى عمل دائب، والى إعداد سليم للأجيال القادمة.

*سيدي الدكتور، في المحاضرات السابقة تحدثنا عن نظام الحكم القائم، وعن المسؤوليات التي تترتــب على الحكومات، لكن هذا الانسان العربي الذي ندخره قبل كل شئ لنجابه مستقبلنا بما يحمله لنا من مفاجئات، ومن ظروف صعبة مرة، هذا الانسان العربي الذي نريده قويا، صحيح البدن، وصحيح الفكر، ما هي الصورة الجميلة التي ترتسم في ذهن سيادة الدكتور عبد الرحمن البزّاز لهذا الانسان العربي منذ ان يكون صغيرا، ناشئا، طفلا، شابا يافعا، شيخا؟

بطبيعة الحال هذا الموضوع يحتاج الى أكثر من حديث عابر في الاذاعة، أو في التلفاز، ويحتاج الى أكثر من شخص واحد للاجابة عليه. ولكنني أستطيع ان أقول بأننا نريد ان ننشئ المواطن العربي نشأة اخرى. نريده طبعا متعلما، ونريده، اضافة الى كونه متعلما، مثقفا (وان المثقف غير المتعلم كما تعلم)، ونريده مشبعا بالروح الدافقة الدافعة، المستوحاة من مثل تاريخنا، ومن روحانية شرائعنا، وانا اكرر هذا بالجمع، لأنني اومن بان الاسلام، وكذلك المسيحية، لها مثلها العليا، ونحن العرب (مسلمين ومسيحيين) لنا مثلنا العليا ويجب ان نتشبع بها، وان نستهدي بهديها، لنستطيع ان نتخطى المرحلة العصيبة الراهنة. هذا من جهة، ومن جهة اخرى نريد للفرد العربي، - وبخاصة الأجيال الصاعدة الذين ستتوقف على سواعدهم، وعلى طاقاتهم، وعلى عقولهم، كسب معركتنا الحاسمة - نريدهم مزودين بالعلم الصحيح، متقنين لمتطلبات الفن الدقيق. والعالم اليوم لم يعد كعالم الأمس، (ربما الأمس البعيد)، عالم اليوم أصبح عالم "التكنلوجيا "، عالم الفن الدقيق، والجندي لا يكفي ان يكون شجاعا، ولا يكفي ان يكون مشبعا بروح طيبة، بل لا بد له ان يتقن عمله، وان يحسن استعمال الآلات الحديثة المعقدة. واذا أردنا ان نجابه الحقيقة، وان نصارح أنفسنا فاننا لم نغلب من قلة، ولم نغلب من فقدان السلاح، ولكننا غلبنا - بالدرجة الاولى - من ضعف طاقاتنا على استعمال السلاح الحديث، فالصورة التي اريدها للشعب العربي، خاصة الشباب الذين هم في الصف الأول من المعركة، ان يبدلوا الجهد الخالص، وان يتقنوا استعمال هذه الآلات وهذه الوسائل، ويجب ان لا يقتصر هذا على ناحية الحرب بالمعنى الضيق. الحرب الان أصبحت حربا جماعية، العامل الفني اذا أتقن عمله يحارب، والموظف المخلص يحارب. والطبيب اذا عني بمرضاه وقام بواجبه تجاههم هو كالمحارب. والاستاذ اذا جعل من نفسه قدوة حسنة، وانشأ الأجيال نشأة طيبة هو محارب. والغني الذي يبذل المال بإخلاص، ويدفع الضرائب كما يجب عليه دون ان يتحايل على القوانين ليحول بين الدولة وبين طاقاتها في الإعداد لمعركتنا الرهيبة هو محارب. وبكلمة موجزة أرجو ان يكون هذا المواطن العربي كفوءً لعدونا ...

من أخطائنا في الماضي اننا استهنا بعدونا. ترسبت في أذهاننا صور لليهودي القديم، المستكين الذليل الذي كتبت عليه الذلة والمسكنة. هذه الصورة- ولنصارح أنفسنا - خاطئة، وأساءت الينا. يجب ان نعلم اننا نحارب عدوا قويا، شرسا، مثقفا، ذكيا، مضحيا، وشجاعا. ومن الخير لنا ان نغالي في تقدير طاقاته لنزيد في إعداد أنفسنا، من ان نغالي في الاستهانة

بــه، فاذا جوبهنا به وجدنا أنفسنا دونه في مسائل عديدة. هذا الموضوع يحتمل القول الكثير. لقـد عبرت عن بعض آرائي عن النكسة في مقدمة كتابي الأخير"نظرات في التربية والاجتماع والقومية" وجعلت المقدمة في النكسة وعبرها، وفصلت في ذلك الكتاب، أو في تلك المقدمة في الأصح، خلاصة ما أراه في هذا الخصوص.

* سـيدي الدكـتور يقول بعضهم ان من أسباب هزيمتنا عدم شعورنا بالخطر، وعدم شعورنا بالتضحية، هل هذا صحيح ؟

كنا في بعض أقطارنا، في اقل تقدير، نشعر بالخطر، ولكن هذا الشعور لم يكن عاما ولا عميقا، وقـد جاء بعض الشئ متأخرا. ان عدونا كان يخطط، وكان يضع مخططاته لأمد بعيد، ومنذ أمد بعـيد. أمـا نحن فكانت مشاعرنا، في غالب الأحيان، انفعالية وانية. ولا أدل على ذلك من اننا جوبهـنا فــي الحــرب الأخيرة، ولم يكن لدينا أي تصميم دقيق ولا خطة أجمعت الدول العربية عليها. بل ان القيادة الموحدة بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة لم تتحقق الا قبل يومين أو ثلاثــة أيام من بدء المعركة، وان العراق دخلها يوم وقوع المعركة، أو قبل ذلك بيوم واحد، وان دولــة عربية اخرى بقيت ترفض الدخول فيها، وتشكك في جدواها، ناهيك عن دول اخرى لم تسهم اسهاما جديا، على الرغم من اعتقادي من ان بعضها كان مخلصا في عونه، ولكنه لم يسـتطيع ان يقدم العون في الوقت المناسب. كل ذلك يدل على تقصير، مهما كانت عوامل هذا التقصـير ودوافعه، علينا في هذه المرحلة ان نتعظ. وفي تقديري، وهذا ما قلته من قبل، ليس العيب في ان نغلب أو ان نخطأ، ولكن العيب، كل العيب، في ان لا نتعظ من خطانا، وان تتكرر مغلوبيتــنا بــلا ضرورة. علينا، بعد اليوم، ان نجد، وان نتدابر الأمر، وان نتداركه، وان نعمل صـباح مســاء، وان نقــرن القــول بــالعمل، وان ندرك ان العدو الذي نحاربه ليس هو عدو للفلســطينيين، ولا للمصريين والسوريين والاردنيين، أو من يجاورهم فقط، بل، هو عدو لامة العــرب، هــو عدو للمائة مليون أو يزيد في كل دنيا العرب. ان الخطر الذي يجابهنا هو خطر يجابهنا جميعا، صحيح ان العدو اليوم يحتل جزءاً من أقطار معينة، ولكننا، ونحن نؤمن بوحدة الوطــن العربــي، ووحــدة الامة العربية، ووحدة المصير العربي، هل لعاقل ان يقول انه ليس مريضا لان المرض في يده ؟ أو انه ليس مريضا لان المرض في رجله ؟ السنا كالجسم الواحد اذا اصـيب جزء منه تداعى له - كما جاء في الحديث الشريف- سائر الجسد بالسهر والحمى. اذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك عند كل المدركين، فيجب ان نعلم بان المصيبة، وان الآلام التي

نقاســي مــنها، ويقاسي منها بالدرجة الاولى فريق من أبناء قومنا، هي آلامنا، وان المصيبة مصــيبتنا، وان الواجب علينا جميعا من غير منة، واكرر هذا اللفظ لان فريقا (وان كان لحسن الحظ صغيرا) من أبناء قومنا يشعر أحيانا وكأنه مدل، أو ممتن حينما يقدم العون المادي لفريق آخر من أبناء قومنا ، وكل عون ، واجب على كل العرب دونما منة ، لان الخطر الذي يجابهنا هــو خطر علينا جميعا . وان من أخطائنا فيما مضى اننا حاربنا إسرائيل وكان الشعور السائد كأنــنا نعطــف علــى الفلسطينيين أو أخذتنا حمية، ونخوة لمساعدتهم. ذلك ليس هو التصوير القومــي الصحيح. كان يجب علينا، منذ البداية، ان نعلم ان الخطر علينا، واننا جميعا ملزمون بــان نحــارب بكل طاقاتنا، وبكل قوانا، وان لا ندخر وسعا مهما كانت التضحيات. لو كان هذا الشــعور شعورنا لم نغلب. وسنبقى- وأقوله بمرارة - سنبقى معرضين للهزيمة اذا لم ينم هذا الشعور، ويتعمق في أعماق قلوبنا، وهو ان الخطر يجابهنا جميعا، وان الواجب علينا جميعا ان نجابهه، وبكل طاقاتنا ...

* ســؤال يقفــز الى اللسان، ما دامت أجهزة الاعلام في عالمنا العربي اليوم تعمل جاهدة من اجل تقديم برامج وإذاعات تعرف باسم " اعرف عدوك " - سيدي الدكتور- هذا البرنامج اعرف عدوك الذي يوجه الى الشعب، والى السادة المواطنين هنا وفي كل جزء من عالمنا العربي، هذا الــبرنامج بــالذات يقــول بعضــهم إنــه أحيانا صورة عن العدو تكاد تجعل من المستمعين أو المشــاهدين طاقــة غير فعالة، بدليل انها تثبط من عزيمتهم، ما دام هذا هو حال إسرائيل، ما دامت هذه هي قوة إسرائيل، اذن هي اسطورة ولا يمكن ان تغلب. هذا البرنامج " اعرف عدوك الــى أي قــدر، فــي رأيكــم، يجب ان تنقل للمواطن العربي كي يعرف من إسرائيل، حكومتنا مفــروض فيها ان تعرف كل شيء ، لكن المواطن ، ما هي الصورة التي يجب ان يعرف فيها إسرائيل؟

-بالطــبع الجواب الدقيق على هذا يتطلبني ان أكون قد اطلعت على هذا المنهاج كاملا في أكثر من بلد عربي واحد، ولكني بصورة عامة اؤثر ان نجابه الشعب بالحقيقة، وان من أخطائنا في الماضــي اننا أغفلنا شعوبنا، وجعلناها تستهين، وتستكين، وتستسلم. من الخير - كما قلت قبل قلــيل - ان نغالي، بعض الشيء في قوة عدونا. ليس ذلك اسطورة، بل هو واقع، وهذا الواقع نســتطيع ان نقابلــه بواقع آخر. مهما كانت قوة العدو، فنحن أقوى منه في الأمد البعيد، مهما كانــت إمكانــياته فــي الــبذل والتسلح، وفي الاعداد. وليس الفرد العربي بأقل ذكاء من الفرد

اليهودي، وليست إسرائيل اقدر منا على الحصول على أحسن أنواع الطائرات، وأحدث الأسلحة والاعتدة فالأمر هو ان نبذل بسخاء، وان ندرك الخطر، وان نعمل جاهدين. وليس في ذلك استحالة، وان الزمن، كما قلت، في أمده البعيد خاصة، بجانبنا، فليس هناك ضير في مجابهة الناس بالحقيقة، وانما الضير، كل الضير، والسوء كل السوء في ان نخفي الحقائق عن أبناء قومنا، وان نجعلهم مستنيمين على الذل، يخادعون أنفسهم، مثلهم مثل المخدرين الذين لا يشعرون بحقيقة وجودهم. أنا أؤيد الرأي القائل بلزوم كشف الحقائق. طبعا هناك أشياء أو أسرار عسكرية، من واجب الدول، كل الدول حفظها، ولا يعرفها كل فرد في الدولة، انما القادة وحدهم يعرفون بعض أسرارها. هذا شئ طبيعي. ولكن من حيث المبدأ لا بد لنا ان نبصر شعوبنا بحقيقة الواقع، وان نجعلها تدرك انها أمام خطر حقيقي، أمام عدو جبار، وان عليها ان تضحي، وان تعين حكومتها حتى تستطيع ان تتغلب عليه آخر الأمر.

* يقال ان الامة التي تعرف كيف تربي أبناءها لا يمكن ان تهزم، فهل سيادة الدكتور يمكننا رد الهزيمة التي إصابتنا في ٥ يونيو الماضي، الى فشلنا في إعداد الفرد العربي، في تربيته وتنشأته؟

-هذا القول صحيح لحد ما، ولكن ليس هو الحق كل الحق، لان في الواقع كثيرا من الدول، وهي تربي أبناءها تربية حسنة، وتعدهم إعدادا حسنا، قد يكبو جوادها، كما نقول في أمثالنا السائرة. ولكن مغلوبيتنا في هذه المرة، وفي المرة السابقة ترجع الى عوامل لا حصر لها، ومن أهم أسباب هذه المغلوبية هو اننا كنا نحارب عدونا ونحن شتات، " تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى "، ليس قلوبهم فقط ، بل واقعهم أيضا . لا نستطيع – وهذا أمر أكدته في المحاضرة – ان نتغلب على إسرائيل الا حينما نحارب إسرائيل بقيادة واحدة، بجيش منظم مقسم ومعد ومعبئ وخاضع لقيادة واحدة. هذه بديهية ولا تحتاج الى حكمة خارقة حتى ندركها. فيما مضى كانت إسرائيل في كل مرة تهجم على طرف، وتنتقص من ذلك الطرف، وتحقق إربها، ثم ترجع الى الجهة الاخرى. وستبقى قادرة على ان تشن حروبا خاطفة هنا وهناك، ما بقينا مقسمين. فعلينا ان نبادر، بأسرع وقت مستطاع، لإقامة – كمرحلة اولى في اقل تقدير – القيادة الموحدة، القيادة القادرة على ان تعبئ الجيوش العربية كلها، وان تعمل بإرادة حرة، وتقدير للظروف، وان لا تمكن إسرائيل من ان تختار الوقت والمحل الذي تريده.

* سؤال آخر اذا سمحتم وصدرك الرحب، وسعة بالكم، تطمعنا في أسئلة اخرى. سيدي الدكتور سمعنا لكم وقرانا عن رأيكم بالنسبة للصورة التي يمكن ان تجمع الدول العربية على صعيد واحد، وهي ما عبرتم عنه بالاتحاد الكونفدرالي، فهل لكم ان توجزوا الرأي في هذا الأمر في ضوء ظروفنا الراهنة؟

-الصورة الأفضل هي الاتحاد الفدرالي، وليس الكونفدرالي، كما وضحت ذلك في كتابي "الدولة الموحدة والدولة الاتحادية" . صحيح انني أخيرا، وفي المحاضرة، وقبل ذلك في الكتاب الذي أشرت اليه قبل قليل، قلت كمرحلة تسبق الاتحاد الفدرالي، لابد لنا ان نطور الجامعة العربية الى ما يشبه الاتحاد الكونفدرالي أو الكونفدراسيون.

هذا الوضع له نماذج في تاريخ الامم عدة. أكثر الدول التي تتعرض الى هوان، أو خطر، تتجمع وتؤسس كيانا جديدا. وهذا الكيان له سلطات عسكرية واسعة، وله قوة الالزام، وهذا ما عنيته لا بد لنا ان نعدل ميثاق جامعة الدول العربية. هذا الميثاق وضع قبل أكثر من اثنتين وعشرين سنة، ومرت على دنيانا – وعلى الدنيا كلها – أحداث، وأصبح العالم اليوم غير العالم يوم ذاك، ولا بد لنا ان نساير الزمن.

فكرة "الإجماع" في قرارات الجامعة تعرقل مسيرة الجامعة الجامعة. عدم وجود قوة فعالة تأتمر بأمرة الجامعة يجعلها مجرد منبر أو قاعة لقاءات. قد تكون الجامعة مفيدة من ناحية المجاملات أو تلطيف الجو أحيانا، وقد تكون شبه عمل عابث.

الأمر الذي عنيته اذن، هو ان تتقدم دولنا مخلصة وراغبة، بان تتنازل عن بعض متطلبات سيادتها ، وان تقيم من الجامعة كيانا ذا سيادة وفعالية ، له شأنه الفعال بالدرجة الاولى في القيادة الموحدة وكذلك في السياسة الخارجية . هذه هي المرحلة الاولى. ويجب ان يعقب ذلك اتحاد بكل ما تعنيه " الدول الاتحادية "من معان معروفة لأساتذة وطلاب القانون الدستوري، ومعروفة في عالم اليوم ، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية مثلا ، أو في المانيا الغربية ، أو في الهند ، أو يوغسلافيا ، أو في عشرات من الدول الاخرى .

تبقى للدول سيادتها الداخلية، وأوضاعها الداخلية، وقوانينها المحلية، وبرلماناتها، وقد تختلف بعضها عن بعض في أشياء كثيرة، حسب تطور المجتمع. الأمر الذي لا ريب فيه هو ان البلاد العربية تطورت بمراحل مختلفة، وهناك تباين، بالرغم من وجود عوامل الوحدة. هناك عوامل الفرقة، اذا جاز لي استعمال هذا التعبير، وليس في استطاعتنا اليوم ان نقيم دولة بسيطة كاملة

الانصــهار. ربمــا هــذه احــدى الــنقاط الخلافية بيني وبين فريق من اخواننا القوميين الذين يتهمونـنــي بأنـنــي لست قوميا لأنني لا أقول بالدولة " البسيطة الواحدة ". وانا أقول ان الوحدة العربــية شعار، وفكرة، وهدف، وانا اؤمن بهذا منذ أكثر من ثلث قرن، وما زلت ازداد به يقينا وايمانــا. ولكن أرى الفرق بين الدولة البسيطة الواحدة، وبين الإيمان بالامة العربية الواحدة، وحــق هذه الامة في ان تتكتل، وان هذا التكتل يجب ان يسير مع الزمن، ومع طبيعة الأشياء، ولا نستطيع ان نتخطى روح العصر، وطبيعة الزمن ، لان هذه الطبيعة تفرض وجودها علينا ، ولا يجــب ان نكون كالنعامة – حسب المثل المشهور – تضع رأسها في الرمل ولا ترى شيئا . واقعنا يفرض علينا ان نتدرج، وان نسلك السبيل المعقول الممكن، وان نسعى للأفضل دائما ما لا اقــره . يجــب ان يأتي الأمر طوعا بالإقناع وبالتدرج، وهذا هو ممكن، وهذا هو المعقول، وهذا هو الأجدى والابقى آخر الأمر ...

هــذه الكلمــة المذاعــة ، أو الكلمة المرئية ، أو الكلمة المكتوبة في الصفحة هي من وسائل الدعاية التي تلجا اليها الدول عادة لإبراز قضاياها.

*ســيادة الدكتور لا شك ان الدعاية كان لها دور وراء ما حققته إسرائيل، فهل كان بسبب قوة الدعايــة الصــهيونية ام لضعف في الدعاية العربية ام للأمرين معا ؟ وكيف يمكن التغلب على أباطيل الدعاية الصهيونية ؟ كيف نستطيع ان نتلمس طريقنا الى الاذن في الغرب؟

الجــواب، أنــت أجبــت عنه في الفقرة الأخيرة. في الواقع الدعاية الصهيونية قوية ودعايتنا ضــعيفة، وان سبيلنا الى اقناع الغرب أو غير الغرب، عمل شاق، وعمل يحتاج الى فطنة والى ذكــاء، والــى مــال كثير. ومن سوء حظنا اننا نخاصم فئة قوية بمالها، وبذكائها، وبفطنتها، وبإمكانياتها ...

ولكــن يجــب ان نعترف اننا في أحيان كثيرة، كنا دعاة سوء لقضايانا. التصريحات – واســمح لي ان استعمل كلمة خشنة بعض الشيء – العنجهية، والأقوال العنترية، التي تصدر مــن بعض ساستنا، وقادتنا وصحفيينا، وتنشر في الخارج، وتحدث صدى سيئا تستغله إسرائيل فتســتحيل الــى عطــف فريق عليها، وقد يستحيل هذا العطف أحيانا الى مساعدات مالية، وقد يستحيل آخر الى مساعدات عسكرية أو تجميع المتطوعين ...

ما أحوجنا الى ان نسلك سبيلا آخر، سبيلا متعقلا، وان ندرك اننا حينما نخاطب العالم الخارجــي لا تســتهويه العــبارات الغلــيظة، والتهديدات التي نحن نعلم قبل غيرنا عجزنا عن

تحقـيقها. لا بد لنا ان نخاطب الناس بالمعقول، وبالممكن، وان نشرح قضيتنا. وكنت أقول ان العـرب عـندهم قضـية عادلـة، أضاعها محام أحمق، والصهاينة عندهم قضية باطلة ربحها المحامـي الحـاذق. فنحن اذن بحاجة الى ان نعبر عن قضيتنا التعبير الصحيح المنطقي، وان ننشر الحقائق، ما وجدنا الى ذلك سبيلا. ولكن مع هذا فان المعركة هي بالدرجة الاولى معركة داخلـية، بمعـنى اننا اذا أصلحنا أوضاعنا الداخلية، وأقمنا نظما سليمة في بلادنا، واستطاعت أجهزتـنا ان تـنطق بـالمعقول، ولا تـنطق بالهوى وبالشتائم المقذعة وبالدعايات التي تثير غوغائـية فـي الداخل. وتصبح موضع استهزاء في الخارج، فسيخدمنا ذلك بعض الشيء. ان العمـل الجاد هو إعداد داخلي كامل، وحينما يرى غيرنا اننا بلغنا هذه المرحلة، ستكون أعمالنا هـي خـير داعية لنا. في الانكليزية مثل يقول "الأفعال تتكلم بصوت أعلى من الأقوال. "فلتكن أفعالنا، واعلان أفعالنا بطبيعة الحال، سيكون ذلك مجديا لان الاذاعة كالمرآة تعكس واقعا، فاذا لـم تكـن الصـورة الأصلية جميلة، سيكون بطبيعة الحال منعكسها غير جميل. هذا هو رأيي. الاذاعـة طـبعا خطـرة ومهمـة وفعالة، ولكن الأهم والأكثر فاعلية منها هو وضعنا الداخلي، ووضـعنا العربي. يجب ان نصفي هذا الوضع، وان نضعه على قواعد سليمة حتى ينعكس في العالم الخارجي بصورة مقبولة معقولة.

* سـيادة الدكـتور الـى ان يتحقق لنا الجيش الواحد، والقيادة الواحدة التي عبرتم عنها في اجابتكم على سؤال سابق، تتعدد الآراء اليوم حول العمل الفدائي. فالعمل الفدائي أخباره في كل صحيفة، وفي كل اذاعة، وفي كل تلفاز في عالمنا العربي تسمع صباح مساء. فلو سألنا سيادة الدكتور عن هذا العمل الفدائي وجدواه؟

- في تقديري ان كل بلاد يحتلها أجنبي، يكون قد هدر كرامتها، واستهان بحقوقها، ويكون من حـق أهـل الـبلاد الطبيعـي ان يقاوموا هذا الغاصب بكل وسيلة مجدية، وعلى ذلك فالأعمال الفدائـية عمل مشروع. ونحن لسنا بدعا من الشعوب والامم. كل الامم من قبلنا قد سبقتنا الى هذا.

ولا ادري هـل تتصـور إسرائيل انها بعد ان تحتل أرضا – وقد سبق لها ان اغتصبت جـزءا آخـر وأجـزاء عديدة من أرضنا – ان يبقى المواطنون مستسلمين، راضين، جامدين، شاكرين لهذا العمل الإجرامي الذي تقوم به ؟ وعلى هذا فلا شك عندي ان العمل مشروع، والى ان تسـتجيب إسـرائيل، في اقل تقدير للمرحلة الاولى ، في الانسحاب عن المناطق المحتلة .

احـــياء، وشاعرون ومقدرون لمسؤولياتهم. واذكر بيت شعر احسبه للشاعر الفرنسي (فولتير) يقول فيه ما ترجمته:

ياله من حمل خبيث يرفس حينما يساق الى الجزار !

مـــاذا ينتظر ممن يساق الى الجزار ان يفعل ؟ هل تحتج إسرائيل لان المواطنين –بين حيــن وآخر– يعبرون عن وجودهم تجاه الطغيان، وأمام تحطيم الدور، وأمام السجن الجماعي، وأمـــام التعذيب والتجويع ؟ ذلك رد فعل طبيعي. فإلى ان ترضخ للقانون الدولي في اقل تقدير، وتستجيب لمتطلبات الحق والعدل، فسيكون رد الفعل من المواطنين أمرا طبيعيا ومشروعا.

* ســيدي الدكـــتور، يـــنعقد فـــي الكويت هذه الأيام المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العـــرب، فمـــا هو في اعتقادكم الدور الذي يمكن ان يؤديه هذا المؤتمر بالنسبة للواقع العربي الحالي خاصة، وبالنسبة للحياة العربية من وجهة عامة ؟

– الجامعـــة العربية منذ انشأت، وهي تدرك أهمية التنسيق الثقافي وتدعو الى توحيد مناهج التعلـــيم مـــا وجد الى التوحيد سبيلا. وهذا المؤتمر دوري ومهمته كمهمة المؤتمرات السابقة يجب ان يستحث الخطى لتحقيق الانسجام بين مناهج البلاد العربية. على ان قيمة هذا المؤتمر انـــه يـــنعقد بعد النكبة أو النكسة كما يؤثر بعضهم تسميتها. وهذه النكبة أو النكسة قد فرضت على الامة العربية، وعلى حكوماتها كافة، وجائب عديدة، منها، كما ذكرت قبل قليل، ادراك هذه النكبة وعمقها مع مزيد من التوعية والاعداد. فالمرجو من وزراء التربية العرب ان يتدارسوا هـــذا الأمر، وان يضعوا المخططات الكفيلة بايقاد الروح، واستشارة الشباب، واعدادهم الاعداد الكامل، وتزويدهم بما يجب ان يزودوا به، وبخاصة في المراحل الاولى من مراحل التعليم.

وأمـــا بالنســـبة للطلاب الجامعيين، ومن هم قادرون على حمل السلاح، فيجب ان يعدوا اعدادا عســـكريا، واعدادا فنيا، بجانب الاعداد الروحي. وعلى هذا فانا اعتقد ان هذا المؤتمر له دور مهم، وأرجو ان يوفق للنهوض بما يرجى منه.

* سيدي الدكتور أنا اعرف ان الحديث في السياسة وفي التربية وفي القومية العربية هي أجمل الأحاديـــث وأحـــبها الـــى قلبكم، لكن أنا اعرف كذلك ان حديث الأدب، حديث، تطيب له نفسكم الكبـــيرة، يـــا تـــرى أي الأحداث القومية من أقوى العوامل التي صنعت تاريخ الفكر ومذاهبه ومـــناهجه. فهـــل تعتقدون ان الأدب العربي تأثر بالأحداث بالقدر الذي ترغبون ان يكون عليه أدبنا العربي ؟

– لا أستطيع ان ادعي لنفسي الان انني محيط بالتيارات الأدبية، كلها، ولا أستطيع أيضا ان أقول بان الأدب واكب التطور السياسي وحاجتنا القومية أو لم يواكبها. ولكني على يقين بان للأدب دوره الفعال، وانه وسيلة مجدية لإثارة الروح، وتغذية المشاعر. واذا جاز لي ان أقول بهذه المناسبة شيئا آخر، انني اعد الأدب وبخاصة الشعر، هو الفن العربي الرفيع الذي ينسجم مع طبائعنا، والذي كان له فيما مضى الدور المهم في توجيهنا الروحي والفني. ولذلك فالأدباء مطالبون بان يقوموا بقسطهم في هذه الناحية، وان يعملوا ما وسعهم الجهد. وفي تقديري ان بعضهم عمل بفنون الأدب المختلفة، في الرواية وفي القصة، وفي الاقصوصة، وفي المقال، وفي القصيد والقطعة والخ.. وكل اولئك وسائل مجدية للتعبير وللتنوير وللتفكير الهادئ الجميل، ولبعث الروح في الامة، واقامة معنوياتها. ونحن في مراحل تطورنا قد هزت معنوياتنا، وهز كياننا. فالأدب يستطيع ان يقوم بقسطه،

* سيدي الدكتور من الملاحظ انكم تكثرون من الاستشهاد بالشاعر المتنبي، ولماذا هذه الفكرة من الاستشهاد ؟ احسب انه رفيقه في رحلاته الى جانب القرآن الكريم الذي يحمله دائما فلا بد من ديوان الشعر؟

– المتنبي كما يقال عنه، شغل الدنيا حيا وميتا. وانا من الذين يعتقدون انه مما لا ريب فيه أعظم شعراء الامة العربية، وقلت قبل قليل بان الشعر هو فن الامة العربية الخالدة، قرأت المتنبي، واقرأه، وأتلذذ بقراءته. في الواقع في بعض سفراتي الطويلة، واهم سفرة في حياتي حينما ذهبت للدراسة في انكلترا قبل مدة طويلة حيث بقيت هناك أربع سنوات، استصحبت مع القران الكريم بعض الكتب، كان ديوان المتنبي بالتأكيد واحدا منها، واذكر انني حينما كنت اتعب من القراءة في اللغة الانكليزية، وفي القانون الانكليزي، واشعر بشيء من الضجر، وانا في غرفتي في الشتاء الطويل البارد، أتلذذ بفتح ديوان المتنبي واقرأ بصوت عال بعض قصائده، واستشعر في معانيه، وفي حكمه التعبير عما يختلج في صدري.

وفي تقديري – وهذا رأي سبق لي ان سمعته من مستشرق كبير – بان المتنبي، وفي هذه المرحلة بالذات، يمثل عواطف الامة العربية أحسن تمثيل. هناك قوى كامنة في هذه الامة، وهناك واقع مرير يحيط بها، فيجد الجيل الصاعد في المتنبي الناطق باسم هذه الفئة حين ينظر الى الغيب وينظر الى المستقبل بطموح كامل. الملكات الكامنة، والقوة الكامنة، يعبر عنها المتنبي تعبيرا جميلا فعالا . فالمتنبي – علاوة على متانة شعره، وجزالة لغته،

وعظـم إدراكـه لحقـيقة وجود الامة العربية، وحقيقة الطبيعة البشرية -، هو في هذا الصدد المتـنفس للكبت الموجود في أنفس أبناء الامة العربية الذين يريدون ان يقيموا وجودهم على اسـس امتـن وأفضل واقوى وأعظم مما هي في واقع الحال اليوم. وهذا هو سبب استشهادي بالمتنبي، طبعا بعد استشهادي الكثير بالقرآن الكريم.

* سـيدي الدكـتور هذا لسان العرب الفصيح الذي كان فيه شعر المتنبي، هذا اللسان العربي الفصـيح الذي هو لغة السماء الى الأرض وترجمان والمرجو انه قائم، أو ان فريقا من الادباء قـائمون بقسـطهم بهـذا الصدد. احاسيسنا ومشاعرنا وآلامنا وآمالنا، تضطرب حوله الآراء، فهناك من يقول بتبسيطه الى حد العامية، ومنهم من يقول ببقائه فصيحا - رأيكم في ذلك؟

-اعـتقد ان اللغة العربية ليست معقدة حتى تحتاج الى تبسيط. انما هي عميقة، هناك فرق بين الـتعقد وبين العمق، وربما اكرر الملاحظة التي ابديها قبل يومين في الجامعة حينما ذكرت لهم - حـول هـذه الـنقطة بالذات - الواقعة الاتية: كنت مرة - حينما كنت في الولايات المتحدة الأمريكـية بوصفي وزيراً للخارجية ورئيس وزراء - في حفلة وكانت تجلس الى جواري سيدة فاضلة اظنها كانت زوجة الممثل للهند، وسألتني هذا السؤال - وكانت مثقفة - :متى تبسطون اللغـة العربية؟ فكان جوابي اليها: "متى ما سيكون باستطاعتنا ان نبسط سيمفونيات بتهوفن". فهـذه هي المسالة، الجاز المتكون من آلتين موسيقيتين نقرات وصوت آخر، تستطيع ان تقول انـه مبسـط، ولكـن السيمفونية التي يعزف فيها العشرات، أحيانا أكثر من مائة، ومبينة على قواعـد في غاية الدقة والإحكام، هذه لا تبسط، لانها عميقة... وسبب عمق اللغة العربية يكمن فـي ان هـذه اللغـة الكريمة ورثت حضارات وتطورت، ليس كما يقول بعضهم خلال ٢٠٠ أو ٣٠٠ سـنة قـبل الاسـلام، وانما خلال قرون عديدة. اللغة البابلية هي اللغة العربية الاولى، والعربـية الحالـية هي العربية الحديثة كما يقال. فهذه اللغة نمت خلال الاف السنين ووضعت معانـي وأحاسـيس قـل ان نجدها في أية لغة اخرى. فتعبيراتها، ودقتها، ونحوها، وصرفها، وبلاغـتها، وكـناياتها، شـئ يذهل كل من يدرك معاني إعجاز هذه اللغة الكريمة. ولذلك فانا متمسك بها. ولكن لا يعني الاستمساك بهذه اللغة والرجوع الى لغة خشنة، ومفردات غريبة، بل الألفاظ المأنوسة، (وفي اللغة عشرات الألفاظ الكثيرة ويستطيع المتأدب، أو الكاتب أو المتحدث، ان يخـتار مـنها مـا يشاء). من منا يتهم طه حسين مثلا بان لغته ليست جميلة، وهو يتكلم بالعربـية، والعربية الفصحى ويؤمن بالعربية الفصحى ويدعو اليها ؟! هذا هو الأمر، أما القول

بالعامية، ففي اعتقادي هو دعوة الى تحطيم وحدة الامة، لان الذي جمع الامة العربية، هو أولا وقبل كل شيء، اللغة. اللغة هي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها القومية، والامة الغربية بلا لغة عربية ليست قومية، وليست هناك الا لغة عربية واحدة هي لغة القران، ويكون من العبث لامـــة لها هذا الكتاب الخالد يرتله الناس صباح مساء، ان تحاول ان تستبدل بها غيرها. اعتقد ذلك هو السفه كل السفه، وانا – استمسك –كما قلت– وأؤمن بهذه اللغة التي وسعت كتاب الله لفظا وغاية، كما قال حافظ ابراهيم، والتي لن تعجز عن الإيفاء بمتطلبات العصر، ومصطلحاته، اذا وجـــد مـــن يحسن استعمالها، ويجيد الاقتباس. وهناك وسائل التعريب، والنحت، والترجمة وغيرها، بحيث يستطيع العاملون ان يغنوا هذه اللغة بما تحتاج ويمدونها به. واللغة كائن حي يجـــب ان ينمو ما في ذلك ريب. وانا لا اريد الجمود على القواعد والأشياء المستقرة، انما في كلياتها، واصولها، وتكوينها، يجب ان تبقى هذه اللغة الواحدة، والا استحالت "الرطانات العامية" المحلية الى لغات شتى. وهذا ما سعى الغرب اليه جاهدا في مرحلة في الأقل من المراحل، وما يـــزال –مـــع الأسف الشديد– فريق منا متأثرا بآثار هذا الاستعمار الفكري، ويرى في العامية المحلـــية متنفســـا لـــلأدب الحر، أو للأدب الشعبي، وما شاكل ذلك. أما أنا فاستمسك بالعربية البسيطة الجميلة التي هي لغة القرآن.

* ســـيادة الدكـــتور أثقلـــنا علـــيكم، لكن كما ذكرت رحابة صدركم تجعلنا نطمح في الكثير من الأسئلة. يا ترى عملتم في التعليم استاذا ومحاضرا وعميدا ومديرا، وعملتم في السياسة سفيرا ووزيرا ونائبا لرئيس الوزراء ورئيسا للوزراء. وكتبتم في الوطنية والقومية وفي الوحدة وفي الاجـــتماع وفـــي التربـــية وفـــي كل هذا . لو سألت – وصراحتكم دائما تجعلني اسأل حتى في خصوصـــيتكم – يا ترى لو أردتم ان تختاروا من كل هذه الأعمال عملا تقضون به بقية حياتكم المديـــدة الطويلـــة ان شـــاء الله، المليـــئة بالخير لأبناء الامة العربية، ماذا كنتم تفضلون ان تكونون؟

– لا اشـــعر بالحـــرج، ولكن المشكلة ان الانسان في كثير من الحالات مسير وليس مخيرا، أنا اعـــتقد بهذا أما من ناحية المبدأ فانا دائما وأبدا كنت أقول، ويوم كنت رئيس وزراء أيضا قلت هذا، ان أكرم مهنة هي مهنة التعليم، حتى انني قلت مرة وانا اردد بيت المتنبي الذي يقول فيه:

اعز مكان في الدنا سرج سابح ... وخير جليس في الزمان كتاب

ان الشـطر الثاني لا غبار عليه، ولكني كنت أقول: اعز مكان في الدنيا كرسي استاذ. فانـا اؤمـن ان التعليـم مهنة شريفة كريمة، وخاصة اذا عرف الاستاذ رسالته، وكان يحسن أداءهـا، وكان يشعر باللذة حينما يقوم بقسطه. وما دام الشئ بالشيء يذكر، وما دمت تجرأت على المتنبي، فقد تجرأت مرة على شوقي أيضا وقلت في بيته المشهور، لو كنت مكان شوقي لجعلت بيته عن المعلم هكذا في قصيدته التي يحيي بها المعلم والتي يقول فيها:

أرأيت أعظم أو اجل من الذي   يبني وينشئ أنفسا وعقولا

أما أنا فكنت أقول:

أرأيت أعظم أو اجل من الذي   يفنى لينشئ أنفسا وعقولا

فما اجل الفناء في سبيل البناء، وما أعظم التضحية في سبيل الامة؟ فالمعلم والاستاذ بـناء، هو يفنى ولكنه في فنائه ينشئ. هذا الإنشاء نحن بحاجة اليه، بحاجة الى أجيال مدركة مسؤوليتها، عارفة حقوق ربها، وحقوق وطنها، وحقوق امتها.

* سـيادة الدكـتور يا ترى ماذا يشغلكم في الحياة غير قضايانا التي نعيشها، غير امور حياتنا يوما بيوم، غير أبنائنا، ماذا يشغلك في الحال ؟

- فـي واقع الحال مصير الامة العربية هو شغلي الشاغل، وآلامها، ونكباتها ومستقبلها. وانا بحمـد الله، بالـرغم مما قاسيت في حياتي الخاصة من الآم، من معتقلات وسجون وابتعاد عن الأهـل، وفقـدان الأحـبة، وتلك مسائل خاصة، أما اليوم فأملي الوحيد ان أرى هذه الامة وقد وقفـت بعـد كـبوتها، وقـد اتعظت من أخطائها، وقد بدأت تشق طريقها السوي مدركة عظم مسـؤوليتها، مستنيرة بماضيها، مستفيدة من تجاربها، الى ان تبلغ المدى الذي يجب ان نصل اليه.

* سـيادة الدكتور رأيتم الكويت أكثر من مرة، يا ترى كيف رأيتم الكويت في هذه الزيارة. بعد سنوات احسبها كانت أربع سنوات، أو اقل من ذلك؟

- لعلـك تـريد ان تجرنـي الى الملاحظة التي أبديتها بالأمس في التلفاز؟ ما في ريب عندي الكويـت قـد تقدم ماديا وعمرانيا، بل وتقدم هذه المرة أيضا صناعيا. فقد رأيت معامل جديدة. ومـا فـي ريب ان الازدهار واضح من ناحية من النواحي. ولكني قلت بالأمس شيئا أرجو ان يكـون اخوانـنا الكويتـيون أول من يدركه، وهو ان في هذه الحياة أشياء غير المادة، وغير الـثراء، وغير الدور العامرة، وغير الطرق المعبدة. وانا لا اعارض في ان يسكن الانسان في

دار كبيرة جميلة، وان ينتفع من ملذات الحياة لأنني اؤمن بقوله تعالى: " قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق"، ولكني أقف قليلا عند كلمة (الطيبات من الرزق)، يجب ان يكـون الـرزق حلالا، وان يكون ذلك أيضا مع اعطاء حقوق الله وحقوق المواطنين، وان يكـون ذلك مقرونا بمثل، والا استحالت الحياة الى مادة، وان المادة مهما كان بهرجها عظيما فـي نفـوس بعـض الصغار- صغار مهما كبرت أجسامهم، ومراكزهم - تافهة ان لم تقترن بمثالية، وان لم تقترن بعقائد اخرى. فانا أرجو لاخواننا في الكويت - وفي غير الكويت أيضا، لان هناك أقطارا اخرى تزدهر وتتقدم اقتصاديا ومدها الله بثروات هائلة - ان يدركوا رسالتهم بالنسبة للأجيال القادمة وبالنسبة لمواطنيهم، فلا يسرفوا فيما هو آني، وانما فيما ينشئ موارد الثروات الدائمة للأجيال القادمة، وان يشعروا بمسؤولياتهم تجاه بني قومهم. وان الثروات التي تتركز في بقعة صغيرة ولا تخدم الامة بمجموعها، ليست الا كالكنوز المدخرة التي لا جدوى من ورائها. وانا اعلم ان الكويت ساهم ويساهم في القضايا العربية العامة. وانما أقول هذا من باب تقريـر الواقـع مـن جهـة، وللتأكيد لبعض الذين يتشككون في جدوى هذا، ويتساءلون عن شرعيته. أنا أقول انه ليس شرعيا فقط بل هو واجب محتوم، وواجب من اجل مصلحة الكويتيين أنفسـهم، وواجب من حيث ان الثروة والمادة لا يراد ان تكون متاعا في هذه الدنيا فقط، وانما يجـب ان تكـون السبيل الى الحياة الأفضل، كما عبر عنها القران الكريم:" وابتغ فيما أتك الله الدار الآخرة، ولا تنسى نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله اليك ". فاذا كان الله تعالى قد أحسـن الـى قطر، فواجب هذا القطر ان يحسن أيضا. وليس في ذلك معنى الصدقة، وانما هو معـنى الواجـب كمـا أراه. القومـية تفرض علينا ان نكون سواء في السراء والضراء، وان نتعاون، وان نعمم الخير والفضل. هذا هو الأجدى لنا ولغيرنا. وفي هذا مرضاة الله أيضا، وفيه استجابة للمثل الصالحة.

* سـيدي الدكـتور، كلمة أخيرة نختتم بها هذا اللقاء، ولو اننا كنا نود ان يطول ويطول لولا الحاحات الهاتف، ولولا ارتباطاتكم الكثيرة. أخشى ان السادة المستمعين يقولون لماذا لم تتوجه بسـؤال لسـيادة الدكتور بما معناه، هل بوادر حل لهذه الكربة ولهذه ألازمة التي نعيشها هذه الأيام؟

- لا ادري. ويعسر علي في واقع الحال ان اجيب على هذا بكلمة أو كلمات. ولكن الذي اعلمه عـن يقيـن، كمـا قدمـت، اننا في آخر الأمر لا بد واجدون طريقنا، ويجب ان تكون لنا الثقة

بانفســـنا، والايمـــان بالغيب. وهذا هو بعض معاني الصبر. ليس معنى الصبر الاستكانة، وانما العمل الدائب، والثقة بالغيب والمستقبل.

أنـــا على يقين اننا سنشق طريقنا، وقد يتطلب ذلك منا مزيدا من التضحيات، وقد يأخذ بعض الوقت، ولكن السنة والسنتين وحتى الخمس والعشر سنوات في تاريخ الامة ليست بالأمد الطويـــل. لابـــد لنا ان نؤمن ان المرحلة القاسية التي نحن فيها مرحلة عابرة، واننا اذا أردنا الحـــياة - ونحـــن نريد الحياة، ويجب ان نحيا - يجب ان نعمل حسب القوانين التي تقتضينا، يجـــب ان نـــزيد مـــن إعداد أنفسنا، ونزيد من التضحيات ونزيد من التصميم. فاذا تحقق هذا، وأرجو ان يتحقق، فسنبلغ المدى، وستنكشف الغمة بإذن الله تعالى.

تصريحات صحفية

" سياسة العراق الخارجية "

أدلــى الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء، ووزير الخارجية بحديث أمس [٣٥] تناول فيه سياسة العراق الخارجية.

" استهل الاستاذ البزّاز حديثه قائلا ":

ان الــذي يحــدد سياســة العــراق الخارجية هو واقع العراق الجغرافي والاجتماعي، والسياسي، والتاريخي، ومصالح شعبه. فالعراق دولة تجاورها دول اسلامية غير عربية، ودول عربــية شــقيقة. ان سياســتنا تجــاه الــدول الاسلامية المجاورة قائمة على أساس التعاون الاقتصادي، وتنمية الروابط الروحية التي تجمعنا.

أما سياستنا بالنسبة للبلاد العربية المجاورة، والبلاد العربية كافة، فقائمة على أساس ان العــراق جزء من الامة العربية الواحدة، وما يصيب أي جزء من هذه الأجزاء ينعكس على العــراق دون ريــب، ولذلك فالعراق يساند جميع الحركات التحررية في الوطن العربي الكبير، ويعمل جاهدا لتمكين الأجزاء التي لم تستكمل سيادتها بعد من حصولها على الاستقلال التام.

وان العراق يعارض بقاء القواعد العسكرية في أي جزء من أجزاء الوطن العربي.

ان سياســة العــراق تجــاه فلسطين قائمة - كما كانت دائما - على أساس استرجاع حقــوق عــرب فلســطين، واعادة الوطن السليب الى ذويه. وسيبقى العراق ملتزما بمقررات مؤتمرات القمة[٣٦] التزاما كاملا.

وأشار الاستاذ البزّاز الى سياسة العراق الخارجية في الحقل الآسيوي والأفريقي قائلا: "ان العــراق، بوصــفه قطــر نام يرتبط بالدول الأفريقية والآسيوية، ودول أمريكا اللاتينية، - ويتجاوب معها في رغبتها في النمو، وسياستها في الحياد الايجابي، وعدم الانحياز".

واســتطرد الاســتاذ الــبزّاز قــائلا "أما سياستنا مع بقية دول العالم فقائمة على مبدأ الاحــترام المتقابل، وعلى أساس من المصالح المتبادلة، والاحترام الكامل، مع التقيد بالمبادئ الأساسية الواردة في ميثاق هيئة الامم المتحدة، ورعاية المواثيق الدولية الاخرى".

وأعلن الاستاذ عبد الرحمن البزّاز: ان العراق سيبقى أمينا على رسالة " الامة العربية الواحــدة " الهادفــة للتكــتل واقامــة (الكيان العربي المشترك الواحد). وأضاف: "ان الحكومة

---

[٣٥] ٧ أيلول ١٩٦٥.

[٣٦] اشارة الى مؤتمر القمة العربي الأول.

العراقـية تعـتقد ان الخطـوة العملية في هذه المرحلة، تكون في تنفيذ بيان القيادة السياسية الموحـدة الصادر بتاريخ ٢٥ أيار ١٩٦٥، والعمل الرصين الدائب لإقامة اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ليكون النواة للكيان الشامل".

واختـتم الاسـتاذ البزّاز تصريحه قائلا: ان الحكومة العراقية تعد الجمهورية العربية المـتحدة الشـقيقة الكبرى التي ترتبط بها بأوثق الروابط، وتتجاوب معها كل التجاوب من اجل تحقيق الأهداف العليا المشتركة لامتنا العربية.

البزّاز يتحدث في القاهرة[٣٧]

أدلـى الاسـتاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء ووزير الخارجية بتصريح لمراسل وكالة الأنباء العراقية في القاهرة قال فيه ان زيارته القصيرة للولايات المتحدة لحضور الدورة العشرين للامم المتحدة كانت مجدية من وجوه عدة.

وقـال السـيد رئـيس الوزراء، الذي وصل الى القاهرة ليلة أمس الأول من لندن في طـريق عودته الى بغداد، ان العالم قد سمع صوت العراق ... ولا أقول الصوت المدوي ولكنه كان صوتا يتسم بالاتزان والموضوعية.

وأشـار الاستاذ البزّاز الى الخطاب الذي ألقاه في الجمعية العمومية في نيويورك فقال لقـد عرضـت أهـم المشكلات العربية عرضا واضحا، كما أشرت الى القضايا الدولية إشارات معـبرة.. ثـم أشـار السـيد رئيس الوزراء الى الاجتماعات التي عقدها في لندن ونيويورك وواشـنطن فقـال: انـه عـرض في هذه الاجتماعات وجهة نظر العراق حول القضايا العربية والقضـايا التـي تمـس العراق مباشرة بصورة لم يبق فيها أدنى شك عن نوع السياسة التي تنتهجها اليوم الحكومة العراقية.

وأعرب الاستاذ البزّاز عن اعتقاده بان وجهة نظر العراق قد فهمت، وان رأي العراق قد بلغ الى المسؤولين الذين اجتمع بهم بصورة واضحة وكاملة.

وتطـرق الاسـتاذ عبد الرحمن البزّاز بعد ذلك الى اجتماعه بالمستر هيوبرت همفري نائـب رئـيس الولايـات المتحدة فقال: لقد شرحت خلال الاجتماع سياسة العراق القائمة على

---

[٣٧] أدليت بهذا التصريح في ١٩-١٠-١٩٦٥.

الحياد الايجابي، بكل معنى دقيق من معانيه، وأوضحت كذلك معنى"الاشتراكية العربية" التي نؤمن بها، ونعمل من اجلها، لنحقق الرفاهية والعدالة الاجتماعية للمواطنين.

ومضى السيد رئيس الوزراء يقول لقد تعرضت كذلك الى كثير من قضايانا الاخرى بما جعلني اؤمن بان هذه الزيارة ستكون مجدية في ايصال صوت العراق المهذب الواضح الجلي للعالم.

وأشار الاستاذ البزّاز الى اجتماعه في نيويورك مع المستر اندريه غرو ميكو وزير خارجية الاتحاد السوفييتي فقال انه أكد خلال الاجتماع رغبة العراق على الدوام في صداقة الشعب السوفييتي، ورغبته الصادقة في التعايش السلمي مع الأنظمة المختلفة، مع ايمانه باشتراكيته الخاصة به.

وأضاف ان المستر غروميكو أكد رغبة الاتحاد السوفييتي في الإبقاء على الصداقة مع الشعب العراقي، ورغبة السوفييت في مساعدة العرب في قضاياهم الاخرى.

وقال لقد اتفقنا على ضرورة عقد لقاءات متعددة اخرى لتنقشع بعض الغيوم التي تعلو الجو المشترك بيننا ولكي تكون الصداقة أرسخ دوما وأعمق في دلالتها.

وتطرق السيد رئيس الوزراء في معرض إشارته الى قضية النزاع بين الباكستان والهند فقال ان ما ورد في خطابي أمام الجمعية العامة في الامم المتحدة حول هذه القضية قد لقي استحسان مندوبي الهند والباكستان على حد سواء، وقد اعد كل من المندوبين وجهة النظر العراقية في هذه القضية مقنعة بالنسبة لحكومته.

في يوم الامم المتحدة[٣٨]

تحتفل اليوم معظم دول العالم بمناسبة مرور عشرين عاما على ميلاد أهم وأضخم منظمة دولية عرفها تاريخ العلاقات الدولية، تلكم هي منظمة الامم المتحدة التي وقع ميثاقها عام ١٩٤٥ في مدينة سان فرانسيسكو مندوبون عن خمسين دولة من بينها العراق. مما لاشك فيه ان التجربة التاريخية الجديدة التي بدأت بمولد هذه المنظمة تعد حدثا هاما في تطور العلاقات الدولية بين شعوب العالم المختلفة، خاصة وان هذه المنظمة قد أخذت على عاتقها تبعة ايجاد الحلول السلمية للقضايا المتنازع عليها بين الدول، ورفع المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية،

---

[٣٨] نشرت هذه الكلمة في ٢٥-١٠-١٩٦٥ في الجرائد المحلية.

والمحافظة على السلم العالمي، والسعي لإقامة علاقات ودية بين الشعوب كافة، واحتراما للحقوق الأساسية للانسان.

وبهذه المناسبة يطيب لحكومة الجمهورية العراقية ان تحيي هذه المنظمة بعيد ميلادها العشرين وتؤكد، كما أكدت في الماضي، اعتزازها بميثاق الامم المتحدة، وعملها المخلص الدائب لتحقيق أهدافها النبيلة التي كانت ولم تزل تشكل هدفا أساسيا من أهداف سياستنا الخارجية. ان ثقتنا بالامم المتحدة واعتزازنا بجهودها يصاحبه الأمل في ان تتمكن هذه المنظمة من الوقوف دوما الى جانب الحق ونصرة قضايا الشعوب العادلة ومنها قضايانا العربية في الجنوب المحتل وعدن. كما نأمل حرصا على كرامة المنظمة نفسها ان تتمكن من ان تدرك ما وقع من تعد صارخ في فلسطين العربية وتلتزم بمبادئ ميثاقها بصورة دقيقة وشاملة ليعود الحق السليب لأهل الوطن الشرعيين.

ان جمهوريتنا تأكيدا، لايمانها بحقوق الانسان، وبكرامة الشخص وقيمته، واحتراما للحريات التي تسعى شعوب المنظمة كافة لتحقيقها، لتحقيق، وضمان طبيعتها لخدمة الأهداف السامية، لنجرو أن تعود هذه الذكرى عاما بعد عام والمنظمة اعز شأنا، واقدر على الايفاء بالمثل التي اخذت على نفسها بها.

تصريحات لصحيفة "الأحد" اللبنانية[٣٩]

اعلن الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء ان الاتحاد في الظروف الراهنة هو الخطوة العملية المجدية لتحقيق الكيان العربي الواحد.

قال الاستاذ البزّاز في تصريح نشرته له أمس صحيفة – الأحد – الاسبوعية اللبنانية: ان هذا المعنى أكده بصورة قاطعة البيان المشترك الذي صدر بعد زيارته الأخيرة للقاهرة.

وأضاف السيد رئيس الوزراء قائلا: "ان السبيل العملي الوحيد، في المرحلة الحالية، هو اقامة نظام اتحادي تتحقق فيه لأبناء الاتحاد دولة مركزية واحدة ذات سيادة كاملة، ولها رئيس واحد، وسياسة خارجية، وعلم وشعار ونظام نقدي وكمركي واحد، ولها كذلك سياسة اعلامية واحدة وجيش واحد".

---

[٣٩] نشرت هذه التصريحات في ١-١١-١٩٦٥.

وقـــال: ان هـــذا الرأي يعني في عبارة واحدة " دولة كالولايات المتحدة الأمريكية، أو المانيا الغربية ".

وتطرق الاستاذ البزّاز الى الأوضاع السياسية والاقتصادية في العراق فقال: ان الاتحاد الاشــتراكي العربــي يمــر بتجربة هامة، ولكنه في حاجة الى التنشيط والتجديد ودعم كيانه. وأضاف ان الحكومة عازمة على القيام بهذا كله مسترشدة بتجربة الشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة.

وذكــر الســيد رئيس الوزراء: ان الوضع الاقتصادي في البلاد قد تأزم بعض الشئ، نتيجة لبعض القرارات غير المدروسة والمغالاة في فهم بعض المبادئ الاقتصادية دون مراعاة لأوضاع البلاد الاجتماعية والنفسية، فضلا عن أسباب كثيرة اخرى..وعقب على ذلك قائلا: ان هذا التازم اخذ في الانفراج التدريجي.

وانــتقل الاســتاذ الــبزّاز بعــد ذلك الى توضيح شكل الاشتراكية في العراق فقال: ان الــوزارة الحالــية أســمتها " الاشــتراكية الرشيدة " أي الاشتراكية الهادفة البناءة التي تسعى لتحقــيق الرفاهــية والعدل الاجتماعي والعناية بالقطاعين العام والخاص على حد سواء وزيادة الانتاج مع عدالة وتوزيع.

وأردف يقول: ان هذه المبادئ تتمشى مع حاجة العراق، وتطابق مصالح أبنائه، وهي مستمدة من روح مجتمعنا، ومتجاوبة مع رسالة الأديان.

وأجــاب الاســتاذ البزّاز عن سؤال حول التأميم فقال: ان بعض الشركات والمؤسسات المؤممة حققت أرباحا، وخسر بعضها الآخر. وأكد بان الحكومة العراقية لن تلجا في المستقبل الى التأميم الا اذا تحققت بالدراسة العلمية الموضوعية ان المصلحة العامة تقتضي ذلك.

وأعلن الاستاذ البزّاز في ختام تصريحه ان الحكومة ليس لديها في الوقت الحاضر ما يدعوهــا لالغــاء تأميم أي من المؤسسات المؤممة. وقال انه فيما يتعلق باتفاقية " النفط " فان الحكومة لم تنته من تكوين رأي في هذا الشأن، وما تزال الدراسات جارية حول هذا الموضوع.

تصريحات الاستاذ البزّاز لوكالة الصحافة الألمانية[٤٠]

صـــرح الاســـتاذ عـــبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء ووزير الخارجية ان المستشار الألمانـــي ايرهارد لم يترك لنا فيما مضى من سياسته ما نعلق عليه أملا بالنسبة الى ما ينوي التصـــريح به في المستقبل. وقال السيد رئيس الوزراء الذي كان يدلي بهذا التصريح لمراسل وكالة الصحافة الألمانية الغربية: ان العلاقات العربية الألمانية كانت في الماضي مثلا يحتذى به بيـــن الشعوب في الصفاء والود والتعاون، ولكن الحكومة الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية تـــنكرت لهذه الصداقة، بل تعمدت الاساءة اليها، بما قدمت وما زالت تقدمه من مساعدات غير محدودة لاسرائيل. ومنها أنواع الأسلحة التي تحارب إسرائيل بها العرب، وتحمي بها عدوانها على حقوق العرب في فلسطين.

وأضـــاف الســـيد رئـــيس الوزراء قائلا " ان عواطف الشعبين العربي والألماني ازاء بعضها فوق عوامل السياسة، وأرجو ان لا يؤثر موقف المستشار الألماني ايرهارد غير الودي نحـــو العـــرب فـــي هذه العواطف. ونحن نأمل ان يدرك الشعب الألماني الصديق ان مصلحته الحقيقـــية والدائمة في صداقته للعرب، وانه سيحمل حكومته يوما ما على ان تسلك سلوكا ابعد نظرا في ادراك من هو الصديق الحقيقي للشعب الألماني، وكيف يجب الحفاظ على صداقته ".

نرحب بالقروض غير المشروطة:

وجواباً على سؤال للمراسل حول موقف الحكومة من القروض الخارجية لدعم الوضع الاقتصـــادي قـــال السيد رئيس الوزراء:" لا شك في اننا نعمل كل ما في وسعنا لتعزيز الوضع الاقتصـــادي فـــي بلادنـــا، ولذلك فاننا نحتاج من اجل إنمائه وازدهاره الى مساعدات مختلفة، كالقروض المصرفية والائتمانية، التي تمكننا من النهوض بمشاريعنا الصناعية والزراعية على ان تكون القروض المصرفية والائتمانية غير مشروطة وعلى هذا فاننا نرحب بأية مساعدة من هذا النوع من أي بلد ما دام ذلك في مصلحتنا ".

---

[٤٠] نشرت في ٨-١١-١٩٦٥.

دعم الوحدة الوطنية:

ورد السـيد رئيس الوزراء على سؤال لمراسل وكالة الصحافة الألمانية الغربية حول سياسـة الحكومـة فـي تدعيم الوحدة الوطنية قائلا: "ان الوحدة الوطنية هي الأصل في كيان مجتمع ودولته. فاذا طرا عليها ما يضعها فلا يمكن ان يكون ذلك طبيعيا، ولا بد ان تكون هنالك عوامـل طارئة، والحكومة العراقية الحاضرة جادة باخلاص في القضاء على كل سبب أدى أو يـؤدي الـى لضـعاف الوحـدة، ونعتقد ان سيادة القانون، وتعميم العدالة الاجتماعية، وتكافؤ الفـرص، والتسـاوي في الحقوق والواجبات بين المواطنين، ستؤدي الى دعم الوحدة الوطنية وهـي الدعامـة التـي تحرص عليها لتحقيق الوحدة القومية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، والأقطار العربية الاخرى".

حوار مع البزّاز [٤١]

أول حكومة مدنية بعد ثورة تموز

في بغداد الان حركة نشاط واسعة ... وابرز ملامح هذا النشاط على المستوى الرسمي ... ففي خلال اسبوعين فقط.. وبعد شهرين من تولي حكومة مدنية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، بدأت عدة ظواهر سياسية ظلت حديث الناس لفترة طويلة.. سواء على المستوى الجماهيري، أو مستوى الدولة، فبعد خمسة أسابيع من اسناد رئاسة الوزارة الى الدكتور عبد الرحمن البزّاز .. عقـد عدة اجتماعات سياسية وتحدث في التلفاز.. وألقى خطبة بين أساتذة وطلبة الجامعة.. وأدلـى بأكـثر مـن حديث ... وأخيرا قدم (المنهاج الوزاري) الذي سيكون دليل عمل بالنسبة لحكومته ... ومن خلال الخطب والأحاديث والمنهاج الوزاري ...

---

[٤١] زار علـي منـير الصحفي العربي المعروف بغداد قبل مدة قصيرة، قابل خلالها عددا من المسئولين، وفي مجلة روز اليوسـف القاهـرية كتـب علي منير لقائه مع السيد عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء تحت عنوان(حوار مع البزّاز).

وقد أعادت جريدة العرب نشر هذا المقال في ١-١٢-١٩٦٥.

الخطوط العريضة لسياسة البزّاز

برزت الخطوط العريضة لسياسة حكومة البزّاز .. هذه الخطوط تتلخص في:

* اعتناق مبدأ الاشتراكية الرشيدة ..

* ايجاد حالة من الإنعاش الاقتصادي على كافة المستويات ..

* اطلاق حرية الاستيراد لعدد من السلع ..

* تشكيل لجان لدراسة وضع قانون الانتخابات للبدء في تطبيق النظم البرلمانية..

* تعديل بعض التشريعات الخاصة بالعمليات الاقتصادية والاصلاح الزراعي ..

وبعد وصولي الى بغداد حملت هذه الملامح وذهبت الى الدكتور عبد الرحمن البزّاز في مكتبه..

مناقشة صريحة وحديث عن الاشتراكية الرشيدة

قلت له:

* اريد ان يكون لقاؤنا من اجل مناقشة صريحة.. قبل ان يكون حديثا صحفيا؟

قــال الــرجل الــذي قضى حياته بين القضاء في بغداد والتدريس في القاهرة والدبلوماسية في لندن:

بكل سرور .. هات ما عندك؟

قلت:

* اريد ان افهم بوضوح ما هي الاشتراكية الرشيدة؟

– الاشتراكية العربية الرشيدة كما حددها المنهاج الوزاري، هي التي تعني زيادة الانتاج. وفي الوقت نفسه عدالة التوزيع .. واعني بها مجملا العدالة الاجتماعية.

* وهل تختلف عن غيرها من النظم الاشتراكية المعروفة في العالم؟

– ان ما نعنيه في اشتراكيتنا الرشيدة انها الاشتراكية غير الملتزمة، ان صح هذا التعبير.

* وكيف يمكن ان تكون الاشتراكية غير ملتزمة؟

_ بمعــنى انها لا تتقيد بمذهب من المذاهب الاشتراكية المعلومة، وانما تتخير ما تشاء مراعية أولا الهدف النهائي، وقبل كل شيء، مقدرة ظروف العراق الخاصة وطاقاته وإمكانياته.

الموقف من العمال والفلاحين

* وموقف هذه الاشتراكية من قوى الشعب العاملة كالعمال والفلاحين وغيرهم؟

- انها حماية لهم.. ولكن دون ان تسلك طريق التطاحن الطبقي ..

لا نرفض ماركس ككل

* وما هو موقفكم من الاشتراكيات الاخرى، وبالتحديد من الاشتراكية العلمية؟

- انـــنا اشـــتراكيون عـــرب نعد الاشتراكية الوجه الاجتماعي للقومية العربية، ولا، ولن نجعل الماركســـية هدفنا في التطبيق .. على اننا قد ننتفع ببعض ما جاء به ماركس كما ننتفع بآراء غيره من أصحاب الفكر الاشتراكي ..

لا تراجع عن التأميم

* تـــردد فـــي العـــراق لمـــدة طويلـــة ان الحكومة تنوي التراجع عن بعض الاجراءات الاقتصادية.. ما لا يتفق مع الاسلوب الاشتراكي .. فما هي حقيقة الموقف؟ ..

- انـــنا نقولهـــا بصـــراحة ووضـــوح لن نمكن الاقطاع من العودة، ولن نمكن راس المال من الســـيطرة، ولكـــن هل هذا يقتضينا مزيدا من التأميم، أو نتمسك بان يكون الحد الأعلى للملكية مائة فدان؟ ام هناك وسائل اخرى يمكن ان بها نصل الى غاياتنا؟

* أية وسائل تقصد؟

- أنت تعرف مجموع الشركات المؤممة في العراق، يبلغ صافي رأسمالها نحواً من ١٢ مليون ديـــناراً.. هذا المبلغ يمكننا ان نحصل على أضعافه لو رفعنا عائدات برميل البترول نصف سنت فقط.

* ان مـــن اســـس الاشـــتراكية كما افهمها قيام قطاع عام قوي توفر له الدولة امكانيات العمل.. فما هو موقفكم من القطاع العام .. والقطاع الخاص؟.

- سنقيم التوازن المطلوب بين القطاعين حتى يمكنهما ان يؤديا دورهما المطلوب.

*هل تتجهون الى محاولة بناء اقتصاد العراق على اسس جديدة؟

- نعم .. وعلى اسس موضوعية تتفق وظروف العراق ..

* هـــناك نقطة اخرى تتعلق بالاسلوب الاشتراكي الذي تتبعونه فقد سبق لكم ان صرحتم بأنه لا بد من تخفيف عبء الضرائب بينما كانت قوانين الضرائب قد صدرت ضمن مجموعة تشريعات اقتصادية كان الهدف منها تحقيق عدالة التوزيع .. فما هو الغرض من التعديل الجديد؟

– فـــي هـــذا الصـــدد سوف نستعين ببعض الخبراء من ج.ع.م. لدراسة الوضع الضرائبي في العراق .. اذ لا يخفى ان النظام الضرائبي في العراق أصبح قديما وبحاجة الى تجديد جذري .. فهـــناك ارهـــاق أو مغالاة في بعض الضرائب، على حين ان بعض الدخول لم تزل غير خاضعة بالقدر الكافي ..

* معنى ذلك ان التعديل يتضمن رفع الضريبة على بعض الدخول؟

– انـــنا لن نتخذ قرارات نهائية بهذا الصدد الا بعد ان تتم دراستها مستعينين في ذلك بالخبرات المحلية والعربية والأجنبية ان اقتضى الأمر ..

* قلـــت: بعـــد ذلك يجئ حديث الاصلاح الزراعي .. في هذا الاسبوع تم تعديل قانون الاصلاح الزراعي بحيث رفع التعويض للملاك من ألف دينار الى ثلاثة الاف دينار أي ثلاثة لضعاف، كما خفضت مدة سداد التعويض من عشرين سنة الى عشر سنوات فقط[٤٢] .. ورفعت نسبة الفائدة من واحد ونصف بالمائة الى ثلاثة بالمائة .. فما الهدف من وراء ذلك؟.

الهدف من تعديل قانون الاصلاح الزراعي

بصراحة .. كان قانون الاصلاح الزراعي بشكله القديم فيه إجحاف، خاصة وان أوضاع الدولة تســـمح لها بان تؤدي لكل ذي حق حقه.. وقد جاء هذا التعديل كمسالة عاجلة، فمن المستحيل ان اســـدد لصـــاحب الشـــأن أمواله على مدى عشرين عاما وبفائدة ١,٥٪. وكما قلت لك هذا التعديل جزئي يتلوه تعديل آخر بعد دراسة كاملة لأوضاع الاصلاح الزراعي ..

* وما هو الهدف من التعديل الذي تجرى الدراسة بشأنه؟

– زيادة انتاجية الأرض .. واحب ان أقول لك شيئا .. نحن هنا نملك أراضي زراعية واسعة .. بينما كون الرقعة الزراعية في مصر قليلة جعل من المحتم ان يكون الحد الأعلى للملكية ١٠٠ فدان.. بينما الأرض الزراعية ٦ ملايين فدان وعدد السكان جميعا ٨ ملايين.

---

[٤٢] الصـــحيح من أربعين سنة الى عشرين. وهذا هو الحد الذي كان قبلا ثم حمل التطرف بعض المحتجزين فجعلوا المدة أربعين سنة فأعدناه الى عشرين، ويبدو انها اعيدت أخيرا أو في النية أعادتها إلى لربعين سنة.

الأوضاع المالية

*مـن قبل تحدثتم عن الأوضاع المالية للعراق وقلتم انها لا تدعو للغبطة. وان قسطا كبيرا من الميزانية يذهب في أعمال غير منتجة.. فكيف ستواجهون هذا الموقف؟

- ان ارجاع الأمر الى نصابه يحتاج الى جهود ووقت طويل وتشريعات عدة.. ومحاولات جدية للتقليـل مـن الإنفـاق علـى المسائل غير الانتاجية التي تأخذ قسطا وافرا من خزانة الدولة وضرورة الإنفاق على المسائل الانتاجية كالتصنيع.

* والأوامر بالنسبة للموظفين؟

- ستضـع الحكومـة حدودا جديدة لبعض المميزات التي يتمتع بها مستخدمو المؤسسات شبه الرسـمية والـتجارية الى الحد الذي أوجد تباينا واضحا بينهم وبين موظفي الدولة الأمر الذي تجاوز حدود الاشباع ..

* وموقفكم بالنسبة لاتفاقية البترول؟

- سنعمل على الحصول على المكاسب التي نسعى اليها.

* وموقفكم في الاوبك .. واجتماعاتها في جنيف؟ ..

- انـنا نسـند الاوبك وسياستها ولكن هذا لا يعني اننا لا نؤيد القرار الذي اتخذ بشأن(تنفيق العـائدات) فـان موقفـنا كما كان من قبل .. ورأينا هو ان الاتفاق مع الشركات لم يحقق الحد الأدنى لمتطلبات البلاد .

* وبالنسبة لموقف الحكومة من القومية الكردية؟ ..

- انـنا نؤكد على اللغة الكردية والحفاظ على الثقافة الكردية والتراث الفكري الكردي .. وهذا حـق لكل قومية.. ونحن ندرس الان قانونا جديدا للادارة المحلية، وسوف يوضع بصيغة مرنة قابلة للتطور، وسنأخذ بنظر التدبر الأوضاع المحلية المختلفة ...

وكمـا قلنا في المنهاج الوزاري سيكون قانون الادارة المحلية هو الوسيلة العملية لاقامة نظام يمكن الشعب من حكم نفسه بنفسه.

الحياة البرلمانية .. واجتماعات القيادة السياسية الموحدة

* وبالنسبة للحياة البرلمانية؟

- نحن مصرون على اجراء الانتخابات .. وقد تشكلت لجنة لدراسة ذلك ..

* وبالنسبة للقيادة الموحدة .. لماذا لم يصدر حتى الان أسماء الجانب العراقي فيها؟
- ستعلن خلال الأسابيع القادمة (ملاحظة: أعلنت أسماء الجانب العراقي قبل أيام برئاسة الرئيس عارف وعضوية الاستاذ البزاز وعددا آخر من المسؤولين وحددت القاهرة مكانا لانعقادها).
* واجتماعاتها؟.
- تجرى الان اتصالات مع القاهرة لتحديد موعد ومكان عقدها.
وفي ختام المقابلة يقول علي منير .. وقبل ان اخرج من مكتب الدكتور عبد الرحمن البزّاز .. وهو يودعني ويستقبل العقيد سعيد صليبي ... قال لي:
لقد ذهب بعضهم الى تصور اننا نريد ان نلغي كل ما تحقق من انجازات أو انهم يريدون ان نصلح ما أفسده الدهر بين يوم وليلة ... ولكننا نحتاج الى وقت اخذين بنظر التقدير كل المسائل دون تفريط بحق احد من الناس فنحن لم نتحمل المسؤولية من اجل الرأسمالية أو من اجل الاقطاعيين كما يزعمون.. بل من اجل الشعب كله .. واجبنا ان نعني بالفلاح والعامل والطالب والجندي .. كما نعني بالمواطنين كافة ... ولن نستعدى فريقا من الشعب على الآخر ... فالمواطنون في الحق سواء.

موقف العراق من التسلل في الخليج العربي[٤٣]

أدلى الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء بتصريحات لجريدة الخليج العربي التي تصدر في البصرة، تناول فيها مختلف القضايا المتعلقة بالخليج العربي والجنوب المحتل.
وقد قال السيد رئيس الوزراء: "ان العراق حكومة وشعبا يولي الثورة العربية في الجنوب المحتل ضد الاستعمار البريطاني، والتحكم الأجنبي، كل رعايته واهتمامه، وانه يمضي قدما لإسناد هذه الثورة والعمل على إنجاحها بكل ما لديه من امكانيات".
وأضاف الاستاذ البزّاز قائلا: "ان الحكومة العراقية -شأنها في ذلك شأن كل الدول العربية - تساند الثوار في الجنوب المحتل وتعمل ما وسعها العمل لمعاونتهم في كل الميادين وكافة الحقول الوطنية".

---

[٤٣] نشر هذا التصريح في ٢٢-١٢-١٩٦٥.

وأضـــاف الســـيد رئيس الوزراء يقول: "وهي من ان تنيء في اداء واجبها هذا الى ان يتحقق للجنوب العربي المحتل وبقية الأجزاء العربية التي يسيطر عليها الاستعمار، الاستقلال والحرية والقضاء التام على القاعدة العسكرية في المنطقة". وقال الاستاذ البزّاز: "اننا جميعا متضامنون حـــول تحقـــيق هذا الهدف الوطني السامي وهو ازالة ظل الاستعمار البريطاني من كافة أجزاء الجنوب المحتل ".

ووصـــف الاســـتاذ البزّاز الحالة التي يعيشها الجنوب المحتل بأنها مزرية. ثم قال: "ان العراق علـــى اســـتعداد للاسهام بكل طاقاته وحسب الامكانيات التي يستطيع تقديمها لخدمة أبناء تلك المنطقة وتمكينهم من السير قدما لتحقيق حريتهم وازدهارهم والحفاظ على عروبتهم كاملة غير منقوصة.

وتحدث السيد رئيس الوزراء عن علاقات العراق بالكويت فقال: "انها قائمة على مبادئ الاخاء والود وهي علاقات طيبة".

تصريحات رئيس الوزراء لجريدة(الأخبار) القاهرية[٤٤]

أدلى الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء ووزير الخارجية بتصريحات مهمة الى جريدة الأخبار القاهرية. وقد اعلن السيد رئيس الوزراء في حديثه ان العراق لا يؤمن بالأحلاف حـــتى الاحـــلاف الاسلامية. واننا دولة من دول الحياد الايجابي، واننا طلبنا من ايران خلق جو ودي لتســـوية موقفنا معها وخلق حسن جوار بيننا، ولن ندخل معها في مفاوضات الا على هذا الأساس.

وذكـــر الاستاذ البزّاز في حديثه لمراسل الصحيفة .. اننا قد جئنا الى القاهرة مستعدين لبحث كل ما يهم بلدنا وكل ما يهم الامة العربية والقومية العربية من دون التزام بمنهج محدد، لان مـــن أغراض القيادة السياسية الموحدة تبادل الرأي الأمثل الذي يخدم الفكر القومي ويمهد لغايتـــنا الأساســـية في اقامة كياننا العربي الموحد. واستطرد السيد رئيس الوزراء في حديثه لمراســـل صحيفة الأخبار ان هناك أفكارا كثيرة ستعرض في الاجتماعات وسنختار منها ما نراه أكـــثر لزوما في هذه المرحلة المهمة وما نحتاج فيه الى معالجة سريعة. وتناول الاستاذ البزّاز في حديثه تطورات الموقف بين العراق وايران فذكر لمندوب الصحيفة ان هذه المشكلة لم تحل

---

[٤٤] نشر هذا التصريح في بغداد في ١٠-٢-١٩٦٦وكان قد نقل عن جريدة الأخبار القاهرية.

حتى الان حلا نهائيا، وان حدة التازم قد خفت نظرا للسياسة الهادئة الرزينة التي اتبعها العراق مــن جهة، وللعون الأدبي الذي لقيناه من أشقائنا العرب ومن بعض الدول المجاورة والصديقة مــن جهــة اخــرى. كما أضاف سيادته بان هذه المشكلة ليست جديدة ولكنها سلسلة مشكلات عــريقة تاريخية، وان الذي نطلبه الان هو حل المشكلة على اسس من الاحترام المتبادل، وفي حــدود المواثــيق القائمة ومبادئ الامم المتحدة. ثم تحدث سيادته عن فكرة الدعوة الى حلف اســلامي، فذكــر ان العراق لا يؤمن بالأحلاف حتى الاسلامية، منها لأننا دولة من دول الحياد الايجابي التي لا تؤمن بالأحلاف العسكرية.

هــذا وقــد أبــرزت صــحف القاهرة أمس في صفحاتها الاولى نبا مقابلة الاستاذ عبد الرحمــن الــبزّاز للرئيس جمال عبد الناصر بعد ظهر أمس الأول بمنزله بمنشية البكرى. كذلك أبــرزت الصحف أنباء الاجتماعات التمهيدية بين الجانبين العراقي والعربي التي بدأت بعد ظهر أول من أمس في القاهرة.

حديث صريح لرئيس الوزراء[٤٥]

س: مــا هــو رأي الحكومــة العراقــية في سير العمل الموحد داخل مؤتمر رؤساء الحكومات العربية وما يواجهه من عقبات؟..

قــال الدكــتور عبد الرحمن البزّاز رئيس وزراء العراق: انه تحدث في مؤتمر رؤساء الحكومات العربية بصراحة كاملة فقال:

ان الأجهزة التابعة للجامعة العربية عاجزة عن الاضطلاع بمسؤولياتها، وانه، لكي يبدأ العمل العربي الموحد في تحقيق أهدافه، يجب العمل بالمقترحات التي تقدم العراق بها من اجل الــنهوض بالأجهــزة التي تقوم عليها الجامعة العربية، لاعطائها سلطات أوسع، ولتحيلها الى اتحــاد - كونفدرالــي - عربــي له سلطات المحاسبة، وتوقيع العقوبات، واقامة محكمة عدل عربــية لهــا سلطات اصدار الأحكام على الحكومات العربية، فتصبح اقدر على تنفيذ القرارات التــي اتخــذت في مؤتمرات القمة، وتخطى تباين أنظمة الحكم والنظم الاقتصادية المختلفة في الدول العربية، وان العمل بهذا الاقتراح يدعم التضامن العربي الحيوي ..

---

[٤٥] نشر في مجلة المصور وأعادت جريدة العرب نشره في ٢١-٣-١٩٦٦.

وقـــال الدكتور البزّاز ان هذا الاجتماع هو استمرار للعمل الذي بدأه الملوك والرؤساء العـــرب، وفـــي تقديـــري ان حاجات العرب الى مثل هذه المؤتمرات هي اشد ما تكون في هذا الوقت، وأكثر من أي وقت مضى، لان العدو المتحفز أكثر جرأة، وأكثر نشاطا في تفتيت الجبهة العربـــية، وليس في قدرتنا مجابهة التحدي الا بوحدة الصف، وان اخواننا السوريين كرروا في المؤتمر انهم ملتزمون بمقررات الدار البيضاء، ولكن العبرة بالعمل وليست بالقول ..

وأضاف ان اخطر ما يواجهه المؤتمر التقرير الذي يؤكد ان إسرائيل بطريقها الى صنع القنبلة الذرية. وقد بحثنا هذا بصفة خاصة. كما بحثنا إمكانياتنا العربية لمواجهة هذا الموقف، وان هذا الموقف يفرض ضرورة الوصول الى التسلح الذري للعرب ..

س: ما هي الاجراءات التي قامت بها الدول العربية لمواجهة هذا الموقف؟.

فأجاب السيد البزّاز:

ان العـــراق لديـــه مفـــاعل ذري صغير، ولكني أرى انه لا داعي لتفتيت الجهد العربي الـــذري لأغراض سلمية في كل بلد عربي، وارى ان تشترك الدول العربية بمجموعها بملايين مـــن الجنيهات لتدعيم المحاولات المصرية للوصول الى السلاح الذري، وتدعيم المفاعل الذري باعتـــباره اكـــبر المفـــاعلات الذريـــة العربـــية، وان تدفع كل دولة مبلغا معينا يصب في هذه المحاولة. فالقاهرة هي اقدر منا على العمل في المجال الذري لخدمة القضية العربية ...

س: هل تم القضاء على الاضطرابات القائمة في شمالي العراق؟

وقد أجاب السيد رئيس الوزراء قائلا:

ان هذا الموضوع شائك، ومتشابك، ويحتاج الى تطبيق سياسة تبدو متباينة، ولكنها في الحقيقة وفي آخر الأمر متلاقيان ..

اســـتعداد تـــام، وحوار سياسي يمتد في الداخل والخارج. فاذا حققنا هاتين السياستين يستطيع العراق ان يقضي على المشكلة القائمة في الشمال ولو لأمد ...

وكـــان الســـؤال الأخير عن تطورات تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق. أجاب قائلا:

مـــا زلنا في دور التحضير، وتعبئة الرأي العام، ودراسة ما يمكن اقتباسه من القاهرة، واختبار الأشـــخاص الصالحين للعمل السياسي. ونشعر اننا تأخرنا بعض الشيء، ولكن تزاحم الأعمال، وتعـــدد المشـــاكل حال دون التنفيذ السريع. والمرجو ان نبدأ قريبا نشاطا اكبر في هذا الاتجاه

خاصـــة وان تدعــيم الاتحاد العربي الاشتراكي وعلاقته بالاتحاد الاشتراكي العربي في ج.ع.م. احد النقاط السبع التي أعلنت الحكومة العراقية تمسكها بها وتطبيقها على المستوى الشعبي ..

البزّاز يشجب تسليح المانيا الغربية نوويا ويعلن:

الحلف الاسلامي مؤامرة الاستعمار الحالية على الشرق الأوسط[٤٦]

ان ازديـــاد الأسلحة الذرية يشكل خطرا على الشعوب كافة. وهذا يشمل السياسة الذرية لألمانية الغربية. واني اعتقد ان على المانيا الغربية بوجه خاص ان تترك تسلحها الذري. هذا مـــا أوضحه رئيس وزراء العراق البروفسور البزّاز في حديث أدلى به لمنتسبي نويز دويجلاند ارمين كرايم مراسل وكالة الاي دي ان الف بركمن.

وأضـــاف الرئـــيس العراقـــي قائلا: ينبغي ان تعاد الوحدة الألمانية دونما تدخل أجنبي، ويجـــب علينا ان نقدر بان إعادة الوحدة الألمانية أمر يتطلب مدة طويلة، مما ينبغي ان يتم ذلك بالتدريج، وفي النهاية ينبغي ان تبرز المانيا موحدة وديمقراطية.

رئـــيس وزراء العـــراق ضعيف البنية الا انه رجل قوي وينتقي كلماته بعد تأمل بدون استعمال الإشـــارات. قال: حسب تصنيف الامم المتحدة نحن دولة متطورة، والأفضل ان يقال بأننا دولة نامية. وقد نطق بهذه الكلمات بألم، وشعرنا بنفس إحساسه هذا كلما ذكر في سياق الحديث اسم المانيا الغربية. هذه كانت مواضيع حديثنا الذي جرى في مكتبه ذو الستائر المسدلة، وقاية من أشـــعة الشـــمس المحـــروقة، وذلك في جناح بناية البرلمان الواسعة ذو الحجر الرملي اللون، والمطلة على أمواج دجلة الطينية اللون والهادئة، وبالقرب كذلك من سير السيارات المزدحم.

وقبيل احتساء الشاي الذي قدم لنا وللقنصل الألماني السيد بوشكه، كنا قد عرضنا عليه قائمة الأسئلة التي أصبحت مدار حديثنا.

قـــرأ البروفسور البزّاز الأسئلة، واخذ يرد عليها دون تردد ودون الرجوع الى رؤوس أقلام، كالشخص الذي سبق له ان فكر مليا بالموضوع. وهنا قال ان ما يسمى بالحلف الاسلامي ليس الا جزءا من مؤامرة الاستعمار الحالية في الشرق الأوسط. ومثل هذه النوايا التي تستغل الدين، تستحق اللعنة.

---

[٤٦] نشرت جريدة العرب ترجمة هذا الحديث الذي جرى مع مراسل الماني شرقي وكان ذلك بتاريخ ٢٩-٦-١٩٦٦، وكان في الأصل قد نشر في المانية الشرقية.

وتكلـم في مواضيع السياسة الداخلية بإلمام وبدون تردد، وعندما بدا يرد على أسئلتنا استهل الحديث وكأنه يستكمل ما بدا به في بداية المقابلة اذ قال: " قبل مدة وجيزة تكلمت ووزير الصحة في مشروع يستهدف منه انشاء المستوصفات في كل قرية من قرى الجمهورية العراقية ان امكن، وسيكلفنا ذلك ما يقرب من عشرة ملايين دينار(الدينار يساوي الاسترليني) وقد تقدمت عدة شركات أجنبية بعروضها. ان العروض الفرنسية جيدة، وألمانيا الغربية تخلق الصعوبات. كما ينبغي ان تشيد مئات المدارس الجديدة، وعلينا ان نسعى لتحسين المستوى المعاشي لأفراد الشعب. ويخيل لي أحيانا باني مثل ذلك الأب الذي ورد ذكره في ألف ليلة وليلة والذي لديه زوجات كثيرة ولكل منهن طلباتهن التي يجب عليها تلبيتها، ولكن تبقى ناحية الأسبقية في تلبية الطلبات.

وبعد ظهر اليوم سنبت في إحالة العروض المقدمة لانشاء المستشفيات على المناقصين. قال هذا بعد ان طوف في آفاق آداب بلاده في العهود القديمة.

وفي نهاية الحديث لخص أهم النقاط على النحو الآتية:-

لدينا مشروع ٥ سنوات واننا نسعى بكل جهد لتحقيقه، بل لتعجيل تنفيذه، وكان سيرنا هذا العام أسرع من سيرنا في العام الماضي. لدينا عدد كبير من المعامل الجديدة، ففي البصرة هناك معمل الأسمدة الكيمياوية ومعمل السكر الخ ... وقد تلقينا قروضا ومساعدات وعروضا مختلفة من كل الجهات، من بلغاريا والاتحاد السوفييتي وألمانيا الديمقراطية وألمانيا الغربية وكذلك من الولايات المتحدة وبريطانيا. وعندما ذكر هاتين الأخيرتين أضاف مع بعض التشديد، طالما لم تقيد بشروط سياسية.

وتقبلنا بسرور تشكراته الخاصة للمساعدة التي تلقتها الحكومة العراقية من المانيا الديمقراطية في انشاء بناية المطبعة ومعمل طحن الحبوب وكذلك لمصنع العدد والمكائن، واضافة الى هذه العواطف الطيبة التي تكنها حكومة وشعب المانيا الديمقراطية نحو القضايا العربية.

مؤتمر صحفي في استنبول[٤٧]

اعلن رئيس الوزراء في مؤتمره هذا ان العراق ينتهج سياسة مستقلة قائمة على مبدأ الحياد الايجابي وعدم الانحياز، وانه لذلك لن يدخل أي حاف عسكري. وأضاف قائلا ولكننا مع ذلك راغبون في التعاون مع جميع الدول الاسلامية للعمل على ما فيه مصلحة المسلمين. وابلغ الصحفيين ان العراق سيتعاون بصورة خاصة مع كل من تركيا وايران وباكستان في مجالات التنمية الاقتصادية والتعاون في شتى الامور غير العسكرية، على أساس اتفاقات ثنائية. وأشار الى المسالة الكردية، فأعرب عن أمله في ان يدرك الأكراد نية الحكومة الحسنة وان يوفق في تنفيذ منهاج وزارته الخاص بهذه القضية والمتكون من اثنتي عشرة مادة كانت قد أقرته الحكومة قبل مدة قليلة. ان هذا البرنامج سيحقق نوعا من الادارة المحلية لجميع العراقيين ويعترف بحقوق الأكراد القومية ويمكنهم من العمل في الشؤون ذات الطابع المحلي بحيث يحققون الكثير من أهدافهم المشروعة، وأشار رئيس الوزراء الى ان الحكومة تلقت من الملا مصطفى البرزاني وغيره برقيات تشعر بالترحيب بهذا البرنامج. وتحدث كذلك عن الانقلاب الأخير فقال انها محاولة فاشلة وليس وراءها أية دولة أجنبية وليس لها مبادئ سياسية خاصة، والهم الوحيد هو الاستيلاء على الحكم.

وهاجم رئيس الوزراء دولة الاحتلال الصهيوني في فلسطين وقال انها رفضت بشكل مكشوف ومتكرر قرارات الامم المتحدة القاضية بحق شعب فلسطين في العودة الى وطنه ودياره. وأضاف قائلا انه لدى الصهاينة مخططات للتوسع تهدف الى جلب خمسة ملايين يهودي من أنحاء العالم المختلفة واسكانهم في الأراضي التي يحتلونها في فلسطين.

في ذكرى ثورة الرابع عشر من تموز[٤٨]

تحدث الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء عن الذكرى الثامنة لثورة الرابع عشر من تموز فقال:

"ستبقى ذكرى ثورة الرابع عشر من تموز حية في نفوس أبناء هذا الشعب كافة ما بقيت أهدافها العليا التي جعلت قيامها حتميا حية في أذهان القائمين على شؤون هذا البلد، وما بقوا

---

[٤٧] عقد هذا المؤتمر بتاريخ ١١/تموز/١٩٦٦.

[٤٨] نشرت في الصحف يوم الخميس المصادف ١٤/تموز سنة ١٩٦٦.

مؤمنيــن بــان أول واجــل دوافع هذه الثورة – التي هي ثورة الشعب كله، بجيشه وكل قواته المسلحة، بمثقفيه وشبابه، بعماله وفلاحيه، وبكل فئاته الواعية المدركة الاخرى – هو ان هذا الشعب، وهذا الشعب وحده، صاحب الحق النهائي في تقرير المصير الذي يريد ان يصير اليه، وان لــيس لأحــد أو فــئة خاصـــة قوامة عليه. فهو ينبوع السيادة، وهو صاحب الحق الأول والأخير.

ومــا بقي المخلصون عاملين بجد لتأكيد هذا المعنى، واحالته الى حقيقة وجود يحياها الناس، ويلمسونها، ويجنون ثمارها، ستحقق الثورة غايتها الكبرى، ويحقق آخر الأمر، شعبنا وامتنا كل ما كانا يرتجيانه من ثورتنا الخالدة هذه".

إعادة الحياة النيابية واقامة النظام الديمقراطي في العراق[٤٩]

اقضــى الاســتاذ عــبد الرحمن البزّاز رئيس الحكومة العراقية بتصريح لرئيس الوفد الاســلامي الذي رافق سمو أمير الكويت في زيارته الى العراق[٥٠] .. تحدث فيه عن عدد من القضايا التي تهم الكويت والعراق والشؤون العربية الاخرى.

فقــد رد على سؤال عن الأهداف التي يتطلع اليها العراق على الصعيد المحلي في هذه المــرحلة مــن تاريخــه بقولــه ان العراق يتطلع الى حياة الأمن التام، والرفاه الشامل، وحل المشــكلات الداخلية، وفي طليعتها مشكلتنا مع فريق من اخواننا ومواطنينا من أبناء الشمال.. والمــرجو ان توفــق الحكومة الى تحقيق أهدافها هذه كاملة بكل وسيلة مجدية وان توفق في انجاز ما وعدت الشعب به من إعادة الحياة النيابية واقامة النظام الديمقراطي السليم.

وأكــد الــبزّاز فــي معــرض رده علــى سؤال آخر حول مجالات التعاون بين الكويت والعــراق... انه لا شك في ان مجالات التعاون بين القطرين العربيين الشقيقين كثيرة وواسعة ولا اغالــي اذا قلــت انها غير قابلة للحصر. وعلى سبيل المثال اذكر مجالات تنسيق السياسة النفطــية، والعمل المشترك في اقامة الصناعة الكيمياوية النفطية، والتعاون الاقتصادي في كل فــروعه، وكذلك التعاون التجاري، وتصدير العراق المزيد من الحاصلات الزراعية الى الكويت وبخاصـــة الخضروات والفواكه، وكذلك تمكين رؤوس الأموال الكويتية من الاستثمار والتعمير

---

[٤٩] نشر هذا التصريح في الأصل في الكويت ثم نقلته بعد ذلك بعض الصحف المحلية في بغداد.

[٥٠] كانت هذه الزيارة في أول صيف ١٩٦٦.

فــي العــراق، فضلاً عن الى المساهمة في التصنيع، الى جانب العمل الجدي في توسيع رقعته الزراعية بإقامة مشروعات زراعية كويتية. أما بالنسبة للمجالات الثقافية والتعليمية والاعلامية فــان مــن البديهي القول بأنها لا تحتاج الى مزيد من التوضيح والتأكيد. وأجاب الاستاذ البزّاز ردا علــى ســؤال حول مستقبل القضية الفلسطينية التي تحتل المكانة الاولى والاهم في حياتنا وذلــك مــن خلال فعالية مؤتمرات القمة العربية وحول المدى الذي نجحت فيه المؤتمرات في العمــل مــن اجل فلسطين، أجاب بقوله .. لا شك ان قضية فلسطين هي قضية العرب الكبرى. وانا من الذين يؤمنون عن يقين، تزيده الأيام والأحداث عمقا في نفسي، انه لا سبيل لحل هذه المشــكلة الا باتحاد كلمة العرب .. فقد غلبنا في الجولة الاولى لأننا كنا متفرقين، ولن ننتصر فــي الجولــة الثانــية الا حين نكون يدا واحدة قولا وفعلا .. ان مؤتمرات القمة حققت بعض الغايات ولكن يجب ان نتذكر دائما ان تلك المؤتمرات كانت وسيلة من الوسائل وقد تبقى نافعة، وقــد نجــد سبيلنا في اصطناع وسائل اخرى. فالعبرة في الغاية لا في الوسيلة. ومع ذلك ففي تقديــري الشخصي ان التقاء رؤساء الدول العربية المخلص يكون دوما نافعا في خدمة قضية فلسطين وقضايانا الاخرى.

وقد وجه رئيس الوزارة العراقية كلمة خاصة في ختام حديثه حول اللقاء التاريخي بين الرئيس عارف وأمير الكويت قال فيها: لقد كان لهذا اللقاء الكريم بين الأخوين الكريمين أعظم الأثر في زيادة روابط الاخوة القائمة بين قطرينا الشقيقين. ولا شك ان هذا اللقاء سيفتح عهدا جديدا بين القطرين الشقيقين يحقق النفع الوفير لشعبينا، ويخدم امتنا العربية الواحدة، ويقربها من تحقيق أهدافها العليا.

تصريحات رئيس الوزراء

لجريدة "الجمهورية" القاهرية[51]

اعلن الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء ان بعض الدول العربية لم تلتزم كاملا بميثاق التضامن العربي الذي صدر في مؤتمر القمة في الدار البيضاء الماضي. وقال ان تلك الدول حاولت ان تفسر الميثاق تفسيرات تخرجه عن نصه وروحه.

وقد جاء ذلك في حديث أدلى به الاستاذ البزّاز لصحيفة الجمهورية القاهرية، ردا على سؤال بشأن المسائل التي بحثت في اجتماع رؤساء الحكومات العربية وخاصة ما يتعلق بالعلاقات بين سورية من جانب والعراق ولبنان من جانب آخر وقال: ان ليس هناك سبيل في الوقت الحاضر مع بقاء ميثاق جامعة الدول العربية على وضعه الراهن - لارغام الدول التي شذت عن سلوك السبيل السوي غير اقناعها بتغيير سياستها هذه والالتزام الكامل الصريح بتلك المقررات.

واستطرد قائلا: وعسى ان تكون الأحداث العالمية والأخطار التي تحيط بمنطقتنا العربية حافزا جديدا ينبه الأقطار الشقيقة الى لزوم رعاية ما اتفق عليه من قبل، وصرف الطاقات العربية كلها في سبيل الانشاء والبناء والتهيؤ لليوم الحاسم، لا ان نبدد الجهد في السباب والمفتريات والنقد غير البناء ...

وأجاب الاستاذ البزّاز على سؤال بشأن الحلف الاسلامي فقال: لقد سبق لي ان بينت في المؤتمرات الصحفية، وفي الاذاعة، وعلى شاشة التلفاز، في العراق وخارجه، ان العراق لا يؤمن بالأحلاف مهما كان لونها، وأي اسم تسمت به. وان الحياد الايجابي يعارض فكرة الاحلاف العسكرية أساسا، وعلى ذلك فعلا نعتقد بجدوى أي حلف اسلامي. وهذا تقديري ان كل الدول العربية، وغير العربية، الملتزمة بمبدأ الحياد الايجابي لن تستجيب الى دعوة الحلف الاسلامي. وهذا لا يعني عدم التعاون الصادق مع الشعوب الاسلامية، لان مثل هذا التعاون ليس مجد فقط بل هو واجب محتوم، ولكن هناك فرقا بين التعاون والتضامن في اطار من

---

[51] كان هذا التصريح قد وقع في أثناء زيارتي للقاهرة بدعوة من السيد زكريا محي الدين لحضور احتفالات ٢٣ يوليو لسنة ١٩٦٦.

الاخــوة الاســلامية، وبيــن الدعوة الى أحلاف عسكرية قد تستغلها بعض الأطراف لأغراض خارجة عن روح الاسلام ذاته.

وتحــدث الســيد رئيس الوزراء عن رأيه في دور القوى التحررية في مواجهة سياسة القــوة والمؤامرات التي تسود العلاقات الدولية فقال: ان دورها هو الصمود مع مزيد من القوة وحســن استعمال الطاقات العربية، ولزوم استمرار القوى العربية المتحررة في التشاور الدائم، واعادة النظر في تخطيطهم وأساليب عملهم.

وانــتقل الاستاذ البزّاز في حديثه الى اجتماعات مجلس رؤساء الحكومات العربية فقال: انــه لــم يكن هناك خلاف جذري في وجهات النظر وكانت الرغبة عامة في الوصول الى الحل الســليم الــذي يؤمــن المصلحة العربية، ومن هذا نستطيع ان نقول ان هذه الاجتماعات كانت مجدية.

وأشــار الاســتاذ الــبزّاز الــى العقبات التي واجهت تنفيذ المشروعات العربية الفنية فقــال:ان الــدول المعنــية حاولــت ان تبذل ما في وسعها للتغلب على بعض نواحيها، واذا ما اســتكملت الامــة العربــية قواهــا فســيكون باســتطاعة تلك الأقطار السير قدما لتنفيذ تلك المشــروعات. على ان هذا لا يعني ان الأعمال في تلك الأقطار قد توقفت نهائيا، وانما وجدت بعــض الأقطــار نفســها مضطرة أمام الظروف الراهنة الى ان تسلك سبيلها بحذر، وان تقوم ببعض الأعمال بالطريقة التي تراها مجدية في الوقت الحاضر.

واختتم الاستاذ البزّاز حديثه بالإجابة عن السؤال بشأن مهمة اجتماع القيادة السياسية الموحــدة فقــال: ان الاجــتماع الأخــير اســتمرار للقاءات التي تعقد لتنسيق السياسة وتبادل المعلومــات ولمــا أحــرزناه مــن تقــدم في المجالات المختلفة التي نص عليها ميثاق القيادة السياسية، وما نرجو ان تعمله في الشهور القادمة. وأضاف: ان الاتفاق على هذا الاجتماع كان قد تم في الاجتماع الأخير بمناسبة حضورنا اجتماعات مجلس رؤساء الحكومات العربية.

البزّاز يتحدث عن لقائه بالرئيس جمال عبد الناصر[٥٢]

" انـــتهزت - العرب - عودة الاستاذ عبد الرحمن البزّاز القريبة من القاهرة فأرادت ان تســاله عــن لقائه بالرئيس جمال عبد الناصر وكيف تمت الزيارة للجمهورية العربية المتحدة، ومـــا هي المواضيع التي بحثها الرئيس العربي، وما هو انطباعه عن الوضع العربي والدولي، وكــيف واجهــت وتواجــه الجمهوريـــة العربية المتحدة الشقيقة ظروف التحدي الاستعماري الصهيوني المتزايد في المنطقة العربية، الى غير هذه المواضيع المهمة. وقد أثرنا نشر كل هذا كما جرى، وبالطريقة التي يجدها القاريء فيما يلي، لنجنب القاريء اسلوب العرض المعروف في هذه المواضيع، زيادة في التبسيط لا لشيء آخر ..."

س - كيف تمت زيارتكم للقاهرة وما هدفها ؟

ج - علـــى اثر تركي الحكم كتبت بعض الجرائد والمجلات المصرية واللبنانية - مما يظن انها محسوبة على الجمهورية العربية المتحدة - مقالات أو أخبارا جاوزت فيها حدود الانصاف، بل وجــه بعضها الي الاتهامات الخطيرة، حين اكتفى، القسم الآخر، بغمزات ظالمة لا ظل لها من الحــق. قرأ الرئيس جمال عبد الناصر ما كتب، وسمع بعض ما قيل فآلمه ذلك، وأدرك بروحه المنصفة أن تلك الصحف والمجلات قد أساءت الى شخص يحبه ويحترمه، فغضب وكان لسان حاله يقول:

انى لأغضب للكريم ينوشه   من دونه وألوم من لم يغضب

غضــب لمــا قــيل، وأراد ان يعبر عن غضبه هذا بطريقة أو باخرى، حتى انه خطر له - كما تحــدث بذلك الي شخصية عراقية محترمة، سبق لها ان زارت القاهرة قبل شهور - ان يتحدث عن هذا الموضوع في احدى مناسبات خطبه العامة، ويرد على اولئك النقاد الظالمين. ولكنه - كمـــا قـــال - خشي ان يفسر ذلك وكأنه تدخل في شؤون عراقية محلية، وإسناد لشخص على حســـاب الآخرين، فاثر ان يسلك طريقا آخر فقرر ان يوجه الي دعوة خاصة ليعبر عن تقديره الشخصـــي، وليؤكد مدى الروابط التي تشدنا الى بعضنا. وقد تبلغت الدعوة في حينها ولكني - لاعتـــبارات خاصة، ولامور عائلية، ولأنني كنت مزمعا على السفر لأداء فريضة الحج - اثرت التريث. ثم جاءت قصة الاستاذ احمد سعيد سامحه الله فزاد الطين بلة. وشعر الرجل الكبير انه

---

[٥٢] جريدة - العرب - الثلاثاء ٣٠-٥-١٩٦٧.

صار من المناسب جدا ان يكرر دعوته ليبدد الضباب الذي خلقه رجل لم يدرك مدى السوء التي أحدثـــته أقوالـــه. وجاءني سفير الجمهورية العربية المتحدة مبلغا هذه الدعوة الكريمة فوجدت لـــزاما علي - لاعتبارات شخصية وقومية - ان استجيب وهكذا كان ... فأنت ترى من هذا ان الدعـــوة لزيارة القاهرة قويمة سبقت ذهابي الى الحج، وكانت قبل ما نشر في بغداد من حديث للسيد احمد سعيد.

س - وكيف كانت اللقيا مع السيد الرئيس ؟

ج - كانـــت علـــى غاية من الود. وعلى الرغم من الظروف الحرجة التي تمر بها الجمهورية العربـــية المـــتحدة في هذه المرحلة العصيبة - وتمر معها الامة العربية كلها - ، وعلى الرغم مـــن الضـــغط الهائل على أوقات الرئيس، فقد التقيت به مرتين استغرق كل لقاء ساعة ونصف الساعة، جرت خلالهما أحاديث مفعمة بالود والصراحة.

س - وهل لقراء جريدة العرب ان يعرفوا طرفا من تلك الأحاديث ؟

ج - لعـــل من حقي - وانا هنا لا أتبجح وانما، مصداقا لقوله تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث - ان اذكر بايجاز طرفا مما يتصل بي شخصيا: قال الرئيس أرجو ان يكون واضحا في ذهنك انني حينما التقي بك لا ينظر اليك نظرة رئيس جمهورية الى رئيس وزراء سابق، وانما أتحدث معك كزمـــيل جهـــاد، كـــأحد القوميين المؤمنين الذين اعرفهم جيدا واعرف انك قومي وطني "نزيه" وشـــدد على هذه الكلمة، ضحيت في سبيل بلادك وامتك. واذكر جيدا ما لقيت عام ١٩٥٦ أثناء العـــدوان الثلاثـــي على مصر، كما اعلم جيدا موقفك خلال الردة الشعوبية في عهد قاسم، وما لقيـــت مـــن سـجن وتعذيب، واذكر لك خدماتك وأنت مقيم في القاهرة، ومواقفك وأنت سفيراً للعـــراق فـــي الجمهورية العربية المتحدة، واعلم عن يقين جهودك يوم كنت سفيرا للعراق في لندن، وكنت تعد نفسك سفيرا عربيا قبل ان تكون سفيرا عراقيا، (وذكرني ببعض الأحداث التي كـــدت أنساها). ثم؟ أضاف قائلا: واذا نسيت هذا كله فهل يصح لي ان أنسى موقفك يوم كنت رئيســـا للـــوزراء فـــي أثـــناء حركة عارف عبد الرزاق والحكمة التي عالجت بها تلك القضية الشائكة. فرجائي ان لا يساورك أدنى شك بأنني أرضى، أو يمكن، بحال من الأحوال، ان أرضى بالإســـاءة الـــيك. ثـــم أضاف كلمات اخرى أخجلت تواضعي، وكادت دمعة تسقط من عيني... وكانـــت موجز ما أجبت به... اؤكد للسيد الرئيس انني على العهد، جندي من جنود هذه الامة،

معبأ لخدماتها، بكل طاقاتي، واني كنت عظيم الثقة بان ما قيل عني لا يمكن ان ينسب، ولو من بعيد، اليك. وانه ما بيننا من رباط وثيق باق الى الأبد..

س – وفي الشؤون العامة هل تسمحون ان تتحدثوا لقراء العرب، المتشوقون الى حديث القاهرة، عن بعض ما دار من حديث؟

ج – دار الحديث في امور شتى، وعن وضع البلاد العربية الراهن، وعن نقاط القوة والضعف في كل قطر من أقطارنا، في وضع العدو وطاقاته، في امكانيات الجمهورية العربية المتحدة، في الوضع الدولي والاحتمالات المتصورة، في بعض نواحي العلاقات العامة مع بعض الدول وكيفية كسبها، أو في الأقل تخفيف معارضتها لمصلحتنا القومية، في الدعاية والتوجيه المعنوي والصيغة التي يجب ان تأخذها في المرحلة الراهنة، في إمكانية تخفيف التأزم القائم بين بعض الأقطار العربية.

وأستطيع ان أقول بايجاز ان وجهات النظر كانت متقاربة الى حد بعيد، بل لا أعدو الحقيقة حين أقول انها تكاد تكون متماثلة الى أقصى حدود التماثل...

س – وما هو انطباعكم العام عن الحالة في الجمهورية العربية اليوم؟

لا شك ان الخطوات الجريئة المباركة التي اقدم عليها الرئيس جمال عبد الناصر، قد أقامت دليلا آخر على حذقه السياسي، اضافة الى عمق اخلاصه لامته، فمن الواضح ان إسرائيل كانت تبيت عدوانا على سورية، وكانت تعد قوة ضارية هائلة مهدت لها بدعايات قوية، وكان هدفها ان تقضي على الميزة الستراتيجية التي يتمتع بها الجيش السوري بحكم الوضع الجغرافي الطبيعي، ويعد ذلك تضم بعض المناطق المنزوعة السلاح الى إسرائيل، وتوجه بالنتيجة اهانة جديدة للامة العربية كلها. شعر الرئيس بعد ان توافرت الأدلة، وتواترت الأخبار، ان الأمر جد خطير، وان لابد من اتخاذ قرار سريع حازم حاسم، فاتخذ – بعد التشاور مع فريق من زملائه – القرارات التي يعرفها العالم كله. ولا شك ان الجمهورية العربية المتحدة، وبالنتيجة القومية العربية، والامة جمعاء، قد حققت نصرا أكيدا في الساعات الاولى. ولو كنا قد استطعنا ان نستغل هذا النصر ونحتفظ به، لكنا في ساعات معدودات قد أضعنا على إسرائيل كل المكاسب التي حققها عدوانها بالتآمر مع بعض الدول الكبرى عام ١٩٥٦.

س – ما هو رأيكم في الوضع الدولي الراهن؟

ج – لـيس من السهل التنبؤ به. ولكن مما لا شك فيه ان الصدمة التي أصابت إسرائيل، ومن وراء إسـرائيل، صـدمة عنيفة جدا، وان ردود الفعل قد تؤدي حربا بطريقة أو باخرى. ومن الخير لنا ان نفرط في التشاؤم دافعا الى اتخاذ الحذر والحيطة والاستعداد التام لمواجهة العدو، مـن ان نـبالغ بالـتفاؤل والاسـتهانة بالخصـم اللدود، وما يعقب الاستهانة من تراخ وعدم استعداد...

س – وكيف هي معنويات الجمهورية العربية المتحدة كما رايتها؟

ج – عالـية جدا. والتعبئة شملت مختلف نواحي الحياة. فهناك تعبئة عسكرية، وتعبئة شعبية، وتعبـئة اعلامية، وتعبئة روحية يسهم فيها الأزهر ورجال الدين ومنابر المساجد، كما ان هناك تعبئة ثقافية تقوم بتنفيذها الجامعة وأساتذتها وطلابها. ويقوم الاتحاد الاشتراكي العربي بدوره الفعـال، كمـا تقـوم الـنقابات بـدور عظيم، والمرأة العربية تسهم بقسطها في هذا الصراع المصـيري، وعلـى العمـوم يستطيع الناظر المحايد ان يقول باطمئنان ان الجمهورية العربية المـتحدة مدركة قيمة ما تقوم به، مقدرة مسؤولياتها الوطنية والقومية حق قدرها. وبقى على الأقطـار العربية الاخرى ان تقوم بما يجب من اسناد للجمهورية العربية المتحدة، والجمهورية العربية السورية كل الإسناد اللازم.

س – وما هو الواجب على هذه الأقطار العربية، وهل قامت بما يجب في رأيكم؟

ج – الحـق ان ردود الفعـل فـي البلاد العربية المختلفة – أعني على اختلاف أنظمة حكمها السياسي، وأنظمتها الاجتماعية – كان حسنا. ولا أدل على ذلك من ان تونس مثلا لم تتردد من اعـلان تأيـيدها، كمـا ان المملكـة العربـية السعودية قد أعلنت هي الاخرى تأييدها لموقف الجمهوريـة العربـية المـتحدة. ولكـن العبرة ليست بردود الفعل الاولى القائمة على العاطفة المجـردة، أو التـي قـد يهدف منها الى اغراض سياسية، وكسب دعائي. العبرة، كل العبرة، بـالعمل الدائب الصامت، والاستعداد التام للمعركة المصيرية التي قد تفرض علينا اليوم أو غدا أو بعد غد...

وهـذا الاسـتعداد – أول مـا يتطلـب – ان تقوم حكومات قوية مؤمنة مقتدرة في كل الأقطار العربـية، وخاصة في تلك التي تجاور، أو تقترب من إسرائيل وان تعمل ليل نهار لتعبئة عامة شـاملة بكـل الطاقات للصراع العنيف الذي ينتظرنا والذي يتوقف عليه مصير امتنا الى أجيال كثيرة...

ثــم المــبادرة، المبادرة الفاصلة، لدعم الجمهورية العربية المتحدة التي تحملت – وستتحمل – القسـط الأوفــى من هذا الصراع... وإسنادها، لا دعائيا – ولتسمح لي جريدة العرب ان أكون صــريحا – ولا بتمثيلـيات أو الاعلان عن إرسال قوى لا تحتاجها الجمهورية العربية المتحدة الــيوم. ان الإســناد الأول الــذي يجب ان ننشط بجد اليه هو الإسناد المادي، هو المال، المال عصــب الحــرب ودعامته الاولى. وليس سرا ان الجمهورية العربية المتحدة التي تملك جيشا ضــخما حســن التدريــب، وســلاحا بريا وبحريا وجويا قويا ضاربا، تفتقر اليوم – لاعتبارات معلومة منها ضيق مواردها من العملات الأجنبية، وانفاقها الواسع على الجيش الضخم، وخطة التنمــية والتصنيع – أقول انها تفتقر الى العملة النادرة. فلننشط زرافات ووحدانا، دولا، وكتلا، وجمعــيات، وهيــئات، بــتقديم هذا العون على عجل وبسخاء لان ذلك دليلنا القاطع على عمق ايمانــنا، وصدق جهادنا[٥٣]. والله تعالى حين حث على الجهاد وقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس وقال – ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله –.

---

[٥٣] : ومــا كــدت ابلــغ هــذا المدى في حديثي حتى قفز السؤال الآتي الى ذهني: وما جدوى دعوتك الناس للتبرع للمجهود الحربي للجمهورية العربية المتحدة مالم تقم من نفسك على قولك دليلا،

وهــنا خطــر لــي ان ارسل مبلغا من المال فقلت فلارسلن مائة دينار، بل مئتين، بل ثلاثمائة، واخذ الرقم يرتفع في خاطــري وقلت بل خمسمائة. وبعد ذلك تذكرت اني اقتصدت الف دينار لتكون النواة لشراء سيارة خاصة بي لاني لم أزل استعمل سيارة ولدي، وهي سيارة انكليزية صغيرة، وكانت زوجتي وبعض ذوي قرابتي يرون من غير المناسب ان لا تكــون لــي ســيارة خاصة مناسبة. فقلت في نفسي سابقى مشاركا ولدي في سيارته ولارسلن المبلغ كله لاقيم الــبرهان على صدق دعوتي، خاصة وانني أعلنت، وانا احادث الرئيس جمال عبد الناصر، وهو يشدد على نزاهتي، وضــعف حالتــي المالية، فقلت له مبتسما: ان ذلك كان يوم كنت رئيسا للوزارة، اما اليوم، وانا امارس المحاماة، فلم اعــد فقــيرا، فضحك مسرورا ... ولقد سرني التجاوب السريع من بعض كرام المواطنين، فقد تبرع الاستاذ حسين جميل بمبلغ خمسمائة دينار، كما تبرع الاستاذ فائق السامرائي بمثل هذا المبلغ أيضا، وتبعهم الكثير من المواطنين.

وان هذه المبالغ لا علاقة لها بما يتبرع به كل شخص فيما بعد حينما استحصلنا اذنا بجمع التبرعات للمجهود الحربي العربي، تبرعت شخصيا بمائة دينار، وريع كتابي " نظرات " وكان مقداره مائتي دينار اخرى تقريبا.

لقــد استلمت بعد ارسال الصك الرسالة الآتية الى سفير الجمهورية العربية المتحدة ببغداد. السيد الفاضل الاستاذ عبد الرحمن البزاز. بغداد في ١/٦/١٩٧٦.

تحية طيبة وبعد:

مرة اخرى بلا تردد ان من صدق السياسة وحسنها ان تبادر الدول العربية – والدول العربية الغنية بالبترول خاصةً – الى هذا العون. ولست بحاجة الى القول ان هذا البذل ليس عملا محسنا، ولا منة نمن بها على الجمهورية العربية المتحدة وجيشها الشجاع، انه واجب قومي، انه اداء الحق. ففي ذمة كل عربي في دنيا العرب كلها دين للجمهورية العربية المتحدة ولقواتها المسلحة، فهي التي حمتنا قبل غيرها من إسرائيل، وهي التي حدت من طغيان الاستعمار في بلادنا، وهي التي تقوم بالقسط الأوفى في معركة الشرف. فكل بذل، وكل تضحية في هذا السبيل لا يمكن ان توزي ما يمكن ان تحتمله الجمهورية العربية المتحدة، وما قدمه أو سيقدمه جيشها وقواتها المسلحة الشجاعة من جسيم التضحيات[٥٤].

يجود بالنفس اذا ظن الجواد بها ... و الجود بالنفس أقصى غاية الجود

فقد تسلمت خطابكم المؤرخ ٢٩-٥-١٩٦٧ وبه صكا بمبلغ الف دينار عراقي الذي تفضلتم بارساله تعبيرا عما يجيش في نفسكم من أسمى العواطف وعظيم الثقة في القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة التي تخوض معركة الشرف والمصير العربيين

ويسرني ان اعبر لسيادتكم عن خالص الشكر والتقدير لهذه المبادرة الطيبة، مؤكدا ان القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة هي ملك للامة العربية كلها، وقد وهبت نفسها للدفاع عنها وتحقيق آمالها.

حقق الله آمال امتنا وبارك في المخلصين من أبنائها وان يعيد للعروبة والاسلام أمجادها.

والسلام عليكم ورحمة الله".

سفير الجمهورية العربية المتحدة

(لطفي متولي)

المخلص

[٥٤] : ذلك كان رأيي في جيش الجمهورية العربية المتحدة. وان النكسة أو الاندحار الذي أصابه لم تغير من لغتي من انه لم يزل أقوى الجيوش العربية، وأكثرها تحملا للتبعة. وان لما أصابه عوامل عديدة ليس هذا موضع ذكرها، ولم أزل اعتقد ان اسرائيل تدرك ان عدوها اللدود هو الجمهورية العربية المتحدة، وجيشها الشجاع. ولذلك ستبقى تكيد لها ولجيشها كيدا كما ستسعى بكل طريقة للمراوغة حينما تدرك ان احتمال انتصار مفاجيء جديد عليها لم يعد ممكنا • واسرائيل لذلك لا تعبا كثيرا ببعض الجهات الاخرى التي لم تزل على طريقتها القديمة في المزايدات السياسية والتهريج بقضية فلسطين، والدعوة للحرب، ولكنها لا تحارب حين تقع الحرب فعلا ...

أبناء الخليج يقررون مستقبله[٥٥]

"الدكتور عبد الرحمن البزّاز رئيس وزراء العراق الأسبق ... واحد من النخبة في الدنيا العربية علما وثقافة واخلاصا وصدق وطنية، اثبت على الدوام انه المفكر والمصلح والمسؤول الذي يلتزم بمسؤولياته كافة، لذلك سجل له تاريخ العراق وتاريخ القضية العربية المعاصر أنبل المواقف وأشجعها وأكثرها وضوحا وصراحة وموضوعية" ..

واذ يزور الدكتور البزّاز وطنه الثاني الكويت لابد "للرأي العام" من ان تحاول ان تحصل منه على آرائه في أكثر القضايا الحاحا. فكان هذا الحديث"...

سالت الرأي العام الدكتور البزّاز رأيه حول مستقبل الخليج العربي فقال: ان الخليج منطقة حيوية لاعتبارات متعددة وأهمها ثراؤها وموقعها الجغرافي ولذلك فان على أهل الخليج أولا، وبالتالي على الدول العربية، ان تعمل في سبيل مستقبل هذه المنطقة لسد أي فراغ قد يحدثه انسحاب القوات البريطانية.

وقال الدكتور البزّاز ان على السعودية والكويت والعراق واجبا سياسيا ودورا رئيسا في معالجة مستقبل منطقة الخليج بهدوء بحيث يبقى تطوير وتطور هذه المنطقة من العالم العربي مرتبطا بالابتعاد عن أي نوع من الإثارة. وتكلم الدكتور البزّاز للرأي العام، عن ازالة آثار العدوان والوساطات العالمية القائمة لازالتها فقال: بان امريكا لن تقدم على الضغط على إسرائيل طالما تجد العرب في موقف ضعف، ولذلك فالمطلوب من العرب ان يعملوا دائما على تسليح جيوشهم، وتقويتها وتمتين الصلات بينها بصورة مستمرة حتى نصل الى المرحلة الضاغطة على إسرائيل. وفي هذه الحالة يمكن ان تقوم الولايات المتحدة بالضرورة على الضغط على إسرائيل للتراجع عن موقعها الراهن. وان الموقف سيستمر كما هو عليه الان، وسيبقى طالما ان الولايات المتحدة ترى العرب في موقف ضعيف.

وسالت الرأي العام الدكتور البزّاز عن أسباب المذكرة التي تقدم بها الى أركان الدولة في العراق قبل شهرين مع عدد من السياسيين واظهروا فيها تخوفهم من مؤامرات تحاك ضد العراق . فقال: ان الأسباب نفسها ما زالت قائمة بحيث ان هناك جهات مختلفة ما زالت مصممة

---

[٥٥] جريدة "الرأي العام" الكويتية، ١٤-٢-١٩٦٨.

على ان تقصف بالعراق في أية ظروف مناسبة. وان أية محاولة للقيام بعمل ما من قبل هؤلاء على الحكم في العراق ما زالت واردة في أذهانهم ...

وهاجم الدكتور البزّاز التطرف في بعض الدول العربية وقال:

ان هذا التطرف كان من أسباب النكسة التي نزلت بالعالم العربي.

وقـــال انه نبه كثيرا في أثناء توليه الحكم الى ضرورة كبح جماح التطرف الذي اعتمدته بعض الـــدول العربية في سياستها الخارجية. وأضاف: لو خففت تلك الدول من تصرفاتها لما أصابت النكسة دنيا العرب، وفي اضعف الإيمان جاءت بهذا الشكل المروع.

وســئل الدكتور البزّاز عن طبيعة المراحل لتحديد الحدود بين الكويت والعراق فأجاب: ان قضية الحــدود مــتفق علــيها من ناحية مبدئية بين الحكومتين وان اللجان قائمة حاليا بأعمالها فيما اعلم...

من على شاشة التلفاز
ندوات ومؤتمرات صحفية

منظمة اوبك ومفاهيم القومية وخصائصها

تحدث الاستاذ عبد الرحمن البزّاز السكرتير العام لمنظمة اوبك للنفط، في ندوة تلفازية عــن المــنظمة المذكورة، وعن مفهوم القومية العربية، وعلاقتها بالاشتراكية. وقد أدار الندوة قاسم نعمان السعدي.

المذيع :

*"يســر محطة تلفاز بغداد ان تغتنم فرصة عودة الاستاذ عبد الرحمن البزّاز سفيرنا في لندن، والســكرتير العــام لمــنظمة اوبك، منظمة البلاد المصدرة للنفط، من رحلته الأخيرة الى بعض الــبلدان المنضــمة الى المنظمة، وتدعوه ليتحدث الى المواطنين استجابة لرغباتهم، عن بعض موضــوعات الســاعة، خاصة وان الندوة السابقة التي ظهر فيها سيادته كان لها صدى ووقع طيب في النفوس. واحسب ان الكثيرون يودون الاستزادة من معلومات الاستاذ البزّاز.

نحن نشكر الاستاذ البزّاز على تلبيته هذه الدعوة، ونرحب به أجمل ترحيب"[٥٦].

- وانا اشكر ادارة تلفاز بغداد على هذه الفرصة الطيبة، لأنه ما من شيء أحب الي من التحدث الى مواطني وبني قومي. وأرجو ان يكون حديثي مجديا ونافعا لهم.

*ان شاء الله يكون مجديا ونافعا.

- شكرا.

*اســتاذ عبد الرحمن نود ان تعطوا للمشاهدين فكرة عن منظمة اوبك للنفط وعن لفظة "اوبك "، بالذات.

- أولا اللفــظ كلمة طبعا أجنبية، هي مجموعة الحروف الاولى للمصطلحات التي تتكون مــنها وهــي التــي تعنــي " منظمة البلاد المصدرة للنفط " حسب الطريقة الجارية في اللغات

---

[٥٦] ظهــرت علــى شاشــة الــتلفاز في ٤-٦-١٩٦٤ بعد عودتي من جاكارتا حيث حضرت مؤتمر " منظمة البلاد المصــدرة للنفط " وكنت في طريقي الى لندن . وقد طلب الي المسؤولون ان اظهر ثانية على شاشة التلفزيون نظرا للأثر الطيب الذي أحدثه حديثي الأول قبل سفري الى جاكارتا والذي عالجت فيه بعض المفاهيم القومية والاشتراكية. وأوضحت بجلاء الفرق بين الاشتراكية العربية والاشتراكية الماركسية التي تنكر التشبث الفردي وتدعو الى السيطرة الــتامة علــى كل وسائل الانتاج . ان الحديث الأول لم استطع الحصول عليه اذ أعلمني بعض المسؤولين عن ادارة التلفاز ان الشريط الذي سجل عليه قد محي ولعلي سأحصل يوما من هاو سجل الحديث في حينه ..
ولقد أدار هذا الحديث معي المرحوم الالمعي قاسم السعدي.

الأجنبية، حيث يقولون الحروف الاولى، فيقال مثلا الاحسان يبدأ في البيت (Charity begin at home)، وهكـذا (اوبـك) منظمة البلاد المصدرة للنفط. هذه المنظمة انشأت، أو بدأ العمل علـى إنشائها، قبل بضع سنوات، وعلى وجه الدقة سنة ١٩٦٠، حينما عقد المؤتمر الأول في بغـداد، وأعقـب ذلـك المؤتمر الثاني في فنزويلا، ثم اعقبت سلسلة من مؤتمرات عقدت في طهران، والرياض ومناطق اخرى ...

غايـة المـنظمة الأساسـية تنظيم جهود البلاد المصدرة لهذه المادة الخام الأساس، وتنسيق الأعمال فيما بينها بقصد الحصول على أفضل شروط للبضاعة المصدرة من هذه البلاد. فهناك مصالح مشتركة بين عدد من الدول كانت في البداية ست دول، ومن بينها العراق وايران والعربـية السعودية، ثم انظمت بعد ذلك اليها دولتان هما امارة قطر، وليبيا، ونرجو ان تصبح في القريب العاجل تسع دول بانظمام شقيقتها العزيزة الجزائر الى هذه المنظمة.

* ان شاء الله .

– قـد يهم المشاهد الكريم ان يعلم شيئا عن بعض اوجه نشاطات هذه المنظمة. هناك عـدد مـن القـرارات الأساسية اتخذتها هيئات المنظمة تسعى الى تحقيق النفع العام للأعضاء المنظمين الى هذه المنظمة، من ذلك مثلا، رفع أسعار هذه المادة الخام الأساسية كما قلت، لان الأسعار في الوقت الحاضر اقل مما كانت عليه عام ١٩٦٠، اذا عملت الشركات، ربما بالتواطئ مـع بعـض الجهـات الاخرى، على تخفيض قيمة هذه المادة مما اضر كثيرا بالبلاد المصدرة. فنحـن نسـعى الـى ان نعيد الأسعار الى ما كانت عليه، بل ونسعى جاهدين في ان نرفع قيمة بضـاعتنا هـذه، وطبيعـي كلمـا ارتفع الثمن كان محصولنا أجدى. والأمر الثاني الذي تسعى المـنظمة الـيه، هـو ان الشركات تستوفي ما يسمى بكلفة أو قيمة نفقاتها عن القيام بالمهام المختلفة، وقد وفقنا بالمفاوضات الدائمة مع الشركات الى تخفيض ذلك الى النصف، ومعنى ذلك اننا ربحنا شيئا لا يستهان به. وهذه مسالة أصبحت بحكم المنتهية.

وهـنا مطلب أساس هو الذي نسعى جاهدين له اليوم، وهو ما يسمى بـ"تنفيق الريع" أي جعـل العـائدات خارجـة عـن نطاق الـ٥٠٪ التي جرت الاتفاقات بمقتضاها. تعلمون ان الاتفاقـيات التـي جـرت مـع الشركات منذ عام ١٩٥١ مع العراق، وحوالي هذا التاريخ مع السعودية، وكذلك مع ايران، تقوم على أساس فكرة ما يسمى بالمناصفة، بمعنى ان يعطى ٥٠٪ من صافي الأرباح الى الشركات و ٥٠٪ الى البلاد المنتجة لمادة الزيت أو البترول. ولكن هناك

شـيئا اسمه "العائدات" أي القيمة الحقيقية للمواد الخام. هذه الـ ٥٠٪ انما هي مقابل الربح أو ضريبة الدخل، التي يجب ان تستوفي من كل شركة تربح في قطر ما، فما هو الثمن الذي يجب ان نحصـل علـيه مقـابل هذه المادة الخام؟ في واقع الحال تتكلم الاتفاقيات عن وجود عائدات مقدارها "الثمن" أي ١/٢ ١٢. ، ولكن في الطريقة الحسابية جعلت هذه الـ١/٢ ١٢. في اطار ال ٥٠٪، ومعـنى ذلك اننا نعطي المادة الخام بلا ثمن، وبلغتنا الدراجة "بلاش" وهذا لا يجوز. فنحـن نطالـب الان جاهديـن على ان نحصل على ١/٢ ١٢. اضافة الى الـ ٥٠٪ التي هي نصـيفتنا من الأرباح، والذي هو - هذا المبلغ - مقابل ضريبة الدخل المسن بها في قوانيننا، وقوانين البلاد كافة.

الشركات طبعا تماطل وتمادى، ولكننا نبذل جهودا نرجو ان توفق وتكلل بالنجاح، لكي نحصـل على هذا الحق، وسيكون مبلغا طائلا، في المنطقة كلها أكثر من ثلاثمائة مليون دولار فـي السـنة، أي فـي منطقتنا العربية فقط. إما بالنسبة لبعض البلاد الاخرى التي ستنظم الى المنظمة سيكون ربحا هائلا، وخاصة بالنسبة للجزائر التي شروطها قاسية بعض الشيء، لانها كمـا تعلمون، قبلت الاتفاقية النفطية كجزء من اتفاقية ايفيان، وكانت الظروف التي عقدت فيها غير مواتية بالنسبة للجمهورية الجزائرية.

* نرجو لكم التوفيق انشاء الله في هذا المسعى.

- شكرا.

* اسـتاذ عبد الرحمن، طبعا في رحلتكم الأخيرة، زرتم بعض البلدان المنظمة للاوبك. فهل ممكن نعرف البلاد التي زرتموها؟

- فـي الحقيقة زرت ايران، والكويت، والمملكة العربية السعودية، وقطر، وهذه هي الأقطار المنظمة للمنضمة، وزرت أقطار غير منظمة اليها، وسأزور في القريب العاجل بإذن الله وتيسـيره ليبيا والجزائر التي - كما قلت - أرجو ان تنظم للمنظمة لانها أبدت رغبات واضحة فـي الانظمام. الغرض الأساس، سيعقد مؤتمر بعد أسابيع قليلة في جنيف، من الدول الأعضاء للـنظر فـي عروض الشركات حول العائدات التي ذكرتها الان، لان الشركات قبلت مطلبنا من الناحـية النظرية، وسلمت بعدالة قضيتنا واننا نستحق العائدات، ولكنها - كالعادة الجارية كما يقـال - تعطى باليمين وتأخذ بالشمال، وضعت علينا قيودا اخرى، بمعنى ان المبلغ الذي نريده سيصـبح ثلـث المطلوب، وهذا غير كاف وغير مقنع. نحن نريد الحق كاملا، فقد نتسامح في

تقسيط بعض حقوقنا، ولكن نريد وعدا صريحا قاطعا وتحديدا كاملا، حتى يأتي الوقت القريب بحيث نحصل اضافة على الـ٥٠٪ الـ ٢/١ ١٢.٢ من عائدات النفط. والمؤتمر سيجتمع ويقرر السياسة، العروض الحالية غير مقنعة وغير كافية، وهناك ما يشبه الإجماع على ذلك. فكانت الغاية من المرحلة هي الاتصال بالمسئولين على كل المستويات، وأعلى المستويات ان صح القول، واتيحت لي الفرصة الطيبة لان أتحدث الى رؤساء الدول ورؤساء الحكومات ووزراء المال وبعض الشخصيات النفطية، وأستطيع ان أقول ان الرحلة موفقة، وهناك تجاوب حسن، وأمل ان نلتقي في جنيف لنقرر السياسة التي تحقق لبلدنا ولأشقائنا ولجيراننا النفع العميم.

* انشاء الله نتائج هذه الرحلة تكون مثمرة.

- بارك الله فيك.

* استاذ عبد الرحمن، طبعا نحن نشكركم على هذه المعلومات عن منظمة اوبك، والتي يود الكثير من المشاهدين معرفتها، وهناك موضوعات اخرى ننتقل لها، وهي من موضوعات الساعة.

الواقع ان الاستاذ البزّاز له صفة اخرى، فهو طبعا من المشتغلين والعاملين في السياسة وفي القضايا العربية والقومية العربية، فضلا عن كونه متضلعا في القانون. نحب ان يبين لنا الاستاذ عبد الرحمن شيئا عن موضوع القومية. يعني كثير من الناس ما يزالون لا يفهمون مثلا معنى القومية على وجهها الصحيح، فهل تبينون لنا ما هي القومية؟

- أصعب الأسئلة هي التي تبدو بسيطة وسهلة، وفي واقع الحال كلمة "قومية" تتكرر مئات المرات في اليوم الواحد، بل ربما الوف المرات على كل لسان، وهي كلمة من دون شك محببة الينا، ولكني اعترف معك انها غامضة، وكثيرا ما اسيء فهمها، وهناك حاجة ماسة الى توضيحها، واحسب ان ادارة التلفاز والاذاعة والصحافة معنية، ومسئولة عن هذا. وانا كما يعلم الكثير بذلت بعض الجهد في المحاضرات التي القيها في معهد الدراسات العربية العالية، وبعض المؤلفات، وأستطيع ان اجيبك باختصار، كما أرجو ان يكون جوابي مناسبا لمقتضى الحال. بان القومية - كما قلت من قبل - عقيدة وحركة. اصل اللفظ في اللغة العربية - وهذا شيء قد يكون طريفا- القومية مشتقة من "القيام"، فكان القوم هم الجماعة التي تقوم قومة رجل واحد يحزب الأمر ويجد الحطى، فكأنهم اذا دهت جماعة داهية أو أصابهم مكروه، يقومون. فالقومية مستقاة من حالة الشعب المتجاوب أمام الخطر الداهم. فالقوم الجماعة المنسجمة فكريا التي

تستجيب للحافز الفطري، للاحساس الفطري أمام الخطر، فهي كما قلت اذن في اصل الاشتقاق من القوم، والقيام، أي الحركة والفعالية. والطريف بعد هذا ان كلمة قوم في اللغة العربية كانت تعني "الرجال" دون النساء، وقد وردت في الشعر العربي بهذا المعنى، والشاعر الجاهلي يقول:

وما ادري ولست اخال ادري أقوم ال حصن ام نساء.

أرجال هم ام نساء، وأكثر من ذلك، في القران الكريم وردت بهذا المعنى أيضا، أي ان كلمة قوم تعني الرجال. جاء في التنزيل في سورة الحجرات: (يا أيها الذين امنوا، لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن). معنى هذا لا يسخر رجال من رجال، ولا نساء من نساء. واحسب ان العلة واضحة، لان الذين يقومون ويحاربون ويدافعون أول الأمر هم الرجال، فهذا المعنى الحسي هو الذي خصص اللفظ بالرجال أولا، ثم استعملت في اللغة وفي القران أيضا بمعنى الجماعة الكاملة. من ذلك قوله تعالى: (وكذب به قومك)، والمقصود هنا أيضا رجال ونساء. وكذلك الآية: (وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد) والمقصود هنا أيضا رجال ونساء، وهكذا أصبحت الكلمة شاملة. ولكن المصطلح "قومية" بغض النظر عن لفظ "قوم" - كما تعلم - حديث، ونحن في استعمالنا له متأثرين في هذا بالفكر الغربي، الذي نمى في عصور متطاولة، وبعد أحداث شتى، وهي تعني جملة (الشعور المتجاوب بين الجماعة المتجانسة، المعتمد على أساس من إحساس مشترك، والقائم بالدرجة الاولى بين الذين ينطقون بلسان واحد، ويتحسسون تاريخا واحدا أو وجودا اجتماعيا واحدا). فمعنى ذلك ان اللغة هي قوام القومية الحديثة على الرأي الامثل، وهناك آراء لا حصر لها، ولكن الرأي الذي افضله، وأؤمن به، وأدعو له، هو ان قوام القومية أو دعامة القومية، اللغة أولا، والتاريخ ثانيا. اللغة كما يقول بعض العلماء هي روح القومية، والجماعة التي لها لغة خاصة بها حية ولها روح، والجماعة التي تفقد لغتها قوميتها، لان اللغة ليست أداة للخطاب فقط، انما هي تراث أدبي وحضاري، ذخائر الامة، ومشاعر الامة، اناشيدها، أغانيها، قصيدتها، أمثالها، حكمها، كل اولئك يتجلى في اللغة. فاللغة هي أساس قوى متين لكيان كل قومية، والرصافي في قصيدة لطيفة يدرك هذا المعنى ويقول:

وتجمعنا جوامع كبريات وأولهن سيدة اللغات

يدرك ان اللغة اولى الجوامع التي تجمعنا. وشوقي أمير الشعراء في قصيدته المشهورة في دمشق يقول:

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم   ونحن في الجرح والآلام اخوان

فـــالذي يجمعـــنا أولا وقـــبل كل شيء الفصحى. هذه اللغة الواحدة، ويجمعنا بعد ذلك الجـــرح والآلام التـــي هـــي نتاج التاريخ الواحد. وكأنه في هذا البيت الواحد ضمن المقومين الأساسين للقومية، اللغة التي أشرت اليها، والتاريخ.

مـــاذا يـــراد بالـــتاريخ؟ ليس هو مجرد أحداث، وسرد وقائع. التاريخ يراد به حضارة الامة، وما أنتجت من عبقريات، وما خلدت من آثار، وما تفاعلت به مع الزمن بحيث تكون لكل امـــة احساس. فحينما يقال الامة الفلانية بطلها فلان، ترى كل أفراد الامة يتحسس ببطولته، أو حيـــن ذكـــر الفجيعة الفلانية أو الواقعة الفلانية، تهتز الامة كلها بمشاعرها. وهذا هو التاريخ الـــذي يعـــبر عنه بعض العلماء الذين كتبوا في القومية "انه شعور الامة". فاذا اجتمعت الروح (اللغـــة) والشـــعور (الـــتاريخ) أصبحت الامة حية. بعض الامم قد تفقد احد هذين الركنين. فأذا فقـــدت الأول مـاتـــت الامة، لانها فقدت الحياة، ولكن بعض الامم تحتفظ بلغتها، ولكنها لا تعني بـــتاريخها، فـــيقول قسم من الباحثين انها بمثابة المخدر، أو النائم، أي كفاقد الشعور. فاذا ما أدركـــت تاريخهـــا أصـــبحت القومـــية حية. فنحن مثلا لماذا نقول اننا امة واحدة في مشرقنا ومغربـــنا، فـــي القارتين العظيمتين في آسيا وافريقية؟ اننا امة واحدة، لأنك حيثما ذهبت، تجد الـــناس يـــنطقون بلسان واحد. صحيح هناك لهجات، والمؤسف انها أحيانا رطنة، ولكن مهمة المثقفين والواعين ان يخففوا من آثار الرطانة هذه، وان يقربوا بين هذه اللغة المشتركة.

قـــبل شـــهور قلـــيلة، كان جالسا بجواري رجل في حفل احد الساسة الانكليز، ويسال مســـتغربا: هـــل اذا ذهبت الى مراكش تفهم لغتهم؟ قلت له كيف مستفسرا؟ ولحسن الحظ كان السفير المغربي موجودا، فناديته وقلت له حدث صاحبنا بأية لغة تتكلم ... فضحك ... وكان هذا بـــرهانا قاطعا على اننا أبناء امة واحدة. المغربي بالرغم من بعده بضع الاف الكيلومترات عن المشـــرق فـــي بغـــداد، نلتقي ونتكلم لغة واحدة. ليس ذلك فقط، بل نتجاوب أيضا، أنا اقرأ بيتا للمتنبـــي، فيجيبنـــي بالمعنى ذاته بيت للبحتري، وتذكر الواقعة فيعلق عليها، هذا هو دليل على انـــنا أبناء امة واحدة، على الرغم من الحواجز المصطنعة. هذان هما الدعامتان للقومية، اللغة والتاريخ.

* يعني هذه خصائص القومية اذن؟

- هــذا موضوع آخر، الخصائص- فيما أرى، وهناك أراء شتى-، أجملتها في بعض بحوثــي فــي أربع هي: الكلية، والتقدمية والديمقراطية، والاشتراكية. ربما كلمة "الكلية" تبدو غريــبة، أنــا أردت بالكلــية الشمول الكامل. الفكرة القومية ليست نظرية سياسية، ولا مذهبا اجتماعــيا، ولا مذهبا اقتصاديا فقط بل هي كل اولئك مجتمعا فكرة اجتماعية سياسية اقتصادية، ثــم هــي "كلية" بمعنى انها لا تنطق بلسان طبقة من الطبقات، كالماركسية أو الشيوعية - ان شئت - تتكلم عن العمال والكادحين، القومية تتكلم عن الامة ككل، أحزاب اليسار واليمين، في اوربــا هــذا يــتكلم عــن الــبرجوازية الصغيرة، وذلك يتكلم عن الرأسمالية، وهذا عن العمال والفلاحيــن، وهذا عن ... وهكذا .. القومية لا تؤمن بهذا، بل تتكلم عن "الكل" فهي شاملة في اطارهــا لمخــتلف نواحي الحياة، شاملة للامة بمجموعها، شاملة للوطن بكامله. فانا لا اسمي قوميا من يقول "أنا عراقي، ثم عربي"، في الواقع ان يقول "أنا عربي من العراق"، أو عربي من سورية، أو عربي من مصر. اذكر دعابة طريفة، لما كنا طلابا في الدراسة، قبل فترة طويلة لا أقــول كــم، المــدة طويلة ... كنا قد اتفقنا على اننا اذا سألنا سائل أجنبي: من أي البلاد أنت؟ نجيــبه "عربــي". فسألني مرة إنكليزي: من أي البلاد أنت؟ قلت له عربي. قال: من السعودية العربية. قلت له: لا ليس من السعودية العربية. قال من أي بلد أنت اذن؟ قلت له: من العراق. قال لم لا تقول انك عراقي. قلت: لأنني أنا انتسب الى مجموعة اسمها الامة العربية، فلو سألتك من أي البلاد أنت؟ هل ستقول من ويلز أو كنت أو سكوتلندة، أو تقول من بريطانيا؟ قال: أقول أنــا بريطانــي. قلــت له: أنــا كذلــك. الفرق بينكم وبيننا، إنكم استطعتم ان توحدوا الأجزاء، فتصــبحون امــة واحــدة، وطنكم واحد، أما نحن فعاملون على هذا. فانا أقول بما سيكون، أنا انتسب الى هذا الوجود الكامل، فانا عربي من العراق. وانا دائما كنت أقول لاخواننا، عندما كنت ادرس فــي مصر- الجمهورية العربية المتحدة - إنكم لن تصبحوا قوميين بالمعنى الصحيح - وقــد أصبحوا بحمد الله وبفضل الجهود المخلصة - الا اذا آمنتم انكم عرب أولا، ثم العرب من مصــر. اذا قلــت مصر أولا، أو العراق أولا، أو سورية أولا، فلست قوميا. لان الكلية تفرض عليك ان تؤمن بالشمول، وتكفر بالإقليمية الضيقة.

* بارك الله فيك. هذا صحيح.

- ربما للطرافة الأدبية، اردد أبياتا من الشعر بهذا المعنى، كنت دائما استشهد بها في المحاضرات للتنديد بالاقليمية الضيقة، يقول شاعر محدث احسبه محب الدين الخطيب.

لبيك يا ارض العروبة واسمعي

ما شئت من شدوي ومن انشادي

لك في دمي حق الوفاء وانه

بـــاق على الحـــدثان والآماد

فلكل ربع من ربوعك حرمة

وهوى تغلـــغل في صميم فـــؤادي

أنا لا افـــرق بين اهـــلك

انهم أهلي وأنت بلادهم وبـــلادي

ولقد برات من وطنيـــة

بتـــراء توتـــر حرمـــة الميـــلاد

"فالوطنـــية البتراء" ضد الكلية القومية، القومية تقوم على الشمول الكامل، حب الوطن العربي بكل أجزائه. وما دمنا في ذكر الشعر يحضرني بيتين جميلين للشيخ رضا الشبيبي يقول:

انني ذاك العراقي الذي

ذكـــر الشام وناجـــى اليمنا

انني اعتد نجدا روضتي

وارى جنـــة عدنـــي عدنـــا

أنا رأيت الرياض أخيرا، وهي ليست روضة بالمعنى الحرفي، ولكن العربي يعتقد بأنها روضـــة. وعدن كلنا يعلم انها حارة، وجوها متعب، ولكننا الان كلنا نتجه الى عدن، نعتقد انها جنة عدننا، قلوبنا متصلة بها، هذا هو شعور حسي، هذا معنى الكلية التي أردتها ...

* اذن هذه هي الخصيصة الاولى للقومية. والثانية قلتم ...

– التقدمـــية وانا اعتقد ان هذا من الوضوح واللزوم والفعالية، ما ربما أصبح مسلما به، وان كان – لا اخفيك – بعض الحاقدين على أساس "حركي". اصل لفظ قومية بهذه الصيغة قائمة على "العقيدة" و "الحركة"، فهي هادفة أبدا، – دائما الى التقدم، والى التطلع – الى الآمال المستقبلة، والى العمل الدائب للأخذ بهذه الملايين الى الحياة الأفضل في كل نواحي الحياة، فلا يمكـــن ان تكـــون جـــامدة، ولا يمكـــن الا ان تكون تقدمية. ولكن مع ذلك فان أعداء القومية

يوسمونها بأنها رجعية، وانها جامدة، وانها أصبحت خارجة عن اطار العصر، وأصبحت قديمة، وأصبحت ... وأصبحت ... الى ما هنالك من دعايات باطلة.

* ولكنها تقدمية، وستبقى تقدمية.

- بدون شك.

* استاذ ما هي علاقة القومية بالعنصرية، بالدين؟

- حقيقة موضوع مهم جدا. أنا اعتقد ان كثيرا من الكاتبين، وخاصة في اوروبا، خلطوا بين القومية والعنصرية، ويؤسفني ان أقول بان فريقا من أبناء قومنا كانوا - وربما ما يزالون، وأرجو ان يكونوا قلة قليلة - يقيمون القومية على أساس من العنصرية. في رأيي العنصرية لا علاقة لها بالقومية، ليس هناك شعب في هذه الدنيا يستطيع ان يثبت انه ينتسب الى دماء نقية، حتى ولا في قلب الجزيرة العربية، كل الشعوب اختلطت وتزاوجت. ان الذي يميز امة عن امة اخرى - كما قلت - هو اللغة والوجود الحضاري، والتقاليد، والسمات، ومعاني الحياة، والفكر، وما الى ذلك ... فالعنصرية نظرية روجها في واقع الحال بالدرجة الاولى كاتب فرنسي في القرن التاسع عشر، وتبنتها المانيا القيصرية، ودعي لها كاتب انكليزي اسمه "ششامبرلن"، وشاعت بعد ذلك الى ان أخذت شكلها العنيف في المانيا النازية، وايطاليا الفاشستية، ونحن - نحن القوميون العرب - براء من هذه الفكرة، نحن نؤمن بامتنا العربية، بلغتها، بحضارتها، بتراثها، دون استعلاء عنصري، وليس لنا شعور بالتمايز، لسنا شعب الله المختار، اننا نحن شعب من شعوب الله العديدة، ولكن من حقنا ان نحيا حياة حرة كريمة، وان نعمل جاهدين لان نحقق أمانينا، وان لا يكون ذلك الا عن طريق ايماننا بامتنا الواحدة، وعملنا الدائب من اجل أهدافنا. فنحن لسنا عنصريين، ولا نؤمن بالعنصرية، وان الذين كانوا يتنادون بالعنصرية فريق من القوميين الغلاة الذين لا صلة لهم بالفكر القومي العربي الحديث، والقوميات التقدمية الحديثة، القائمة على أساس من رغبة في التجمع والاصلاح، ورفع مستوى الأفراد الذين عملت عوامل شتى فأحالتهم الى الفقر وضعف ضعة وهوان. تريد ان ترفع هذه الامة بمجموعها، وان تحقق لها المثل الأعلى في هذه الحياة. وأنت ترى من هذا انها "انسانية".

اذكــر كلمــة لطيفة لجان جاك روسو الفيلسوف الفرنسي، وهو يرد على هؤلاء الذين يــزعمون أنهم انسانيون، يقول: بعض الناس يهربون من حب مواطنيهم الاقربين اليهم، بحجة انهم يحبون الصينيين. والانكليز يقولون: الاحسان يبدأ في البيت.

فاذا كان لنا ثمة حب وولاء، يجب ان نبدأ به بالمواطنين، بين قومنا، والعمل من اجل هؤلاء هو عمل من اجل الانسانية. أية انسانية أكرم من ان تعمل من اجل هذه الملايين الكثيرة التــي وصــفنا حالهــا، والتي هي في كل دنيا العرب بحاجة الى من يأخذ بيدها،ويجمع شملها، ويسدد خطاها، ويعمل لخيرها. ان هذا عمل انساني ما في ذلك ريب ...

* استاذ عبد الرحمن، انتم تحدثتم في الندوة السابقة عن الاشتراكية، ولعلنا نرى شيئا لطيفا ان تجمع بين الموضوع هذا وصلته بالاشتراكية؟

- أنــا قلت اعتقد ان الاشتراكية هي خصيصة من خصائص القومية، واذهب أكثر من ذلــك، كمــا ســبق لي ان أوضحت في الندوة السابقة، ان الاشتراكية هي القومية في ناحيتها الاجتماعــية. القومــية لهــا وجــه سياســي، ووجه اجتماعي. والاشتراكية العربية، العربية الاسلامية، قائمة على مثل عليا تقف تماما وسطا بين رأيين متطرفين، بين المادية التي وصلت الــيها الشــيوعية التي تنكر الوجود الفردي نكرانا تاما ولا تبقى للانسان الذي كرمه الله مكانا لائقا به كانسان، والمذهب الآخر الذي يغالي بالفردية ويؤدي الى الرأسمالية والى الاقطاع والى الاســتغلال والــذي هــو الآخر ليس اقل مادية وليس اقل ضررا من الشيوعية. فنحن نقف في الصراط السوي، الطريق الوسط، القائم على أساس التوفيق بين كرامة الفرد من حيث هو فرد، وبيــن مصــلحة الجماعــة مــن حيث هي جماعة. واننا نعتقد اذا تعارضت هاتان المصلحتان فمصلحة الجماعة أولى بالرعاية.

الاشــتراكية العربية هي النظرة الجماعية الكلية، المؤمنة بالامة ومصلحة الامة وخير الامــة. حيثما تقوم الرأسمالية على الفردية، الفرد، مصلحة الفرد، ربح الفرد، ثراء الفرد، ملك الفــرد، هكــذا كــل شــيء يقوم على الفرد، تقوم الاشتراكية على مصلحة الامة، خير الامة، المصلحة العامة، العدالة الاجتماعية. ولذلك نقول نحن اشتراكيون، نحن اشتراكيون بهذا المعنى الانســاني الذي يقف وسطا بين هذين المذهبين المتطرفين. ويؤسفني ان أقول هناك سوء فهم أرجــو ان يكــون غــير متعمد، ولكن يؤسفني ان يكون أحيانا معتمدا من بعض الذين يدجلون ويحــاولون ان يســيئوا الى هذه الاشتراكية السليمة المتسقة مع رسالة السماء، والقائمة على

اجل المثل ، والهادفة للخير الانساني، فيخلطون بينها وبين الماركسية. ونحن أعداء للماركسية من حيث انها تقوم على المادية التاريخية، وعلى الصراع الطبقي. وكما قلت تقوم قوميتنا على الكلــية، الامة بأغنيائها وفقرائها، بعمالها وفلاحيها، برجالها ونسائها، لا طبقية بل كل يجب ان تعملــوا لخــيرها. فنحن أولا نختلف عن الصراع الطبقي، والذحل الذي نجده في الشيوعية أو الماركسية. وخذ مثالا:الاصلاح الزراعي-ونحن نعده عمل اشتراكي- لو نظرت في واقع الحال هــو ضد الاشتراكية بمعناها الماركسي، الماركسية تقوم على أساس ان الدولة تسيطر على كل الأرض وتحــيل الفلاحين الى أجزاء. الاصلاح الزراعي قائم على ان يزيد من عدد الرأسماليين الصــغار، تعطــى قطعة ارض للفلاح، لأنك تشعر انك باعطائه الأرض، لا تعطيه وسيلة للعيش فقط، وانما تعيد له انسانيته وكرامته. فبعد ان كان مهانا في كل أدواره، يخضع لنقل في بعض الحالات، أنا اعلم ان بعض المزارعين كانوا لا يخلون من إنصاف، لكن هناك حالات كثيرة أساء فــيها المــلاك معاملــة الفلاح، فأنت حينما تجعله مالكا في الوقت ذاته جعلته رأسماليا صغيرا، وكــأنك عملــت ضد ما تقول به الماركسية، ولكننا نقول هذا عمل اشتراكي. فاشتراكيتنا - كما سبق ان أوضحت - ليست شيئا مستوردا، ليست صنوا للشيوعية، ليست صنوا للماركسية، هي اشــتراكية عربية اسلامية، أقول اسلامية واكرر القول٠، لانها فيما اعتقد - أنا اعتقد ذلك عن يقيــن كــامل - انهــا لا تعارض الاسلام،هذا بالرغم من كل ما تقوله فئات كثيرة داخل العراق وخارجــه، ممن ما يزالون يترددون في قبول الاشتراكية هذه، أو يشككون في فحواها ومالها، ولكننــي يوما بعد يوم ازداد يقينا الا سبيل لنا السعادة الحقة المخلصة، والقضاء على التطرف، سـواء كــان الــتطرف الجشع من الرأسمالية أو التحطيم العدمي من الشيوعية، الا بمثل هذه الاشــتراكية، القائمــة علــى العدالة الاجتماعية، المؤمنة بالميراث، المشجعة للتشبث الفردي، ولكنها تؤمن قبل ذلك ان مصلحة المجموع أولى بالرعاية، وان من حق الدولة ان تحقق العدالة الاجتماعية بكل وسيلة تجد نفسها مضطرة لاتخاذها في سبيل تحقيق المصلحة العامة.

* يعنــي بعــض الجماعة مثلا يوشوشون فيتصورون ان الاشتراكية هي ضد الدين، فماذا تحبون ان تقولوا لهم بهذه المناسبة؟

- أنا اؤمن بالدين ايمانا لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه، وانا اؤمن بالاسلام وبروحانيــته وبمعتقداته كاملة، واؤمن ايمانا عميقا بان هذا الطراز من الاشتراكية متسق تمام الاتساق وأكمل الاتساق مع الاسلام. ان شرائع السماء جاءت لتحقيق العدل بين الإفراد، جاءت

للقضـــاء على الطغيان، جاءت للقضاء على الذين يدخرون المال، ويكتنزون الذهب والفضة ولا ينفقونـها في سبيل الله.

الاســـلام حـــرم الـــربا، لأنه استغلال غير مشروع، الاسلام أمر بالزكاة، الاسلام أمر بالانفاق، الاسلام قال "وفي أموالهم حق للسائل والمحروم"، كل هذه المثل الاسلامية، ولو رجعنا الـــى الفقه والى التاريخ الاسلامي، نجد ثروة رائعة مما قال به الفقهاء من حق ولي الأمر فيما يجـب ان يعمل في سبيل تحقيق العيش والأمان والرفاه للمجتمع، وهل نحن في هذا نقول بغير مـــا تأمـــر بـــه شـــريعة السماء؟ ولذلك فانا اعتقد مخلصا ان الذين يشككون بهذه الحقيقة احد شخصـــين: أما جهال، فأرجو لهم المعرفة والهداية، وأما مضللون أو مضللين، ولا ادري ماذا ادعـــو لهم؟ أرجو لهم الهداية أيضا، واسأله سبحانه وتعالى ان يسدد خطانا جميعا، ويوفقنا لما هو أفضل وأصلح في دنيانا وأخرتنا.

* اســـتاذ، بعـــض المثرين أيضا يتخوفون من الاشتراكية، أيضا ماذا تحبوا ان تقولوا لهم بهذه المناسبة؟

– أنـــا اعتقد ان نظامنا الاشتراكي يحترم الملكية، ويدعو للتشبث الفردي، ويقول في الرأسمالية الوطنية المخلصة ان" مصلحة الجماعة" تقتضي ان يشجع القطاع الخاص، وان نعمل جاهديـــن لتنميـــته مـــا دام حريصـــا على هذا المثل. وليست مشكلتنا مشكلة سوء توزيع فقط، مشـــكلتنا انعـــدام الشيء الذي يوزع. فنحن بحاجة الى ان ننتج، وان نوجد المكائن، وان نوجد المصـــانع، وان نوجـــد ... وان نوجـــد ... ما شاء الله، وما استطعنا ان نوجد من أشياء حتى نستطيع ان نوزع. فللرأسمالية الخاص وللقطاع الخاص مجال للتشجيع، أنا احسب ان الحكومة مدركة لهذا المعنى، ونصت على ذلك في الدستور، وقالت هناك قطاع عام وقطاع خاص، هناك صـــناعات كـــبرى لا تنهض بها الا الدولة، وهناك صناعات وسطى وصغرى وبعض الصناعات الاخـــرى التـــي يستطيع ان ينهض بها القطاع الخاص. فما دام هذا القطاع الخاص مؤديا الحق العـــام، راعيا الله في حقوق الناس، خاضعا للقواعد العامة، اعتقد ليس هناك أي داع للتشكك. أمـــا الجشع الذي يريد ان يثرى بلا حساب، أما البائع الذي لا يرضى بالربح الحلال، أما الأناني الـــذي لا يعنـــيه الا نفسه وماله، فلا شأن لنا معه. أنا اعتقد ان التاجر المنتج المخلص، مفيد ومهـــم وضـــروري في المجتمع، كالفلاح المخلص وكالموظف المخلص وككل انسان مخلص. فليست هناك أية فكرة فيما اعتقد – واعتقد مخلصا – على اننا نقضي قضاء تاما على التشبث

الفردي، وليس من مصلحتنا هذا، أقول هذا، وقلت هذا اليوم، وكتبت في هذا فصول طويلة في كتبي عن القومية.

* ما دامت الاشتراكية طريقا قويما، فتطبيقها في كل بلد كيف سيكون؟

- أنـــا اعتقد ان الاشتراكية العربية - كما سبق لي ان أوضحت فيما مضى في الندوة السـابقة - كالبدلة التي تنسج في البلد وتخاط في البلد وتقد (تفصل) في البلد، نحن لا نستورد صيغا كاملة وبدلات جاهزة، نحن نريد ان ننشئ نظاما اجتماعيا تتكافأ فيه الفرص، وتتحقق فيه العدالـــة الاجتماعـيـة، ويطمـأن فـيه الفـرد على مستقبله، فيه ضمان اجتماعي ضد المرض والشيخوخة والعجز والفاقة والبطالة،وفيه مجال للتشبث الفردي، وفيه فرق بالامكانيات، لأننا لا نسـتطيع ان نقـول الناس سواسية تماما فيما يتعلق بطاقات الانتاج، ولكن لابد من ضمان حد أدنـــى، بحيث لا يبقى مجال للظلم والتعسف. هذا ما افهمه أنا من الاشتراكية، وانا اعتقد، كما قلت جازما، انها أولا تقف وسطا بين الطرفين المتناقضين، وكلاهما يؤدي الى الفوضى، احدهما يـؤدي الى الذحل والى التباين الطبقي فنجد صاحب الملايين المكدسة والمعدمين الذين هم في أسفل قاع الهرم، ونجد النظام الآخر الذي ينكر التشبث الفردي ويحيل الانسان الى آلة أو جزء مـــن آلة، ولا يبقى له كرامته الفردية. نريد ان نوجد مجتمعا أكثر تناسقا، فيه للفرد ولتصرفاته مجـال، وفيه للدولة حق الرقابة، لان المصلحة العامة مرة اخرى أهم من مصالح الفرد، وخير الامور أوسطها.

* اسـتاذ أشـكركم جدا على مساهمتكم في هذه الندوة وتلبية هذه الدعوة من محطة تلفـزيون بغـداد. ونسأله تعالى ان يوفقكم في مسعاكم في منظمة الاوبك وفي الحقل السياسي الذي تعملون فيه.

المؤتمر الصحفي الأول

عقـد الاسـتاذ عـبد الرحمن البزّاز رئيس ووزير الخارجية في الساعة الخامسة من مساء اليوم (الخميس) في مبنى المجلس الوطني مؤتمرا صحفيا تناول فيه مختلف القضايا التي تهـم الـرأي العام. وقد حضر المؤتمر السيد سلمان الصفواني وزير الثقافة والارشاد بالوكالة، وعدد من المسؤولين، كما حضره مندوبو الصحف العراقية، والاذاعة، ووكالة الأنباء العراقية، ومراسـلو الصحف العربية والأجنبية، ووكالات الأنباء. وقد رحب السيد الصفواني في مستهل

المؤتمـر بالصحفيين وقال: "ان السيد رئيس الوزراء بما عرف عنه من حب للديمقراطية وحب للحـرية، ورغـبة في اطلاع الشعب عن طريق الصحافة والاذاعة والإنباء على حقائق الامور، ومـا تـنوي الحكومة عمله، فانه سيحدثكم في هذا الاجتماع عن حقائق تلك الامور". وبعد ذلك تحدث الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء ووزير الخارجية للصحفيين فقال:

حضرات السادة رجال الصحافة والاعلام يسرني ويسعدني ان التقي بكم لأول مرة وانا أتحمـل عبء المسؤولية في هذا الوطن العزيز، واعدكم بأنني سألتقي بكم بعد اليوم مرارا. لا لأننـي أود الحديـث، ولكن لأنني اعتقد - كما تفضل زميلي الاستاذ الصفواني - ان من حقكم، وانـتم الوسيط بين الشعب والحكومة، ان تطلعوا على ما يختلج في صدورنا، ولا أقول على ما نـريد ان نعمـل، لأنني أؤثر ان نعمل أولا فتتحدثون عما عملنا، وتسددوا خطانا اذا ما أخطانا، وتوجهوا لنا النقد والتوجيه الذي سنقبله بصدور رحبة، مادام ذلك هدفا للمصلحة العامة، وخير وطنـنا وامتنا. وأؤكد لكم سلفا اننا نعتزم ان نسير على هذه السياسة، مهما سيعترض طريقنا. نسـأل الله تعـالى ان يهبنا الشجاعة الكافية، وان نزيد من ايماننا بحق شعبنا بالحرية، وبمثله العليا.

وبعـد هـذا كنت أود ان يكون لقائي الأول قاصرا على التحدث اليكم، بوصفي وزيرا للخارجية، عما تم من انجازات في مؤتمر القمة العربي الثالث الذي عقد في الدار البيضاء. انكم قـد اطلعـتم علـى الكثير - حول هذا المؤتمر - ولكن هناك بعض النواحي كان من المفيد ان تطلعـوا علـيها أيضا، وعلى الرغم من ان المناسبة - بعض الشيء - قد فاتت، وهناك أحداث اخـرى غطت على قيمة ما كنت أود ان أقوله، فقد يكون من الخير - مع ذلك - ان أقول شيئا في هذا الصدد، ثم انتقل الى ما هو أكثر الحافا وضرورة في الوقت الحاضر.

دور الوفد في مؤتمر الدار البيضاء

اؤكـد لكم ان الوفد قد قام بقسطه في انجاح مؤتمر القمة هذا. هذه حقيقة يدركها، أو أدركهـا، الأعضـاء فـي مؤتمر القمة كلهم، وأقول للحق أيضا بان الرئيس عبد السلام محمد عارف قام بدور مشكور كريم في تقريب وجهات النظر، لا في الاجتماعات الرسمية، سواء أكان العـام مـنها ام الخاص - فحسب - ولكن في اللقاءات الخاصة أيضا. وكانت شقته - بالفندق الذيـن يقـيم فـيه - ملتقى زعماء العرب ورؤسائهم وملوكهم، وكان يعمل جاهدا، ليل نهار،

لانجـــاح المؤتمر والوصول به الى غايته. هذه حقيقة يجب ان تكون معلومة ومعروفة. وكان يـــنظر الى العراق من الجميع باعتباره القطر العربي الذي يقوم بهذا الدور - الوسط - ان صح استعمال هذا التعبير. وكان مرضيا عنه من مختلف الأقطار، ومن مختلف الرؤساء والحكومات، ولذلـــك قـــد استغل العراق موقفه هذا لخدمة المصلحة العامة، ولخدمة شعبنا العراقي في بعض شؤونه أيضا.

ما الذي حدث ونحن في خارج العراق؟

بعـــد ذلك أود ان أقول لكم بان الذي حدث ونحن في الدار البيضاء قد أقلقنا، كما اقلق المخلصـــين جمـــيعا، ولكـــن للتاريخ اسجل ان أكثرنا - نحن العراقيين - رباطة جاش، وأكثرنا صـــبرا واســـتعدادا لتحمل الأنباء دونما فزع أو وجل، هو الرئيس عبد السلام. أقولها للتاريخ أيضـــا بأنـــنا كنا جميعا قد اضطربنا، وشعرنا بعميق التأثير لما بلغنا من أنباء مؤسفة محزنة، ولكنه هو وحده بقي متماسكا الى آخر لحظة، متأكدا بان الجيش والشعب معه، وان ما حدث لا يمكـــن ان يؤثر على سير العراق، سيره العربي القومي الاسلامي المتحرر، الهادف الى غايات هـــذه الامة في الحرية والاشتراكية والديمقراطية والوحدة. وأكثر من ذلك - وهذه حقيقة مهمة اخرى أؤكدها للتاريخ - ظهرت روحه العربية الكريمة، وانسانيته أيضا، حينما بلغنا عن طريق احـــدى وكالات الأنباء، من ان الذين خرجوا من العراق فارين قد طردوا من مصر، أو اخرجوا مـــن مصر، وان لبنان أبت ايواءهم. وأذاعت احدى وكالات الأنباء بأنهم في الجو حائرين. كان رد الفعـــل الأول لديه قوله: "لا ... لا ... خطية، كان واجبا على مصر ان تقبلهم، شوية رحمة" - اذكر عباراته ذاتها كما نطق بها باللغة الدارجة -، وهذا يدل على شعوره ونفسه الكبيرة؛ لم يكن حانقا، ولا غاضبا، ولا سبابا، ولا شتاما، كما يتوقع في مثل هذه الحالة العصبية ان يكون، بـــل كـــان انســـانا يعطف على غيره، حتى وان كان هذا الغير خصما له، هذه حقيقة ارجو ان يعرفها رجال الصحافة والإنباء ...

بعـــد ذلـــك جاءتنا الأنباء على وجهها الحقيقي، عرفناها من رسول ارسل من بغداد - وهو احد زملائنا - وطمأننا بحمد الله على ان الأمر بسلام، وان المحاولة الفاشلة لم تؤثر على الســـلامة والأمن في وطننا العزيز، وان البيان الذي أصدرته الحكومة، وقتئذ، قد عبر بوضوح وبصـــراحة وببســـاطة عمـــا حدث. وأود مرة اخرى ان اؤكد لكم ان قطرة دم لم ترق، وان ما

ترجف به بعض الاذاعات من وجود صدام وقتل وجرح وما الى ذلك، لا نصيب له من الصحة، وأود ان اعطيكم بعض الاحصاءات البسيطة لتعلموا ان الأمر لم يكن بالخطورة التي هولها بعض المهولين أو بعض المرجفين؛ كل الموقوفين بسبب هذا الحادث هم ستة أشخاص من المدنيين، مع شخصين محجوز عليهما أو مراقبين في بيوتهم، واثنى عشر شخصا هاربين من العسكريين. كل الموقوفين ١٦ شخصا، والهاربين ٤٩ شخصا، المجموع ٦٥ شخصا. فكل ما قيل عن اضطراب وثورة وانقلاب لا صحة له. حوالي ٦٥ شخصا – وقد يكشف التحقيق عن آحاد أو عشرات اخرى – هم كل المسؤولين أو المشتبه بهم. وترون من هذا ان الأمر بسيط، وبسيط جدا ...

الحادث المؤسف

ان الحادث من حيث هو مؤسف، وليس من طبيعتي، ولا من شيمتي، ان اندد باناس كانوا بالأمس القريب زملائي. لذلك نترك حكمهم للتاريخ. ان الحادث شيء مؤسف، ولاشك، وأساء الى هذا البلد، ولكن الحكومة ستسير السير الطبيعي، لن تؤاخذ البريء بذنب المذنب، ولن تخرج عن آداب القضاء العادل، ولا عن الطبيعة المتزنة التي آلت على نفسها ان تسير عليها. الموقوفون سيحقق معهم بالطريقة القضائية الاعتيادية. واننا نستنكر بشدة ما جرى في بعض العهود السابقة من تعذيب وتنكيل، ولذلك نحن نؤكد لكم، نؤكد للشعب، ان الأمر يسير سيرا طبيعيا اعتياديا – بل وانسانيا – ان جاز لي، في هذه المناسبة، ان أقول هذا الكلام، فيما يتعلق بهذه القضية. وأظن اني في غنى عن القول والتأكيد لكم بان الذي قلناه في البيان وقتئذ ما يزال قائما، فمنذ ذلك اليوم، والى اليوم أيضا، لم يقع أي اختلال في أية بقعة من العراق، بسبب هذا الحادث، أما كون وقعت بعض سرقات واعتداءات أو حادث جزئي هنا أو هناك، فان هذا من مقتضيات أحوال المجتمع، وليس من ذيول ولا مضاعفات الحادث المؤسف. فليس هناك أعمال اجرامية ارهابية، أو ما شاكل، مما يدل بان جذور الفتنة هذه غير عميقة، وغير مجدية أصلا.

سياسة الحكومة

ان سياســة الحكومة التي اضطلعت بها بينت من قبل في المواد السبع التي جاءت في كــتاب التكليف. هذه المواد نعدها بمثابة المتن لمنهاج الوزارة. وهناك لجنة تحاول ان توضح هــذه المبادئ، وتضيف أو تضفي عليها ما يجب ان يضاف اليها - أو يضفي عليها -، ولكني بايجــاز أقــول: نؤثر القصد بالقول. لقد مل الناس القول المعاد المكرر، ملوا الوعود العريضة، وطرح الآمال الواسعة، التي يعلم الذين يقولونها، قبل غيرهم، انهم غير قادرين على تحقيقها.

تطوير البلاد والسير نحو الاستقرار

أســتطيع ان أقول ان اكبر فضيلة لنا - ان كانت لنا ثمة فضيلة في الحكومة الحاضرة - هي اننا سننتقل بالبلاد الى مرحلة ثورية بالمعنى الصحيح. وبمعنى آخر، اننا نريد ان نطور الــبلاد الــى المرحلة الأخيرة التي يجب ان تصل اليها الثورة من ايجاد استقرار، ونظام نيابي، ووضع دستوري ثابت، ونقول ان الثورات والانقلابات قد أدت رسالتها من قبل، وان المواطنين - المواطنيــن جمــيعا دونمــا تفريق - هم أصحاب الحق في اختيار الحاكمين، وأنظمة الحكم، والسياســة الــتي يجب ان تسير البلاد عليها. لسنا قوامين على الشعب، نحن اجراء، نحن نمر بمــرحلة انتقالــية، تريد ان نعيد للشعب حقه الكامل، سنعمل ليل نهار لتحقيق هذه الغاية التي نعتقدها الأساس الرصين الذي تقيم الحكومة سياستها عليه. نريد ان نعيد الحياة الرتيبة، ونعيد للمواطنيــن جمــيعا حق المواطنة الكامل، ونعيد لهم الحياة الاعتيادية. ان الناس قد شبعوا من انقلابات تلو انقلابات، ومن حكم يتلو حكما. وانا لا اريد بطبيعة الحال ان اندد بالمراحل السابقة لانها في غالبيتها - كانت طبيعية، وان كانت مؤلمة. وكانت انتكاسات، وان الحكومات التي قبل هذه الحكومة - بما فيها حكومة عارف عبد الرزاق - قد مهدت الى المرحلة الراهنة، وكل من عمــل، فقــد عمــل مشكورا، وأدى قسطه. ولكن الان قد آن، والاوان قد حان، بان تعود للبلاد حالــتها الطبيعية، وهي الحالة التي ليست فيها مجالس عرفية، ولا حكام عسكريون، ولا محاكم استثنائية، ولا دبابات في الشارع، ولا أي شيء آخر يوحي للناس بعدم الاطمئنان والاستقرار. نريد ان نحقق هذا الهدف، وهو في رأيي اجل الأهداف.

الوضع الاقتصادي والاشتراكية الرشيدة

بجانب هذا - كما ترون - من المواد التي اشرنا اليها في المنهاج المركز للوزارة، الاهتمام بالحالة الاقتصادية، اشرنا الى ما أسميناه بعض اخواننا غضب من كلمة "رشيدة"، ونريد ان نوجه هذا القول اليهم خاصة: نحن نؤمن بالاشتراكية، نحن ندعو اليها، وكنا ندعو لها قبل اليوم، يوم كانت هذه اللفظة بغيضة، بل تسبب العقوبة أحيانا. ولكننا نعتقد بان الاشتراكية، التي تصلح للعراق هي الاشتراكية النابعة من طبيعة شعب العراق العربي المسلم، الاشتراكية الهادفة الى رفع مستوى الأفراد، الاشتراكية الرامية الى تحقيق العدل الاجتماعي، الاشتراكية الهادفة الى توفير وسائل الانتاج، الاشتراكية التي تنتفع من جميع الفكر السابقة، دون ان تلتزم بأحد هذه الفكر التزاما أعمى بحيث نصبح مستبعدين لنظرية معينة بالذات. واسمحوا لي ان أكون أكثر صراحة، نحن اشتراكيون ولكننا لسنا ماركسيين، بمعنى اننا لا نعتقد بان الحل الماركسي هو الحل الوحيد لمشكلاتنا.

"ماركس" مفكر، ككثير من المفكرين، وله آراء عميقة تناسب عصره، وكان مصيبا في كثير منها، ومخطئ في الكثير الآخر، ولكنه يصدر عن نظرية لا تتناسب مع مجتمعنا. يؤمن بالصراع الطبقي، ويرى بان التأميم هو الوسيلة الوحيدة للحل الاشتراكي، لا يعترف بوجود الروحانيات مطلقا، يرى ان الأديان أفيون الشعب. هذه الأفكار وما شاكلها لا تتناسب مع حاجاتنا، ولا مع وجودنا الاجتماعي. نحن نؤمن بالاشتراكية على انها وسيلة لغاية، هذه الغاية هي "العدالة الاجتماعية"، والرفاه الاقتصادي الشامل. نحن لا نخشى ان نؤمم. اممت الدولة من قبل، ولا أقول انه في نيتنا ان نؤمم غدا، ولكن أقول ان من حق كل دولة ان تؤمم متى وجدت ضرورة للتأميم، أو نؤمم ليقال اننا أممنا، أو نؤمم لنوجد اضطرابا اقتصاديا في المجتمع. وكل قضية بعد اليوم تدرس دراسة موضوعية، فاذا ما ثبت يقينا ان مصلحة البلد في هذا الشيء سنفعله دونما تردد، واذا تبين ان ليس للبلد مصلحة في هذا فلن نفعله، سواء قيل عن ذلك انها اشتراكية أو ليست اشتراكية. ذلك لأننا في اشتراكيتنا كما قلت، نصدر عن غاية رفيعة؛ زيادة الانتاج وعدالة التوزيع.

الذين يتنادون بان الحل للاصلاح الاقتصادي هو مزيد من الاشتراكية، لا نعتقد بصواب رأيهم، مع احترامنا لكل وجهة نظر. حاجة هذا المجتمع ان تحقق اطمئنانا ورفاها واستقرارا، وتمكينا للجهد الفردي مع الجهد العام. ولذلك قلنا في هذا البيان بأننا سنعنى بالقطاعين العام

والخـــاص علـــى حد سواء. وأكثر من ذلك سنعنى بالقطاع المشترك الذي هو مزيج من القطاع العـــام والقطـــاع الخاص. وسنساعد على الادخار، وسنمكن التشبث الفردي. واعتقد مخلصا ان الـــذي ينكر قيمة الجهد الفردي والتشبث الفردي نهائيا، كالذي ينكر حاجة الدولة الى السيطرة أحـــيانا. الأفراد يتفاوتون في طاقاتهم وقابلياتهم، كما تتفاوت الحوافز التي تدفعهم، ومن الحق، بـــل مـــن الواجب، على كل دولة رشيدة، ان تنتفع من هذه الطاقات وان لا تنكرها على الناس. هذه هي سياسة الحكومة، ايمان بروح الاشتراكية الصادقة المستمدة من واقعنا العربي، وروح ديننا، والشرائع السماوية، وبالاشتراكية الهادفة للربط والبناء، لا للتخريب؛ الاشتراكية الهادفة للعدالـــة الاجتماعية، وتعميم الخير الوفير. أما ان نتنادى بشعارات، ونكرر الفاظا دونما جدوى وأمـــا ان نغالـــي في دعواتنا، حتى يقال اننا كذا كذا، فذلك ما ليس في تقدير حكومتنا، ولا من سياستنا في شيء، هذا فيما يتعلق بالاشتراكية.

التنظيم الشعبي

فـــي التنظيم الشعبي أعلنا اننا نؤمن بالاتحاد الاشتراكي، وانا مع تقديري لكل الجهود التـــي بذلت من قبل لجعل هذه المنظمة فعالة، لا أظن ان مخلصا في هذا البلد يعتقد انه استطاع ان يلم كل أبناء الشعب. اذن لابد من محاولة جديدة جدية. سنسعى لان يصير الاتحاد الاشتراكي طاقـــة فعالة وسندا شعبيا لكل حكومة مخلصة. هناك جيش يقف لواجبه المقدس الأساس، وهو الحفـــاظ علـــى وحدة هذا الوطن، والدفاع عنه، والتجاوب مع متطلبات الامة العربية. ولابد من وعـــي شـــعبي، وقوى شعبية تعمل لسند الحكومة، هذه القوى هي الاتحاد الاشتراكي. وبطبيعة الحـــال نحـــن سنســـير بخطـــى مدروسة واضحة المعالم، ونسير بالتعاون مع الشقيقة الكبرى الجمهوريـــة العربية المتحدة، مراعين في الوقت ذاته طبيعة هذا البلد، وأوضاعه الخاصة. وانا اكرر هذا اللفظ، وقد يغضب بعض اخواننا الذين يعتقدون ان أي تحفظ من هذا القبيل، حتى في هذه القضية، خروج عن مبدأ العروبة الكامل. أنا لا اعتقد بذلك لاني اعرف ان العروبة الواعية الشـــاملة يجـــب ان تـــدرك طبـــيعة كل قطر، وان لا تغفل عن هذه الحقيقة. هناك أهداف عليا مشـــتركة، وهـــناك اسس مشتركة كاملة، ولكن هناك بعض الأوضاع التي تتطلب أحيانا منا ان نســـلك في أمر ما مسلكا لا يجد قطر عربي آخر نفسه مضطرا الى سلوكه. ولكن كما قلت في الهدف البعيد نحن نهدف، كما يهدف الاتحاد الاشتراكي العربي في العربية المتحدة الى لم شعث

أبناء الوطن، والسير بهم الى الهدف المنشود، وهو تعبئة الرأي العام ليكون الدعامة الشعبية الطبيعية للحكم القائم، وليكون الميدان الذي تتضافر فيه الجهود للعمل القومي المشترك، وحتى لا تبقى الحكومة – وأية حكومة نحن أو سوانا – معتمدة في وجودها على الجيش فقط او القوى المسلحة. يجب ان يكون هناك قوى شعبية مدركة واعية متجاوبة مع الحاكمين، ولذلك، وبعد أمد قصير من الزمن، سننصرف الى هذا، وسنستشير أبناء الشعب، وسندعو كل الواعين وكل الراغبين في التجاوب معنا، وسنتداول بصراحة، وسنعدل بعض الأنظمة – اذا اقتضى الحال – وبعض الأشكال، وليس ذلك بالأمر المستحيل، انما الغاية واضحة، وهو اننا نحيل هذه المؤسسة الى مؤسسة جامعة لأبناء الشعب جميعا، لا مؤسسة تتنازعها فئات دون اخرى، أو لتحل جماعة محل جماعة اخرى، لانها في النتيجة لا تستطيع الا ان تستحيل الى حزب، ونحن لا نريدها حزبا، وانما نريدها هيئة جامعة لكل القوى، ولا أظن ان أيا منا يتساءل أو يتشكك في قيمة أو حتمية هذا التجمع القائم على أساس من الوفاق، والقائم على ادراك كامل للأهداف المشتركة. وبعد ذلك اذا أردتم مزيدا من القول في هذا سأوافيكم بما شئتم من معلومات إضافية بهذا الصدد في منهاج الحكومة.

الادارة الحكومية

طبعا هناك نواحي كثيرة اخرى قد تعبر عنها أسئلتكم فيما بعد، ولكن اسمحوا لي ان أقول كلمة في قضية أو قضيتين قد تفيدكم لتوضيح منهاج هذه الحكومة.

فيما يتعلق بالعمل الحكومي أو بالادارة الحكومية، نحن نعتقد ان في الجهاز الحكومي – ومع الأسف الشديد أقول هذا – خلل، فيه خلل واضح. كما انه بطيء الحركة. كما وان بعض الدوائر الكبرى مشغولة بأشخاص ليسوا من أهل الكفاية، جيء بهم فيما مضى – ولنقل بحسن نية – لاعتبارات شتى. أما اليوم، وبعد اليوم، فأرجو ان تكون خطتنا على أساس وضع كل انسان في موضعه اللائق. ما دام ذلك الشخص من أبناء هذه البلاد، ويتفق بالأهداف السياسية البعيدة، ومتجاوب مع النظام الاجتماعي القائم.

وبعبارة اخرى لن نشغل المناصب على أساس من التحزب أو التصحب، بل على أساس الموضوعية الكاملة، وعلى أساس من مصلحة الحكومة ذاتها، أي الادارة الحكومية ومصلحة الشعب. هذا سيقتضينا تطهيرا واسعا في الوظائف والمراكز، وأكثر من ذلك يتطلب

تغيـــيرا أساسيا في القوانين، لان القوانين الحالية فيها مركزية، وفيها بيرقراطية مشددة، وفيها تأخــير. وهناك لجنة في مجلس الوزراء تعمل الان على تحقيق هذه المسائل، واعطاء سلطات أوسع للوزراء والدوائر الخاصة.

وفــيما يخــص المؤسسات المستقلة، هناك أيضا دراسة قائمة للتنسيق والتجاوب مع المؤسسات الاخرى ومع الحكومة ذاتها.

المؤسسة الاقتصادية

ربما يريد بعضهم ان يعلم وجهة نظرنا في المؤسسة الاقتصادية، وأقول بصراحة: اننا وان كــنا نؤمن بالفكرة الأساسية التي قامت عليها المؤسسة الاقتصادية، الا اني أظن بان حتى القائميــن بها اليوم يدركون ان هناك بعض الأخطاء لابد من تلافيها. هنا بعض المؤسسات كان مــن الاولـــى ان تلحــق بدوائر اخرى أو بجهات اخرى، كما ان هناك بعض الأشخاص أعطوا مراكــز لا يســتحقونها، وهناك بالتأكيد وعن يقين، شيء واضح هو التبذير في الثروات. نحن ندعــو الى اشتراكية وعدالة اجتماعية، ولكن لا ندعو بحال من الأحوال الى خلق "طبقة جديدة" محل الطبقة القديمة. فاذا كان أصحاب المعامل من قبل قد استغلوا – وهناك من استغل من دون شك – العمال، فلا نريد ان نقيم من أصحاب "الياقات البيضاء" – كما يقول الاوربيون – موظفين ومــدراء يـنالون رواتــب غير معقولة باسم الاشتراكية، حتى ترهق ميزانيات هذه المؤسسات بالرواتب الضخمة. هذا لا يعني اننا لا نقدر مواهب بعضهم، ولا يعني اننا سنلغي أية امتيازات لهم، ولكن يعني بصراحة ان هناك تفكيرا جديا بوضع حد لتبديد الثروات العامة، ووضع قواعد مدروســة وعادلــة. ومن غير المعقول – وهذه أمثلة واقعية – محاسب في بلدية الموصل كان راتــبه ٣٦ ديــنارا قــيل لــي انه يأخذ في المؤسسة ١٥٠ دينارا. فبين عشية وضحاها تتأتى للانسان موهبة تمكنه ان يقفز عدة مرات ... هذا غير طبيعي ... شيء من هذا القبيل وقع في أكــثر مــن دائرة. ستكون سياسة الحكومة دراسة هذه القضايا كلها، ووضع خطة مرتبة قائمة على أساس من الموضوعية والعدل والمقياس السليم.

القطاع العام والقطاع الخاص

فيما يتعلق بالحد، بعض الشيء، من تصرفات بعض التجار والأشخاص، اعتقد اننا ما دمنا نعتقد بالقطاعين العام والخاص، فسندرس كل قضية من جديد، ومتى وجدنا ان المصلحة العامة تقضي بابقاء جزء ضمن المؤسسة أبقيناه، وقد نضيف اليه، نحن نملك هذا الحق. واذا وجدنا ان المصلحة العامة – من بعد دراسة موضوعية تقتضي نوعا من التخفيف فاننا لا نتردد بحال من الأحوال من اجراء ذلك، لان العبرة – كما قلت – ليس بالاستمساك بالشكل، وانما العبرة، كل العبرة، بالغاية التي نهدف اليها. هذا فيما يتعلق بأجهزة الحكومة والدوائر الملحقة بها.

السياسة الخارجية

أظن بالنسبة لسياستنا الخارجية ليس لي ان اضيف الى ما سبق ان قلته في البيان الذي نشرته كوزير خارجية قبل سفري الى الدار البيضاء، وانما، ربما يكون من المستحسن، ان اوضح كلمة. اريد ان أكون حسن الظن فأقول ان بعض اخواننا أساء فهمها ربما بحسن نية.... قلت، فيما قلت في ذلك البيان – بعد ان أكدت القيم الأساسية والخطوط العريضة لسياستنا – "ان الخطوة العملية المجدية في هذه المرحلة هي اقامة اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ليكون نواة للكيان الاشمل".

لو استطعنا ان نخطو خطوة الى الامام بإقامة اتحاد سأكون من اسعد خلق الله. وانا حينما أقول هذا – لا القي الكلام على عواهنه – أنا اعلم ان الاتحاد يجب ان يكون مع دولة اخرى، ومن هي هذه الدولة الاخرى؟ بالطبع مصر، وما هي سياسة مصر، سياسة مصر اعلنها الرئيس جمال عبد الناصر أكثر من مرة، علانية وسرا وفي أحاديث خاصة، انه لا يمكن في هذه المرحلة ان يتحقق غير الاتحاد. في مفاوضات الوحدة الثلاثية قال رؤوس الاشهاد: اقراؤا يا قوم كتاب عبد الرحمن البزّاز. وقال بعد ذلك حينما تأتي مشكلة: "أيفتى ومالك في المدينة". وحينما كانوا يختلفون حول أمر يقول: الرأي لفلان. وبعد الحادث المؤسف في العراق زرته قبل ان اترك الرباط، وتحدثنا طويلا، وكان قد سمع بما قيل في صوت العرب[٥٧]، فضحك وقال: ان

---

[٥٧] كان احمد سعيد قد انتقد تصريحي حول سياسة العراق الخارجية ودعوتي للاتحاد.

القـــوم يجهلون الحقائق، ليتنا نستطيع ان نحقق ما تريد – ولولا اريد ان أكون متشائما مثله – في بضع سنوات. فرجوته ان يكون اقل تشاؤما ويرضى بتقديري ...

أيهـــا الاخوة: دعونا نكون واقعيين، ليست الواقعية انهزامية، ولا قلة ايمان بالقومية، ولا خروجا ولا هروبا من الواقع، ولا ردة، انما هي ادراك لواقع الأشياء وليس في ذلك خروج عـــن القومية العربية والوحدة العربية، سنبقى نتنادى بشعار "الوحدة العربية" على انه الشعار الأســـاس. نحـــن امـــة واحـــدة، في كفاح واحد، في مصير واحد، في عمل واحد، ولكن العمل الدســـتوري والعلاقات السياسية تحتاج الى خطوات، والخطوة العملية، كما يراها عبد الناصر، وأقـــول متواضـــعا كما أراها أنا في هذه المرحلة الانتقالية، وكما يراها كبار المفكرين بما فيهم الاســـتاذ ســـاطع الحصـــري، والاستاذ عزت دروزة وعشرات من الكتاب، هو على الشكل الذي أراه. ومـــع ذلك ان كنت مخطيء فأدب الحديث مرجو من الكاتبين، والله تعالى أدبنا، ويجب ان نتأدب بأدبه فقال: "ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن". علـــى كـــل حال كما ذكرنا في البيان أيضا نحن التزمنا بميثاق القيادة المشتركة وبكل مقتضياته أيضا واشرنا الى هذا، وهناك سلسلة من الاجراءات تتخذ وستتخذ وسنلتزم بكل متطلباته دونما تردد.

وأيضـــا أود ان أقول في مختتم كلمتي العامة الان، ان العلاقات بيننا وبين الجمهورية العربـــية المتحدة – لا كما تشيع بعض الجهات المغرضة وبعض الاذاعات – سليمة بل أكثر من ســـليمة، انهـــا ودية، وانا اعلم اللقاءات بين الرئيس عبد الناصر والرئيس عبد السلام عارف، ونعلم اللقاء الكريم الذي لقيناه في القاهرة، حينما وصلناها واستقبلنا المشير عبد الحكيم عامر، والتدابـــير الأخوية المخلصة الكريمة التي قامت بها الجمهورية العربية في سبيل سلامتنا، لأنه حدث حادث ربما كان يعكر الجو من جهة. والاتصالات كانت قائمة ولا احسب ان أحدا يستطيع ان يضـــعف الرباط المتين الذي يشدنا الى أشقائنا في وادي النيل، فنحن وهم على صعيد واحد، والـــى هدف واحد، وخطة واحدة. وبين الرئيسين الجليلين عبد السلام وعبد الناصر، من رباط الاخـــوة والـــود والـــتقدير، ما أرجو ان يدرء كل شائعة مغرضة، وكل حاقد يريد ان يوقع بين القطرين الشقيقين، وأشكركم، ومستعد لأسئلتكم ...

الحديث الأول[٥٨]

لماذا أتحدث اليكم؟

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الرسل والنبيين. وبعد أيها الاخوة المواطنون لقد اثرت ان أتحدث اليكم هذا المساء، وانا أوشك ان اترك الوطن الحبيب غدا من اجل الوطن، ومن اجل الامة. وقد يكون من المناسب ان اجيب على سؤال سؤلته مرارا وهو الم يكن هناك ثمة سبيل لترك هذه السفرة؟ وقد يتصور بعضهم انني مسافر لأنني تركت البلد الذي كنت سفيرا فيه على عجل بحيث لم استوف الشكليات المطلوبة من سفير يترك بلادا أجنبية، ولم تتح لي الفرصة لتوديع أصدقاء وزملاء كان من الواجب عليّ ان أقوم بتوديعهم، كما انني لا اترك هذا الوطن بسبب أهمية اجتماع هيئة الامم في دورتها القادمة – وهي دورة ذات طابع خاص، وأهمية بالغة، ومن اللازم ان نسمع صوت العراق، وان نسمع صوت الامة العربية في تلك الندوة العالمية – وانما السبب الحقيقي لسفري هو لأنني اشعر في سفرتي هذه امكانية لخدمة وطننا وامتنا، فان هذه السفرة قد تتيح لي الالتقاء بكبار المسؤولين من الدول التي يعنينا ان نتعرف على وجهات نظرها، وان نتصارح فيما بيننا حتى نصل الى ما فيه خدمة قضايانا، سواء ما كان يتصل بالعراق، أو ما يتصل بالامة العربية.

وأود ان أقول منذ البداية، ما جئتكم الان لأتحدث اليكم لأنني مغرم بالحديث. اني، يشهد الله، امقت الحديث المكرر، كما تمقتونه، واني اعلم يقينا ان القول الذي لا يقترن بالعمل لا جدوى فيه، والقول ان لم يقرن الفعل به تصديقه فهو الحديث المفترى.

وانا اجل نفسي، واجل مسامعكم عن الحديث المفترى، ولا اريد ان ينطبق علي قوله تعالى "يا أيها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون"، أي كبر طردا وبعدا عن رحمة الله ان تكونوا قوالين غير فعالين. فما جئت من اجل القول لقول، لان القول قد مله الناس، ومللته أنا، ولكني اعتقد مخلصا ان من واجب الحاكمين، من واجب المسؤولين، – وهم خدام الشعب واجراؤه – ان يصارحوا أبناء الشعب كافة بما يختلج في

---

[٥٨] القى هذا الحديث في ١ تشرين الأول ١٩٦٥.

صدورهم. فمن اجل هذا جئت هذا المساء، على الرغم من مشاغلي الكثيرة، لا تحدث اليكم بصراحة ووضوح، كما هو شأني فيما تعلمون.

بعض ما اشيع

أيها الاخوة أيتها الأخوات: كنت قد تحدثت قبل بضعة أيام، أو مدة وجيزة من الزمن، في مؤتمر صحفي، أوضحت فيه الخطوط العريضة لسياسة الحكومة التي تشرفت برئاستها، ويسعدني ان أقول بان الانطباع جملة كان حسنا، وأستطيع ان احكم على ذلك بكثرة الرسائل والبرقيات والاتصالات والمكالمات التلفونية. كل ذلك مما يشجعني بأنني - بحمد الله - وزملائي قد نلنا ثقة هذا الشعب. ولكن فريقا من أبناء الشعب قد اساء فهم بعض ما أردناه، فالى هذا الفريق خاصة أتوجه بالقول، لكي تكون الكثرة الكاثرة من أبناء شعبنا العزيز على علم ببعض ما يجول بخاطر هذا الفريق.

قال: بعضهم اننا نريد ان نقضي على انجازات الشعب، وما حصل عليه من مكاسب في الميدان الاشتراكي والاصلاح الاجتماعي. واشاع بعضهم شائعات ما انزل الله بها من سلطان، ونشر بعضهم مناشير اتهمونا فيما شاء لهم هواهم ان يتهموننا به. ولا أقول لهم انني حانق أو غاضب، وانما سألتزم أدب القران، وأدب الرسول (ص) حينما كان يهاجمه خصومه، "اللهم اهدي قومي فانهم لا يعلمون" فأسال الله الهداية لهؤلاء النفر - وهم بحمد الله قلة - وأما غالبية الشعب، وكثرته الكاثرة، فقد كانت منصفة مدركة لما أردناه، وكان تجاوبها مما شجعني وزملائي، وزاد في قدرتنا، ونحن نستمد العون من الله، ونستمده بعد الله، من هذا الشعب. أقول ان هذه الثقة زادت من قدرتنا بشعورنا بالمسؤولية، وتحملها مهما كانت النتائج ...

تحملنا المسؤولية من اجل الشعب كله

لقد تحملنا المسؤولية من اجل الشعب كله، أيها الاخوة. وكما ذهب فريق هذا المذهب الخاطئ، فان فريقا آخر تصور اننا حقا نريد ان نلغي كل ما تحقق من انجازات، وهم يريدون ان نصلح بين عشية وضحاها ما أفسده الدهر، أو ما أفسدته الحوادث المتعاقبة. وهذا ليس بالأمر المعقول، اذ لابد لنا من مدة معقولة نستطيع فيها ان نتدارس المشكلات، وان نضع الحلول الممكنة المجدية، اخذين بنظر التدبر كل المسائل، دون تفريط بحق احد من الناس.

فنحـــن لـــم نتحمل المسؤولية من اجل الرأسمالية أو من اجل الاقطاعيين كما يزعمون، بل من اجـــل الشـــعب كله. واجبنا ان نعني بالفلاح، والعامل، والطالب، والجندي، والضابط، كما نعني بالمواطنيـــن الآخرين كافة. وفرقنا عن بعض الذين سبقونا اننا لا نريد ان ننكر على ذي فضل فضـــله، ولا نـــريد ان نؤثر فريقا من الناس دون فريق، ولن نقع بالأخطاء الفاضحة التي وقع فيها بعض من سبقونا، حينما كانوا يستعدون فريقا من الشعب على فريق. ان جميع المواطنين فـــي الحق سواء، ونحن لهم ومن اجلهم جميعا. فليس هناك كما كانوا يزعمون بعض الوجهاء الذيـــن يجـــب ان يسحقوا أو يهانوا، اننا لا نريد ان نسحق أحدا أو نهين أحدا. ليس من واجب الحـــاكم الرشـــيد المـــدرك لمسؤولياته ان يثير الفتنة والبغضاء بين أبناء الشعب، فاذا كان هذا "اقطـــاع" وتلـــك "رأسمالية" ، فأكرم بها من اقطاع ورأسمالية. نحن نريد ان نكون سياسيين، لا نريد ان نكون ناقمين، ولا نريد ان نثير الحزازات، ولكننا نؤمن مخلصين بان الشعب، بمجموع فئاته وأفراده، هم أبناء هذا الوطن، ويجب ان نعمل من اجلهم، ومن اجل غيرهم، وفي سبيلهم، غـــير مفرقيـــن بين احد وآخر، الا بقدر ما يستطيع هذا الفرد ان يقدم لهذا الشعب ولامتنا من خير.

"ان أكـــرمكم عـــند الله اتقاكم" فالتقوى في الوطنية والسياسة هي العمل من اجل هذا الشـــعب، العمـــل بـــاخلاص مـــن اجل هذه الامة، العمل الرشيد الهادئ وليست بالأقاويل، ولا بالادعاءات الفارغة، ولا بالشعارات المكذوبة فعفى الله وسامح هؤلاء القوم ...

عظم التبعة

اخوانـــي: ان التـــبعات جسيمة، ولا اخفيكم انني كلما مر يوم عليّ وعلى زملائي في المســـؤولية صـــرنا نـــزداد يقيـــنا بعظم هذه التبعة، بعظم التركة المخلفة، وبثقل الأوزار التي تحملـــناها. وانـــا لا اريـــد بهـــذا ان أنكر على ذي فضل فضله. أنا لا أنكر ان الحكومات قامت بأدوارهـــا، وقامـــت بـــبعض الانجـــازات المفيدة، ولكن سأكون معكم صريحا في كشف بعض الحقائق، أوضاعنا الاقتصادية والمالية ليست مما يغبط عليها. ان الدولة مرهقة بتكاليف باهظة، وانـــنا نـــبذل اليوم قصارى جهدنا لكي نهيئ له ما يجب ان تهيئه أية دولة تشعر بمسؤولياتها، ولكـــن ويـــا للأســـف ان هـــذا العراق الذي له من الخيرات ما أفاض الله به عليه، قد بدد هذه الثروات ...

الأرقام تتكلم

لـو نظرنا الى الميزانية لوجدنا ان قسطا كبيرا – لا نجد له نظيرا في دولة متقدمة أو أيـة دولـة ناشئة – (القسط الأوفى) إما رواتب، أو رواتب تقاعدية، أو خدمات أو أعمال غير منتجة، أو مسائل كمالية، أو أشياء لا يمكن ان تحقق الازدهار المطلوب. فواجب الحاكمين اذن ان يعملوا ليل نهار لان يضعوا الأمر في نصابه. ان النسب التي تصرف على بعض هذه الأوجه غـير معقولـة الى حد كبير، وانا لا اريد ان ارهقكم بالأرقام، ولكن سأذكر بعض الوقائع على سـبيل المثال، والمثال فقط. كانت الدرجات الخاصة في عام ١٩٥٨ (قبل الثورة) (١٢) درجة، أمـا اليوم فهي أكثر من ٦٠ درجة. لقد أصبح الذين يتقاضون رواتب خاصة خمسة لضعاف ما كـانوا علـيه من قبل، وكان اذا قيل درجة خاصة يعني راتب أكثر بقليل من راتب المدير العام، ولكـن عشـرات الموظفيـن الـيوم ينالون راتب وزير ومخصصات وزير ... كانت السيارات الحكومية الخاصة آحادا أو عشرات، أما اليوم فهي بضع مئات، وقد درست الموضوع لا جد له حلا، فتبين لي ان السيارة الواحدة تكلف خزينة الدولة مبلغا يتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ دينار في الشهر الواحد. فاذا ضرب هذا المبلغ في مئات (وهي عدد السيارات) وفي عدد الأشهر ظهر لكم مقـدار مـا يصـرف فـي هذه الناحية التي احسبها كمالية. وكان باستطاعتنا ان نصدر قرارا مسـتعجلا بإلغائها، ولكن ماذا نصنع بالسواق الذين يستخدمون هذه السيارات؟ فإذن لابد لنا ان نجـد وسـيلة – أولا – للعمال لئلا يتعطلوا، قبل ان نتخذ القرار الحازم بشأن هذا الإنفاق الذي يبدد الثروات في كماليات، في شعب لم يزل يفتقر الى أوليات متطلبات الحياة ...

والإيفـادات والـبعوث أصـبحت مهزلة، ولأي سبب ... بدأها عبد الكريم قاسم بشكل فظيع، ثم جاء الذين من بعده فلم يستطيعوا ان يكبحوا هذا الجماح. أنا اعلم ان بعض الموظفين ذهـبوا للبلد الفلاني لأنهم قالوا انهم لم يروه، أما كم يكلف ذلك من نفقات؟، فتلك قضية لا يعبا بها. أمثال هذه التصرفات في أموال الدولة كثيرة، ومال الدولة – كما يقول فقهاؤنا رحمهم الله – كمـال اليتـيم، يجب ان لا يصرف الا بالمعروف. أما ان تصبح الدولة بستانا يحصل زيد، أو عمـرو، على ثمراته دون عبء بالمصلحة العامة، ودون عبء بالنفقات التي تصرف على هذه الاوجـه بـلا جـدوى، فذلـك ما لا يجيزه شرع ولا قانون. ومهمتنا ان نجد المخرج من هذه المعضلات وهي كثيرة ...

كمـــا قلت أنا اذكر الأمثلة لاحيط الناس علما بتعدد وتشابك المشكلات، ولذلك ارجوهم الصـــبر. ليس باستطاعة الحكومة، مهما اوتيت من ارادة ومن حزم، ومهما عملت ليل نهار.. (ويشـــهد الله أنا وكثير من زملائي نعمل بعض الأيام ١٤ أو ١٦ ساعة) ولكن الأمر كالمرض المزمـــن لابـــد لعلاجـــه من بعض الوقت، واسبوع أو اسبوعان أو ثلاثة أسابيع ليست بالمدة الزمنـــية التـــي تقـــدر بها معالجة جميع المشكلات. فالذين يحسبون اننا قادرون على ان نقول للشـــيء كن فيكون مخطئون، ذلك هو الله وحده، ولسنا آلهة، أو أنصاف آلهة، ولا ملائكة، ولا أصـــحاب معجـــزات، وانمـــا نحن بشر، طاقاتنا محدودة، ولذلك أرجو من الاخوة والأخوات ان يعلمـــوا هـــذه الحقيقة، ولا ينتظروا منا المعجزات. ويكفينا فخرا - ان كان لنا ثمة فخر - اننا نعـــرف الـــداء، وانـــنا نوشـــك ان نضع أيدينا على اوجه المرض، وسنعمل جاهدين مخلصين متفانيـــن، غير آبهين بالتهديدات وبالكلام الرخيص الذي يذيعه بعضهم، سنعمل في مصلحتهم، ولكن لابد من صبر، ولابد من دراسة ...

لن نتخذ قرارا غير مدروس

أنـــا قلت - واعني ما أقول - اننا بعد اليوم لن نتخذ قرارا ميتسرا غير مدروس، كل قضـــية يجب ان تدرس موضوعيا، ويجب ان نتوصل الى الرأي السليم بعد الدراسة. لذلك بدأنا بسلسلة من الاستشارات في كل أمر خطير. ويسرني ان أقول مثلا اني اجتمعت بأساتذة وعمداء جامعة بغداد ومجلس ادارتها مرتين، واستغرق كل اجتماع بضع ساعات، وقد أسعدني الاستماع الى آرائهم، لأنهم يمثلون قطاعا مهما. كذلك سعدت بلقاء وفد الصناعة. وسأسعى الى ان أرى الفلاحين والعمال، وسأسعى الى ان أرى الطلاب وسأرى التجار، وكل فئات الشعب، ما دمنا من هـــذا الشـــعب، ونعمـــل من اجله، فيجب ان نفتح أبوابنا أمام الجميع، وان نستمع اليهم لنرى المشـــكلة على حقيقتها. غير ان الاستماع لا يعني قدرتنا على ان نعمل كل شيء، ولا ان نتخذ القرارات على عجل، لان كثيرا من الناس بدءوا يتساءلون ما هي الانجازات؟؟

إعادة الثقة للناس

فـــي رأيي انجازنا الأول هو ان نعيد الثقة للناس، ان يؤكد للناس اننا نعني ما نقول، وانـــنا لـــن نخفي عنهم حقيقة، واننا نستجيب لكل رغباتهم المخلصة، واننا سائرون في طريق

وعر ملئ بالأشواك، ولا نسير في طريق معبد تحفه الأزهار. اننا نسير في طريق وعر، ولكننا مصـــممون على السير فيه. فحينما كلفني السيد رئيس الجمهورية بتولي المسؤولية، بينت له أعــذاري الخاصة، ولكنني شعرت بضرورة قبول التبعة. قلت له ان مثلي كمثل الجندي الجريح، مادام باستطاعتي ان ارمي سأرمي، أما تضميد جراحاتي فاتركها لوقت آخر. بهذه الروح نعمل، ومن اجل هذا قبلنا التبعة. ولم تعد المسؤولية في العراق – ربما وفي غير العراق – متعة، انها عمــل شاق ولا يتحملها الا الجادون المخلصون الذين يعرفون معنى المسؤولية، ويعملون من اجلها. هذه الحقيقة الأساسية التي أرجو من اخواني وأخواتي جميعا – أبناء هذا الشعب العزيز – ان يعوهــا، وان يعطــوا اذنا صماء للدساسين ولمروجي الشائعات الباطلة. لن نتراجع عما عقدنـــا العزم عليه، ولكن نريد الوقت الكافي، مثلنا مثل القاضي الذي يستمع الى وجهات النظر المخــتلفة، ويــراجع نفســه، ويستشير غيره، فاذا استقر الحكم النهائي في ذهنه أصدره قرارا ناضجا مدروسا. هذه هي سياستنا، وعلى هذا نحن سائرون.

دمج بعض الوزارات

فـــي صدد الاقتصاد في النفقات تساءل بعضهم لماذا بقيت بعض الوزارات شاغرة؟ في رأيي كذلك هدف من أهداف الاقتصاد، بعض الوزارات انشئت بلا ضرورة، وبالامكان دمج أكثر مــن وزارة. وتقلــيل عــدد الوزارات، وفعلا بدأنا بوزارة الأوقاف، فقد حاولت ان أرى ما هي الحكمـــة مـــن انشـــائها، وما الذي جنته دائرة الأوقاف من صيرورتها وزارة؟ سألت أكثر من شـــخص مـــن مخـــتلف الطبقات، فلم أجد لذلك مبررا، اللهم الا إرهاق الخزينة بمرتبات وزير، وسكرتير، وكاتب، وسيارة، وما إلى ذلك. أما الأوقاف فلم تنتفع فلسا واحدا، لذلك الغيت بقانون ينشــر الــيوم أو غدا. وفي النية، بعد دراسة الموضوع أيضا، ان ندمج أكثر من وزارة. وفي النـــية أيضـــا، أقولهـــا بصراحة، وقد اغضب بعض الإخوان من كبار الموظفين، ان نضع حدا لفوضـــى الرواتـــب، وان نضع حدا لما يسمى بالدرجات الخاصة، والرواتب التي تعطى جزافا، بيـــنما هـــذه هـــي أموال الشعب يجب ان تقسم بالمعروف، ويجب ان لا تصرف في ناحية دون ناحية اخرى. فبينما هناك بطالة، هناك إسراف في بعض النواحي، لذلك لابد من إعادة النظر في كثـــير مـــن تشريعاتنا. ولقد تكونت لجان عديدة في مجلس الوزراء، جادة في عملها، وستضع تقارير يدرسها مجلس الوزراء، وحينما يعتقد بصواب الرأي يصدر تشريعاته.

وأستطيع ان أقول بلا تردد اننا سنعيد النظر أيضا في كثير من القوانين المالية، لان بعضها مجحف، وبعضها مغالى فيه كثيرا، مما أرهق كاهل بعض المواطنين. بعض الرسوم أيضا عليها شكوى ندرسها، وحينما يستقر الرأي عندنا نبت فيها. وقد يقول قائل هذا يناقض قولك اننا بحاجة الى المال، فاذا الغيت هذه الضريبة، وترك هذا الرسم، ستفتقر الخزينة. في رأيي ان الخزينة تغنى حينما يغنى الأفراد، وحينما يطمئن الأفراد، حينما يسير دولاب التجارة والأعمال. أما الارهاق، وأما المغالاة في الضرائب، فنتيجتها تجميد الأوضاع والاساءة الينا في النتيجة بما في ذلك الخزينة. هذا الأمر نتدارسه اليوم كما قلت، وستوضع له التشريعات القانونية، وستستعين أيضا ببعض الخبراء من أبناء البلاد العربية، ومن بعض البلاد الاخرى، حتى تكون الضريبة عادلة ومعقولة، لان الضريبة المغالى فيها، ككل شيء يغالى فيه، يؤدي الى عكس المطلوب. فاذا ما تجاوزت الضريبة حدا معقولا، تكون النتيجة سيئة. وهذه بديهية يعرفها كل من درس شيئا عن علم المالية العامة.

الأوضاع الاقتصادية

الأوضاع الاقتصادية أيضا درست في بعض جلسات لمجلس الوزراء، واتخذت بعض القرارات الأولية، اطلعتم لاشك عليها، أطلقنا الاستيراد في بعض النواحي خاصة فيما يتعلق بالبضائع الاستهلاكية، واعدنا الى كثير من المؤسسات العامة حريتها في الاستيراد مباشرة دون الرجوع الى المؤسسة الاقتصادية، كمصلحة نقل الركاب فيما يتعلق بسياراتها، وكذا الأدوات الاحتياطية للجيش، وما الى ذلك. وقد درسنا قانون المؤسسة، ووضعنا الخطة التي ارجو ان تكون رشيدة ومجدية. وكذلك درسنا اليوم قانونا، أو في الأدق وضعنا في واقع الحال قانونا لمعالجة مشكلة الدواء. واسمحوا لي ان أتبسط في هذه القضية، لان هذه المشكلة تمس الناس جميعا.

كانت هناك شكوى، شكوى مريرة وطرقت سمعي، كما طرقت أسماع الكثيرين منكم، واشاعات، ونسميها اشاعات ولا نقل فضائح – ويبدو ان بعضها لا يخلو من صحة – صحيح ان الناس تبالغ، ولكن وجدت مشكلة فلا بد من معالجتها، فأوجدنا مؤسسة خاصة ترتبط بالصحة، وضعنا لها قانونا وأخرجناها من نطاق هذه المؤسسة كل الدوائر الرسمية وشبه الرسمية، كما أخرجنا من نطاقها بعض ما لا يعد دواء لتمكين الأفراد العاديين من المشاركة في

استيرادها، ومكنا المكاتب العلمية من ممارسة نشاطها لانها تتصل بكثير من الأسر، ومن واجب الدولــة ان لا تزيد في عطالة المجتمع وأفراده، وكذلك أعطينا المؤسسة الجديدة سلطات واسعة فــي ان تستثنى من رقابتها بعض الأشياء التي يمكن تطمينها بطريق اخر عن غير طريقها. كل ذلك نوع من المتنفس، وسيكون كذلك في كل المجالات. ولكنني أود ان اؤكد مرة اخرى بان هذا لا يعنــي اننا لا نؤمن بالاشتراكية، أو نريد تعطيلها. بعض اخواننا - بعضهم ربما مخلص فيما يقــول - يعتقد ان أي تغيير في المؤسسة الاقتصادية أو في قانونها أو في أشخاصها هو اخلال بالاشتراكية. ومع احترامي لهذا الفريق، اسمحوا لي ان أقول، كما قلت مرارا، ليست الاشتراكية صــيغا. الاشتراكية حقائق، الاشتراكية عدالة، الاشتراكية مزيد من الانتاج وعدالة في التوزيع، وتمكيــن لطــبقات الشعب كافة من الانتفاع بخيرات هذا البلد. آما اذا أدت الى نتائج هي عكس المطلوب، فلا احسب ان من الواجب علينا ان نتمسك بها حتى يقال عنا اننا كذا أو كذا. سياستنا انــنا نواجــه الواقــع وندرسه، ونستشير الناس، فاذا اقتنعنا بان هناك ثمة طريق اسلم واعدل ولجناه دونما خوف أو وجل. هذه هي خطتنا ...

وقــد اتخذت أخيرا قرارات لا باس بها (ليست قرارات خطيرة جدا)، على سبيل المثال فــيما مضــى عوضوا الأشخاص الذين بلغت أسهمهم الى حدود الخمسة الاف دينار، أما الذين زادت أســهمهم علــى ذلك فلم يعوضوا. أنا لا افهم هذا المنطق، ان الشخص الذي عنده أسهم بخمســة الاف ديــنار وديــنار مثلا لم يعوض؟ لذا اتخذنا قرارا بتعويض هؤلاء أيضا في حدود الخمسة الاف دينار تطبيقا للعدالة ...

هــناك بعض التقييدات الصارمة التي وضعت في موضوع الاصلاح الزراعي هي محل دراســة أيضــا، فتقسيم الأقساط الى أربعين سنة غير معقول لطول المدة، لهذا اعيدت الى ما كانت عليه ٢٠ عاما. وفي موضوع المضخات وتمليكها، سنتخذ اجراءات للتخفيف من القيود، وتمكين المواطنين من العيش الرتيب الهادئ المثمر.

الاشتراكية الرشيدة

هــذه هي الاشتراكية كما نفهمها نحن، وليست هي تمسك بصيغ، وجمود على سياسة معيــنة؛ لانــنا نعــتقد بان الاشتراكية التي نؤمن بها هي الاشتراكية التي أسميتها بالاشتراكية العربية الرشيدة. وقد أغضبت هذه التسمية بعض اخواننا، وقالوا ان هذا تحريف أو تخريف أو

ما شاءة لهم ان يقولوا. أما أنا فأقول اننا سنتمسك بهذه الاشتراكية الرشيدة الهادفة الى الخير، الهادفــة الــى البنــاء، الهادفــة الى مزيد من الانتاج، الهادفة الى التعاون بين القطاعين العام والخــاص والمشــترك على حد سواء، الهادفة الى تعميم النفع، الهادفة – لا الى القضاء على الأفــراد – وانمــا رفــع الأفراد الذين هم في الدون، وليست هي ذاحلة ناقمة محطمة تريد ان تقضي على الناس الذين انعم الله عليهم. وان اساء بعضهم ربما وفي تصرفاته، ولكن ليس من غرضنا، ولا من سياستنا ان نحطم، نريد ان نصلح ونريد ان ننشئ، نريد ان نرفع الدون، نريد ان نــرفع مــن هــم في الطبقة السفلى، من الناحية الاقتصادية، وهم الذين عانوا كثيرا، ومن واجبنا، ومن حقهم علينا، ان نعنى بهم، ولكن هل من الضروري ان يكون هذا على أساس من التحطيم والتخريب والاستمساك بصيغ؟! هذا ما لا نؤمن به، ولا نخشى ان نقول رأينا فيه.

المشكلات الاخرى والانتخابات

أنــا لا اريــد ان اطيل هذا الحديث، ولكن اعلم ان هناك مشكلات كثيرة ربما كان بود الســامعين ان أتطــرق الــيها. هناك مشكلات داخلية: هناك أمر الانتخابات، هناك أمر اتحادات العمــال، هــناك شــؤون اتحادات الطلاب، كل ذلك اؤكد لكم هو موضوع دراسة. وفيما يتعلق بوعدنــا بإجراء الانتخابات، نحن مصرون عليه، وقد تكونت لجنة في مجلس الوزراء، وستقدم خــلال مدة أقصاها ثلاثة أسابيع تقريرها الى مجلس الوزراء الذي سيضع الصيغ النهائية، بعد ان يستأنس بكل ذوي الرأي من أبناء هذا البلد. لأنني مرة اخرى أقول ليس العراق ملك زيد أو عمرو من الناس، هو ملك العراقيين كافة. حينما أقول العراقيين كافة طبعا استثني القلة القليلة ممــن أساءوا الى هذا الوطن، أو أجرموا بحقه، فهم قلة لا يعتد بها. ومن حقي ان أقول أيضا اذن انــنا نعمــل مــن اجل الجميع، ويجب ان يكون لهذه الكثرة الكاثرة من أبناء الشعب الحق المطلــق فــي التعبير عن وجودها. نحن لسنا قوامين على هذا الشعب، نحن امناء في مرحلة الانتقال.

وعد بلقاءات اخرى

بهـذه الروح أيها الاخوة المواطنون، قبلت المسؤولية، وبهذه الروح اعمل وزملائي مـن اجل هذا الوطن، ومن اجل امتنا العربية. ولا اريد ان ادخل في موضوع لغط فيه كثيرون وتعمـدوا، ما وسعهم السوء ان يتعمدوا في تحريفه وتشويهه. ومرة اخرى أرجو لهم الهداية، كما أرجو الله تعالى ان يسدد خطانا، وان يأخذ بيدنا في خدمة هذا الشعب العزيز، وخدمة امتنا العربية المجيدة، والسلام عليكم، واسعد الله أوقاتكم، وأرجو ان تتاح لي الفرصة لا تحدث اليكم مرة اخرى أيها المواطنون الكرام ...

المؤتمر الصحفي الثاني[٥٩]

عقـد الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء ووزير الخارجية مؤتمرا صحفيا في السـاعة السادسـة والنصـف من مساء أمس في مبنى المجلس الوطني. وقد حضر المؤتمر الصحفي للسيد رئيس الوزراء والذي استغرق ساعة ونصف الساعة الدكتور محمد ناصر وزير الـثقافة والارشاد والسيد سلمان الصفواني وزير الدولة وكبار موظفي وزارة الثقافة والارشاد ومندوبو الصحف ومراسلو وكالات الأنباء العربية والأجنبية.

وقد استهل الاستاذ البزّاز مؤتمره الصحفي بالترحيب بالصحفيين وقال:

اللقاء الثاني:

مـن دواعـي غبطتي ان التقي بكم مرة اخرى، وان كنت أود ان لو لم تطل المدة بين لقائـنا الأول ولقائـنا هذا، واحسب ان العامل الأساس الذي جعل المدة بعض الشيء طويلة هو رغبتـي التي أكدتها أكثر من مرة في أثناء تحدثي الى أبناء الشعب كافة، رغبتي في ان تكون أعمالنا ناطقة قبل أقوالنا. وحاولنا في المدة الزمنية التي تحملنا فيها عبء المسؤولية ان نعمل مـا نسـتطيع ان نعملـه، وأرجو ان نكون قد حققنا بعض ما يطلبه الشعب، وانا على يقين ان الطريق لم يزل طويلا، وان ما يتوقعه الناس – ومن حقهم ان يتوقعوا – لم يزل الشيء الكثير مـنه مرتقـبا، ارجو مخلصا ان نتمكن، مع الزمن، على تحقيقه. واعتقد ان الوقت قد حان بعد

---

[٥٩] عقد في ١٢-١-١٩٦٦.

ذلــك السكوت الطويل ان أتحدث اليكم بالصراحة التي تعهدونها، وان أتحدث، عن طريقكم الى الشعب بالصراحة نفسها أيضا، عن مجمل الأوضاع الداخلية والخارجية في هذا القطر.

المرحلة العصيبة

تذكــرون جيدا اننا تحملنا المسؤولية قبل أكثر من ثلاثة شهور، وتذكرون اننا قد جئنا الى الحكم في مدة لم تكن هينة حيث لا اريد ان اغالي في استعمال الأوصاف. من حقي ان أقول انهــا كانت مدة عصيبة وصعبة. ومرجع ذلك ان الأوضاع المالية في البلاد كانت سيئة. ورثنا ميزانية غير متوازنة وضعت من حيث الأساس على اسس غير سليمة. كان فيها عجز ظاهر - عجز متوارث - وعجز نتج عن سوء وضع الميزانية السابقة. وكانت مهمة وزير المالية، ولم تزل، ومهمة الحكومة جملة، صعبة جدا. وانا لا ازعم انها قد أصبحت ميسورة ونحن بقينا في كفاح مستمر لان نحقق الحد الأدنى المطلوب لتيسير وتسهيل شؤون هذه الدولة.

بوادر التحمس

جئـــنا الى الحكم والأوضاع الاقتصادية كانت متأزمة. ومرة اخرى انني لا ازعم اننا قد انهيــنا الأزمة نهائيا، ولكن من حقي ان أقول، كما احسب ان كل منصف من أبناء هذا الوطن، ومـــن اخواننا خارج هذا الوطن، يشعرون اننا قد فتحنا الطريق للقضاء على اسباب هذا التأزم. ويســعدني ان اعلــن، دونما تبجح، ان الأوضاع الاقتصادية قد تحسنت نسبيا. وهناك أكثر من دلــيل علــى هــذا. زيادة الائتمان، أو بعبارة أدق الزيادة المحسوسة في المبالغ التي وضعها المواطــنون خلال الاشهر الثلاثة الماضية في المصارف، يعطي هذا الدليل، وكثرة الطلبات في انشــاء المعــامل، وفــتح الاعــتمادات الواسعة للتعامل التجاري، دليل اخر، الثقة التي عادت للمواطنيــن، وســير الدولاب التجاري سيرا مرضيا نسبيا دليل اخر أيضا. ارتفاع قيمة الدينار خارج العراق دليل اضافي اخر. ولا اريد ان اطيل في هذا ...

لم نأت بالمعجزات

ولكنني مرة اخرى أقول، ما سبق ان قلته، لم نأت بالمعجزات، ولكننا عملنا دائبين جادين مخلصين، مدركين لطبيعة هذا البلد وحاجاته الحقيقية، دونما ان نضحي – وأود ان اؤكد على هذا المعنى – دون ان نمضي بالمبدأ الاشتراكي الذي التزمنا به. فنحن لم نزل نؤمن بالاشتراكية مذهبا سياسيا اجتماعيا، نعتقد الاشتراكية الوجه الاجتماعي للقومية العربية، ولكننا فهمنا الاشتراكية، كما ارجو ان يفهمها كل قومي مخلص، على انها ليست عقيدة مستوردة، وليست مذهبا مناهضا للفكر القومي، وانما هي المتمم، أو الوجه الاجتماعي للقومية ذاتها، وبعبارة اوضح ان الاشتراكية تحقيق لأهداف عليا، أولها العدالة الاجتماعية، ومنها القضاء التدريجي على الفوارق غير المعقولة بين الطبقات. ومن غاياتها الأساسية ايجاد مجتمع متضامن تسوده الرفاهية والازدهار. وكان لزاماً علينا لاتباع هذا المبدأ الذي أسميناه "بالاشتراكية الرشيدة" وأردنا به ان نميز اشتراكيتنا من بعض الاشتراكيات التي تبنى على الماركسية، والصراع الطبقي، بالدرجة الاولى، وبعض الاشتراكية التي لا يمكن ان تكون متناسبة مع الفكر القومي، أقول كان لزاما علينا في سبيل ذلك ان نقوم ببعض التشريعات التي تعرفونها. قضينا على المركزية والسيطرة العنيفة التي كانت مناطة بفئة صغيرة، أو ربما بشخص واحد، انيطت به كل – تقريبا – سلطات التنظيم الاقتصادي، تجاريا كان، أو مصرفيا، أو ائتمانيا، أو صناعيا. وشرعنا القوانين الكفيلة بحسن سير النظام الاقتصادي، وأكدنا في منهاجنا الوزاري على مبادئ أساسية في العناية بالقطاعين العام والخاص والقطاع المشترك، وضعنا بعض الضوابط الكفيلة بتحقيق المجتمع المتضامن، المجتمع الذي يسوده الرفاه والعدالة الاجتماعية، المجتمع الذي لا يؤمن بالطبقية، ولا يريد ان يضحي بأي مكسب حقيقي للعمال والفلاحين والطبقات ذات الدخل المحدود، ولكن المجتمع الذي لا يريد ان ينمي البغضاء بين أبناء المجتمع، والذي يريد ان يحقق انسجاما اجتماعيا مبنيا على اسس مدروسة غير مرتجلة وغير مستوردة.

لم نسقط بيد اليمين

واسمحوا لي بهذه المناسبة ان ارد على الذين زعموا، وخاصة في بعض البلدان العربية الشقيقة، اننا سقطنا في يد اليمين. وقبل هذا وذاك أود ان أقول ان مصطلحات غريبة

مستوردة لا معنى لها في ظل القومية العربية النيرة التي نؤمن بها. اننا لا تعنينا هذه الألفاظ في قليل ولا في كثير. فليست اشتراكيتنا يمينية، ولا يسارية، ولن نسقط في يد اليمين، كما لم نسقط في يد اليسار. ونحن قوميون عرب اشتراكيون، نؤمن بالعدالة الاجتماعية ونسعى الى تحقيق أهداف قومنا وشعبنا غير آبهين بالنظريات والمصطلحات التي تعمى البصائر أحيانا، وتغل الحكومة وتجعلها غير قادرة على اداء رسالتها في خدمة مجتمعنا، وتحقيق العدل الاجتماعي الرصين المبني على الادراك الحقيقي لحاجاته.

فاليمين واليسار اذن في تقديرنا مصطلحات لا قيمة لها. فنحن، مرة اخرى، قوميون عرب نؤمن بالاشتراكية، ونعمل من اجل مجتمع سعيد متكافئ تتحقق فيه العدالة الاجتماعية للجميع، ونسعى لتحقيق اكبر قسط من النفع بأكبر جزء من أفراد المجتمع ...

هيبة الحكم

النقطة الأساسية الاخرى التي شغلت الحكومة في الشهور الماضية هي محاولة اعادة هيبة الحكم، وتحقيق مبدأ سيادة القانون. سمى البعض هذا رجوعا، وقضاء على الثورية. وبهذه المناسبة انني اعتقد ان الثورة الحقيقية لا يمكن ان تتحقق الا اذا استقرت بعض القيم الانسانية الخالدة، ومن أول هذه القيم ان يسود القانون، وان تتحقق العدالة الاجتماعية للجميع. والمجتمع الذي يدعى انه ثوري، بمعنى انه يرعى القانون ولا يعبا بمثل العدل الانساني مجتمع آيل الى الخراب. فاذا كانت الثورية معناها التعصب الأعمى، ومعناها عدم الالتزام بالقانون، فنحن بحق غير ثوريين. ولكن اذا كانت الثورية تجديدا لمفاهيم الحكم، تحقيقا للمبادئ العليا، عمل من اجل تمكين الشعب من التمتع بحقوقه وحماية هذه الحقوق، وعملا دائبا في وضع اسس الدولة على قواعد رشيدة مستقرة، فنحن ثوريون بكل ما تعنى الثورية نؤمن بها. ولكن بهذا المعنى الانساني الرفيع المتعقل.

هذه بعض المسائل الأساسية التي حاولنا مخلصين ان ننجزها، وانجزنا الشيء الكثير في هذا الصدد، كما تعلمون شرعنا عدداً من القوانين، وأوجدنا بعض الوسائل التي تقضي على القلق، بما في ذلك ايجاد "لجنة تحري الحقائق" التي أرجو ان تتم بعض ما اودع اليها قريبا، والتي فتحت الأبواب أمام المواطنين الذين يتشكون أو يهمسون أحيانا من وقوع بعض المخالفات، وبعض الفضائح. فهناك سبيل واضح. كل من يشعر بان هناك انحرافا عليه ان يتقدم

بطلــبه موقعا ومؤيدا بالدليل، والا فلا قيمة للشائعات والاراجيف، وخاصة في هذه الآونة التي كثرت فيها الاراجيف. نحن لا نأبه بالأقاويل المجردة، وفي الاتهامات. من له دليل على ان زيدا مــن الــناس – كائنا كان – اساء، أو استغل، أو استولى على مال الأخير، أو جار أو ظلم، أو اساء الى احد، عليه ان يتقدم. وأؤكد لكم لن تأخذنا في الحق لومة لائم، سيأخذ القانون مأخذه، وستسير العدالة في مجراها الطبيعي الذي يجب ان تسير فيه.

وحدة الشعب

هــناك قضــية اخرى اشعر بشيء من الحرج في التحدث عنها من شؤوننا الداخلية، وهــي محاولــة فــريق صغير (لحسن الحظ) من أبناء هذا البلد استغلال روح التسامح، وروح العــدل ومعــنى الدولــة الرتيبة. أرادوا ان يستغلوا هذه المعاني لاثارة بعض النعرات، وايجاد الفــرقة بيــن أبناء الوطن الواحد، والملة الواحدة. ويسعدني ان أقول ان تلك التشبثات، وتلك المحاولات قد باءت بالفشل، وعرفوا تلك الدعوات الصادرة من اناس تقطعت بهم السبل فأرادوا ان يثبتوا وجودهم من جديد على هذا الأساس المقيت، ولكنهم قد انكشفوا امام الشعب فلم يعبا بدعواتهم وصيحاتهم.

وأمــا دعوات الذين اتخذوا من التحزبات ومن بعض التكتلات الضيقة وسيلة للتشنيع المستمر بالحكومة الحاضرة، فاؤكد لكم اننا ما عبئنا، ولن نعبا بما يقولون. اننا نعتقد اننا نخدم هــذا المجــتمع، ونقــدم له ما نستطيع، ولا نفعل ذلك منة منا. بل شعورا بالواجب، ونعتقد ان جماهير شعبنا – وهي التي قد وعت وأدركت وعرفت مسؤولياتها – تعرف المخلصين من الذين يدجلون بالشعارات ويصدرون في الظلام بين حين وآخر بوريقاتهم الصفراء (تلك المناشير التي يملؤنهــا بالســباب والاتهامات والأقوال التي ما انزل الله بها من سلطان). لن نعبأ بهؤلاء أبدا لانــنا نعلم انهم اقل من القليل، وانهم في غالبيتهم العظمى أنانيون ونفعيون ولا يريدون الا ان يــنالوا المناصــب والكراسي دون عبء بحاجة المجتمع ومصلحته. ومثلهم كمثل اولئك الذين كــانوا يحاربون رسول الله، فنزلت فيهم الآية "ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضــوا وإن لــم يعطوا منها اذا هم يسخطون" واذا عرضت عليهم المناصب فهم اذن أصحاب، وهــم مؤيــدون، واذا حرموا فإذن كل من في الحكم خائن، ومجرم، وعميل، ورجعي، وما شاء لهم أدبهم من كلمات يستعملونها ويرددونها بين الحين والحين. واؤكد لكم اننا لو أردنا ان نتبع

طـرق القمـع لكـان فـي استطاعتنا ان نفعل ذلك بيسر يسير، نحن نعلم من هم هؤلاء ونعلم قيمـتهم. ولكـن لا نريد ان نزيد في قيمتهم حتى في التعرض اليهم نتركهم وشأنهم، وانا على يقين، والحكومة على يقين من ان الشعب يمقتهم ويسخر من ادعاءاتهم.

واذكـر علـى سبيل المثال بعد ان صدر احد تلك المناشير المسمومة وفيها تهديدات صـريحة لـي شخصيا بأنهم سيقتلونني، وسيكون مصيري كمصير نوري السعيد، وعبد الكريم قاسم، كأن هنا في مبنى مجلس الوزراء سيارة مدرعة أمرت برفعها، فسألني سائل: ولم؟ قلت: لأيسـر للشعب سحلي اذا كان الشعب راغبا في السحل. وانا أقول بفخر انني أول رئيس وزراء لا يسـتعمل حـتى ولا مفـوض شرطة بدل الضابط أو المرافق، وانا أسير بملء حريتي كفرد عـادي، وأظـن شـأني شأن بقية زملائي والمواطنين لاني اعلم ان هذا الشعب يعرف من هم المخلصون، ويعرف من هم الدجالون، ولذلك فنحن لا نعبأ بأقوالهم وكيدهم مردود الى نحورهم، وسيقتلهم غيظهم وهم سيلاقون من الشعب المقت والامتهان الذين يستحقونهما.

لم ننجز كل ما نريد

وقلـت اننـي وزملائي لم ننجز كل ما نريد ان ننجزه. من الطبيعي في ثلاثة شهور لا نسـتطيع ان نـأتِ بالمعجزات، أمامنا مسائل كبرى نعمل جاهدين على تحقيقها برا بما جاء في المنهاج الوزاري. من ذلك قانون الانتخابات وقرأتم من دون شك ان لجنة الفت واجتمعت مرارا وتكـرار وسنلتقي قريبا، وعما قريب يشرع القانون واؤكد لكم ان الانتخابات ستجرى في وقتها المقرر وستعود الحياة النيابية لهذا الشعب كاملة في الحدود التي ذكرناها في المنهاج الوزاري، والمـدى فـي الدسـتور المؤقت. كذلك نحن معنيون بتنظيم وتنسيق أعمال الاتحاد الاشتراكي. حقيقة ان هذا الأمر أصبح ملحا ولكن متطلبات الدولة الكثيرة وتأكيدنا في المرحلة الاولى على تحقـيق الامن وهيبة الحكم، وحل المشكلة المالية بمقدار الترفيه الاقتصادي، ومحاولة التنفيس عن أبناء الشعب أعطيناها الصدارة.

نحن الان في مرحلة ثانية هي التنظيم الشعبي عن طريق الاتحاد الاشتراكي، وتحقيق الحـياة النيابية، والاستمرار في تنفيذ المنهاج الوزاري في نواحيه المختلفة، وليهيء طبعا الى ميزانية جديدة نحاول ان نجعلها متوازنة ومدروسة دراسة عملية غير مغالى فيها، ولا نوعد ما لا نستطيع انجازه بالنظر الى الصعوبات المالية التي أشرت اليها من قبل.

مشكلة الشمال

بقيت مشكلة أساسية لم تحل مع الأسف الشديد وهي مشكلة اخواننا في شمالي العراق، أو على الأدق فريق من المواطنين، لأنني اعلم ان الكثرة الكاثرة من أبناء الشمال مواطنون مسالمون، وجزء من هذا الوطن حريصون على وحدته. ولكن فريقا اخر لم يزل متماديا في أعمال العنف، وانا مرة اخرى أقول وأخاطب ذلك الفريق، انه كان مخلصا في دعواه بأنه لا يريد الانفصال، ويريد ان يبقى جزءا من هذا الوطن، ولا يريد الا ان يحتفظ اخواننا الأكراد بقوميتهم ووجودهم، أقول له لم تبق حجه مقنعة لأعمال العنف القائمة، لاننا قد أعلنا – ونحن عاملون على تحقيق هذا – وأكدنا في تعديل الدستور المؤقت على ان الأكراد قوم لهم حقهم في تنمية وجودهم القومي، واننا نحترم وجودهم. وأعلنا في المنهاج الوزاري على اننا سنشرع قانون الادارة المحلية، وسيتمتع أبناء الشمال بقسط وافر في ادارة شؤونهم. وأعلنا، انه في الوقت الذي ينتهي العنف فيه ستبذل الحكومة قصارى جهدها لتعمير الشمال، وتعويض المتضررين، ولوضع الامن في نصابه. وقلت من قبل، واكرر هنا، انني اعتقد ان كل طلقة، وكل قنبلة، ترمى في أي جزء من اجزاء الوطن هي خسارة مضاعفة، القنبلة التي ترمى خسارة، والهدف الذي تصيب خسارة أعظم. فنحن لا نريد ان نحطم قرية، ولا ان نهدم بيتا، ولا ان نقتل حيوانا أو انسانا، لاننا نعتقد ان هؤلاء واولئك جميعا أجزاء من هذا الوطن، واجبنا رعايتهم، واجبنا اعمار الشمال لا تحطيمه. لأنه تحطيم لوطننا. ولكن مع وجود العنف والتمرد لا تملك أية حكومة، ومهما كانت، الا ان تستعمل العنف ضد المتمردين. ويسعدني ان أقول انهم ليسوا الكثرة الكاثرة، وان الكثير منهم في أعماق نفوسهم يشعرون بأنه لم تبق مبررات معقولة. تقنعهم قبل غيرهم، لتبرير هذا الوضع غير المنطقي، اللهم الا اذا كانوا انفصاليين يبرقون دعواهم في الانفصال بمزاعم انهم لا يريدون الانفصال. تلك قضية اخرى، نحن عندئذ لا يمكننا بحال من الأحوال ان نفرط بشبر واحد من تربتنا، وسنعمل جاهدين على الحفاظ على وحدة هذا الوطن. ذلك واجبنا المقدس الذي نتخلى عنه. ونحن لا نفعل ذلك من اجل العرب، بل من اجل الأكراد والعرب على حد سواء، لان الأكثرية من هؤلاء الاخوان لا يريدون الانفصال فاذا كان لمطامح شخصية، أو بتحريض جهات اجنبية، يعملون ضد مصلحة هذا الوطن، فلا شك ان المواطنين كافة يستهجنون اعمالهم، ولا يرضون تلك الأعمال المتسمة بالعنف.

سياستنا الخارجية

هذه مجمل الأوضاع الداخلية، ومن حقكم علي ان تطلبوا مني توضيحات عن سياستنا الخارجية وما استجد بشأنها. تذكرون اننا في المنهاج الوزاري، وفي كل التصريحات المختلفة، قلنا ما معناه بان سياسة أية حكومة يحددها واقعها الجغرافي، والتاريخي، ومصلحة ابنائه. فالعراق في وضعه الراهن تحده دولة اسلامية غير عربية، وتحدده من جهة اخرى أقطار عربية شقيقة. وسياسة العراق تجاه الدول المجاورة غير العربية هي الرغبة الأكيدة للتعايش السلمي والتعاون المخلص في المجالات الثقافية والاقتصادية وتحقيق معاني حسن الجوار. وسياستنا مع الأقطار العربية واضحة المعالم، فنحن جزء من الامة العربية، ومصيرنا مرتبط بها ارتباطا، ليس لمدرك ان يتغافل عنه، ولو ساعة واحدة. ونحن ندرك يقينا ان مصير الامة العربية النهائي واحد، وان متطلبات القومية العربية تفرض على العرب في كل أقطارهم ان يعملوا من اجل أهدافهم العليا الواحدة، وان يتعاونوا وان يسيروا بخطى وطيدة ولكنها مستمرة، لبلوغ أهدافهم النهائية في اقامة كيانهم العام المشترك، وتحقيق خيرهم الشامل. نحن في هذا مؤمنون، ومن اجل هذا جادون عاملون، ونؤكد بهذه المناسبة ان صلتنا بالأقطار العربية كلها دون استثناء حسنة، وان الأحداث الأخيرة التي تقع بين الأشقاء لا ترقى الى حد القطيعة، وليس لغير عربي ان يستغلها لمصلحته لاننا اذا ما جد الجد نتجاوب ونسير صفا واحدا.

وربما موقف الشقيقة سورية مثال على ذلك، فقد كانت هناك ومع الأسف الشديد أقول بعض المهاترات، وبالدرجة الاولى من جانب واحد، وبالتأكيد ليست من جانبنا. وهناك تعريضات كلامية نسمعها بين الحين والاخر، أو نقرأها في بعض الجرائد، ولكن مع ذلك لم يمنع ذلك سوريا من ان تتجاوب وان تعلن تأييدها التام للعراق حينما كان العراق معرضا الى ضغط أو احتمال عدوان من دولة اجنبية. كانت للعراق جزئية مع دول عربية اخرى هي الكويت – وجزئية اوكد مرة اخرى جزئية جدا – ولكن لما جد الجد كانت الكويت هي الاخرى متجاوبة ومنسجمة ومؤكدة لشعورها العربي واستعدادها لعون العراق. واحسب اني في غنى عن القول بان ارتباطاتنا بالجمهورية العربية المتحدة لم تضعف، ولا يمكن ان تضعف، ونحن في ايماننا بالمثل المشتركة التي تربطنا بأشقائنا في ارض الكنانة نحن في هذا الارتباط نصدر عن عقيدة ثابتة متجاوبة، ونحن سائرون على الدرب مؤمنون بان بيننا وبين أبناء وادي النيل، علاوة

على الرباط العام، التقاءات فكرية والتزامات تجعلنا نسير دائما وأبدا في صف واحد، في سبيل الأهداف الواحدة ومن اجل المبادئ الواحدة.

نحن وايران

بقيت مشكلتنا مع جارتنا ايران، وأود ان تتذكروا بان الخلافات – مع الأسف الشديد – بين العراق وايران عريقة. عراقة تكوين العراق ذاته. وهي في واقع الحال، سبقت تكون الدولة العراقــية الحديثة، ومنذ عهد الدولة العثمانية حينما كان العراق ايالة عثمانية، كانت المنازعات بيــن الدولــة العثمانــية والحكومة الايرانية على الحدود قائمة. واحسب ان ذلك طبيعي بعض الشــيء، فبين العراق وايران حدود مترامية الأطراف، متنوعة في طبيعتها، فبين جبل، وواد، وهضــاب، وسهل، وشط، الى مجتمعات انسانية متقاربة على طرف الحدود، في قسم من وطننا قبائل كردية نصفها في العراق ونصفها في ايران، وقبائل عراقية كثير منها في العراق وبعضها فــي ايــران. وأجــناس بشرية ترتبط على الحدود فبطبيعة الحال الاحتكاك والاختلاف والتنافر متصــور. اضــافة الــى ذلك كثيرا من أنهارنا الصغيرة تنبع من ايران، فالخلافات على المياه، وعلى المراعي وعلى كثير من المصالح عريقة وكثيرة. وانا نظرت بعض الشيء في (أضابير) وزارة الخارجــية ومراسلاتها وأستطيع ان أقول، بلا مبالغة، ربما نصف خلافات العراق مع كل الدنــيا قائمة مع ايران. والمراسلات والاتصالات والاحتجاجات قائمة على قدم وساق منذ تكون العراق كما قلت ...

ولــيس مــن الحق ان يقال انها حديثة، أو انها خفت حتى في مرحلة الاحلاف، حينما كــان العــراق عضــوا في حلف بلغراد جمدت بعض الخلافات، ولكنها لم تحل، فالخلافات اذن عــريقة، ومســتمرة فرضتها ظروف جغرافية وتاريخية وبشرية. كانت سياسة حكومة العراق، كمــا هي سياسة حكومة العراق اليوم، الرغبة الصادقة لحل مشكلاته مع ايران بالود، والطرق الســلمية، ويؤسفني ان أقول ان ايران لم تكن دائما راغبة في الحلول السلمية وتاريخ العلاقات العراقــية الايرانية شاهد على ذلك. على كل حال لا اريد ان اطيل، ولكني أستطيع ان اؤكد لكم بــان مــا قيل عن التازم الأخير لم يكن العراق مسؤولا عنه، وانما يقع عبء المسؤولية الكبير علــى سياسة جارتنا ايران، التازم الأخير بدا، واشتد في الأصح، حينما ادعت ايران ان العراق قد تجاوز على تربتها، وعلى أجوائها، وان بعض قراها قد قصفت بطائرات عراقية، وان بعض

العراقيين، من غير الجيوش النظامية، قد دخلوا الحدود الايرانية وسحبوا شخصين ثم قتلوهما، وأشياء من هذا القبيل. في تقديرنا وفي ما عندنا من معلومات، ان هذا الذي تقوله ايران لم يقع بالشكل الذي صورته الحكومة الايرانية ومع ذلك فقد قلنا، ونقول، اننا على استعداد تام لان نلتقي، وان نبحث هذه الخلافات، وان نكون اللجان الضرورية التي تتحرى الحقائق، فاذا ثبت ان شيئا من هذا قد وقع قصدا أو اساءة فان العراق مستعد لتحمل التبعة، ومستعد لتعويض المتضررين من الايرانيين. قلنا هذا لاخواننا وجيراننا في القطر المجاور، ولكن بدل ان يستجيبوا لهذا، استعملوا سياسة العنف بعض الشيء، أو اظهار القوة، وأرسلوا قوى احتياطية على الحدود، أو قريب منها، وصدرت تصريحات بالرغم مما في بعضها من عبارات الرغبة في السلام والحب لشعب العراق، ولكنها تحمل في طياتها بعض معاني التهديد، وهذا شيء يؤسف له. ويؤسف له، لان العراق جار لايران يرتبط مع ايران بروابط تاريخية، واجتماعية، ودينية قوية، وهو حريص، كما كان حريصا دائما، على الحفاظ على هذه الروابط، وتنميتها لخير الشعبين المتجاورين، الشعب الايراني والشعب العراقي. فقد كان الطريق الامثل الذي كان على الحكومة الايرانية ان تسلكه هو الطريق الودي. حقها ان تحتج اذا ثبت اننا اسأنا، وان نتحرى، فاذا ثبت الخطأ فعندئذ، كما قلت، نتحمل التبعة. أما ان يصار الى العنف، والى التهديد، والى الزعم بان العراق راغب، أو عامل على الكيد لايران، أو راغب في خلق المتاعب للايرانيين فذلك لا مبرر له مطلقا. وبصورة خاصة بعد ان جاءت هذه الحكومة الى الحكم سعت مخلصة، وجاهدة، وبكل وسيلة، الى اقناع الايرانيين برغبتنا الصادقة في حل مشكلاتنا بالطرق الدبلوماسية، وبالطرق الودية. ولم نترك سبيلا الا ولجناه، وكان من هذه السبل انني حاولت ان استغل صداقتي الشخصية للسيد أمير عباس هويدا رئيس وزراء ايران فكتبت له كتابا شخصيا، واحب ان اؤكد هذا القول، كتابا شخصيا وباسلوب ودي رقيق، وباللغة العربية التي يتقنها، كتاب فيه الاخلاص وفيه الود، وفيه الدعابة، وفيه تذكير له بأنه ملتزم بزيارة العتبات المقدسة لنذر كان قد نذره، أو نذرته امه حين أصابته بمصيبة، اذ صدمته سيارة وكادت تودي بحياته، ولكن الله سلم، واخبرني انه ملزم بالقيام بزيارة العتبات المقدسة، فقلت له كم يكون جميلا لو جئت للعراق للقيام بإيفاء النذر، وان نلتقي، وان نتذاكر، وان نسعى لخدمة بلدينا. هذا الكتاب الشخصي، يؤسفني ان اعتب على صديقي هويدا، جعل منه وثيقة رسمية أباح لنفسه نشرها دون ان يستأذنني. حتى لو كان الكتاب رسميا لكان من اللازم ان لا ينشر الا بعد اخباري في

اقل تقدير. ومع ذلك وحكما على ما جاء في تلخيصات بعض المصادر الصحفية يبدو لي انه لم يكون دقيقا، أو تلك المصادر ربما لا ادري، والشاعر يقول – وما آفة الأخبار الا رواتها – لم تعبر عن الأحاسيس التي أردتها، فبينما أنا أتحدث عن صلات ود، وصداقة ودعابة، يحاول ان يحيل الأمر الى شيء لا تحتمله معاني كتابي. على كل حال أنا اكرر هنا، وانا متأكد ان صديقي هويدا سيسمع بهذا المؤتمر، ان هذه الدعوة الأخوية قائمة وتذكيره بنذره قائم أيضا، وتأكيدي له بأننا سنكرمه ونرحب به، واعتقادي بان هذا اللقاء مجد مفيد. أما ان يقال ان الدعوة رسمية رفضت أو اشترطت لها شروط فذلك ما لم يكن بحسباني.

وفي واقع الحال عندما قرأت رسالته فيها شيء من هذا المعنى، وأستطيع ان أقول، الرجل لم يرفض وانما قال لكي تكون الدعوة مجدية والالتقاء نافعا يحسن ان يسبق ذلك جو ودي، وان تتكون لجان لتدارس المشكلات حتى نكون على بينة بطبيعة الحال، نحن لا نعارض تكوين لجان مشتركة، أو لجان عراقية وايرانية لتدارس المشكلات العراقية الايرانية، واننا دائما وأبدا على استعداد تام للالتقاء، وللتحدث، ولحل الامور بالود وبالحسنى، لان ذلك اسلم طريق، وافضل طريق، بين بلدين متجاورين.

أما ان يظن ان هناك مفاوضات، وان هناك شروطا لا تدخل ايران في المفاوضة معنا بشأنها الا اذا تحققت فذلك تفسير خاطئ لكتابي. وانا لم ارد هذا، ولم أكن راغبا بحال من الأحوال، الدخول بمفاوضات رسمية تشمل هذه السعة ولا تعطى هذا المعنى كما هو معلوم في القانون الدولي.

أنا أدعو الى تلافي الاصدقاء للتحدث في المشكلات، وايجاد الجو الودي لحلها في تقديري. وهذا ما قلت له، بأنه ليس بيننا نحن العراقيين، وبين ايران من الخلافات ما يعسر حلها حين تتوافر حسن النية بين الطرفين، وانا أكدت له ان حسن النية من جانبنا قائم، وانا أرجو ان يكون قائما من جهتهم. فاذا التقينا لاشك اننا سنتقدم خطوات الى الامام لان الالتقاء في حد ذاته وسيلة مجدية للتكاشف، والتصارح، وتبادل الرأي، وخاصة كما قلت نحن مرتبطون بارتباطات وثيقة لا انفصام لها. هذا هو المعنى الذي أردته. وبهذه المناسبة سبق لسفيرنا في طهران ان اقترح مقترحين قبلتها مبدئيا ايران، ونحن أيضا رحبنا بها، هذه المقترحات هي:

١-ان تسحب ايران قواتها من الحدود الى مسافة معقولة.

٢-ان تـــتوقف الدعايـــات والحمـــلات من الطرفين، الصحافية، والتلفازية، والاذاعية أيضا.

فمـــن ناحـــية الاذاعة والتلفازية، وهي تحت سيطرة الدولة من دون شك نحن التزمنا بهذا. أما الصحافة فرجائي اليكم، واغتنم فرصة وجودكم هنا، فنحن لا نملك غير الرجاء ويجب ان يعلـــم الـــناس جميعا ان الصحافة هنا حرة وليس للحكومة سلطان عليها. ولكني اشعر من الناحـــية الاخرى انكم كمواطنين تشعرون أيضا بالمسؤولية، وتقدرون الواجب العام والمصلحة العامـــة. فأرجو منكم رجاء مخلصا، ان تستجيبوا لايقاف كل ما يسيء الى جارتنا، بكل وسيلة ســـواء كانـــت بالخير، أو التعليق، أو حتى نقل الأخبار السيئة من جهات اخرى، وانا هنا أقول نـــاقل الكفـــر يكون كافرا، فرجائي اليكم ان تمتنعوا، لاننا نعتقد بان الفرصة لم تضع بعد، واننا نستطيع، أو يجب ان نستطيع، ان نحل خلافاتنا بالود وبالتفاوض وبالالتقاء.

انتقادات بعضهم لسياستنا تجاه ايران

أنـــا اعلم ان فريقا من المواطنين يسمون هذه السياسة بالضعف، وربما بالخوف، وقد اســـتلمت بعض البرقيات بل مئات البرقيات لكن بعضها أقول تبدأ بهكذا: مزيدا من القوة، مزيد مـــن الشـــجاعة، مزيد من الحزم، وانا أود ان أقول لهؤلاء المواطنين بان الشجاعة لا تنقصنا، وان الحزم قائم ولكننا نعتقد بان هناك شيئا أعظم من الحزم، واجل من الشجاعة، وهي الحكمة، ونحن بهذا نتآسى بقول المتنبي الذي يقول:

الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهي المحل الثاني

فاذا هما اجتمعا بنفس حرة

بلغت من العلياء كل مكان

فلم تكن سياستنا صادرة عن ضعف، أو خوف، ولكننا نقدر المسؤولية، ونحب السلام، ونعـــتقد، ان الذين بايديهم مقاليد الامور يجب ان تكون لهم قلوب جبارة، وعقول نيرة، وآراء ســـديدة، وانهم مسؤولون عن أرواح هذا الشعب وأمواله وراحته. الكلمات أو الخطب والقصائد والأهازيج والشعارات سهلة، لكن عنف والحرب والمهاترات لا يمكن ان تحل المشكلة. المشكلة

يحلها العقل الرزين، والحكمة البالغة، والحلم والصبر والعمل الدائب، مع الحيطة واتخاذ التدابير اللازمة.

ونحـــن سائرون على هذا ومعتقدون اننا نستطيع بذلك ان نحقق لهذا الشعب ما يروم مـــن العـــيش بأمن وسلام مع جيرانه، مع الحفاظ على كرامته. أما الشعارات وعبارات القذف، والـــتحرش، فغـــير مجديـــة، وخاصـــة في هذه المرحلة. وانا سعيد ان أقول بان المواطنين قد اســـتجابوا بايقـــاف المظاهـــرات، أو كبت مشاعرهم وهي مخلصة، ولكن ان الأوان ان يتركوا لحكومـــتهم، وانا متأكد انهم يدركون مسؤولياتها، ويعلمون انها تدرك واجبها جيدا، رجائي الى المواطنين كافة ان يتركوا للحكومة سبيلها في العمل المخلص الدائب المتزن.

الطريق السوي لحل المشكلات

ومرة اخرى أقول من دون وجل أو تردد، ان هذا هو السبيل لحل الخلافات وخاصة ان الخلافـــات ليســـت بالدرجة التي قد تهولها بعض البرقيات، أو بعض المصادر الأجنبية، أو حتى بعـــض المرجفيـــن مـــن أبناء هذا الوطن. أنا لا أنكر، كما قلت، بوجود شيء من التازم ولكن الاســـتقبال الطيـــب الذي لقيه سفيرنا من جلالة ملك ايران ومن الوزراء ومن رئيس الوزراء، واستمرار المجاملات، والرغبة في حل المشكلة بالود لم تزل قائمة، ويجب ان نصبر وان نذأب وان نحـــافظ علـــى شعرة معاوية، وان بقيت شعرة واحدة، فكيف ولم تزل هناك خيوط موصلة. فالذيـــن يتحمســـون اكرر هذا المعنى، بان قسما من اخواننا حتى في بعض الجهات المسؤولة متشـــككين فـــي جـــدوى هذه السياسة التي نتبعها، أقول ان هذه هي السياسة الحكيمة الممكنة المعقولة الواقعية التي تخدم المصلحة، وخاصة في هذه المرحلة. ورب اشارة ابلغ من عبارة.

مشـــكلاتنا ليست قليلة، وطاقاتنا يجب ان تصرف في الانشاء والتعمير، وتحقيق الرفاه وتحقـــيق الامـــن، وتحقيق وحدة هذا المجتمع شاءت الظروف القاسية، وشاءت التركة الثقيلة التـــي ورثناها من المخربين، ومن الذين افسدوا على أبناء هذا الوطن بعض مشاعرهم، مهمتنا الرئيســـة هي جمع الصف الوطني، وتوحيد القوى، والعمل للانشاء، وحل المشكلات الداخلية، والمشكلات مع ايران وغير ايران، بعد ذلك السير قدما نحو أهدافنا العليا بوصف العراق جزءا من هذا الوجود العربي.

لا أحلاف

وقبل ان اختتم كلمتي هذه أود ان اشير الى شيء اخر، بلغني ان بعض الاخوان وافترض فيهم حسن النية والجهالة، ولا افترض سوء القصد ولا اقصد التعكير والتشويه، زعموا انني انما زرت السعودية بقصد المفاوضة للدخول في أحلاف جديدة، وخاصة ما يسمى بالحلف الاسلامي، واؤكد لهم ان سياستنا القائمة على الحياد الايجابي وعدم الانحياز، وعدم الدخول بأي حلف، اللهم الا ما كان منبثقا عن وجودنا العربي، ومتطلبات قوميتنا العربية، أقول ان سياستنا هذه قائمة ثابتة لا يمكن ان نحيد عنها قيد أنملة، ولكن من واجبنا ان نتصل بكل البلاد العربية، والمملكة العربية السعودية دولة شقيقة تربطنا بها صلات وثيقة. استغليت وجودى للعمرة لزيارة جلالة الملك فيصل، وجرى بيننا حديث ودي اخوي، تعلق بالدرجة الاولى بشرح سياستنا تجاه ايران ورجائنا، وهو الذي سبق ان تحدث اليهم في مشكلاتهم معها، ان يبذل مزيدا من الجهد الأخوي في تقليل، في اقل تقدير، الضغط لجيراني وافهام ايران (وهو صديق لايران ومن حقه ان يكون صديقا لكل دولة مسلمة أيضا). طلبنا الى جلالته، فاستجاب الى هذا بكل رضى، وبكل ود، ان يبذل مساعيه الحميدة للتقريب بين وجهات نظرنا. أما الزعم بالأحلاف، أو الحلف الاسلامي فلم يبحث الرجل هذا الموضوع مطلقا، ولا احسب انه يروم ان يكون حلفا من هذا الطراز، وعلى كل حال هو حر في ان يفعل أو ينشئ ما يشاء من الأحلاف، فكل دولة مستقلة لها سياستها، أما نحن فسياستنا، كما قلت، قائمة على عدم الانحياز، وعدم دخول الاحلاف الا ما كان منها في نطاق القومية العربية والأقطار العربية من اجل تحقيق وجودنا العربي والسير الدائب الرزين في تحقيق كيان العرب. فيما عدا ذلك لن ندخل بحال من الأحوال، أقولها بالتأكيد لن ندخل بأي تكتل ، ولا أي حلف.

ولكن سنبقى حريصين على صداقة الأقطار العربية، متعاونين معها، محاولين افهامها حقيقة سياستنا وأوضاعنا، ساعين اليها كما تسعى هي الينا بالتعاون في كل ما يصيبنا من خير وما قد نتعرض اليه من سوء، لاننا يجب ان نكون دائما وأبدا – وان اختلفت أنظمتنا في الحكم وبعض وجهات نظرنا في السياسة الخارجية – ولكننا نبقى على كل حال عربا، واذا جد الجد سيستجيب العربي لنداء أخيه ولسان حاله:

ولا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما جاء برهانا

هــذه هــي واقع الحال حقيقة سياستنا، لم ننحرف عن أهدافنا القومية، لم نخرج عن سياســتنا فــي عــدم الانحياز، ولم نتردد أو نتهاون في رباطنا الوثيق مع الجمهورية العربية المــتحدة، ونســير دائمــا وأبــدا لتحقيق العدالة الاجتماعية في ظل المبادئ الاشتراكية. نعمل جاهدين للسلم بكل طاقاتنا الممكنة، نتجاوب مع كل الأقطار العربية المخلصة في تحقيق الأهداف المشتركة، ولكننا لن نسير وراء العاطفة الهوجاء، ولا الشعارات المجردة ...

لن تخوفنا الاتهامات، لخصومنا ان يقولوا فينا ما يشاءون: رجعية، يمينية، انحراف، ردة، عمالــة، حلف بغداد، أحلاف استعمار ... لهم ان يقولوا ما يشاءون، لكننا نعلم من نحن، ونحن على ثقة بان الشعب يعرف ماذا نفعل، ومن نحن ...

وبعــد ان اختــتم السيد رئيس الوزراء كلمته وجه مندوبو الصحف ومراسلو وكالات الأنــباء عــدة أسئلة أجاب عليها بكل صراحة. وقال ردا على سؤال حول ما اذا كانت ايران قد التزمــت هــي بوقف الحملات الاعلامية، وأضاف ان الأفضل ان نلتزم بالقرار والاستمرار به. وردا علــى ســؤال اخر حول ما تم في موضوع تبادل السفراء بين العراق وسوريا، قال السيد رئــيس الــوزراء ان سورية اذا ما سمت سفيرها فنحن على استعداد لتسمية السفير العراقي. وقــال اننا نعلم بالظروف التي تمر بها سوريا، ولا نرجو لها الا كل خير وتوفيق في سياستها الجديدة.

وســئل الاستاذ البزّاز عما اذا كانت الحكومة ستصدر كتابا ابيض حول حوادث الحدود بين العراق وايران؟

فقال اننا لم نفكر حتى الان بذلك، ولكن ان تطلب الأمر ذلك فسنفعل.

وأجاب على سؤال حول موقف العراق مما أعلنته الحكومة الايرانية الغاء اتفاقية عام ١٩٣٧.

فقــال ان الاتفاقــيات ملزمة وليس لاحد الأطراف الغاؤها، وأضاف اننا لم نبلغ رسميا بذلــك، ولكننا نؤكد اننا نلتزم بالمواثيق الدولية، ونعد الاتفاقية قائمة. وأضاف قائلا انه اذا ترك لكــل دولة ان تلغي ما تشاء من المعاهدات، فسوف تصبح المعاهدات قصاصات ورق، كما قال غليوم الثاني[٦٠]

---

[٦٠] الجمهورية ٧٢٨ و ٧٢٩، ١٣و١٤/ ١ / ١٩٦٦.

وقال ردا على سؤال اخر حول ما اذا كان قد تحدد موعد سفر السيد رئيس الجمهورية الى القاهرة، انه حينما تتم المواعيد بصورة دقيقة فسيعلن ذلك في حينه.

وحول ما اذا كان قد طرا جديد على مفاوضات النفط.

اعلن السيد رئيس الوزراء انه لم يستجد جديد وان الموضوع لم يزل في المرحلة التي كنا فيها من قبل.

ندوة الأربعاء الاولى

رئيس الوزراء يتحدث الى الشعب بندوة تلفازية يشارك فيها ثلاثة صحفيين[٦٠]

"ظهـر الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء وزير الخارجية مساء أمس في أول حلقـة مـن بـرنامج تلفازي جديد يشترك فيه عدد من الصحفيين ليناقشوا احد المسؤولين في قضايا الساعة.

وقد أجاب السيد رئيس الوزراء في هذا البرنامج الذي اطلق عليه اسم (ندوة الأربعاء) علـى أسـئلة لثلاثة من الصحفيين المعروفين حول المسائل الاقتصادية والغلاء وموعد انتخاب الـبرلمان المرتقب وأخر تطورات الموقف مع ايران ورأى العراق في الحلف الاسلامي وتطور العلاقات بين بغداد ودمشق وحرية الصحافة.

وقـد اشـترك في هذه الندوة الصحفيين السيد فيصل حسون نقيب الصحفيين والمدير المفـوض لجريدة المنار والحاج نعمان العاني رئيس تحرير جريدة العرب والسيد عبد الوهاب الأمين المحرر بجريدة الجمهورية".

الالتقاء مع الشعب جرى ذلك يوم ٩-١-١٩٦٦.

عـبد الوهـاب الأمين: اذا أمكن ان تعطونا فكرة عن وجهة نظركم مع الجمهور لعدم وجود منبر اخر يعوض عن منبر التلفاز في الوقت الحاضر.

---

[٦٠] جرى ذلك يوم ٩-١-١٩٦٦.

اصل الفكرة

السيد رئيس الوزراء: حسنا أود ان احيي أبناء الشعب فأقول اسعدتم مساءً أيها الاخوة وأيتها الأخوات، في واقع الحال هذه فكرة كانت تجول في خاطري منذ أمد بعيد. كنت أسائل نفسي هل من سبيل في التحدث الى الشعب عن غير طريق المؤتمرات وعن غير طريق التحدث المتسلسل. دون ان توجه الأسئلة الحقيقية التي تجول بخاطر أبناء الشعب، وتذكرت لما كنت مرة في انكلترا انهم في تلفاز لندن يقيمون منهجا اسبوعيا على هذا الغرار يدعون اليه بعض المسؤولين، وتعرض الأسئلة عليهم من الصحفيين أو من أصحاب الاختصاص، ويجيبون عنها، حتى يكون أبناء الشعب على بصيرة من الأمر، فقلت اننا أحوج من الانكليز لهذا، فلديهم برلمان، ولديهم وسائل التقاءات، وأحزاب ومنابر شتى. فنحن اذن أحوج من غيرنا. وارجو ان تباح لنا مثل ما لغيرنا من هذه الوسائل، وخاصة البرلمان. وقلت قبل هذا يحسن ان نمهد لهذا، وان نلتقي مع الشعب ولذلك اقترحت ان نسمي عنوان هذا البرنامج (مع الشعب) أو، اذا شئتم، "ندوة الأربعاء". ففي كل أربعاء سنلتقي، أو ستلتقون انتم، مع احد المسؤولين، هذه المرة معي، والمرة القادمة ارجو ان يكون دور زميلي السيد وزير المالية، فتسألونه عما شئتم فيما يختص وزارته، والقوانين التي شرعت أخيرا، وربما الوضع المالي. وتسالون بعد ذلك اذا شئتم وزير الاقتصاد عن الأوضاع الاقتصادية، وعن الأوضاع التي تطورت اليها البلاد في الآونة الأخيرة، وعما نشكو منه، وما يشكو الشعب منه، وبعض المتطلبات الاخرى. وربما بعد ذلك من وزير الصحة عن الأدوية. وضعنا، قبل مدة من الزمن، قانونا جديدا ظننا انه، وارجو ان يكون ظننا في موضعه، حل بعض الشيء من ألازمة التي كانت قائمة حول الدواء، كما قرأت مرارا في بعض الصحف، ما تزال هناك تشكيات ... وهكذا فانا هنا اذن اريد ان التقي مع الاخوة والأخوات جميعا من أبناء هذا الشعب، نتحدث اليهم عما يريدونني ان أتحدث. ربما انه ليس من سبيل للتحدث اليهم جملة عن أسئلتهم فافترضت فيكم – ومرة اخرى ارجو ان أكون محقا في هذا الافتراض – انكم تنطقون بما يريد الشعب ان تسألوني عنه، تفضلوا، أنا مستعد للاجابة. والدوافع لهذه الفكرة كما قلت، هو شعوري وشعور اخواني الوزراء كافة، ان من حق الشعب على حكامه ان يطلعوه على ما يجري في البلد، ومن واجب الحكام ان يكونوا على بصيرة عما يجول بخواطر أبناء الشعب، وان يتحدثوا اليهم ببساطة ووضوح، كما يتحدث أبناء

الاسرة الواحدة. فنحن هنا في مجتمع شبه عائلي، فنحن نتحدث لعائلتنا الكبرى، وهم أبناء هذا الوطن كافة ...

الوضع الاقتصادي

نعمان العاني: موضوع الساعة الذي اعتقده بعد الخلاف العراقي الايراني الذي نرجو ان يكون خلافا عابرا، ولا تلبث ان تعود العلاقات ان شاء الله قريبا الى وضعها الطبيعي، ما دامت النيات الحسنة متوفرة عند المعنيين، موضوع الساعة على ما اعتقد هذا الوضع المعاشي أو الوضع الاقتصادي الذي يمر فيه البلد. فمما لا شك فيه ان البلد يمر بمرحلة انتقالية، وقد تميزت هذه المرحلة بسيادة القانون التي وفقت الحكومة اليها توفيقا كاملا، وبالاستقرار الذي يشمل أكثر أجزاء البلاد، ولكن مما لا شك فيه أيضا ان هنالك تذمرا وشكوى من الكثرة الكاثرة من أبناء الشعب فيما يتعلق بأوضاعهم المعاشية، وبالركود الاقتصادي الذي يعانونه، فهل للسيد الاستاذ رئيس الوزراء ان يوضح خطة الحكومة، وما تنتويه من عمل لمكافحة البطالة سواء أكان في القطاع الزراعي، أو في القطاع الصناعي، أو حتى بين المتعلمين أو حتى بصفتي محاميا لا اكتمكم انه يوجد بطالة كبيرة بين صفوف المحامين وتذمر، فهل للسيد رئيس الوزراء ان يوضح لأبناء الشعب هذه الناحية.

السيد رئيس الوزراء: بلا شك هذه ملاحظات قيمة، وسؤال مهم جدا، وبحد ذاته يحتاج الى ندوة بل ندوات. وتذكرون انني حاولت ان الم، ولا أقول أتوسع في البحث في هذه المشكلات في كل مناسبة، وانا اعلم عن يقين بأنه كان هناك في الأقل تأزما اقتصاديا، ولا أقول ان ألازمة حلت نهائيا، ولكن احسب ان الاستاذ العاني يشاركني ان المشكلات الاقتصادية لها عواملها الكثيرة ومعالجتها معالجة أساسية وواسعة المدى تحتاج الى أمد زمني طويل. نحن حاولنا جاهدين ان نخفف، ما أمكننا الجهد، من ثقل هذه ألازمة. وأود ان اغتنم هذه الفرصة لأقول بان نسبة العطالة قلت نسبيا، وربما سيأتي زميلي وزير الصناعة الى هنا ويعطيكم عدد المعامل التي طلب انشاءها، وبوشر فيها، والتوسع في العمران وبعض النواحي الاخرى. والنقطة التي أشرت اليها في مؤتمري الصحفي زيادة الائتمان التي هي نتيجة للاستقرار والأمن، وفسح المجال للقطاع الخاص للمساهمة في بعض المسائل، والطريقة التي اتبعتها الحكومة في الحد من المركزية الشديدة، وسائل خففت بعض الشيء من هذه ألازمة ولكن الحل

الأساســي يحــتاج الى مزيد من الوقت، ومزيد من الدراسة، ومزيد من الجهد. بعض المسائل فــوق طاقتنا، منها بصراحة "المشكلة الزراعية". لا شك ان الكثير من الزراع والفلاحين، تركوا أرضــهم لأســباب شــتى. للاغراء الذي يلقونه في المدن، للمواعيد الباطلة التي منوا بها فيما مضــى، لارتباك أو بعض الارتباك في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي، للتأزم أو التعنت أحيانا فــي تطبــيق بعــض نصــوص القانون. كل هذه العوامل وغيرها عملت على نوع من البلبلة، وصــرفت كثيرا من العمال الزراعيين الذين فضلوا العودة الى المدن. يشتغل صانع أو خادم أو حــتى متسول، ويعتقد انه يكسب بعض الشيء، خير له من ان ينتظر الكسب من ارض زراعية غــير مســتقر نظامهــا أو ارض اعطيت له ولم يزود بالماء، أو أعطى الماء ولم يكمل نصب المضــخة، أو مــا شاكل ذلك من المشكلات التي لا حصر لها. بطبيعة الحال هناك عدة تقارير تشــير الــى هــذا كلــه. وفــيما يتعلق بالاصلاح الزراعي كونت لجنة، وهي جادة في دراسة المشــكلات المخــتلفة وارجــو ان نوفق لاصلاح بعض اوجه الخطأ، وربما من حقكم علي ان تسالوا، هل يعني هذا الغاء قانون الاصلاح الزراعي؟ اظن ليس هناك عاقل يدعو لهذا اليوم. لا شــك ان الاصــلاح الزراعي في الأقل في فكرته ومحتواه الأصلي، كان خطوة تقدمية يجب ان نحــرص علــيها، ولكــن الطريقة التي طبق فيها الاصلاح الزراعي سيئة، وانا كنت أقول في مجلــس الوزراء الاصلاح الزراعي "يحتاج الى اصلاح"، وحينما كونا اللجنة متفقين على هذا، وكمــا كــنا متفقين على لزوم الحرص على فكرة الاصلاح، كنا متفقين على لزوم اصلاح جهاز الاصــلاح الزراعــي، واصلاح بعض المواد التي جاءت في القانون تعسفا. وربما على "سبيل المــثال قــرأتم قبل أيام قانون يسير، ولكن مهم في تقديري، وهو تمليك الآلات والمضخات الى التعاونــيات، نــوع من الاصلاح الجزئي. أيضا كانت الماكنة تقف على آلة صغيرة، على صمام مــثلا وحيــنما لا يشعر الانسان انه مسؤول مباشرة أو ان المال ماله، أو النفع يعود اليه، فقط تمر أسابيع وأسابيع وتتلف الأجزاء، ويتلف الحاصل، تحصل الآلة الصغيرة التي تعرقل الانتاج. هذه الحقائق ليس لعاقل ان ينكرها. كل هذه المسائل الان تدرس، وارجو ان نوفق الى حلها مع الزمن اذا قدر لنا ان نستمر على كل حال.

عطالة المحامين

وفيما يتعلق بالمحامين، بطبيعة الحال يذكر الأخ، وهو محامي، وانا أيضا محام قديم، ومازلت اعتز بالمحاماة، ان هذه المشكلة قديمة. في البلد محامين أكثر من استيعاب البلد. وانا أقولها بفخر حينما كنت عميدا لكلية الحقوق في السنتين التي قبلت فيهما الطلاب أصررت إصرارا عنيفا على ان لا اقبل أكثر من مائة طالب. وفعلا السنتين الوحيدتين التي قبل فيهما مائة طالب فقط، وهذا في تقديري (مائة طالب) هو استيعاب مبالغ فيه أيضا. أما حينما يأتي ثمانمائة أو ستمائة طالب أو في بعض السنوات الف أو تسعمائة طالب الخ. طبعا الوفرة، وفرة الانتاج، تؤدي الى البوار، شأنها شأن كل الحاصلات. طبعا أنا اجل المحامين من ان يكونوا حاصلا، لكن عاملا من عوامل الانتاج، عرض وطلب، فماذا تستطيع ان تفعل الدولة؟ تعين بعض القضاة، تعين بعض الموظفين، تعين بعض الخبراء. أوجدنا في قانون المحاماة الأخير متنفسا. المحامي لا يكون وكيلا الا عن عدد محدود من الشركات، والدعاوى ذات المبالغ الجسيمة يجب ان يكون لها محام. أوجدنا شيئا من المتنفس، لكن بطبيعة الحال لم نحل كل المشكلة، لان المشكلة فوق طاقة هذه الحكومة، وفوق طاقة أية حكومة. ما لم يكن لنا – وربما تنتقل الى موضوع هو في حد ذاته يحتاج الى ندوة – تخطيط جامعي في الدراسة، ستبقى هذه المشكلة قائمة من مشاكلنا الكبرى، وستتضخم هذه المشكلة يوما بعد يوم، عندنا هيئات تخطيط، ولكن لا يوجد عندنا تخطيط جامعي.

وبالمناسبة تحضرني كلمة لطيفة، يذكرها قسم من العراقيين، المرحوم الشيخ البشير الابراهيمي حين القى محاضرة في نادي المحامين قال: "حينما كثر المجاهدون قل الجهاد" "وانا أقول" حينما كثرت هيئات التخطيط، وهيئات البحث، وهيئات – الكذا – "قل البحث والتخطيط". في أكثر من ناحية معينة لم يكن لنا تخطيط مدروس في أية ناحية من نواحي حياتنا. ستبقى وفرة الدراسات الانسانية في المحامين وفي خريجي الآداب، وفي خريجي التاريخ والاجتماعيات. الان عندنا مشكلة بالنسبة للأوانس خريجات كلية الآداب فرع الآثار وفرع التاريخ. في البداية يضغطون ويقولون معلمات في الابتدائي، ولكن حتى التعليم الابتدائي مهنة معينة تحتاج الى تمرين وتحتاج الى اختصاص.

نعود الى قضية المحامين فأقول فعلا حرية بالبحث وهي مرتبطة بالوضع الاجتماعي، وبوضع دراستنا. أنا لا ألوم الذين يدرسون الحقوق ولا الآباء الذين يضطرون الى ان يدخلوا

أبنـاءهم في الحقوق، لأنه أيضا حينما تتقطع بهم السبل، وتسد في وجوههم الأبواب يختارون أهـون الشرين (خلي يدرس الحقوق وعلى الله النتيجة النهائية)، والنتيجة يتخرجون في السنة أربعمائـة أو خمسمائة، وقابلية البلاد للاستيعاب خمسين، والبقية تظل مع الأسف شبه معطلة. اوكـد لكـم انـنا بحثـنا هذا الموضوع مع السيد وزير التربية، ونوشك ان نلتقي للتخطيط في الدراسـة جملة وللجامعة بصورة عامة. ولا بد ان تكون لنا الجرأة لمواجهة المشكلة الحقيقية، وهي عدم وجود التخطيط، والوفرة بالدراسات النظرية التي تسمى انسانية، والقلة المؤلمة في الدراسات العلمية، وربما أهم من العلمية، الدراسات التكنيكية. العامل الكهربائي الماهر، هذا هو الـذي نحتاجه. ومع الأسف، ولنكن صريحين، مع اخواننا وأخواتنا من أبناء هذا المجتمع، اننا لازلنا بدوا نحتقر عمل اليد، يعني في أعماق نفوسنا شيء من هذا. البدوي الذي يحتقر النساج، ويحـتقر الصانع، والنجار، وكذلك آباءنا وامهاتنا يفضلون كاتبا في دائرة على ان يكون نجارا، وسـاعيا علـى ان يعمل في أي صنعة اخرى، وارتباط بالدولة، والوظيفة والحكومة، ارجو ان يكـون النظام الجديد، النظام الاقتصادي الجديد قد غير من عقليتنا هذه. ان بعض العمال، حتى فـي المصانع الحكومية. قد تصل مواردهم الشهرية الى ١٥٠ أو ٢٠٠ دينارا. وكلنا يعلم اليوم العـامل البـناء الماهر لا يرضى بدينارين أو دينارين ونصف في اليوم الواحد ... اذن يجب ان نشجع أبناءنا وبناتنا والمجتمع الى "الخير" الى الطريق العملي الذي سلكته الامم الاخرى، وهو العناية بالصناعة والعمل.

طـبعا هذا الموضوع يجرنا لموضوع اخر الحكومة مسؤولة عن تهيئة الوسائل، وانا اعـترف ان الحكومـات فيما مضى بذلت الجهود، وما يزال هناك مجال واسع لمزيد من هذا، فلذلـك اتصـالاتنا مـع بعـض الـدول المختلفة احدى مساعينا التي نبذلها هو اقناعهم لايجاد مؤسسات تستوعب فريقا سواء كان للبحث أو للصناعة لتهيئة فنيين.

مشكلات الغلاء

فيصـل حسـون: ما دمنا نتحدث عن الوضع الاقتصادي، اعتقد من المناسب ان نشير الـى مشكلة غلاء الأسعار. اعتقد سيادتكم تدركون الاجراءات الاقتصادية التي اتخذتها الحكومة فـي الواقـع أدت الـى شيء من الانتعاش الاقتصادي، لكن هذا لم يؤثر في حياة الناس، على معيشة الناس، الغلاء ما يزال مرتفعا، وما يزال يؤلف في الواقع نقطة سوداء في حياة الناس.

واعتقد ان الأشياء التي عولجت فيها القضايا التي تتعلق بغلاء الأسعار، معالجتها لا تزال مبتورة، لان التعريفة الكمركية التي تضخمت بمرور السنوات، فرضت أسعارا معينة، وفرضت مستويات من الأسعار، في الواقع أصبح الشعب لا يطيقها، والذي ارجوه ان تتفضلوا بايضاح هذه النقطة وتثبيتها عند وضع الميزانية الجديدة، باعادة النظر في وضع التعريفة الكمركية، فيما يتعلق خاصة بالمواد الغذائية، وفيما يتعلق بالأدوات التي أصبحت في الواقع غير كمالية، مثلا السيارات، الثلاجات، مكيفات الهواء. بلد مثل العراق في جو مثل جو العراق، لا يمكن ان تعد الثلاجة من المسائل الكمالية، اعتقد ينبغي ان تكون في مقدمة الأشياء التي نوفرها للشعب بكلفة ليست عالية، وليست مرهقة.

السيد رئيس الوزراء:

يعني سلسلة من الأسئلة الخطيرة أيضا، والاجابة عنها ليست هينة، أنا أود ان أقول شيئا، مشكلة الغلاء في واقع الحال مشكلة عالمية، وانا لا أقول هذا تهربا من لزوم مكافحتنا لها في العراق، لكن اؤكد لكم ان الخطوط البيانية في الدنيا كلها تقريبا سائرة الى ارتفاع مستمر وصراع هائل، كل ما ازدادت الاجور، وزادت الدخول، ارتفعت الأسعار، واذكر على سبيل المثال، هناك بلد صناعي زراعي متقدم (فرنسا) وصل فيها الغلاء الى القمة، وكان من أهم متاعب الجنرال ديغول، خاصة في المرحلة الاولى من مجيئه الى الحكم، هو مكافحة الاستمرار الهائل في الغلاء، وطبعا بذلت الحكومة الفرنسية بعض الجهد، وحدث بعض الشيء من هذا. الناحية الثانية، يجب ان لا نقرن الغلاء مع التخلف الاقتصادي، وفي الغالب الغلاء هو مظهر من مظاهر كثيرة، التداول أو وفرة النقد المتداول، وقوة الفرد على الشراء، طبعا مرة اخرى أقول هذا لا يعنينا من تحقيق، أو تثبيت المسائل الضرورية جدا للمواطن العادي، لكن، أنا مع تقديري لوجهة نظرك، حتى نكون منصفين وواقعيين، لو أخذنا المواد الأساسية في حياة الانسان العادي، رغيف الخبز، والشاي والسكر والأشياء الاخرى لها وضع حسن. وسعر البيض ارتفع صحيح أول الشتاء لظروف خارجة عن نطاق الحكومة، بذلنا المستحيل للحفاظ على أسعاره، لان التعهدات التي كانت في الاستيراد من لبنان، ومع الأسف هناك عملت صفقات، واحتكارات أدت الى الارتفاع، واستيراده من الخارج يتطلب وقتا، ولم يكن في مقدورنا ان نفعل أكثر مما عملنا، ومع ذلك اتخذنا خطوة تمهيدية، وهو رفع رسم على البيض، واللحم،

وعملـــنا صـــفقات من الخارج، وأظن آثارها بدأت، تحسن الوضع في لبنان ذاته أيضا، ولذلك جرى بعض الهبوط النسبي في أسعار البيض.

المســائل التي أشرت اليها فيما يتعلق بالتعريفة الكمركية، أنا اتفق معك لحد ما. لأنه اذا ســرنا بهذا المنطق في واقع أعمال حياة الانسان العصري، أصبحت كلها، بمعنى من معاني الانســان العصــري، ضرورية، سيارة، تلفاز، راديو، كل حاجاته، ولكن نحن لا يجب ان نقيس حالــنا على مستوى اوربا، نقيس حالنا بمستوى غالبية الشعب، الفلاح، ومربي البقر، ومربي الجــاموس، والقــروي في المدن في السهل والجبل الى اخره، اظن اذا جئنا الى هذا المستوى نستطيع ان نقول، بالرغم من ان الكماليات نعمة من نعم الحياة، ولكن لا نستطيع ان نقول انها ضرورية بالحد الذي نقول، رغيف الخبز، وقطعة السكر، ودرهم الشاي، مثلا. على كل حال، أنا لا اشك، ومن حقكم ان تسالوا وزير المالية، ان من واجب الحكومة ان تتدارك الأمر، وان تضع الحلول المعقولة المنصفة، ولكن يجب ان اذكر الأخ السائل بان الحكومة أيضا مطالبة بنفقات لا حــد لهــا. التعلــيم مجاني، من أوله الى منتهاه، وقلة من الدول، وحتى الغنية، منها كانكلترا، وأمــريكا، فــيها تعليم مجاني من أوله الى اخره، صحيح في الدول الاشتراكية، ولكن أيضا مع العلــم عمــل لا قواعد معينة وانا اؤكد ان في هذه الناحية تفوقنا وربما غالينا في هذا. وطبعا ارجــو الا يفهــم الطــلاب والطالبات اني أدعو الى الغاء المجانية، لكن هذا هو الواقع، فنفقات الدولـــة كثــيرة. في الصحة أيضا مسؤوليات كبيرة جدا. النفقات الاجتماعية ليست قليلة، وهذه تتطلب موارد طبعا، علماء المالية يقولون الضريبة العادلة انما هي الضريبة المباشرة. ضريبة الدخــل، ضــريبة التركات هذه أيضا لما تفاقمت في السنوات الماضية أوجدت تأزما اقتصاديا، قــررنا تقلــيلها بالقوانين الأخيرة الى الحد المعقول. لابد للدولة اذن ان تفتش عن موارد، مع الأســف ابســط الطرق وأكثرها تقليدية هو الكمارك، وبالتأكيد أنا ادرك ان هناك بعض الأشياء يجــب ان يعــاد النظر فيها، ولكن الى أي مدى؟ لا أستطيع ان أقول الان، ولكن يجب ان يتهيأ عقــل المواطنين الى ان هذه الضريبة التي تدفع، يستوفيها بطريقة أو باخرى، يستوفيها بابنه الــذي يذهب الى المدرسة ويعطى الكتاب مجانا، ويستوفيها بالمستشفى الذي يذهب اليه ويعالج أبــيه مجانــا، يســتوفيها بطــرائق شتى، ولا بد من ايجاد توازن بين موارد الدولة ونفقاتها، فالمواطنون عامة في العراق وفي بعض بلادنا الاخرى العربية يتطلبون، ولكن ينسون أحيانا – لا أقــول كلهــم ولكــن غالبيتهم – الواجب والكلفة. فهذا الوضع، طبعا لو اتيح للدولة ان تجد

موارد اخرى أساسية غير النفط مع الأسف قسم كبير منه أيضا يستنزف الان لتمشية الميزانية الاعتـيادية، وانـا سبق ان قلت في المؤتمر الصحفي، ان الوضع غير سليم لان القصد في هذا يجـب ان يكـون للتعمير، ولأنها ثروة جاءتنا من أجيال، من قرون، مئات القرون، وربما الله وحـده عليم متى تكونت في طبقات الأرض، وعلماء الجيولوجيا مختلفون، ولكنه كلهم متفقون انهـا ملاييـن السنين حتى تكونت هذه الثروة، وكلهم متفقون على انها ستنضب يوما ما، بعد خمسـين أو سبعين أو مائة سنة ولكنها ستنضب، فاذن ليس من حق جيلنا، والجيل الذي يليه، أو الـذي قبلـنا، ان يستمتع هو دون سواه بخيرات النفط، يجب ان يكون للانشاء والى مسائل بعـيدة الأمد، الصناعات، والى السدود، والى القنوات، والى تنظيم الري، والى المبازل، والى المشـاريع التـي تدر الخير، هذه اذا تحققت عندئذ نستطيع ان نحصل على ضريبة اخرى، لان النفقات محددة أيضا، طبعا واجبة ان لا يسرف نخفف عن كاهل المواطن العادي، ولكن الى ان تـتحقق يضطر كل وزير مالية ان يأتي بميزانية متوازنة، وحين يخفف ضريبة الدخل يجب ان يقتصـد في النفقات، وربما ليس من حقي، ولا باستطاعتي ان اعلن ما هو في النية عمله في الميزانـية، ولكن بطبيعة الحال كما قلت في المؤتمر الصحفي أيضا، سنسعى ان نأتي بميزانية متوازنة، لن نخدع الشعب في الأرقام ويأتي العجز ويتدور من سنة الى اخرى. بقدر ما نستطيع أيضا، ربما سيبقى مقدار من العجز ولكن سنضطر الى اتخاذ اجراءات لن تحقق لنا شعبية ربما ولكن تحقق مصلحة البلد، وتحقق لنا واجب الصدق المطلوب من كل حاكم يحترم نفسه ويحترم الشعب.

العلاقات الايرانية العراقية

فيصل حسون: اعتقد سيادة الرئيس بوصفكم وزيرا للخارجية، من المناسب ان نتحدث عـن المسـائل الملحـة فـي الموقف الخارجي في الوقت الحاضر، واعتقد ان مسالة العلاقات الايرانية – العراقية دخلت طورا جديدا، ومن المناسب ان يطلع على اخر تطورات الموقف بيننا وبين ايران.

السيد رئيس الوزراء:

طبيعي من حق الشعب هذا، واظن انني أشرت الى هذا التحسن، وقد تحسن فعلا، وبقى ان نرى اثاره ومدى امتداده. نحن منذ البداية الى النهائية كنا، ولم نزل، حريصين على الحفاظ على الروابط المتينة التي تربطنا بايران وليس الجوار، وليس الجغرافية، وليس التاريخ.... انما المعتقد، وربما المصير في المنطقة ذاتها، ولذلك اتبعنا السياسة التي لم تقطع خيطا من خيوط الود، وانا سعيد ان أقول ان جارتنا ايران استجابت الى الطلبات الثلاث التي تقدمنا بها وقبلتها مبدئيا. ونحن الان في سبيل ان نعد الوسائل لتمتين هذه العلاقة، وبهذه المناسبة ارجو ان اوضح نقطة معينة، خاصة واحدى الصحف اشارت بكلمة بما يوحي وكأننا وافقنا الان على تخطيط للحدود أو المنازعات على حدود العراق. هذه ليست الحقيقة، التوجيهات التي صدرت الى سفيرنا دقيقة وهي التحقيق في الحوادث التي حدثت خلال الأسابيع الأخيرة بيننا وبين الجارة ايران. لنا ادعاءات عليهم، ولهم ادعاءات علينا، هذه الادعاءات سببت شيئا من التازم، قلنا لهم نحن نقول ان بعض العراقيين اختطفتهم بعض قوى الدرك الايراني، نحن من جانبنا مستعدون ان نتحرى وان تكون اللجان، واذا ثبت التقصير من جانب بعض موظفينا سنعترف بالخطأ وسنعوض، والمرجو بناء على الاتفاق ان الجارة ايران بدورها تفعل ذلك أيضا، فهذا هو الواقع ...

حملات الصحف الايرانية

فيصل حسون: لي في الواقع ملاحظة، أنا يؤسفني ان أقول ان الصحف الايرانية لحد يوم أمس ما التزمت بالاتفاق الذي حصل بالرغم من التزام الصحف العراقية فلاحظت في احدى النشرات ما اذيع نقف عند جريدة – اطلاعات – الايرانية التي كانت تنشر تهاويل واشاعات وكلام في الواقع نقدر نسميه تخرصات عن الموقف في شمال العراق، واعتقد ان هذا ليس من المناسب ان يستمر فيه.



السيد رئيس الوزراء: طبيعي أنا حينما سئلت عن هذا قبل مدة قلت انه حتى لو لم تلتزم ايران بهذا، يجب ان تلتزم به. وانا في رأيي انه يجب ان لا نزيد الوضع سوءً، والمرجو ان تنصاع الصحف الايرانية، اني طبعا افترض هي كوضعنا أيضا لا تملك الا الرجاء والتوجيه الى ما أقول، وانا شاكر لما استجابت له صحافتنا في العراق. ومع ذلك المشكلة الأساسية

ستبقى في تقديري، علاوة على مشاكل عريقة، هي موقف جارتنا ايران من التمرد الموجود في جـزء من أجزاء الوطن فاذا بقيت الصحافة، أو فريق من الشعب يعطف، أو يشجع، أو يساعد، بطـريقة أو باخرى، سيكون ذلك سببا للتأزم، ومهمتنا ان نقنع ايران ان هذا ليس هو الطريق الامـثل. كمـا ان مهمتـنا، ومـرة اخرى أقول وقلتها مرارا وتكرارا، مهمتنا ان نقنع اخواننا المتمرديـن، وأقـول اخوانـنا لأنهم ابناء وطننا - لان المجرم في وطنك هو أخوك بالرغم من اجـرامه - ان يـرعوا وان يرجعوا عن غيهم، لان اسباب التمرد ان كانوا مخلصين في قولهم انهم لا يريدون الانفصال ولا يريدون الا الاحتفاظ على وجودهم، نحن مستعدون، وقد أعلنا هذا عشـرات المـرات ان نعترف بالوجود الكردي، وان نعترف بالذاتية الكردية كقومية متميزة لها لغـتها، وتـراثها، وأمجادهـا، ومن حقها الحفاظ عليه، ولكن هي جزء من وطن واحد وتربة واحـدة. وفـيما يتعلق بتنمية الذاتية الكردية ولا أقول الحكم الذاتي، ارجو ان يكون واضحا ان يتحقق هذا في قانون الادارة المحلية الذي نوشك ان نشرعه، ويمكنهم من صلاحيات واسعة في الصـحة، وفي التعليم، وفي الشؤون المحلية الصرفة، والخدمات الاجتماعية، وبكل ما لا يمس مـبدأ سيادة الدولة كالدفاع، والأمن، والخارجية، والقضاء، وما الى ذلك، كل ذلك فيما عدا هذا اقصـد نستطيع ان نتوسع به، وان نمكن لا في الشمال، وانما في كل أنحاء العراق، لان الحكم المركـزي نظـام عتيق والنظام الامثل (ونحن نريد حياة ديمقراطية، وحياة نيابية) هو تشجيع الادارات المحلـية، نـبدأ من القرية وننتهي باللواء، ان يساهم المواطنون في ادارة شؤونهم، وتـتكون المجـالس، وتناقش الأشياء، ويبحثوا الامور على أساس ان هذه المنطقة منطقتهم، يعـنون بمصالحها، ويحدث شيء من التنافس بين الألوية حتى كل لواء ينجز أشياء خاصة به ويتقدم عدا ما يجب ان ينجز للجميع من قبل الحكومة المركزية اذا صح القول في بغداد.

الحلف الاسلامي

الحـاج نعمان العاني: أتسمح لنا بسؤال قبل ان تنتهي الندوة ما دمنا في صدد الكلام عـن السياسـة الخارجية. برز في الافق في الأيام الأخيرة موضوع الحلف الاسلامي، وتحدثت عـنه وأفاضـت الصحف العالمية والاذاعات، وخصوصا بعد الزيارة التي قام بها الملك فيصل عـاهل المملكـة العربـية السـعودية الى ايران، واجتماعه بالشاه هناك، ثم زيارته للكويت ثم

الــزيارة التـــي تفضـــلتم وقمـــتم بها شخصيا الى المملكة العربية السعودية. فهل للسيد رئيس الوزراء ان يحدثنا شيئا عن مضمون هذا الحلف أو ما يقال عنه؟

السيد رئيس الوزراء:

أفضـــل مـــا يقـــال عنه، على الأخص بقدر ما يمسنا الأمر، أنا اؤكد جازما انه لم يدر بخلدي يوما قط ان ندخل أي حلف في أية صيغة اللهم الا ان يكون حلفا عربيا، أو حلفا عربيا، أو حلفا تقتضيه القومية العربية على نطاق وجودنا العربي. هذه سياستنا التي التزمنا وسنبقى ملتزمين بها أبدا. أما زيارة الملك فيصل الى ايران فحسب ما علمت وحدثني بها انها للمجاملة بناء على سلسلة من الدعوات، وانا شخصيا أرى من المصلحة، مصلحة العرب والمسلمين، ان يـــتزاوروا ويتـــبادلوا الـــرأي، وعلمـــت ان في نية عاهل المملكة العربية السعودية ان يزور باكســـتان، ويـــزور افغانســـتان، ويزور بلادا اخرى، وان ذلك لا يعني أي تحالف، وانما توكيد للـــروابط القائمـــة بين الدول الاسلامية. وهناك روابط لا شك فيها وتقويتها شيء معقول على أســـاس مـــن تبادل الزيارات. أما الاحلاف بمعناها الذي نعرفه فأظن ان السعودية هي الاخرى قالـــت انهـــا تؤمـــن بسياسة الحياد الايجابي وانا سمعت مرارا وتكرارا الملك فيصل حينما كان رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية (وما يزال أيضا) يقول ان العددية تلتزم بالحياد الايجابي، ومن دواعـــي مـــبدأ الحـــياد الايجابـــي ان لا تلتزم دولة بأحلاف خارج الاتفاقات التي هي في نطاق منطقتـــنا التـــي يقتضيها وجودها. فانا في تقديري ليس هناك حلف اسلامي. ومع ذلك كل دولة حـــرة وشـــأنها. الذي يعنيني اننا في العراق لا نؤمن بنظرية الحلف الاسلامي ونؤمن بالاخوة الاســـلامية نؤمـــن بالتضـــامن الاجتماعي كمجتمع. نؤمن بحسن الجوار، نؤمن بان بيننا وبين ايـــران وبينـــنا وبين تركيا بصورة خاصة، وبين دول اسلامية كباكستان وافغانستان وغيرها، روابـــط وثـــيقة يجب ان ننميها على أساس اتفاقات تجارية ومعاهدات حسن جوار، ومعاهدات ثقافـــية وتـــبادل زيـــارات أو نوع اخر، لكن الاحلاف بمعناها المعروف في القانون الدولي فلا. والاحـــلاف يجـــب ان تكون عسكرية وارتباطات والتزامات هذا ما ليس في تخطيطنا وليس في نيتـــنا. وانـــا مسرور انك سالت هذا السؤال لأنه يؤسفني ان أقول، ماذا أقول؟ لا اريد ان أكون قاسيا على احد فأقول ان الغفلة والبساطة بلغت حدها بحيث ان احد أساتذة الجامعة وهو يتحدث الى طلابه عد هذه حقيقة وألقى على طلابه ما يشعر ان الحكومة العراقية قائمة بحلف اسلامي،

وبــدا ينــتقد هــذا الحلف الاسلامي. فكأنها حقيقة نهائية وبدا بتنفيذها. فهذا غير وارد ونحن نقولهــا بملــئ فيــنا، لا نؤمن بالحلف الاسلامي، نؤمن بالتضامن الاسلامي، ونؤمن بالتضامن الانساني. ربما بعد ذلك نؤمن بالتعاون مع كل الدول فمن باب اولى ان نرتبط بالدول الاسلامية بــروابط شــتى انما هذه الروابط عن غير طريق الاحلاف. بل أكثر من ذلك بالأمس على وجه التأكــيد زارنــي صحفي تركي وقال لي ما رأيك في معاهدة ثقافية تعاونية فنية الان بين ايران وتركــيا وباكستان، رأيكم في دخول العراق اليها وهي ليست حلفا؟ قلت بالرغم من انها ليست حلفــا ولكنها تذكر الناس ببقية من بقايا حلف بغداد، وحلف بغداد مقيت بالنسبة للشعب، ولذلك نحــن نؤثــر - اذا كــان لا بد، أو من مصلحتنا، ان ندخل باتفاقات مع أي دولة، ندخل مع تلك الدولــة مباشــرة. فلنا مصالح مع تركيا نحن على استعداد ان نبحث هذه المصالح وان نعقد ما نشــاء مــن اتفاقيات وبروتوكولات ومعاهدات ضمن مصلحتنا المشتركة. ولنا مع ايران، ولنا بالتأكيد مع باكستان، وهكذا. أما أحلاف حتى تكتلات لمجتمعات أو شؤون غير عسكرية في هذه المــرحلة فــي اقل تقدير لا أرى من مصلحتنا، بالنظر الى حساسية شعبنا، ومن حق شعبنا ان يكون حساسا من هذه الناحية.

العلاقات العراقية السورية

الحاج نعمان العاني: وماذا عن العلاقات بيننا وبين سوريا؟ المعروف ان العلاقات كما لا يخفــى علــى سيادة الرئيس انها تميزت في الاشهر الأخيرة بجفوة وبشيء من القطيعة لكن الــذي لاحظناه انه بعد تأليف وزارة البيطار الأخيرة صدرت تصريحات من سكرتير عام الحزب الدكتور الرزاز ومن البيطار نفسه ومن وزير الاعلام من شأنها ان توحي بانتهاج سياسة جديدة تقــرر أو تقضي على القطيعة التي قامت بين الجمهورية العربية المتحدة وبين سوريا. وكذلك لمسنا من هذه التصريحات شيئا أيضا من ناحية العراق فماذا عن هذا الموضوع؟

السيد رئيس الوزراء:

أود ان اؤكــد للســائل المحترم، ولأبناء الشعب عامة، بأننا من جانبنا كنا دائما وأبدا، مــنذ تولينا المسؤولية في العراق، راغبين في اقامة أفضل العلاقات بيننا وبين شقيقتنا سورية ونحــن نعــتقد ان رباطــنا بالشــعب السوري، كرباطنا بأي شعب عربي، رباط الوجود الذي لا

انفصام له، وان مصيرهم ومصيرنا – سواء أرضى بهذا القول بعض الناس أم لم يرضوا – هو مصير واحد. وكذلك حتمية التاريخ. ومن يجادل في هذا كمن يجادل في بديهيات. وقبل ان تقوم وزارة الاستاذ البيطار، وهو صديقي شخصيا، أقول حتى قبل هذه الوزارة حينما كنت في المغرب سألني صحفي: ما قولكم كوزير خارجية ونائب رئيس وزراء في زيارة دمشق؟ قلت ارحب بهذه الزيارة لو دعيت اليها. وانا أقول اننا متفتحون دائما، نريد ان نلتقي مع الأشقاء عامة، ومع سورية التي تربطنا بها أوثق الروابط. وانما بقي لاخواننا في سورية ان يتداركوا أمرهم، وان يروا ظروفهم. نحن لا نريد ان نحرج الحكومة بأي أمر، نحن نعلم الصعوبات التي تقاسيها، ونحن نعلم ان المرحلة دقيقة تلك التي تمر بها سورية وليس في هذا تهويل لان ما قاله بعض الرجال السوريين المسؤولين اليوم في هذا المعنى. وكلكم تعلمون ماذا اعني. فالأمر اذن منوط بسورية. نحن من جانبنا على استعداد تام فيما يتعلق بالتمثيل، حتى قبل هذه الحكومة حينما طلبت الينا الحكومة الماضية انها تريد ان ترفع التمثيل الى سفارة، بلا تردد قلنا نحن موافقون على هذا، غدا اذا جاءتني برقية انهم يؤكدون على هذا ويسمون سفيرا سنقبله بالتأكيد. وسنرسل سفيرا. واذا طلبوا ان نلتقي سنلتقي، وبالرغم من محاولتهم أحيانا – ولاعتبارات حساسة يستطيع المرء ان يدركها وعللها نفسيا – ان يستثنوا العراق من بعض تعبيراتهم، مع ذلك نحن ندرك اسباب هذا ومستعدون ان نتغافل عنه، ونتسامح فيه، لان بين الأشقاء، كما قلت، رباط أوثق من أي رباط. وسورية من دون شك والحاكمين في سورية أيضا يجب ان يقدروا هذا. تذكرون عندما جد الجد كان موقفهم كريما ونبيلا في أثناء التازم مع ايران، وهذا دليل قاطع على ان الخلافات عارضة ولا قيمة لها في جوهر الوجود.

الانتخابات والبرلمان

فيصل حسون: اذا سمحتم لي بسؤال مهم. موضوع الانتخابات وانبثاق البرلمان الذي سبق ان حدد الدستور المؤقت موعده واعتقد هو في هذا العام، والذي اطلبه الان بعد ان كثر الحديث عن هذا الموضوع ان تحدد المدة الزمنية التي من المتوقع ان تجري فيها الانتخابات ويبدأ البرلمان أعماله.

السيد رئيس الوزراء:

فـي المـنهاج الوزاري ذكرنا هذا، وان كانت العبارة بعض الشيء غامضة. ولكن في تقديـري، وأرجو الله تعالى ان يمكننا من السير قدما فيما ننوي القيام به، ان في النصف الأول مـن هـذا العـام ستتم الانتخابات حتما، أي في خلال الشهور الأربعة أو الخمسة القادمة كحد أعلى، وحتما سيكون لنا برلمان وحياة برلمانية رتيبة قبل انتهاء هذا العام. التزاما بهذا، لا كما تتصـور أو تدعـي بعض الصحف الأجنبية، وبعض الاذاعات، ان هذا لتخدير الشعب ولإلهائه، لأنني اعـتقد ان هذا هو الطريق الأسلم وهذه نقطة ذكرت في المنهاج الوزراي، في الوزارة السـابقة حيـن كنت وزير خارجية فثبتنا على انفسنا هذا، والسيد رئيس الجمهورية جعل هذا احـدى نقـاط التكلـيف السبع التي تذكرونها. فنحن اذن ملتزمون بهذا، وأستطيع ان أقول ان اللجـنة الوزاريـة خطت خطوات واسعة في هذا الصدد. واريد ان اعترف ان قسما من التأخير مـرجعه أنـا، ربمـا لأنـه بعـض الشيء، كل المسائل احاول ان ادرسها من وجوهها كافة. وبالمناسـبة اعجبني كاريكاتير قبل أيام في جريدة صوت العرب ابن الشعب يسأل والقدر يغلي يقـول له ابـن الشعب لا تصدق ان الطبخة تنفتح قبل ما تستوي. صحيح اؤمن ان الطعام غير الناضـج يجب ان ينضج. فكل مسالة تستوفي وقتها ولكن بقدر، أنا لا اريد بهذا مجرد المماطلة أو الالهـاء، انمـا اقصـد ان الأمر وربما في شيء من ردود الفعل مع سياسة الارتجال التي تعـرفونها مـع سياسة تسمية العنف والقرارات غير المدروسة والانفعالية هذه صورية وهذه تقدمـية وهذا ... الشعب وانا من الشعب وارجو ان اعكس حس الشعب كل يؤثر من ان البطء مع التأكيد والاتزان خير من الهوس والتعجل دون دراسة. والشاعر العربي يقول:

قد يبلغ المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

عبد الوهاب الأمين: موضوعنا مشكلتنا وهي صحفية وفكرية ما هي نية الحكومة في معالجة مشاكلنا المتعددة أو مطالبنا الصغيرة؟

فيصـل حسـون: فـي الواقـع عدا المذكرة التي تقدما لكم بها، الموضوع اعتقد من المناسـب ان يذكر لكم ان الصحافة مرت بمراحل، في الواقع كانت دائما هي الهدف الثاني في كـل عهـد عـندما تحدث الحوادث البيان الأول يسقط نظام الحكم والبيان الثاني يعزل الصحف فكانت الصحافة دائما عرضة للاضطهاد وعرضة للايذاء والصحفيون كانوا دائما هم الهدف من هـذه الأحداث. فالمؤسف ان الصحافة اضافة الى هذا كانت دائما معرضة للتعطيل. بعد صدور

قانون المطبوعات عام ١٩٥٤ ولحد الان احتوى على نصوص وأحكام كانت دائما تبيح للسلطة ان تلغـــي امتياز الصحيفة، وهذا الأمر جعل الصحف تتهيب وتتخوف من خوض الامور وبحثها بشـــكل موضوعي وممارسة النقد والنقد البناء الذي في الواقع لا تستغني السلطة عنه. واعتقد انـــتم نفسكم سميتمونا السلطة الرابعة، وهذه تسميتنا التي نعتز بها، فالذي نريده في الواقع هو ان تـــترجم اشـــاراتكم الـــى حرية الصحافة الى عمل وتشريع قانون مطبوعات يحمي الصحافة ويسمح لها ان تمارس واجباتها.

فـــي واقـــع الحـــال أنا اقدر ان للصحافة رسالة، وان من الواجب ان توضع القوانين لحمايتها، ولكني أود ان اؤكد هذه الحقيقة: ان الذي يحميها شعور المسؤولين بأهمية الصحافة. وأنت تعلم ان القانون الحالي يعطينا سلطات لا باس بها، أو ربما كثيرة، وأنت تعلم ان الصحافة تجـــاوزت فـــي بعض الحالات الحد المعتاد بالنقد. وأنت تعلم اننا آخذناها بحلم الحليم، وبالاناة وبالصـــبر. وانا رئيس وزراء ووزير خارجية شتمت، شتمت، وعرض بي أكثر من مرة، وفي أكـــثر مـــن صحيفة، ومع ذلك ما عملنا شيئا للصحافة. سأعمل على وضع القانون في نصابه، ولكن اؤكد لك ان خيرا من القانون هو ان تبقى الحكومة بالحلم الذي يجب ان تتسم به، وبفكرة العدل وبتقدير المسؤولية، وبروح السماحة. واظن أنت تعلم ان هذا قائم، وان جرائد اليوم تكتب تلميحا وتصريحا أحيانا، وتخرج عن الحدود، ومع ذلك أكثر من جذب انتباه، أو التقاء اخوي ما جـــرى. ولذلـــك أنـــا اقـــدر موقفك كنقيب صحفيين تدافع عن الصحافة واعدك بأننا سنفعل ما نســـتطيع، ولكـــن اكـــرر ان الأهـــم من كل قانون هو الادراك السليم لمهمة الصحافة، وتعاون الصحافة مع المسؤولين، وشعور المسؤولين بأهمية الصحافة ورسالتها وشكرا ...

*فـــي مجلس الوزراء البارحة، اعلن بان المتآمرين سيقدمون الى المحاكمة، فهل يا ترى، سيقدمون الى محاكم خاصة، أم الى محاكم امن الدولة؟

-في واقع الحال الان يجري معهم التحقيق فعلا، والمحكمة التي ستنظر في أمرهم لم يبت فيها نهائيا، فقد تكون محكمة امن الدولة، وقد تكون محكمة خاصة.

*كـــيف تفسر الحكومة العراقية، أول نبا خرج من طهران بان زعماء الانقلاب دخلوا من سوريا الى العراق. نقلا على اذاعة اسرائيل؟

-نحـــن نعلم ان اذاعة اسرائيل، وبعض الاذاعات الاخرى، تريد ان تشيع الفاحشة بين الذيـــن امنوا، ونحن لا نعبا بما تذيع اسرائيل، وما تذيع بعض الاذاعات الأجنبية. نحن نقول ان

هـذا حدث داخلي قام به أفاقون مغرضون، عاملون لأغراض شخصية. ونحن لا نتهم أحدا من خـارج العـراق، عربـيا كـان ام أجنبـيا، انـه عمل صبياني يحبون المغامرات الصبيانية – وسامحوني بتكرار لفظ "صبينة" –.

*هل ثبت في التحقيق ان هنالك ضلع لأي دولة خارجية في هذه المؤامرة؟

-جوابي واضح مما أجبت السيد مراسل الأهرام، والصحفي الأجنبي.

أولا: التحقـيق لم ينته، وانطباعي الشخصي، وما عندي من معلومات، تؤكد ان الأمر عراقي، من عراقيين أفاقين.

*هل اثرت هذه الفتنة في الوضع الاقتصادي للعراق؟

-اظـن لمدة قصيرة. ويقيني ان الشعب العراقي قد هزئ بها، وهو مطمئن الى سلامة الوضع. والمرجو بعد العطلة ان تعود الأوضاع الاقتصادية الى نشاطها الذي بدا فعلا، كما أكدت المصـادر المخـتلفة بعد البيان عن سياستنا في شمال الوطن، وبعد ان تحققت وحدته، وعادت الاخوة العربية الكردية حقيقة واقعة.

*سـيادة الرئـيس المتآمرون روعوا عشرات الملايين من العراق والأقطار العربية، فالشعب يرجو ان تجري محاكمتهم بوساطة الاذاعة والتلفاز، ليكونوا عبرة للآخرين لئلا تتكرر هذه الماسي؟

-علـى كل حال هذه فكرة لا ادري اذا كان يحسن عملها أو لا يحسن. أنا اترك الأمر الـى تقديـر القضـاة انفسهم. وبصراحة هل التلفاز يؤثر أو لا يؤثر؟ لا ادري. المهم في هذا، أخشى ان تذكر الناس، ولو شكليا، بعهد المهداوي والطريقة الغوغائية، والتي نحن طبعا، نجل انفسنا عنها. وبطبيعة الحال أنت لا تدعو لشيء من هذا القبيل، لكن شيئا من العلانية، في اثناء افتـتاح المحكمـة قد يجرى كما يجرى في الجمهورية العربية المتحدة لبعض المتهمين هناك. ربمـا يكون السؤال هل ترى من المصلحة ان تكون كلها علنية أو لا؟ أنا أرجو ان تعذرني من تكويـن رأي قـاطع، لان المسـالة تحـتمل وجهات نظر مختلفة، ويجب ان تدرس من جميع وجوهها.

*رأيكم أصلح ...

الدوافـع التي ذكرتها أنت لقيامهم بالانقلاب، كانت دوافع ذاتية أو أنانية كما صورتها، فهل تعتقدون "اكو" دوافع اخرى. والاختصار بهذا الشيء هو الذي كان؟

-وكـل يدعـي وصلا بليلى ... هم يتكلمون عن العروبة، وعن الابتعاد عن الاحلاف. ولكـن أيـن هـو البرهان على ما يقولون. هذا هو البيان، وانهم يريدون ان يحطموا أصحاب الاقـنعة والادعـياء الخ ... لم يذكر مثلا واحدا ....، أي حلف عقدناه؟ أي مبدأ خرجنا به عن العروبة؟ أي عمل تنصلنا به عن الاشتراكية؟ هل تغيير مثلا شخص محل شخص، أو شكل بدل شـكل، خـروج عن الاشتراكية؟ أي شيء عملناه؟ هم قالوا عن الاصلاح الزراعي أيضا ثبتوا انفسـهم يعدلونـه بالطـريقة العملية، ونحن أيضا ندرسه لجعله مجديا، للحفاظ على المكاسب الحقيقـية للفلاحيـن دون الاخـلال بالانتاج، ومصلحة الشعب. لم يتقدموا لا في المنشور الذي طـبعوه، ولا بالبـيان الـذي أذاعـوه، أي شيء جديد غير عبارات انشائية، وبعض العبارات المضحكة كالالتزام بباندونغ، والحياد الايجابي. أصبحت هذه "كلائش" على كل لسان، وأصبحت لا تعنـي شيئا. كل ما في الأمر انهم يريدون ان يقضوا على هؤلاء الذين انحرفوا بثورة الرابع عشر من تموز؟ ما هو وجه الانحراف؟ وهل حقا – لنكن واضحين وصريحين – كان كل الذين اشـتركوا بثورة الرابع عشر من تموز قوميون وحدويون؟ (عبد الكريم قاسم ووصفي وآخرون كـانوا أفاقين واشد اجراما وسوءً من هؤلاء). نحن نعني بالروح التي جاءت بها الثورة والتي كـان يـريدها الشعب، في التحرر، والابتعاد عن الاحلاف، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والعمل الدائـب المخلـص من اجل خير الامة العربية، ووحدة الشعب العراقي. ونحن نعتقد اننا، ومن قبلنا غيرنا، (ولا تبخس الناس أشياءهم) سائرون على هذا، ونعلن هذا، ونلتزم بهذا. فأين هو الانحـراف؟ ثـم هـل ترى العدالة الاجتماعية تتحقق بان نقول كوني عدالة اجتماعية، فتكون؟ والوحـدة تـتحقق اذا قلـنا كونـي يـا وحدة، فتكون؟ الأمر، أمر جهالة وعدم ادراك لطبيعة المشـكلات، وطبيعة المجتمع. الأمر يحتاج الى عمل دائب مستمر، وتحضير وتهيئة، واخلاص وتفانـي، وصـبر. المسالة ليست هينة، ولكنهم جهال بأقل ما يمكن ان يوصفوا به، لا يعرفون طبيعة الزمن، ولا طبيعة المشكلات التي نعاني منها.

*سـيدي، هـل أحاطـت سلطات الجمهورية العربية المتحدة علما السلطات العراقية بخروج هؤلاء من أراضيها، لكونهم لاجئين سياسيين، وعليهم رقابة كانت؟

– لـيس علـيهم رقابة، وهربوا فيما يبدو لي، واستفسرت من أكثر من واحد منهم، وعلمـت ان بعضـهم خـرج بجـوازات سفر مزورة. وانا اؤكد للاخوان انه حتى الذين كانت الجمهورية تراقبهم بشدة كبعض البعثيين، استطاعوا ان يهربوا بالرغم من كل رقابة، فيجب ان

لا نتصور هؤلاء كانوا في "باستبل" في الجمهورية العربية المتحدة، أو ان لا هم للجمهورية العربية المتحدة الا مراقبتهم. فانا ارجو ان لا نستمع الى بعض همسات من يريد التشكيك، أو يريد خلافات بين العراق وبين اشقائه، وانا اعتقد، كما قلت قبل قليل، ان المسالة عراقية، وعراقية صرفة، ومن اناس أنانيين ...

*بمناسبة سفركم الى تركيا غدا، هل هناك موضوعات معينة اقتصادية أو سياسية أو سياحية سيجرى بحثها هناك؟

-نعم، نحن طبعا يعنينا بالدرجة الاولى تنظيم مياه سد الفرات، ونريد ان نتحدث مع الأتراك حوله، هم أقاموا، أو يقيموا سدا، وسورية تريد ان تقيم سدا، ونحن لنا حقوق مكتسبة في نهر الفرات، نريد ان نحافظ عليها وسنقيم سدا، ولنا اتفاقية اقتصادية مع تركيا ربما نريد ان تتوسع في مداها، ولنا اتفاقية سياحية، نريد ان نحولها الى سياحية اعلامية. وهناك طريق سيوصل العراق بتركيا عن طريق ديار بكر. وهناك مسافة قليلة غير مبلطة، اتفق أخيرا على تبليطها، واقامة جسر مشترك على نهر مشترك، لتنشط السياحة بين القطرين المتجاورين، وعلاوة على ذلك نحن نريد ان نزيد في شعور الود والصداقة القائمة والتي – مرة اخرى أقولها – ليست قائمة بين العراق وتركيا فقط، وانما – وهذا يسرني جدا – قائمة بين تركيا والجمهورية العربية المتحدة، لانها بدأت بعلاقات طيبة، وتبادل وفود اقتصادية وثقافية، وبدأت تركيا تدرك ان صداقة العرب شيء لها، وانها راغبة في هذه الصداقة، ويجب ان نستغلها وان نعمل لخير الأتراك والعرب جميعا.

*السيد رئيس الوزراء، نعود الى واقع العراق الاقتصادي، هناك تقارير في هيئة التغذية والزراعة للامم المتحدة، ان واقع العراق الاقتصادي، لا يماثله الا الولايات المتحدة الامريكية. معنى ذلك ان فيه ظاهرتين هما الثروة النفطية والمياه، ومع ذلك علمت ان هناك عجزا في الدخل القومي بلغ خمسين مليون دينارا، فما سبب ذلك؟ هل هناك خطا في التقرير، ام هناك خطا في التخطيط، أو هل هناك خطا في السياسة الاقتصادية؟؟

-نعم هناك كل ذلك. لا شك ان العراق بلد غني في احتمالاته، فهو كما تفضلت غني بنفطه، واضيف لك غني بكبريته، وغني ببعض معادنه الاخرى التي ارجو ان نوفق في استغلالها،فضلا عن غناه بمياهه الكثيرة، وأرضه الخصبة التي هي أربعة أضعاف الأرض الخصبة في الجمهورية العربية المتحدة. وكان لو اتيح للعراق استقرارا وسياسة حكيمة، كان

يجب ان يعود كما كان من قبل حقل المنطقة للقمح كما كانوا يسمونه، وكذلك المنتوجات الزراعية الاخرى، ولكن المزروع من العراق هو جزء يسير من الذي هو صالح للزراعة. سبب ذلك ان السدود التي بنيت لم تكتمل وان الانقلابات المتوالية تعرقل الاستمرار في الاصلاح، وبصراحة ان الأوضاع غير الطبيعية التي كانت في الشمال كانت تحول دون تكملة تلك المشاريع، ولأسباب كثيرة، منها ان الأموال كان يجب ان تنفق للقوات المسلحة لا لاكمال السدود، كنا مضطرين ان ننفقها في القمع، وفي اعادة الوضع عن طريق القوة، وهذه احدى الأسباب التي دفعتنا الى ان نسلك سبيل الحكمة، وهو السبيل الأفضل بالحوار، وحل المشكلات على أساس من الواقع المعقول، حتى ان الملايين التي تصرف، لا تصرف في سبيل زيادة في التسليح، وانما زيادة في الاعمار والبناء والانشاء، أما ما أشرت اليه من العجز، فهو عجز في الميزانية، ميزانية العراق فيها عجز خمسين مليون فعلا في السنة الماضية لان الذين خططوا للميزانية السابقة بعضهم، في اقل تقدير، كالاخوان أقولها، لأنه أخوك وان جنى، كالذين أرادوا ان يجرموا أو حاولوا بالعمل الطائش فعلتهم، يقتاتون بالشعارات، ولا يدركون حقائق الأشياء، يعنيهم الشعار، يعنيهم ان يقال انهم اشتراكيون فيشرعوا قوانين تعرقل النمو الاقتصادي. فما جرى كان فيه بعض التسرع، وعرقلة التطور والنمو. ونسوا ان الاشتراكية تعني زيادة انتاج وعدالة توزيع. وانا اذكر كلمة للرئيس جمال عبد الناصر يقول: انك ان لم تزد الانتاج وزعت الفقر. كثير ممن يتنادون بالاشتراكية في العراق يتصورون ان الأمر يحل اذا استولت الحكومة على هذا المعمل، ونقصت من مساحات الأرض التي تعطى للمزارع، دون ادراك لطبيعة الأرض، وطبيعة الفلاح، طبيعة الوضع الاجتماعي، ومقدار سعة الأرض الى مقدار الفلاحين، وطبيعة الجو. المهم "الشعار"، مكاسب فلاحين، ولكن الفلاح يموت جوعا، مكاسب الطبقة الكادحة، والطبقة الكادحة تموت جوعا، ما دام هو يعطي الحقوق على الورق، ويستثير الناس، ويمهد لفكرة حرب طبقية بان يستثير فريقا على فريق، فهو اشتراكي. حينما نتنادى بالتضامن الاجتماعي، ووحدة الصف، وعدم استثارة الطبقات – لان ذلك من مقتضيات القومية العربية والاشتراكية العربية – نحن اذن يمينيون، ونحن اذن رجعيون، ونحن منحرفون عن ثورة الرابع عشر من تموز!!

هذا هو المشكل الأساسي صراع بين عقليتين، عقلية تتصور الثورية بارباك الأوضاع، وبالشعارات، وبارهاق الناس فوق طاقاتها، وتكليف الامور خلاف طبيعتها، وعقلية اخرى تؤمن

بـــالواقع، وتـــدرك المعقـــول وتريد ان تسير بالبلاد السير الطبيعي المعقول، للغاية نفسها، أي تحقيق العدالة الاجتماعية، والاستقرار، والأمن، والقضاء على الطبقية.

*اشـــيع في الدقائق الاولى من القضاء على الفتنة الرعناء بان مدير الشرطة العام له ضلع في المؤامرة، ثم اجتمع مجلس الوزراء يوم أمس وقرر احالته للتقاعد؟

- لا صحة لما اشيع. أمر تقاعده لا علاقة له بالمؤامرة، انما سبق له ان قدم استقالة، ومســـائل روتينية تتعلق بوظائف الدولة، ومحاولة ايجاد الأصلح، أو في الأصح الرجل مريض وطالب اجازة، ومن قبل طلب احالته للتقاعد، والمسالة لا علاقة لها بالأحداث الأخيرة.

*ذكـــرت بعض البرقيات المرسلة للسيد رئيس الجمهورية ان المتآمرين يتبعون السيد جورج حبش؟

- بصـــراحة أنا أفضل الا تذكر أسماء الناس، لا نصف هؤلاء باتباع من. وانا حينما سألني مراسل (نيويورك تايمز) هل هم قوميون عرب، هل هم بعثيون، هل هم اشتراكيون؟

قلـــت له: ان عقيدتهم هي "الانانية" وبالانكليزية "ايكوازم" مثل ناشنلزم بعتزم ... قلت له: يوجد "اسم" اخر هو "ايكوازم"، أي أنا ولا سواي، يريدون ان يتحكموا، لم؟ المعنى في قلب الشاعر.

*اظـــن قلـــت دخلـــوا بجـــوازات مـــزورة. أجهزة الامن ما كان من واجبها ان تخبر المسؤولين؟ خاصة وان شخصا تولى رئاسة الوزارة وقائد القوة الجوية، وزير سابق؟ معروف يعني ...

-يخفاك انهم دخلوا متنكرين، ودخلوا بأشياء مشوهة، والتنكر في بلاد مثل العراق به خمسون لباس، من أفندي الى كشيدة، الى سيدية، الى عمامة، الى عقال لف، الى عقال كذا .. وهـــو ممكن يمشي أو يأتي في باصات من النجف وعن طريق الكويت، من الكويت الى الزبير، صـــفوان، كـــذا .. حدود واسعة وسيارات مستمرة ... مرة بدوي، ومرة قروي ... احدهم قال اعـــترف انـــه جاء من عمان في باص كبير، على أساس انه أردني مسافر الى الكويت، وبقى ســـاعتين علـــى أســـاس مسافر، الى ان وجد له فرصة، ونزل من الباص بحجة انه ينتظر في طريق السفر وتسرب في الليل ...

*بالنسبة الى فلان شكله وهيئته معروفة؟

-لــي ولــك، ولكن أتصور انه اذا فرضنا جاء عن طريق سنجار من الجزيرة، ولابسا عقــالا وغترة، وملثم، هل يعرفه كل شرطي على الحدود؟ وهل سيجرى معه الشرطي محضرا دقيقا حتى يعرف هويته؟

*عند وجوده في الموصل، ولما قام بحركته في الموصل؟

-هو كان متنكرا أو مختفيا الى ان ظهر في الحركة الرعناء، ما اظن كان بشكله وزيه ظاهــرا، والا لعــرفه كثــير مــن اخواننا الموصليين. طبيعي بقي متنكرا - حسب المعلومات المستقاة - ثلاثة أيام مختفيا في دار الى ان برز.

*ســيدي الرئــيس، اريــد ان اعــرف شيئا تفصيليا عن كيفية قيام الحركة الانقلابية الفاشلة؟

-اظــن ما اذيع من بيانات يعطي فكرة واضحة، وربما طلب الى أجهزة الاعلام ان تعد وثائق وأشياء، لان التفصيل - طبعا - يجرينا الى بحث طويل. فكما يبدو ان البدء بالقصف من الموصل، ثم جماعة تسربت واستطاعت ان تخادع فريقا من الجنود، فاحتلت بعض الدبابات، أو انتزعــتها، وكان ذلك كما تذكرون في يوم الخميس، وبعد الظهر، ويومين عطلة، يعني لا شك ؟؟؟؟ واحد يعترف بالفضل لأصحابه، المتآمر الذي اختار الوقت ذكيا - من هذه الناحية -، يوم الخمــيس، ســاعة ثلاثة، راس الشهر، ويومين عطلة، والحقيقة ان الواحد يقدر ان يفهم هذا، وبيــنهم مديــر استخبارات سابق ومدير امن سابق، يعني عندهم مهارة في الاجرام والتخريب. كــان الانسان يتمنى ان هذه القابليات تعمل من اجل الانشاء والتعمير، ومن اجل التآمر للقضاء على اسرائيل، لا ترويع أهل البلاد.. على كل حال.. هذا الشيء حدث.

*ســيادة الرئــيس، علمنا بان المؤسسة العامة للمصارف قد وجدت نقصا في بعض المصارف المؤممة، ذلك يؤثر على الوضع الاقتصادي في العراق. فما رأيكم؟

-لو تعيد السؤال مرة ثانية.

*علمنا بان المؤسسة العامة للمصارف قد وجدت نقصا في بعض المصارف المؤممة، ذلك يؤثر على الوضع الاقتصادي في العراق. فما هو رأيكم بذلك؟

-نقصا. ماذا تقصد بنقصا.

*نشرت جريدة المنار قبل مدة ان بعض المصارف المؤممة فيها نقص.

-تقصد يعني قبل ان تؤمم.

* اقصد بعد التأميم، يعني اممت ووجد النقص.

-يمكن مندوب المنار يوضح لنا، ما هو النقص بالنقد يعني؟

مندوب المنار: لا كان في بعض المصارف خسارة، يعني قبل التأميم.

-طـبعا، يعنـي جاء التأميم فأنقذها. طبعا هذا من حكمة المؤممين، يعني جاء التأميم رحمة الى فريق من المصارف وكذلك الشركات التي كانت بعضها مدينة فجاءت الحكومة لتحمل أعباءها، حتى يقال كما قال الشاعر:

وقصيدة تأتي الملوك حكيمة　　　　قد قلنها ليقال من ذا قالها

وقسـم مـن المصـارف كانت حكومية لم يكن هناك راع الى تأميمها، أو ثلاثة أرباع حكومـية ... يعنـي بـس حتى المصرف الفلاني، والمصرف الفلاني، خمسين شركة، سبعين مخـزن ... الـخ. اخواننا السوريون ذهبوا ابعد مدى من هذا، أمموا حوانيت السوق الحميدية وبياعين خردوات ... الخ.

سيدي الرئيس، البيان عن القاء القبض على بعض المتهمين في حركة الانقلاب أورد اسـم ... واسم ... في الواقع كان ... خارج العراق قبل اسبوعين كما اعتقد، وبعد في اذاعة البـيان عند الظهر على وجه التحديد، حذف اسم ... من قائمة الذين يجب القاء القبض عليهم. الدوافع كانت خافية.

-الحقيقة، التفصيلات لا اعرفها بالضبط، لكن أنا اعلم ان ... هو رهن التوقيف.

*يعني القي القبض عليه.

-موجود.

* ... له علاقة بالقضية؟

-مـا اعلـم، لازم التحقـيق هـو الذي يكشف. تعرف المسالة منوطة الان بالقضاء، والتحقـيق كلمـا يكشـف اسم شخص ذا علاقة يلقي القبض عليه أو يصدر أمر بالقاء القبض عليه...

*سـيادة الرئـيس، الصـفة التـي يتصف بها الانقلابيون صفة وحدوية، فحذار من الهمس، وبعض القضايا التي تصير تمس القضية الوحدوية...

-اعيذها نظرات منك صائبة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم.

قلت وحدويون...، قسم منهم أدعياء للوحدة يتحيلون بها. ولو كان كل من يدعي الوحدة وحدويا، لكان قسم من جيرانك وسواهم أيضا وحدويون...، يعني ليست "الوحدوية" مقصورة على فريق من الناس، فالقول انهم وحدويون، وكل وحدوي لازم يتوقف، لازم يوقفون الاف العراقيين، هنا غير صحيح ... جماعة معينة، لها خطة ومطامع معينة، وقامت بأعمال اجرامية معينة، كل من يثبت ان له صلة بهم أو بالحركة، يلقى القبضعليه للتحقيق. أما ان يقال لهم صفة وحدوية، وكل من له صفة وحدوية ان يلقى القبض عليه، فعندئذ يجب ان نوقفه ... هذا لا يجوز، كما لا يجوز ان يقال بان كل دعاة الوحدة هم هؤلاء...

*السيد رئيس الوزراء، في ذكر جيران العراق، سيادتك وضعت على خط واحد تركيا وايران، في مجال اصلاح العلاقات أو التقارب معهما. تركيا لها واقع خاص مع العرب، أما ايران فهي مختلفة تماما عن هذا الخط، تسير بمخطط ضد الدول العربية، من أيام قليلة كان عندها رئيس اسرائيل، وعندها ثلاثة ملايين ونصف من العرب في عربستان يلاقون العنت والارهاق والمذلة، ولها جنود وضباط يقاتلون مع الملكيين في اليمن، ولها تحركات في الخليج العربي، وتدعو للحلف الاسلامي، هذه عوامل كلها مجتمعة ضد القضية العربية وضد القومية العربية، فكيف نضعها على خط واحد مع تركيا في تحسين العلاقات؟

-أنا أخشى بأنك اسات الفهم. أنا أشرت لتركيا وايران لانهما الدولتان المتجاورتان غير العربيتين. العراق كما تعلم من الجغرافية محاط بدول عربية من كل الأطراف، وبدولتين اسلاميتين غير عربيتين. والدولتان كانتا مرتبطتين بالعراق بحلف بغداد. والدولتان مع دول اخرى مرتبطتان الان بالسنتو، فنحن لنا بصراحة حدود مع ايران أطول من حدود أية دولة عربية اخرى، ومشكلات مع ايران أكثر من أية دولة اخرى، ولذلك من واجبنا ان نسعى الى ان نقيم علاقات ود، ما ودنا الى الود سبيلا. ولا احسب ان أي انسان مدرك لمشكلات العراق، وأوضاع العراق وحدود العراق، الا ان يسعى الى صداقة ايران، ما وجد الى الصداقة سبيلا. وانا في جواب سابق قلت: هذه الصداقة لا تعني التفريط بشبر من اراضي العراق، ولا قطرة من ماء العراق. وما قلته حول ايران وسياستها، نحن لا نريد ان نمكن ايران ان تسير بسياسة عدوانية مع أي انسان اخر. كل ما نريد هو ان نكون كعراقيين، لهم مصالح وحدود مشتركة نريد ان نقيم صداقة مع هذه الدولة، التي لنا ولها مصالح مشتركة كبيرة. أنا ما وضعتها مع تركيا بصف واحد لان طبيعة الأشياء تدعو الى ذلك. جيراننا أما عرب، وإما مسلمون غير

عرب. فلابد لنا اذن ان نحسب حساب هذه الدولة، التي شاءت الطبيعة، أو شاء الله، ان يجعلنا وإياها متجاورين، ونرتبط بها بارتباطات وثيقة. عشرات الالوف الايرانيين يقيمون في العراق، والحجاج للعتبات المقدسة يصلون بمئات الالوف في بعض السنين، وهناك بعض الاسر العراقية في ايران وبعض الاسر الايرانية في العراق. ولنا مصالح متشابكة لا نستطيع ان ننساها، أو ان نتجاهلها، أو نغفل عنها. أيريدوننا ان نعلن الحرب على ايران؟! ايران دولة مستقلة لها سيادتها، ونحن نقف في الحدود التي لا تتعارض مع السياسية العربية ولا مع مصالحنا. ولكن واجبنا دائما ان نسعى الى صداقة كل دولة جارة، لان حسن الجوار أساس للعيش باطمئنان. هذه بديهية ...

*ما هو رأي العراق في وجهة النظر الامريكية، في ايجاد توازن للتسلح في منطقة الشرق العربي؟

-أنت تعلم ان العراق ككل البلاد العربية، يعد ذلك خرافة، ولا يمكن المليونين من الاسرائيليين مقابل العشرات الملايين من العرب، وامريكا وشأنها، والدول العربية لها طرقها أيضا في الحصول على السلاح من دون رغبة امريكا ورضاها، وهذا أمر يخصنا، ولامريكا ان تصنع ما تشاء من قواعد وقيود، ولنا ان نجد طرقنا كدولة مستقلة، ولنا مصالحنا القومية. طبعا نحن لا نقرها على هذه السياسة، بل نحتج عليها.

*سيادة الرئيس، السؤال بصورة اوضح وبصراحة، السياسة الامريكية في منطقة الشرق العربي من ناحية ايجاد توازن للتسلح، قد اختلفت الان، فقسمت المنطقة الى قسمين، دول متحررة تقوي نفسها تغذيها بالسلاح السوفييتي أو الشرقي، واسرائيل ودول عربية غير متحررة تعطيها امريكا. هل يقر العراق هذه السياسة الامريكية في تلك المنطقة؟

-على كل حال أنا أقول لك شيئا واحدا، أنا أقول ان تسلح العرب من أية جهة كان أمرا مجديا للعرب في اخر الأمر. والعربي الذي لا يستطيع ان يحصل على سلاح من امريكا، عليه ان يبحث عن السلاح من أية جهة كانت، ونحن نعد انفسنا دولة مقررة نحصل على السلام بمالنا من الشرق والغرب في ان واحد. نحن عندنا طائرات روسية، كما عندنا طائرات هنتر الانكليزية التي هي من أحسن أنواع الطائرات، ولم يفقدنا صفة التحرر اننا اشترينا طائرات انكليزية، وهي غربية. فانا لا اريد ان ادخل بجدل بيزنطي، لان السلاح يجب ان يكون بأيدينا، ونشتريه من الشيطان اذا كان للشيطان سلاح نستطيع ان نستعمله. وامريكا دولة كبيرة

لهــا مصــالحها ولها سياستها، هي وشأنها. أنا برأيي ان استطاعت ان تبيعنا أو تسلحنا أيضا بالســلاح نقــبله. ولكــن هذا ليس يخضعنا الى سياسة امريكا. ونحن ندفع المال للسلاح الذي نشــتريه، حين تتمنع امريكا من تسليحنا - وهي ممتنعة بالطبع، وليس عندنا سلاح امريكي الا قلــيل وقديــم - فنحــن لنا صلات مع دولة كبرى، وانا سأزور هذه الدولة، واقدر مواقف هذه الدولــة الكبرى، وهي روسيا، وستزودنا بالسلع التي أيضا ندفع ثمنها. فالسلاح حينما نستعمله لن يصبح هذه طائرة روسية، وتلك امريكية، اجعله بيد عربية، ومكن العرب من استعماله، هذا هو المهم في رأيي ...

*شــنت بعــض الصحف السورية هجوما على اتفاق وقف القتال في الشمال، ما هو رأيكم حول هذا الموضوع؟

-متى لم تشن سورية حملة على أي عمل عملناه؟!

اتعجبين من سقمي   صحتي هي العجب

أنــت قل لي متى قالت اذاعة اخواننا في دمشق، انها راضية عن عمل قمنا به، حتى تسال هذا السؤال؟ متى رضوا سامحهم الله؟!

بالمناســبة، لمــا كانــت الفتنة الأخيرة، قيل لي ان الاذاعة كانت تؤيدها، فلما فشلت، جريدة الحزب سبت البزّاز، وسبت عارف في ان واحد ...

*يعني "هذوله ديلعبون لعب".

-"وأنت، هسه بله اكتشفتهم ديلعبون لعب".

*بعــد ان توصلت الحكومة الى انهاء الوضع الشاذ في الشمال، فهل ستقوم الحكومة بإجراء تعديل وزاري باشراك اخواننا الأكراد؟

-علــى كل حال، توجد مناصب وزارية يمكن اشغالها من قبل اخواننا الأكراد، ودائما كنا راغبين بهذا طبعا وسيكون شيء من هذا القبيل، في الوقت المناسب.

*هل ستكون لقضية الاسكندرونة نصيب في مباحثاتكم مع المسؤولين الأتراك؟

-أتعتقد من المصلحة الا نبحث هذه القضية في هذه المرحلة؟!

*وهل من المصلحة ترك هذه القضية؟

-أولا، السؤال هل من المصلحة، وعندنا الف عدد، وألف قضية، ان نبدأ بقضايا؟ ... "خلي" يثيروها السوريون أصحاب الحق الأول في الموضوع ...

*لمناسبة سفركم الى تركيا، قد قلتم قبل قليل ان الجمهورية العربية المتحدة علاقتها بها الان آخذة بالتحسن.

-فعلا.

*البوادر تبشر بخير، ان تركيا أو المسؤولين سمحوا بافتتاح مكتب للجامعة العربية في تركيا. هل ان سفرتكم المقبلة أو غدا تبشر انكم ستناقشون موضوع العراق مع تركيا بالنسبة الى اسرائيل في هذه الظروف؟

-بطبيعة الحال، نحن حينما نتحدث مع الأتراك، نتحدث لا كعراقيين فقط، وانما كعرب، وما يعنى المصلحة العربية يعنينا. وبقدر ما نستطيع من تقريب تركيا لخدمة القضايا العربية لن نبخل في جهد نستطيع ان نفعله. ولكن ما سنتحدث به يتوقف على طبيعة الحوار، وطبيعة المشكلات القائمة، وطبيعة الزمن، فليس هناك جدول مسبق للقضايا جميعا، ولكن اذا جاءت الفرصة المواتية، لن نتردد في اثارة كل ما يخدم القضايا العربية بطبيعة الحال.

*سيادة الرئيس، قبل زيارتكم الى تركيا، يعني حتما هناك جرت اتصالات، مما أدى الى الموافقة من المسؤولين الأتراك ان يقوم مكتب للجامعة العربية؟

-طيب.

*فهذا معناه انه يعني توجد اتصالات سابقة؟

-على كل حال، لو طلبت الى الجامعة وانا مسؤول عربي ان افاتح تركيا فسأفاتحها، واذا رأيت من التقائي مع السفراء العرب ان الوقت مناسب، وان هناك دواعي لهذا، نفتح الموضوع. ولكن أنا طبعا سأتكلم بالدرجة الاولى كرئيس وزراء العراق. واذا كان هناك كما قلت ضرورة أو شيء يدعو لذلك نفعل. الجامعة لها من ينطق باسمها، ولها اصولها في الحديث، فمادام قبلت الفكرة، أنا متأكد ان تركيا من تتردد في قبول هذا.

*هل تفكر الحكومة بإجراء مباحثات جديدة حول اتفاقية النفط؟

-على كل حال ان موضوع اتفاقية النفط فيما أسميته بمناسبة سابقة بقائمة "الاسبقيات" يأتي بعد قضايا الشمال. فنحن بإذن الله بعد أسابيع نبدأ نتداركها بجد، وربما نجد طريقتها الى ما يحقق مصالح البلاد، ولكن أكثر من هذا، وفي هذه المرحلة، ما اظن من المصلحة ان أتحدث فيه.

*وردت أسـماء كثـيرة من أسماء المكتب العمالي في قائمة المطلوب القبض عليهم، ومـنهم رئـيس الاتحاد العام، فهل ستقرر الحكومة غلق المقر العام، واجراء انتخابات عمالية جديدة؟

-الأمـر سابق لأوانه، لأنه يوجد تحقيق، فاذا ثبت ان هناك دواعي لهذا، قد تتخذ مثل هذه الخطوة. فالى ان يلقى القبض ويجرى التحقيق، القرار يتوقف على مدى اسهام هذا المكتب ورئيسه في الأعمال المكونة للاتهامات الموجهة ...

*سيدي الرئيس قبل مدة طويلة طالب العمال باجراء انتخابات عمالية، كانت معدة من قبل المسؤولين وفي الأخص الاستاذ... عندما كان وزير العمل، بعد ذلك فريق من العمال قابلوا سـيادتكم حول الانتخابات وبعد ما استوزر الوزارة الاستاذ ...، ذلك كثير موضوع " الانتخابات العمالـية، فكانـت القضـايا تدل على انه في الأسابيع القادمة ستجري انتخابات. ولكن القضية طالـت الـى حد يعني ما بقى في القوس منزع ... في حين أجريت انتخابات النقابات الاخرى كنقابة المعلمين ونقابة المحامين في مواعيدها المقررة ... أما قضية نقابة العمال، ما نستطيع ان نقول اهملت بالمعنى الصحيح، ولكن غض النظر عنها لمدة ؟..

-لاشـك ان الوزيـر الحالي معني بدراسة هذه المسالة، وهي منوطة بتعديل القانون، واظـن انـه سـيتم تشـريعه فـي فترة معقولة من الزمن، وربما السير في موضوع الاتحاد الاشـتراكي قـد يعجـل الأمر، لان التعاون بين النقابات والاتحاد أساسي في التمهيد للمرحلة القادمة.

*سيادة رئيس الوزراء، من المفروض ان تصير انتخابات ويكون الممثلون الشرعيون للعمـال ممثليـن بالاتحاد الاشتراكي، والا ما نقدر نشكل الاتحاد الاشتراكي من قبل عمال غير منتخبين ...

-على كل حال، أنا ما بينت الطريقة التي ستجرى بها تكوينات الاتحاد الاشتراكي، انما قلـت ان التنظيم النقابي والعمالي والسياسي سيسير صفا واحدا، والمرجو بعد ان انهينا مشكلة شمالي الوطن ان نوفق في حل هذه المسائل.

*دورة مـنظمة العمل الدولية التي انعقدت قبل شهر، العراق امتنع عن توقيع اتفاقية بخصوص العجز للعمال، بخصوص العمال العاجزين، السبب، ما اعتقد تعرفون فد قضية عنه؟

-أنت اخذ في تفصيلات كثيرة لتظهر جهالتي؟ الامام الشافعي رحمه الله كان يقول "لا ادري نصف العلم". لا ادري تفصيلات هذا المؤتمر، اظن الموضوع أوسع من هذا، راجع السيد الوزير. ونلتقي بمناسبة اخرى، شكرا جزيلا.

ملاحظــة: لقد وجهت أسئلة كثيرة من صحفيين أجانب، واجيب عنها باللغة الأجنبية، ولم أر فائدة من ترجمتها لان محتواها قد ورد في الأجوبة على الأسئلة الاخرى، كما ان قيمتها الحقيقية هي في اللفتات اللغوية السريعة.

المقابلة التلفازية في الكويت

"سيداتي وسادتي، اسعدتم مساء وأهلا ومرحبا بكم جميعا يزور الكويت في هذه الأيام سيادة الدكتور عبد الرحمن البزّاز احد رجالات العراق الشقيق المخلصين الذين جاهدوا ومازال فــي سبيل القضية العربية. وقد عرف المواطن العربي في الوطن العربي الكبير سيادة الدكتور الــبزّاز، ســواء عــندما كان رئيسا للوزارة العراقية، ومسؤولا كبيرا في الحكومة العراقية أو دبلوماســيا أو استاذا في الجامعة عرفه واحدا من الذين اختاروا طريق الكفاح والجهاد من اجل نصرة القضايا العربية داخل حدود وطنه الصغير العراق في رحاب الوطن العربي الأكبر.

ولقد الف الدكتور البزّاز كتبا عدة ونشر عشرات المقالات، وألقى المحاضرات الطوال فــي كــل محفل ومناسبة فكان يبدي الرأي الصريح النير وكان المؤمن العميق الايمان بوطنه وامته، كل ذلك بهدف واحد وهو ان يرى أبناء امته وقد توحدوا وعاشوا عيشة مطمئنة راضية موفوري الكرامة يسعون لتحقيق السلم العادل في العالم اجمع مؤهلين للتعاون مع شعوب العالم المحبة للسلام على اسس صادقة من التكافؤ والاخلاص المتبادل.

ونحــن فــي تلفاز الكويت نرحب بسيادة الدكتور عبد الرحمن البزّاز في وطنه الثاني الكويت ونرجو له طيب الاقامة بين اهله واخوانه الذين سيسعدون بلقائه في هذه المقابلة.

*لاشك – سيادة الدكتور – انها فرصة طيبة وسعيدة جدا بالنسبة للمشاهدين في بلدك الثاني هنا – الكويت – ان يلتقوا مع سيادتك، الشخصية العربية الفذة الكبيرة لكي يحققوا معك اللقاء الأخوي الطيب في هذه المقابلة الطيبة.

-شكرا على ما تفضلت به، وارجو ان انتهز هذه الفرصة لأتقدم بالتحية لاخواني، وبني قومي في الكويت واني لا شعر بالسعادة حينما ازور أي قطر عربي ذلك لأنني على حد ما قال الشاعر:

أنا لا افرق بين اهلك انهم

أهلي وتلك بلادهم وبلادي

فإنا هنا – ما في ذلك ريب – بين اخواني وأهلي، وانا سيعد بهذه الزيارة.

*سيادة الدكتور قبل ان نبتدئ في طرح الأسئلة، نحب ان نعرف اخر مرة قمت بها لزيارة بلدك الثاني الكويت؟

-زرت الكويت اخر مرة حينما كنت سكرتيرا عاما لمنظمة اوبك "البلاد المصدرة للنفط" وفي الوقت ذاته كنت سفيرا للعراق في انكلترا، وكان ذلك قبل أكثر قليلا من ثلاث سنوات ويسعدني ان أقول انني وجدت تطورات اقتصادية وعمرانية وثقافية تدعوا الى الغبطة. الجامعة انشئت في هذه الفترة، المصانع اقيمت، مدينة الكويت اتسعت، ومظاهر اخرى عديدة تدعو كلها الى الاستبشار قد حدثت.

*سيادة الدكتور في المحاضرة القيمة التي القيتموها في جامعة الكويت، وقام التلفزيون بتسجيلها وأذاعتها على السادة المشاهدين.، القيتم كثير من الأضواء على واقع امتنا العربية، وتناولتم بكل وضوح، وبكل صراحة – كعهدكم دائما- هذه التحديات، ووضعتم العلاج الناجع، أو طريق العلاج الناجع كي تستطيع ان تتخطى هذه التحديات، وان تدفع هذه التحديات، فنحب ان نعرف – سيادة الدكتور – ما هي في رأي سيادتكم طبيعة المرحلة التي تجتازها الامة العربية في المرحلة الحاضرة من حياتها؟

-لا شك ان الامة العربية تجتاز مرحلة دقيقة، ربما هي من أدق مراحل حياتها. لقد مرت امتنا العربية في تاريخها الطويل بنكبات ونكسات وتعرضت الى مخاطر شتى، ولكني لا احسب اننا مررنا بوقت عصيب، تمرغت به كرامتنا، وتعرض فيه وجودنا كله الى اهانة، – بل والى خطر – كما تمر به اليوم.

وكلنا يشعر بهذا فيما احسب، وكلنا يتحسس آثار الجراح البليغة التي أصابتنا بعد النكسة الأخيرة. ولكني مع تقديري لعظم ما ابتلينا به، وتقديري للآلام الشديدة التي نحسها، ادرك عن يقين بأننا سنتجاوز هذه المرحلة. وقلت في مناسبة سابقة ان أية اصابة من الطراز

الذي أصابنا لو حلت باسرائيل لكان فيها القضاء المبرم عليها، لانها جسر صغير، وكيان ليس له جذور عريقة، ولنا مقوماتنا، ونستطيع - مع الزمن - ان نتغلب على الجرح، وان كان داميا. فمع شعوري - كما قلت قبل قليل - بعظم النكسة، وشدة آلامها، وقتامة المرحلة التي نعيش فيها، اشعر، في الوقت ذاته، بأننا نستطيع بعون الله وبجهدنا وبتظافر قوانا، ان نصل الى حيث يجب ان نصل اليه، من اعادة للكرامة المهدورة، واستعادة الوطن السليب.

*سيادة الدكتور ما هي السبل التي ينبغي اتباعها لتنمية الوعي القومي لدى الأجيال العربية الناشئة، وما هي مهمة جيلنا الحاضر بهذا الصدد؟

-سبيلنا هو الوعي القومي، وكان هذا الموضوع بالذات، موضوع محاضرة القيتها في الكويت قبل أكثر من اثنى عشر عاما بقاعة ثانوية الشويخ. وكانت للكويت عادة طيبة حينذاك، والقيام بتنظيم سلسلة من المحاضرات العامة تدعو لها المحاضرين في مواسم ثقافية، (وانا ارجو بالمناسبة مخلصا ان تعود تلك الطريقة، وربما ستتولى الجامعة هذا الأمر، وقد قامت في الكويت، هذه الفكرة) أقول لقد تحدثت طويلا عن طرق، أو اسباب، أو الوسائل التي يجب ان نصطنعها لتنمية الشعور القومي، واذا لم تخني الذاكرة فانني ركزت على الناحية التربوية، ولزوم انشاء جيل واع مدرك لحقيقة وجوده ولمقومات امته.

وانا اؤمن ان الثقافة، أو في الأدق التربية، (والثقافة معناها أوسع لانها تشمل أجهزة اخرى غير التعليم وغير الجامعة كما تقوم بها وزارة الارشاد) كفيلة، مع الزمن، ان تحقق الوعي. ان الوعي في واقع الحال ليس سيئا، وأستطيع ان أقول انه جيد، فوسائل الاعلام استطاعت ان توجد بين المواطنين، في كل الأقطار العربية، وعيا حسنا حتى البدوى في الصحراء، أو القروي في قريته، يستمع اليوم الى الراديو، ومن هم في الحواضر، ومن هم في حال أحسن، يسمعون ويشاهدون التلفاز، والآخرون يقرأون الجرائد والمجلات. فلو قارنا ما ينشر ويكتب اليوم ويذاع بما كان عليه الوضع قبل سنوات لقدرنا مقدار ما يبذل من جهد في هذه الناحية. ولكن من حقك، ومن حق كل مستمع، ومن حق كل مشاهد، ان يتساءل أهل تكفي هذه الوسائل؟ لابد لنا من اصطناع وسائل اخرى، لابد لنا من تعميق جذور الوعي. اذ لا يكفي ان نتحسس بالمصيبة، ولكن يجب ان نعمل بكل طاقاتنا على ان ندرك أسبابها الحقيقية، وان نتلافى اوجه النقص الكثيرة في وجودنا. ويلاقون سبيلنا الى ذلك بالقدوة الصالحة.

لا بد لكل فرد ان يحاسب نفسه أولا، وان يقيم من نفسه مثالا يقتدى وهذا القول يصدق بالدرجة الاولى على رجال التعليم، وعلى الناس الذين هم في مراكز قيادية. لان القول المجرد – كما هو بديهي – لا يؤثر الا اذا اقترن بالعمل، والا اذا اقترن بالصورة الحية. ولو استطعنا ان نوجد مربين على مختلف المستويات في المدارس الابتدائية والثانوية وفي جامعاتنا، يوقنون بالفكر القومي النير الواعي، ويدركون طبيعة الزمن الذي نعيش فيه، ويدركون عظم الرسالة الملقاة على عواتقهم، فانا على يقين اننا في بعض السنوات القادمة سنصل الى مرحلة تمكننا من ان نضاهي عدونا. وانا دائما أتصور ان عدونا الأصيل هو اسرائيل، وخطط اسرائيل... وبطبيعة الحال أنا اؤكد ناحية اخرى وهي الناحية الفنية، فالحرب، أو الكفاح، لم يعد بالسلاح المجرد، ولا بالكثرة العددية، بل بالطاقة والفن الذي يحمله كل فرد منا. لم يعد الجندي مقابلا لأي جندي، انه قيمته الحقيقة تكون لما يستطيعه هذا الجندي، ولما يتقنه، ولما له من وعي وادراك في كيفية التصرف في أثناء المخاطر. فالحرب الحديثة بالآلات المعقدة صارت تتطلب وعيا فنيا علاوة على الوعي العام والشعور العام ... لم تعد شجاعة الشجعان بمفردها كافية، لابد ان يقترن ذلك بتربية وباعداد فني متكامل. ومن هنا يجب ان نطور مفهوم التربية، والثقافة، الى هذه الناحية أيضا والا نقصرها – كما كان متعارفا من قبل – على خلق الروح عن طريق الشعر والأدب والروايات والحماس. أنا لا انكر فائدة ذلك، ولكني اعتقد اننا بحاجة، بجانب ذلك، بل ربما في هذه المرحلة قبل ذلك، الى الجندي الذي يعرف كيف يستعمل سلاحه، والى الطيار الماهر، والفني الذي يحسن استعمال الآلات والمعدات في الصواريخ والاسلحة الحديثة. ويؤسفني ان أقول ان التجارب الحديثة دلت في معاركنا مع عدونا اننا أخذنا من عدم قدرة بعض جنودنا وضباطنا وفنيينا على استعمال ما كان بايديهم بالدقة المطلوبة، أو المتوفرة عند عدونا. فهذا الوعي اذن واجب علينا.

قلت في سؤالك عن هذا الجيل ما هي مهمته؟ طبيعي ان هذا الجيل يتحمل العبء الأكبر لان الجيل الأقدم قام بقسطه، وانما المسؤولية، والماسي ربما سيتحملها هذا الجيل، والأجيال القادمة. فعلى هذا الجيل تقع تبعة كبرى، وعلينا نحن الذين تقدمنا في الجيل مرحلة ان نعد هذا الجيل الصاعد، وان نجعله كفوءا لعدونا والا فستكون الغلبة للاقدر والأصلح، حتى وان كان على باطل. ويؤسفني ان أقول ان المعاني النظرية القديمة في سيادة "الحق"، و "العدل" في هذا العالم الذي تكالبت فيه القوى علينا لم تعد لها معانيها التي كنا نستأنس بها، ونتصورها

حقــائق ثابــتة. فقــد أصبح القوي هو الذي يفرض وجوده. والقوي لم يعد الشجاع بعضلاته، والمغامر بنفسه فقط، انما القوي هو القوي بإدراكه، بعقله، بتصميمه، بتضحياته، وبكل معاني القــوة. فعلى هذا الجيل اذن ان يعد نفسه الاعداد الكامل للصراع – وان استعمل كلمة اقل من الصراع – الصراع القوي، الصراع الذي يتوقف عليه مصيرنا، ومصير الأجيال القادمة الى مدد طويلة من الزمن ...

*مــع التركيز – سيادة الدكتور – على الناحية العلمية والتي ركزتم عليها الى جانب التنشئة الروحية والفكرية والأدبية؟

-مــا في ذلك ريب، لان أي فني مهما اوتى من خبرة وحذق وادراك، اذا فقد الروح، وفقد الشجاعة، وفقد الشعور بالتضحية، وبان عمله هذا يتصل بوجوده وبعقيدته، لا يستطيع ان يحــارب، لا بد لنا من ارادة، وانا كثير الاستشهاد بالمتنبئ، وله بيت جميل في هذا المعنى اذ يقول:

ان السلاح جميع الناس تملكه

وليس كل ذوات المخلب السبع

اذن لابــد لــنا من عزيمة الأسد، وليس وجود السلاح بمفرده كافيا، وهذه العزيمة لا تتأتى الا اذا اقترنت المعرفة بالارادة وبالروحانية المدركة لطبيعة الرسالة التي يقوم بها الجندي أو المحــارب أو المكافح. فلا شك ان الروحانية، والمثل، أو ما يسمى "بالمعنويات"، أو التعبئة المعنوية أساسية بقدر الناحية المادية التي أشرت اليها قبل قليل.

*سيادة الدكتور قرأ لك المواطنون العرب الكثير من مؤلفاتك القيمة، والتي اغتنت بها أيضا المكتبة العربية ومن ضمن هذه المؤلفات كتاب قيم هو " الدولة والدولة الاتحادية " والذين قــرأوا لــك هذا الكتاب خرجوا بالكثير من الأسئلة، وعدد من الاستفسارات. من هذه الأسئلة – سيادة الدكتور – هل ترون ان الدعوة الى وحدة الأمة العربية وتكتلها ضرورة ملحة وتفرضها ظروف خاصة؟

-اذا سـمحت لي هذا السؤال في الواقع يحتوي على أكثر من نقطة واحدة. ذكرت في مناسـبة سـابقة عـن قصة الكتاب، وهو في الأصل كتاب صغير وان كان في طبعته الثالثة قد توسع بعض الشيء. هذا الكتاب كتبته مباشرة بعد ان شعرت بالردة القاسمية في العراق، وبعد ان طرح "العدميون" والفوضويون، ومن شاكلهم من أنصار عبد الكريم قاسم، شعار "لا وحدة بل

اتحاد فدرالي" وانا شعرت ان قسما من الناس قد ضلوا ووقعوا في خطا لأنني أدركت ان اولئك لا يريدون وحدة ولا اتحادا، ولذلك نبهت الى مخاطر الانزلاق في عدم ادراك المقصود الحقيقي. وقلـت بوضـوح وصـراحة في ذلك الكتيب ان أنظمة الحكم تتعدد، وكلها لا تخرج عن نطاق الوحـدة. وحـدة الامـة العربية حقيقة، الامة الواحدة هي الامة التي تجمعها مقومات الوحدة الأساسية، من لغة، وتاريخ، ومن خصائص حضارية، وهدف مشترك، ومن ادراك عام ومصير واحـد. وهذه موجودة في امتنا العربية. وطبيعي ان امن أهداف كل امة ان تتكتل، وان تفرض وجودهـا في هذا العالم كقوة تحترم نفسها، حتى يحترمها غيرها، وحتى تستطيع ان تعبر عن ذات نفسها تعبيرا كامة. ان تكتل هذه الامة أمر طبيعي يفرضه عليها وجودها ومصلحتها. ولكن كـيف تكون هذه الوحدة؟ أو كيف يكون هذا الاتحاد؟ كيف يكون هذا التكتل اذا شئت؟ اعتقادي الشخصـي – وانا لم أزل على هذا الاعتقاد – ان الوحدة البسيطة، أو "الدولة البسيطة الواحدة" ليست ضرورة.

ان مـا نحـتاجه هـو تكويـن دولة اتحادية. هذه الدولة الاتحادية يكون لها السلطان المطلـق على القوى المحاربة، أو القوى المدافعة، بكل أنوعها. وهي التي تخطط لسلامة الامة العربـية، وسلامة الوطن العربي كله، ولها القيادة الواحدة. وكذلك تكون لهذه الدولة الاتحادية سياسـة خارجـية واحـدة بحيث لا نبدو وكأننا أشتات تتناقض سياستنا. ثم يعقب ذلك مراحل اخـرى، ولكـن فـي الدرجة الاولى الناحية الدفاعية، والسياسة الخارجية، والتمثيل الخارجي، وجـوازات السفر، ونحوها كل ذلك يكون من اختصاص دولة الاتحاد. هذا هو في تقديري الأمر الذي نحتاجه، والسبيل الذي يجب ان نسعى اليه.

ولكن هذا لن يكون بين عشية وضحاها. ان شئنا أو أبينا – كما أشرت أمس الى ذلك فـي محاضرتي في الجامعة – أوضاعنا تطورت تطورات مختلفة، كما، وحدثت أوضاع وأشكال فـي الحكم تفرض علينا ان نسلم بهذا الواقع، وان لا ننكره نكرانا مطلقا، وأما نداوره، ونعمل في اطار من واقعنا حتى نصل رويدا رويدا الى هدفنا النهائي، لاننا اذا اتبعنا أي سبيل اخر غير سـبيل الاقـناع، وغير سبيل التطور الفكري والاجتماعي الى ان تصبح الدول العربية برغبتها مدركـة لهـذه الحقيقة، وسرعان ما ينهار أي تكتل نقيمه. ولذلك – ومع اعتقادي بحتمية قيام اتحـاد عربي – مادعوت الى ان يقوم ذلك بالقسر، ولا ان تفرض دولة على دولة عربية اخرى

وجودهـــا، ولا ان يحـــارب بعضنا بعضا من اجل اقامة هذا الاتحاد. وانما ندعو له وتقتنع أبناء الامة العربية في أقطارها الى ضرورته.

وبـــالأمس – كمـــا تعلم – قد أكدت ان سبيلنا لمجابهة الصهيونية سيكون – بالدرجة الاولـــى – باقامة قيادة موحدة، وتطوير الجامعة العربية بحيث تكون لنا سياسة خارجية واحدة ملـــزمة للعـــرب، ولا يذيـــع بلد ما يناقض به بلدا اخر، ناهيك عما استعملت به وسائل الاعلام أحـــيانا – وأقـــول هـــذا بمرارة – من اسفاف السباب والشتائم، فلابد لنا ان نظهر أمام الناس، وأمام شعوبنا كلها، بمظهر لائق يتناسب مع عظم المسؤولية، وعظم الأخطار التي تجابهنا.

أعـــود الـــى فكـــرة الكتاب هو اذن محاولة للتمييز بين الوحدة من حيث فكرة وعقيدة يؤمـــن بهـــا أبناء الامة العربية، وبين نوع الحكم الذي يجب ان يسود. وانا أرى ان يكون هذا بـــنظام اتحادي تحافظ كل دولة على كثير من مزاياها الداخلية، وبعض خصائصها، وفي الوقت ذاته تجمع قواها في الدفاع وفي السياسة الخارجية وفي المسائل الاخرى رويدا رويدا حتى نقيم دولة على غرار ما هو موجود مثلا في الولايات المتحدة الامريكية اليوم، أو في المانيا الغربية، أو فـــي الهند، أو في يوغسلافيا، أو في عشرات من الدول، بحيث تبدو للخارج وكان الامريكي هـــو امـــريكا، فـــي الولايات المتحدة الامريكية بحيث لا يفهم الأجنبي الخارجي ان هناك ولاية اســـمها نيويورك، واخرى نيوجيرزي واخرى كاليفورنيا وقد تختلف هذه الولايات في كثير من احكامها الداخلية، وقوانينها، وانظمة السير فيها، وأحكام الزواج، وحتى الميراث وما الى ذلك. فهـــذا الكتاب هو تخطيط أولي لما يجب ان تكون عليه حال البلاد العربية. وانا مازلت اعتقد ان هـــذا هـــو المصـــير الذي يجب ان نصير اليه، والا بقينا وكل يأخذ سبيله دون ان نعبا بمصائر الآخريـــن. لا يكفي الكلام المجرد، ولا اجتماعات الجامعة العربية على شكلها الراهن، ولا تكفي المؤتمرات الا اذا قرنا ذلك بخطة محكمة مدروسة، وعمل دائب، والتزام حتى يدرك الصهاينة أولا، ومن هم وراء الصهاينة من الدول التي تمدهم بكل أنواع القوة، ويدرك العالم جميعا، ان العرب جادون، وانهم قد أدركوا طريقهم، وانهم سائرون عليه.

هذا أمل نود ونرجو جميعا من أعماق قلوبنا ان يتحقق في المستقبل بإذن الله. سيادة الدكـــتور عـــندما كنتم سيادتكم وزيرا للخارجية في العراق في وقت ما قدمتم للجامعة العربية، علـــى ما اعتقد، بعض الآراء بخصوص تطوير ميثاقها بحيث يقرب هذه الأفكار التي قصدتموها في هذا الكتاب؟.

-لمــا كنــت رئـيس وزراء ووزيرا للخارجية في العراق قدمنا اقتراحا بتعديل ميثاق جامعة الدول العربية .فأنت تعلم ان جامعة الدول العربية مر عليها أكثر من عشرين عاما، وقد انشـئت في فترة زمنية لم تكن هناك دول مستقلة الا على عدد أصابع اليد الواحدة. ثم اضيفت اليها دولة كانت امارة، لم تستكمل حينذاك استقلالها، وبعد ذلك وقعت الميثاق اليمن أيضا.

نحن اليوم (١٤) دولة مستقلة، وربما عما قريب تصبح أكثر من ذلك. وتطورنا تطورا فكـريا وسياسيا واجتماعيا بشكل واضح. كذلك كانت اسرائيل خطرا ولكنه خطر موهوم، خطر غــير واضح المعالم. أما اليوم فقد أصبحت خطرا حقيقا. وكذلك تطورات اتجاهات العالم. فنجد دولا كثيرة أمام تحديد واحد تجمعت.

اوروبا الغربية مثلا تتجمع، ودول اخرى تتكتل، فليس من المعقول اذن ان يبقى وضع ميثاق جامعة الدول العربية على الشكل الذي وضع قبل هذه المدة الزمنية الطويلة، ولذلك تقدم العراق باقتراحات تؤدي الى تطوير الجامعة الى ما يشبه الاتحاد، أو ما يسمى بــ(الكونفدراسيون) كما يقولون بالفرنسية. وهو اتفاق دولي يبقي الدول مستقلة ولكن يعطي لهذه الهيئة سلطات واسعة، ولها نوع من السيادة، وخاصة في الشؤون الخارجية. والملاحظ في تاريخ هذا النوع من الاتحادات انها دائما قامت بعد نكسة تتعرض لها الامة، فعندما تتعرض امة من الامم، وهي مشتته الى نكسه أو حرب، تشعر بحاجاتها الى ان تتكتل فتقيم اتحادا كونفدراليا. ولذلك نحن في مثل هذه المرحلة بحاجة الى هذا. وأرجو مخلصا ان يدرك زعماء الامة العربية، ويدرك ملوكها ورؤساؤها، هذه الحاجة الملحة، وان يعملوا جادين لتحقيق هذا التعديل في ميثاق الجامعة، وتحويلها الى ما يشبه الاتحاد الكونفدالي.

*ســيادة الدكتور باعتباركم من رجالات السياسة المرموقين في عالمنا العربي، هناك ســؤال فــي الواقع يتردد في أذهان العرب جميعا وخصوصا في هذه المرحلة التي نعيشها من تــاريخ امتــنا العربية هو: أين تقف امتنا العربية من الصراعات القائمة في عالمنا المعاصر؟ وكيف يمكن ان نستفيد من هذه الصراعات؟

-فــي واقع الحال نحن احدى ضحايا – اذا صح القول – هذا الصراع القائم. يؤسفني ان أقــول ان مفهوم الحياد الايجابي لم يدرك ادراكا سليما. كنا في بعض أقطارنا العربية ننادي بالحــياد الايجابــي هو ان تكون لنا القدرة الكاملة على ان نتخذ طريقنا، دون ان نلتزم بأي من المذاهــب، ســواء كانــت شرقية أو غربية، أو انما نختار منها ما يصلح لنا، وما يتناسق مع

معتقداتـــنا، ومـــا يحقق اغراض امتنا، غير عابئين بالمذاهب الاخرى. ومن هنا لابد ان نعامل الـــدول – من حيث المبدأ – على قدم المساواة، وعلى أساس من ادراك سليم لمصلحتنا. هذا لم يكن واقعيا، لم يكن واقعيا بالنسبة لأكثر الدول العربية، كما قلت كنا ننحاز ولو بقينا ننادى بعدم الانحـــياز. فمهمتنا – خاصة بعد ان تتخطى المرحلة الراهنة العصيبة هو التحدي الاسرائيلي – ان نثبـــت بجـــدارة اننا نستطيع ان نقيم نظاما وسطا لا يميل الى هذا الطرف ولا الى ذلك. وان نـــأخذ من نتاج الفكر العالمي ما يصلح لنا. وارجو ان لا يفهم من قولي هذا اننا نريد ان نعادي الـــناس، أو ان نـــنكر ان فـــي الغرب أو في الشرق قيما ومعتقدات وآراء قد تكون نافعة. ذلك متصور، بل وواقع، ولكن المهم يجب ان نتحرر.

يجـــب ان نستقل فكريا مع استقلالنا السياسي. يجب ان نتحرر. يجب ان نستقل فكريا مـــع استقلالنا السياسي. يجب ان تكون لنا أصالة بحيث ندرك ما نريد، ونختار ما نريد رغبة لا رهـــبة، ونخـــتار الذي نختار ونحن ندرك مداه، ونعمل بمقتضاه، ملتزمين أولا وقبل كل شيء بمصلحة امتنا، وملتزمين أيضا بطبيعة هذه الامة، وتراث هذه الامة، وروحانية هذه الامة. لان أيـــة امة من الامم – وخاصة امة شرقية كالامة العربية لها تاريخ حافل ولها حضارة مبدعة – لا يمكـــن ان تعـــيش دون ان يكـــون لها مثل، ودون ان تكون لها روحانية. فاذن حينما نقرر مصيرنا يجب ان يكون ذلك واضحا. يجب ان يكون بعض المعطيات الثابتة التي يجب ان نختار سياستنا في اطارها. ومرة اخرى أقول في هذه المرحلة العصيبة نحن، مع الأسف الشديد، ليس لـــنا خـــيار كلي. وانا استمع الى بعض اذاعاتنا العربية تتنابز بالالقاب، دون ان ندرك ان هناك ظروفا تفرض علينا، في هذه المرحلة خاصة، ان نلاين هذا الظرف أو ذاك، لضرورات فرضتها طبـــيعة المرحلة العصيبة التي نمر بها. ولكن كما قلت يوم نتخطى هذه المرحلة العصيبة يجب مـــن جديد ان نثبت ذاتيتنا المتميزة، والا نكون ذيلا لأي من الأطراف، وان نحترم انفسنا، وان نحترم غيرنا، وان نقرر أفكارنا وسياستنا على أساس من هذه الحقيقة، ولا شيء غير هذا يجب ان يكـــون دافعـــنا في تقرير سياستنا، والمنهاج الذي نتبعه. هذا هو في تقديري مفهوم الحياد الايجابي، وموقفنا من التيارات المتعارضة.

علـــى ان فكـــرة التـــيارات المتعارضة، – بالمناسبة –، هي الاخرى متغيرة. فقد كان الناس قبل بضع سنوات ربما ينظرون الى امريكا وروسيا كأنهما الطرفان المتعارضان. أما الان فقد نجد من التقارب بين روسيا وامريكا (في بعض النواحي يوجد بالتأكيد تقارب) أكثر مما هو

بين روسيا والصين وكلتاهما، من الناحية العقائدية، دولتان شيوعيتان. فأنت ترى ان المصالح تتغير. فرنسا دولة غربية المفروض انها مرتبطة بانكلترا وهي اقرب اليها ثقافيا وسياسيا من دول عدة. ونحن نعلم ان لفرنسا سياسة مستقلة كل الاستقلال عن انكلترا، والتكتلات العالمية والأفكار العالمية متطورة، فيجب ان نستفيد نحن، وان نقيم علاقتنا بتلك الدول على أساس من مصلحتنا دون افراط ولا تفريط. هذا المعنى أردت ان أقوله الان لأنه يؤسفني ان أقول ان شيئا من الصباوة لايزال يرافق سياسات بعض حكامانا.

نحن نحب حين نحب، فنغالي في الحب وكأننا كالأطفال لاندرك ان الامور لا تبقى على وتيرة واحدة، ونبغض حينما نبغض، ونحاول ان نقطع كل الخيوط بيننا وبين غيرنا، بينما الحكمة تقتضينا ان لا نفعل ذلك. وكذلك منطق الأشياء، وطبيعة السياسة الدولية. يقول احد الساسة البريطانيين المشهورين عن بلاده "ليس لبريطانا صديق دائم، ولا عدو دائم بل لها مصلحة دائمة"، وفي واقع الحال كل الدول الكبرى هكذا ويجب ان تكون هكذا. نحن لنا مصلحة دائمة، يجب ان لا نغالي في التنديد بمن نختلف معه مدة من الزمن، ونحاول ان نقطع عن انفسنا في العودة الى صداقته، لاننا قد نضطر الى هذه الصداقة لمصلحتنا. ويجب الا نندفع اندفاعا كليا يشبه اندفاع الصبيان حينما نصادق يجب ان نوازن، يجب ان ندرك ان أية دولة مهما كان لسانها عذبا، وحديثها مقبولا، وبعض سياساتها متناسقة معنا في مرحلة، يجب ان ندرك ان تلك الدولة انما تعمل لمصلحتها. يقول احد أساتذة السياسة: "ليست الدول مؤسسات خيرية" اذ هي مؤسسات مصلحية. فيجب ان نفهم هذا المعنى، وان لا نغالي في عواطف انفعالية لا تجعلنا موضع احترام بالذات، بل وربما موضوع هزأ بالرغم من العواطف المنفعلة والتقدير المغالي به في تلك العلاقة. هذا هو الدور الذي يجب ان تقوم به الامة العربية حينما تستكمل مقوماتها، وحينما نتخطى، بصورة خاصة، المرحلة الراهنة العصيبة التي نمر بها الان.

*سيادة الدكتور بالنسبة للمرحلة الراهنة والعصيبة التي نمر بها الان، ما هو الدور في رأي سيادتكم، الدور الذي يمكن لدول عدم الانحياز ان تلعبه في الظروف الراهنة؟ وماذا يمكن أيضا ان نتوقع من الامم المتحدة؟

-دول عدم الانحياز كما تعلم هي الاخرى في أوضاع متباينة. من أول الدول التي دعت الى عدم الانحياز مثلا اندنوسيا. تذكر ان مؤتمر باندونغ الذي ثبت هذه المبادئ كان في بلادها.

هــي الان في وضع معين تغير الزمن بالنسبة اليها، وبالنسبة لعلاقاتها وسياساتها. ومن دول عــدم الانحياز المهمة الهند، وخاصة هند السياسي العظيم نهرو، هي الاخرى تعيش الان تحت ظــروف معيــنة. كنت اعيد النظر قبل أيام بكتاب نهرو "اكتشاف الهند" وفيه يذكر فضل الصين علــيهم في أثناء المجاعة، خلال الحرب العالمية ويذكر دولة اخرى، ويقول هذا الفضل يجب ان لا تنساه الهند أبدا. ولكن بعد نهرو كلنا يعلم ان الخصومة الان بين الهند والصين على أشدها. فاذن حتى هذه الناحية الصغيرة تغيرت. يوغسلافيا لا شك انها من دول عدم الانحياز ولكنها في الوقــت ذاته دولة اشتركية، وعلاقاتها بالعالم تتطور. ولذلك أنا لا أقول اننا يجب ان لا نستفيد من دول عدم الانحياز، بل أقول لنستفيد، ولكن يجب الا نغالي في تقدير قيمة دول عدم الانحياز فــي هــذه الامــور بعد ان تطورت مقاييس العالم في السنوات الأخيرة.، وفي تقديري يجب ان نستفيد من العالم كله، كما قلت قبل قليل، على أساس من ادراك سليم لمصلحتنا.

ففرنســا دولــة منحازة ولا تعد من دول عدم الانحياز، هي الان اقرب الينا من سواها اقرب حتى من بعض دول عدم الانحياز بل حتى من بعض الدول الاشتراكية. خذ موقف رومانيا وموقف فرنسا مثلا، رومانيا الاشتراكية موقفها اضعف من فرنسا الرأسمالية. ترى من هذا ان الدنــيا تتغــير ونحن يجب الا نجمد في سياستنا، والا تستهوينا الصيغ المعينة، وانما يجب ان نصــدر – كما قلت – عن ذات نفوسنا، وعن تقدير سليم لمصلحتنا. والمبدأ السليم في السياسة هــو الا نقطع خيطا مع احد. ان " شعرة معاوية"، في القول المشهور، يجب الا نقطعها مع احد في الدنيا لاننا لا ندري كيف تتطور الامور. ويجب ان نحسن القول دائما وأبدا، حتى اذا كنا في اشــد حالات الغضب يجب ان نتملك أعصابنا، لان الكلام المسيء لا يخدم مصلحتنا، انما العمل الدائب، والادراك السليم لمصلحتنا هو الذي يخدم هذه المصلحة.

أما هيئة الامم، وهو الشطر الثاني من السؤال. حقيقة ان هذه المؤسسة الدولية منبرا للــتحدث، وأي قــرار جدي لا نستطيع ان نحصل عليه منها مع وجود الدولة الكبيرة المتقدمة وهــي الولايات المتحدة الامريكية. لا ضير من استمرار اتصالاتنا، وتقوية علاقاتنا بهذه الجهة أو تلــك. واعتقد ان العالم الان اقدر على فهم مشكلاتنا، واقدر على ادراك العدوان الاسرائيلي. وعلــى ســبيل المــثال اني اعد من أذكى الأعمال السياسية التي قامت بها الجمهورية العربية المتحدة أخيرا موافقتها على اخراج السفن المحتجزة في القناة، وانكشاف ان اسرائيل هي التي تعــرقل هــذا الانطلاق. وبدأت الصحافة، وخاصة الانكليزية منها – لان الانكليز متضررون من

غلــق القــناة – تدرك، وتكتب أشياء عن مخاطر اسرائيل، وتكتب صحفهم وخاصة "الكاردين"، "الاوبزيرفــر" على نحو تظهر فيه توجعها على مشكلة اللاجئين، بما لم يقع في المرحلة الاولى مــن العدوان الأخير. فلذلك كما قلت يجب ان نستفيد، ويجب ان نكون مرنين، ويجب ان ننمي علاقاتنا الطيبة مع كل الدنيا مع الحفاظ على ذاتيتنا.

*سيادة الدكتور ولو نحن اطلنا في هذا اللقاء، لأنه لقاء دسم وطيب ومفيد، ولاشك ان جمــيع الســادة المشاهدين هم الان في متعة وفي فائدة منه. بصفتكم أيضا واحدا من رجالات العرب المفكرين المرموقين، لاشك يبرز سؤال مهم وهو كيف ترون مستقبلنا؟

-ليتنــي أســتطيع ان أقول بكلمة جازمة كيف هو. ولكني أراه، كما قدمت، في الوقت الحاضــر قاتما. ما في ذلك ريب. نحن نمر بمرحلة عصيبة. ولكن اعتقادي الشخصي – وأرجو ان لا أكــون مخطــئا – ان لنا قوى كامنة اذا استطعنا ان نحرك هذه القوى، وان نستعين بمن يجــب ان نســتعين به من الدول الاسلامية بالدرجة الاولى، ودول عدم الانحياز، ودول اخرى مصلحتها اخر الأمر ترتبط بمصلحتنا، سنتخطى هذه المرحلة. ولكن ذلك يتطلب بالدرجة الاولى – كمــا قلــت – أيــتوحد العرب، أو يوحدوا وينسقوا – في الأقل – سياساتهم، وان لا تتغلب الانفعالية ولا الانانية الشخصية. يجب ان تتجرد عن الهوى. طبيعي ان يقال هذا الكلام بسهولة، ولكن التطبيق أمر عسير. لا اعلم هذا – ولكن اذا لم تفدنا عبرا أيامنا – وفي هذه الأيام القاتمة بصورة خاصة فيصدق علينا قول الشاعر:

من لم تفده عبرا أيامه

كان العمى اولى به من الهدى

اذا كانت تمر بنا هذه الأحداث، وهذه الماسي، ولم نستطع ان ننتفع منها، وان نتغاضى عــن أخطائــنا وســيئاتنا، فيا خيبة الأمل. يجب ان نعترف اننا جميعا قد أخطأنا، اخطأ بعضنا بالنســبة لــبعض، وقال بعضنا في بعضنا الآخر أشياء كان عليه ان لا يقولها، واتهمت بعض حكوماتــنا، أو بعض حكومتنا، أو بعض دولنا الآخر، وربما قام بعضها بما يشين، كل ذلك حق، ولســنا فــي معرض مناقشة أو تحري أو تدقيق كل ما قامت به هذه الدولة، أو هذا الرئيس أو ذلــك الملــك. ، ذلك أمر نتركه الان، ونحن أمام هذا التحدي الكبير. فاذا استطعنا – ويجب ان نســتطيع – ان نستحث الخطى، وان ندرك الخطر على وجهه الصحيح، فانا متأكد اننا سنتغلب علــى هــذه المأســاة، وسيكون لنا مستقبلنا، لان بلادنا قد حباها الله بالخير الوافر، والثروات

الهائلــة والطاقات العظيمة. ذكاء الفرد العربي حسن، أو ربما هو فوق المعدل، وكل ما نحتاج الــيه فــي هــذه المــرحلة هو الادراك السليم للمشكلة، والعمل المخلص الدائب، لرص الصف المتصــدع، وجمــع الكلمة، والسير قدما الى الأهداف العليا التي يطالب بها أبناء شعبنا، وأبناء امتــنا، وهــذا مــا يجب ان يكون. وعلى ذلك، وبالرغم من آلامنا، فاننا سنتخطى هذه المأساة المؤلمة بإذن الله.

*سيادة الدكتور في نهاية هذا اللقاء الممتع والطيب، هل من كلمة تودون سيادتكم ان توجهوها الى اخوانكم في بلدكم الثاني "الكويت"؟

-بعــد كــل هذه الكلمات! – لست ادري ماذا أقول. ولكن لابد لي ان اختم كلمتي لما بدأتهــا بالتحــية والــرجاء في اطراد التقدم للشعب الكويتي الشقيق. واذا جاز لي ان أسير مع ســجيتي، وان أكــون صــريحا مــع اخوانـــي وأخواتي الكويتيين، ارجو ان لا يقتصر تقدمهم وازدهــارهم علــى الناحية المادية، وان يحافظوا على القيم الأساسية التي بها – وبها قبل كل شــيء – تقــاس حضــارات الامــم وتقدمها. فالحفاظ على المثل العليا التي ورثناها من أجيال ســابقة، والقواعــد الكــريمة التي جاء بها ديننا، والمبادئ الانسانية التي اقرها العقل البشري طــوال العصور. تلك كلها قيم يجب ان نحرص عليها، وان يكون مع التقدم المادي المحسوس فــي كــل ناحــية من نواحي الحياة – كما يبصرها كل من يزور الكويت ويسر بها – ارجو ان يقترن هذا مع ذاك حتى يكون قد صح في الكويتيين قول الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا

وأقبح الكفر والافلاس في الرجل

فانــا أرجــو لكم دنيا ودينا، وارجو لكم سعادة مادية وسعادة روحية، واطرادا في كل مجال، والسلام.

*شــعور كريم من أخ كريم ونحن ليس لنا في ختام هذه المقابلة الا ان نزجي الشكر الجزيل لسيادتكم لاتاحتكم الفرصة لاخوانكم المشاهدين في بلدكم الثاني الكويت، وأملنا كبير في المســتقبل، فــي ان نســتطيع ان نحقق لقاءات ولقاءات لتحدثوا اخوانكم عن قضايانا العربية الراهنة ...

المؤتمر الصحفي بعد فقد الرئيس الراحل[٦١]

"عقد الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء مؤتمرا صحفيا في الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٣- نيسان - ١٩٦٦ في مبنى المجلس الوطني. وقد حضر المؤتمر الصحفي الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والارشاد، والسيد سلمان الصفواني، وزير الدولة لشؤون الصحافة، وعدد من كبار موظفي أجهزة الاعلام. واشترك في المؤتمر عدد كبير من مندوبي الصحف العراقية، ووكالات الأنباء ،والصحف العربية، والأجنبية، اضافة الى مصوري التلفازية والسينما والمصورين الصحفيين. وقد نقلت وقائع المؤتمر الصحفي من اذاعة الجمهورية العراقية وتلفاز بغداد، وهذه هي أول مرة في العراق يجرى فيها نقل مؤتمر صحفي من الاذاعة والتلفاز بصورة مباشرة. وقد استهل المؤتمر بالوقوف دقيقة واحدة حدادا على روح فقيد الامة العربية الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف".

كلمة وزير الثقافة والارشاد:

ثم قام السيد وزير الثقافة والارشاد بتقديم السيد رئيس الوزراء للصحفيين بقوله "من مخطط الحكومة العراقية وهذه الوزارة بالذات مخاطبة الشعب بين حين وآخر بالمناسبات التي تستلزم، ذلك ومنذ تشكيل الاستاذ عبد الرحمن البزّاز لوزارته الاولى دأبت على هذه الخطة وقد سبق له ان قابل الشعب مباشرة أو عن طريق المؤتمرات الصحفية أكثر من مرة ولا شك ان الظرف الراهن وهو مليء بكثير من الأحداث، ان هذا الوقت يتطلب من الحكومة ان تواجه الشعب وان تواجهه للمرة الاولى بعد تشكيل وزارة الاستاذ البزّاز الثانية عن طريق هذا المؤتمر الصحفي. لي الشرف العظيم ان اقدم اليكم الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس مجلس الوزراء".

---

[٦١] جرى انتخاب الرئيس في القاعة التي عقد فيها هذا المؤتمر الصحفي.

رئيس الوزراء يتحدث:

ثــم تكلم السيد رئيس الوزراء فقال: حضرات السيدات والسادة. التقيت بكم قبل اليوم فــي مناســبات اسعد من مناسبة التقائنا هذه الامسية، وارى لزاما عليّ ان أتحدث اليكم، وعن طريقكم، الى الشعب كافة، عما جرى من أحداث في عراقنا لتكونوا، وليكون الشعب والعالم من بعدكم، وعن طريقكم، على بينة من واقع الأمر في هذا الجزء من عالمنا.

وأول ما يجب ان أتحدث به اليكم هو الفاجعة التي ألمت بنا بفقدنا الرئيس الراحل. ولا نملــك الا ان ندعــو الله مخلصين ان يعطر ذكراه، وان يندى ثراه، وان يجعله في الخالدين مع النبييــن والشهداء والصديقين والصالحين وحسن اولئك فريقا، وان نستلهم من روحه العظيمة المثل لنسير في البلاد الى حيث يجب ان نسير اليه، ولنحقق الامال التي كانت تملأ قلبه العظيم.

ان الفــراغ الذي تركه ليس من الميسور ملؤه بمدة قصيرة من الزمن وليس اجتماعنا هذا مأتم تأبين للراحل العظيم، ولكنني اخاطب الشعب أول مرة، ومن واجبي، ومن حق الراحل علي، ان أقول هذه الكلمة للتاريخ: لقد عملت معه سبعة شهور تقريبا وكنت احس عظم الأفكار التي كانت تختلج في ذهنه، وضخامة الامال التي كانت تضطرم في صدره. وكلما ازددنا تعرفا، وطال بنا الالتقاء، ازددت يقينا بان الرجل كان يريد لهذه البلاد، وللامة العربية، خيرا، وان فقده خسارة جد جسيمة.

وأود ان اعلــن فــي المدة التي انيطت بي مهام رئاسة الوزارة في عهده لم يتردد في الاســتجابة الــى سياسة الحكومة، ولم يرد لها طلبا. فما عطل قانونا، ولا رد قرارا، ولا تدخل تدخلا فرض فيه ارادته على احد من الوزراء، أو علي بوصفي رئيسا للوزارة.

كلمة للتاريخ:

أقــول هــذه الكلمــة للــتاريخ، لان الكثير قد أشاعوا من قبل ان الرجل ينحو منحى دكتاتوريا استبداديا، وانه بمفرده يسير شؤون البلاد بالطريقة التي يريدها. وانا، بقدر ما يتصل بي الأمر، أود ان اؤكد للتاريخ هذه الحقيقة .... ولا ازعم اننا لم نكن نختلف في وجهات النظر أحــيانا ... كــنا نختلف، ولكن في الجدل الهادئ، وفي الحوار المنطقي، وفي طرق الاقناع، كنا نصــل اخر الأمر الى ما نعتقده الصواب، وما نرى فيه خير هذا الشعب وخير الامة. وعلى ذلك

فخسارته، من دون شك، خسارة عظيمة ليس للعراق بمفرده بل للامة العربية وللمسلمين الذين كانوا يملؤن جوانح قلبه العظيم.

ولكن مشيئة الله قد قضت بان يذهب الراحل، وكان من مشيئة الله ان أتحمل أنا وزملائي عبء هذه الصدمة الكبيرة. وبقينا ليال ساهرين، ساعين، ما وسعنا الجهد، لان نحفظ هذه البلاد، وان نحول بينها وبين من تسول له نفسه استغلال الفرص للعبث بأمن البلاد واستقرارها. وما كانت المهمة سهلة، ولكن الله سبحانه وتعالى قد أعاننا، والفضل في ذلك لزملائي الوزراء الذين تعاونوا مخلصين في تلك الأوقات العصيبة، والفضل في ذلك لاخواننا الضباط وللجنود ولموظفي الدولة – على مختلف المستويات – والفضل في ذلك للشعب الذي وثق بحكومته وازرها وسدد خطاها، فاستطعنا – بحمد الله، والحمد لله أولا وقبل كل شيء – ان نتجاوز ألازمة، وان نحقق النظام والسكينة، وان نسير على الطريق الدستوري المستقيم.

آراء عديدة:

واسمحوا لي ان أتبسط قليلا، وان اكشف بعض ما جرى في تلك الأيام العصيبة. قال بعضهم ان الوضع يتطلب تغييرا في الدستور المؤقت وعودة الى تشكيل قيادة عسكرية تحكم البلاد. وقلت لهم: ان ذلك يخالف الدستور، واهم من مخالفة الدستور سيفسر من قبل الشعب على انه خطوة الى الوراء لاننا نمهد لحياة نيابية، ونظام دستوري رتيب، واقامة مثل هذا المجلس قد يكون مفيدا من جهة ولكن قد يساء تفسيره، وقد يعني في أذهان الكثيرين ان فئة تريد ان تحكم البلاد أمدا طويلا.

فاستمسكت بكل طاقاتي، وآزرني زملائي الوزراء، بالدستورية والشرعية. وقلت اذا أردنا ان نكسب احترام الشعب، وثقته، فلابد لنا ان نتمسك بالأوضاع القانونية والدستورية. قال آخرون – وقالوا هذا القول بحسن نية أيضا – من الخير ان ننتخب أكثر من شخص واحد، وان نرجع الى ما يشبه نظام مجلس السيادة. وقلت لهم ان ذلك يخالف الدستور أولا، وان ذلك قد يحدث من المشكلات أكثر مما يحل، واننا سنختلف على من سيكون هؤلاء الثلاثة أو الأربعة، وان النظام والأمن يتطلب الحزم، ويتطلب الاستمساك بالنظام الدستوري. جادلني بعضهم مخلصا، وما الدستور؟ ومن وضعه؟ أو لم تضعه فئة صغيرة وباستطاعتنا ان نعدله؟. نعم ذلك الحق، ولكن اذا بقينا على هذه الطريقة سندخل في حلقة مفرغة. كلما تغيرت الحكومة، أو تغير

رئــيس الدولة، يأتي ويقول القائل دعونا نغير الى ما هو الأفضل، أو ما يظن انه الأفضل. وهذا يــزيل ثقة الناس بالاستقرار النسبي الذي استعطنا ان نحققه. ومن الخير ان نتمسك بالأوضاع الراهنة.

وقال آخرون، ان الوضع يتطلب الحزم، ولا يمكن ان يلي المسؤولية في هذه المرحلة الا شخص عسكري قادر على ان يلم الشعب من حوله، وقلت لهم انني وزملائي - واحسب ان الشــعب معــنا فــي هــذا - لا يفرق بين عسكري ومدني فالعبرة ليست بمهنة الشخص وانما بقابلياته وبملكاته. فالخير لنا ان لا ننقسم انقساما جديدا، وان لا نضع قواعد خارجة عن روح الدســتور ونصــه، لان الدستور لم يشترط في رئيس الجمهورية ان يكون عسكريا، وانما قال عراقــيا صــفته كــذا وكــذا، قدم للبلاد خدمات وعمره قد تجاوز السن كذا. فاشتراط ان يكون الرئيس منذ البداية عسكريا مخالفة للدستور ... قال بعضهم يجب ان يكون الاجماع منذ البداية علــى شــخص قلت لهم، من الأفضل ان نسير بالطريقة الحرة، وان ننتخب من نشاء بالطريقة التــي حددها الدستور، والا فنكون بذلك قد خرقنا أحكام القانون. وأقول لكم باخلاص وبصراحة ان هــذه الــروح قــد قبلت أخيرا من قبل الجميع. واننا اتفقنا على ان تجري الانتخابات دونما الــتزام مســبق، ودونمــا تمايز وان من يرى الحاضرون "في هذه القاعة "بالذات من أعضاء مجلــس الــوزراء ومجلــس الدفاع المدني، من يرى ذلك المجلس فيه خيرا وصلاحا لملئ هذا المنصب الرفيع يجب ان يملئه ضغط أو تهديد باستعمال القوة أو العنف وسلب الحرية ...

محاولات لاتباع طرق غير مشروعة:

ولا اخفيكم ان فريقا صغيرا حاول ان يستعمل طرقا ليست دستورية، ولكن بعد الجدل، وبعد الحوار، امن الكل ان روح الود والاخاء والشرعية يجب ان تسود. ورشح ثلاثة أشخاص، - وكــان مــن الطبيعي ان لا يحصل أي منهم في الانتخاب على الثلثين، (النصاب الذي نصت عليه المادة المخصوصة من الدستور المؤقت - لانها اشترطت ان ينال المنتخب ثلثي المجموع الكلــي للأصوات عند خلو منصب رئيس الجمهورية) هذه هي - المادة الخامسة والخمسون - لأي ســبب كان تعقد جلسة مشتركة من مجلس الوزراء، ومجلس الدفاع الوطني برئاسة رئيس الــوزراء لانــتخاب رئــيس الجمهورية بأغلبية من ثلثي المجموع الكلي للأعضاء خلال مدة لا تــتجاوز اســبوعا واحدا من تاريخ خلو المنصب وذلك ممن تتوافر فيهم الشروط المذكورة في

المادة (٤١) من هذا الدستور". والمادة (٤١) تقول يشترط في رئيس الجمهورية ان يكون عراقيا مسلما من أبوين عراقيين متمتعا بالحقوق المدنية وممن قدموا للوطن والامة خدمات مشهودة على ان لا يقل عمره عن (٤٠) عاما".

لماذا انتخبنا الرئيس الجديد؟

جرى الانتخاب بين ثلاثة أشخاص وما فاز احد منهم بثلثي الأعضاء فقمت – وكنت مرشحا – ودعوت الاخوان الى ان ننتخب مرشحا واحدا نختاره برغبتنا، وبارادتنا الحرة. فالذي انتخبناه رئيسا للجمهورية اذن هو الشخص الذي اختاره المجلس المنعقد المؤلف من مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الوطني. وجرى انتخابه بالاجماع أو بما يشبه الاجماع[٦٢]. ولم ينتخب لكونه عسكريا، ولا لكونه شقيقا للمغفور له الراحل العظيم، بل – وهذا مثبت في محضر الجلسة – لأنني واثق بان الرجل يمتاز بصفات تبرر ان يشغل هذا المنصب الرفيع. فهو كانسان يتصف بدماثه الخلق، ويتصف بالصدق، وهو كاب له روح العطف والحنان والمسؤولية، وهو كضابط قد ضحى كثيرا وعمل من اجل هذه البلاد مخلصا، ولذلك قمت ورشحته، لا لان اناسا فرضوه علينا فرضا ولكن لاننا – لرعاية مصالح هذا البلد، وللحفاظ على وحدته، ولاعتقادنا المخلص بقدرته على تحمل المسؤولية – قد اخترناه رئيسا للجمهورية.

فلتسكت اذن بعض الأصوات التي تنطق همسا هنا أو هناك، وبعض الاذاعات المدسوسة التي تثير الفرقة والتي تزعم انها "ولاية عهد"، أو انه أمر دبر بليل، أو ان الأمر قد جرى قسرا، أو ان الشرعية لم تراع في الانتخابات. لقد وقفت وزملائي منذ البداية الى النهاية في سبيل الشرعية، وفي سبيل الدستورية. وقد حققنا هذا.

الرئيس كان من الممكن ان يكون من غير الأعضاء:

وقبل ان انتقل من هذه النقطة أود ان اجيب على تساؤل، تساءل به بعض اخواننا قالوا ان الأمر لم يجر على الطريق الدستوري الكامل، كان الواجب على مجلس الوزراء ان يعلن للناس كافة ان يرشحوا من يشاؤون وبعد ان يجمعوا أصوات المرشحين ينتخبون من

---

[٦٢] امتنع احد الأعضاء من التوقيع على محضر انتخاب الرئيس ولذلك نقص صوت واحد عن الاجماع ولذلك قلت "ما يشبه الاجماع".

يشـــاؤون بالطـــريقة التـــي نـــص عليها الدستور. ومع اني أكدت في الاجتماع، وفي اللقاءات الخاصـــة، ان المنتخـــب لا يشترط فيه ان يكون من بين الحاضرين، وكان باستطاعتنا ان نتفق على أي عراقي تتوافر فيه الشروط المنصوص عليها في المادة (٤١)، ولكن من غير المعقول، بـــل ســـيكون مهـــزلة المهازل لو اتبعنا طريقة الاعلان. رئيس يذهب بحادثة مفجعة، وفي مدة قصـــيرة مـــن الزمـــن تعلـــن هيئة صغيرة من الناس كافة تعالوا يا ناس: شغلت وظيفة رئيس الجمهورية، رشحوا للوظيفة الجديدة من تريدون... اظن لا روح الدستور، ولا منطق الأحداث، ولا طبيعة الزمن، يتطلب هذا.

وأكـــثر من هذا وذاك لم تنص المادة (٥٥) على لزوم وقت ترشيح وقبول مرشحين، "قالـــت لانـــتخاب رئيس الجمهورية" صحيح ان رئيس الجمهورية لا يشترط ان يكون من بين المجتمعين، وقد أوضحت هذا بصراحة وقلت لاخواني من حقنا ان نتفق على زيد من الناس من خارج مجلسنا، ولكن ان يقال بأننا لم نعلن، ولم نسمح لفلان أو فلان ان يرشحوا انفسهم، فذلك أمر غير منطقي وغير معقول ولا يتطلبه الدستور.

فنحن اذن قد راعينا "الدستورية الكاملة" وانتخبنا رئيسا بالطريق الدستوري، وواجبنا الأول - وقـــد اقســـمنا كـــوزراء لاطاعة الدستور - ان تسير بمقتضاه، كما اقسم السيد رئيس الجمهوريـــة. وانـــا مـــتأكد من صدق الحادث وهو مترجم الى الانكليزية أيضا حتى يطلع عليه الصـــحفيون وتأكيد يمينه في رعاية الدستور، وخدمة هذا الشعب. وواجبنا ان نلتف من حوله، وان نمـــد أيديـــنا اليه نشد بعضنا بعضا، ونقوى بعضنا بعضا، حتى يستطيع ان يسير بالقافلة، وان يوصل السفينة الى بر السلام.

صعوبة الوضع:

وانـــتم تعلمـــون جيدا ان الأوضاع في عراقنا كانت قبل اليوم قلقة وصعبة جدا، وهي الـــيوم أكـــثر صـــعوبة، وادعى الى ان نلتقي وان نوحد صفوفنا، وان نوحد جهودنا، في سبيل المصـــلحة العامـــة، وان نتناســـى الجزئيات، وان لا نستمع الى ما يقال هنا أو هناك - خاصة ودعاة السوء في كل بلد لم يقض عليهم، ولا يمكن ان يقضي عليهم نهائيا - وخاصة وان هناك إذاعات مسمومة كاسرائيل ومن على شاكلة اسرائيل، تثير الدسائس، والفتن، وهم يعملون ليل نهـــار لتشـــتيت هـــذه الامـــة، والقضاء عليها، والذهاب بريحها. نحن، وواجبكم انتم، يا رجال

الصحافة والاعلام ان تنقلوا الحقائق للمواطنين، وان تعملوا كمواطنين أيضا بواجبكم في نشر الحقائق وافهام الناس تلك الحقائق. واؤكد لكم اننا لن نتنازل عن حق من حقوق الشّعب، ولن نخفي عن الشعب حقيقة، واننا انتخبنا رئيس الجمهورية بالصدفة، وكان من الجائز ان يكون وزراء غيرنا، واننا نعترف سلفا ان ليس ذلك هو الطريق الديمقراطي الامثل. ولكنا في مرحلة انتقالية، وانا قلت قبل اليوم حينما وليت رئاسة الوزارة في عهد المغفور له، ان كوني رئيسا للوزارة لا يجعلني قواما على هذا الشعب، وليس من حقي ان ازعم انني امثل الشعب. فاذا كانت لنا فضيلة فللشعب ان يحكم على أعمالنا. واذا كان لنا هدف فهو تمكين الشعب بعد مرور رحلة الانتقال ان يحقق آماله بإقامة حياة دستورية وحياة نيابية.

نتائج التحقيق في الحادث المؤلم

وقبل ان أتكلم عن منهجنا أود ان أقول كلمة عن الحادث ذاته. لقد أرجفت بعض الجهات، في الداخل والخارج، بان الحادث لم يقع قضاء وقدرا، وان هناك تدبيرا من جهة أو اخرى. بل بلغ السفه – واسمحوا لي ان استعمل الكلمة هذه – في اذاعة رخيصة ان تزعم انها هي التي دبرت اغتيال الراحل وصحبه بالرغم من ان ذلك باطل لما سترون من التقارير التي ستوزع عليكم – لا ادري أيشرفهم مثل هذا العمل الاجرامي؟! أنا اترك للناس، ان يحكموا، كما همس آخرون في بلد – يؤسفنا ان نقول عربي – انهم، وعن طريقهم الحزبي، قد دبروا اغتيال الراحل العظيم.

ومرة اخرى أتساءل أيشرفهم لو صح هذا القول ان يرتكبوا مثل هذه الجريمة الشنعاء؟ ولو كانت لهم خصومة مع الراحل أيجوز ان يقتلوا عشرة آخرين من الأبرياء من غيره، وهو من دون شك بريء أيضا؟ ذلك هراء، وذلك كذب وذلك افتراء. وان الذي حدث مشيئة ربانية قاهرة، وكل نفس ذائقة الموت، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت.

ان الرجل الشجاع الذي لقي الأهوال، وحارب في فلسطين، وركب الدبابات مرارا، وحكم بالاعدام، قدر له ان يذهب بعاصفة هوجاء من تقدير القدر، ولكن أنا لله وانا اليه راجعون.

سيوزع عليكم التقرير الفني الذي أعدته لجنة الخبراء عن كيفية وقوع االأجانب، وهناك تقرير قضائي اعد في مرحلته الاولى وننتظر تمام اعداده حتى ننشره بنصه الكامل. واؤكد لكم ان التقرير القضائي، هو الآخر، يؤكد ان الأمر قضاء وقدرا، وان العاصفة هي السبب في سقوط الطائرة، وانها قد تحطمت على الأرض، واحترقت بعد ان اصطدمت، وان الأمر لم يكن من تدبير أي انسان، انما هو من تدبير جبار قهار، لا سلطان لاحد على رد ارادته.

شكر للجميع:

وأود بهذه المناسبة، ما دمنا مازلنا في ذكر الراحل، ان أتقدم الى الصحافة، والى الشعب، والى الدول العربية الشقيقة، والى الدول المجاورة الصديقة، والى دول العالم وشعوبها التي شاركتنا بالمصاب، بالشكر. وأود ان اخص بالثناء – ولا احسب اني بحاجة الى هذا التخصيص – ان اخص بالثناء الجمهورية العربية المتحدة، لانها، منذ اللحظة الاولى، وافتنا بكل طاقاتها، وكان وفدها يشاركنا آلامنا وأحزاننا مشاركة قلبية صادقة، واشترك في كل مراحل التشييع من رفع جنازة الفقيد الراحل وصحبه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين في معسكر الرشيد، الى السير في جنازات الشهداء كافة، الى التشييع، الى الاستعداد الكامل للمساعدة والمواساة. وليس ذلك بدعا، فبلاد الرافدين، وارض الكنانة شقيقان صنوان يسيران الى هدف واحد، ويعملان من اجل اغراض واحدة.

وأود ان أقول كلمة للذين يرجفون، من اعداء العروبة، من ان الوفد الذي جاء مبكرا بصدق عاطفة واخلاص قد جاء للتأثير على سير الامور في العراق. ان ذلك ارهاص وارجاف باطل. ان اخوتنا الذين جاءوا، من أول من جاءنا، لأنهم اقرب الناس الينا، وعزاؤنا عزاؤهم، ومصابنا مصابهم. وما كان لهم هنا غير عمل الخير وغير المواساة. ولم يعملوا أي شيء يؤثر على سير الأحداث. وما كان لهم من رجاء الا ان يبقى العراق عزيزا، وان ينجي الله سبحانه وتعالى العراق من محنته، وقد أنجاه، وان يقفوا بجانبه، وقد وقفوا ،كما وقفوا دائما وأبدا الى جانبه. فلهم اجزل الشكر.

والشكر الخالص أيضا للاخوة العرب جميعا لما أبدوه من صادق العاطفة، وللوفود الكريمة التي ساهمت، والشكر أيضا للدول الجارة، لتركيا التي أرسلت وفدا مهما كبيرا، ولايران التي أعلنت حدادا وأرسلت برقية تعزية رقيقة.

موقف مشين لحكام دولة عربية

ولا اريــد ان اعــرض بــتلك الدولة التي وقفت ذلك الموقف الذي تعرفونه، فانا اترك الحكــم عليها لشعبها العربي الأبي، وللامة العربية، ولكل ذي نفس كريمة. كان الأجدر بهم، ان كان ثمة عداء، ان يقولوا كما يقول الشاعر:

طوى الموت اسباب العداوة بيننا

أما ذلك الموقف المتشفي الذي وقفوه – ويؤسفني ان أقول وقفة القلة القليلة من أبناء العــراق أيضــا – فلا احسب ان ذلك يزيدهم كرما. والعزاء، كل العزاء بالعاطفة الصادقة التي أظهرها هذا الشعب المتجاوب الكريم، والحماس المنقطع النظير، والعاطفة الصادقة، فكنت ترى مناحة في كل بيت. والذين شاهدوا التشييع من اخواننا العرب أذهلهم هذا الحدث، ولكن أعجبهم هذا الحماس وهذا الاخلاص.

قال لي الأمين العام لجامعة الدول العربية الاستاذ عبد الخالق حسونة: كنت دائما اؤمن بالعــراق، واقــدر العراق أما وقد رأيت ما رأيت فانا اشد ايمانا بهذا الشعب العظيم. وسياسي أيضا قال: آمنت بما لا يبقى في نفسي أدنى ريب بان العراق شعب واحد، وشعب ناضج وشعب عظيم. في كل هذا عزاء لنا.

وقــبل ان اتــرك هذا الموضوع، وانا اشكر الذين واسونا، عليّ ان اشيد أيضا بدولة كــبرى كان لها موقف مشرف كريم، وهي الدولة السوفييتية الصديقة. فقد حضر رئيس دولتها ســفارتنا في موسكو، واعدوا طائرة لرئيس الأركان بالأمس، ورئيس جمهوريتنا اليوم، وجاء وفــد كبير اظهر خالص العاطفة، وجميل المواساة، وكرروا العواطف اللطيفة الانسانية. انه من الواجب عليّ كمسؤول ان اشيد بهذا الموقف، كما قلت، كما اشيد بمواقف الدول الاخرى.

لم نستبعد أحدا من أعضاء الوزارة السابقة:

يعد هذا تسألونني ما هي سياسة الحكومة، وربما هناك سؤال يسبق هذا سؤال: لماذا تخلــف بعــض الــوزراء عن المساهمة في الوزارة؟ وأود ان اؤكد لكم بصراحة كاملة بأننا لم نســتبعد أحدا من الوزارة، ولم يشترط بصورة خاصة رئيس الجمهورية علي ان استبعد أحدا، كما زعمت احدى الاذاعات.

وأقـــول بصراحة كاملة، ان رئيس الجمهورية، وهو انساني وهو دستوري، لا يشترط مثل هذا الشرط، لان الذي يكلف بالوزارة هو الذي يختار الوزراء. وانني عرضت على زملائي كافـــة ان يبقوا في مناصبهم. ولكن اثنين طلبا مناصب أكثر من مناصبهم التي كانوا يشغلونـها، ولاســـباب شخصية محضة رفضا الاستمرار معنا في الوزارة، فلم يكن هناك استبعاد بحال من الأحـــوال. ولا يعنـــي هذا اننا سنحرم من مواهبهم ومواهب كل المخلصين. وانا أقول بصورة خاصـــة بان زميلي وزير الدفاع كان قد عمل أعمالا مفيدة لهذه البلاد أثناء توليه وزارة الدفاع، وانـــنا كنا حريصين كل الحرص على ان يبقى زميلا لنا، ولكنه اثر في هذه المرحلة الا يشاركنا المســـؤولية. وطبيعـــي نحن نحترم رأيه وارادته، ونعتقد ان البلاد يجب ان تستفيد بطريقة أو اخـــرى مـــن مواهبه، كما تستفيد من مواهب جميع أصحاب المواهب لاننا بحاجة الى ان ننتفع بكـــل القوى الخيرة في هذه البلاد. ولكني – ولا اريد ان اطيل في مدح زملائي الجدد – قد جئنا أيضـــا بوزراء لهم كفاياتهم. فعلى سبيل المثال وزير الدفاع الحالي ونائب رئيس أركان سابق، وضابط من الطراز الامثل، ورب اسرة كريم، ومواطن صالح، وقومي معروف. ووزير الصناعة الذي خلف المرحوم الذي فقدناه، رجل فني ودقيق ومستقيم، وكان في التدريس استاذا مساعدا ومديرا للمدرسة الصناعية العالية، ثم مفتشا صناعيا ثم اختير أخيرا لمنصب مهم في التخطيط. وهكذا حاولنا ان نختار بدلا من فرض القدر علينا ان نستبدل بهم غيرهم أو رفض التعاون معنا بغيرهم، ولم يزل هناك مجال لتعاون فريق اخر حينما نجد الفرصة مواتية.

منهاج الوزارة السابقة ذاته:

مـــنهاج هذه الوزارة هو منهاج الوزارة السابقة من حيث هو. أعدت قراءته. وسالت نفســـي هل هناك حاجة الى ان اضيف اليه شيئا؟ وتشاورت مع زملائي فوجدنا انفسنا لو طلب اليـــنا ان نذيـــع اليوم منهاجا للوزارة لاذعناه بقضه وقضيضه، كما تقول العرب. ثم رجعنا الى الـــنقاط الســـبع. نقـــاط التكليف التي كان الراحل العظيم قد ذكرها حينما انيطت بي المسؤولية، فوجدتها هي هي، لم تزل قائمة، وانها المحاور الأساسية التي تدور عليها سياستنا.

الرفاه لأبناء الشعب في ظل اشتراكية رشيدة:

وتذكـرون ان الـنقاط السـبع هي أولا – العمل الدائب على تحقيق الرفاه التام لأبناء الشـعب كافـة في ظل اشتراكية عربية رشيدة تهدف الى زيادة الانتاج وعدالة التوزيع وترعى القطاعين العام والخاص في ان واحد. نحن اليوم، كما كنا بالأمس، اشتراكيون عرب، أو عرب اشـتراكيون. نؤمـن بالاشتراكية المسددة الرشيدة الهادفة الى العدالة الاجتماعية، ولن نتخلى عـنها. ولكننا، كما سبق لي ان أوضحت هذا المعنى، لا نلتزم بمذهب اقتصادي معين يعد نفسه خلاصـة الآراء، وغايـة الغايـات، وانما ننفع من تجاربنا، ومن تجارب الانسانية كلها. ولكننا نؤمـن بالتأكيد "بروح الاشتراكية" وأهدافها، وسنرعى الطبقات المحرومة من العمال والفلاحين والطـبقات دون الوسـطى. كما سترعى طبقات المجتمع كافة لان الاشتراكية العربية لا تؤمن بالطبقية، ولا تريد ان تسود طبقة اخرى، فالشعب كله سنرعى حقوقه دونما تمايز، وعلى اسس من قواعد العدل ورعاية القانون.

سيادة القانون:

وهـذا المعنى أكدته المبادئ الاخرى التي وردت في المبادئ السبع. لان المادة الثالثة تقـول تحقـيق مـبدأ سيادة القانون تحقيقا تاما بحيث يصبح جميع أفراد هذا الشعب سواء في الحقـوق أو الواجـبات دون تميـيز أو تفريق واقامة الدولة على اسس رصينة بالقضاء على عوامـل الـتفرقة وسوء الاستعمال. هذا المبدأ لم نزل ملتزمين به، أنا اعترف اننا لم نتقدم به كثـيرا، وخاصـة في المدة الماضية، لان أجهزة الدولة لم تزل مليئة بالعاجزين، وبالمتمردين والمترددين، وبالخيرين، وبأصحاب (شعليك وشعليه ... والجلوس على التل اسلم). وانا اعلم ان لابد من ثورة كبرى في هذا الصدد حتى نستطيع ان نضع هذا الأمر في نصابه المعقول.

الحياة الرتيبة:

ولـو قدر لنا ان نبقى الوقت الكافي في الحكم – وانا أقولها دونما تبجح ودونما منة، سنكون اسعد الناس حينما ننهي مسؤولياتنا في بضعة شهور القادمة – لان هدفنا الأساس هو ان نقـيم مجلسـا نيابيا، وان نضع الدستور، وان نقيم حياة رتيبة اعتيادية، وان نترك للشعب صاحب الحق الأساس في ان يحكم البلاد كما يريد ان تحكم وانا قلت الف مرة أي شخص يأتي

عــن طريق دستوري ليس من الضروري ان يكون أنبه الناس واقدرهم وأكثرهم كفاية، وسبق ان قلــت فــي أول هــذا الحديث نحن هنا بطريق الصدفة، والحق النهائي للشعب، ولا حق لنا بادعاء القوامة على الشعب، ولكن كما قلت اذا كانت لنا فضيلة فهي ايماننا بحق الشعب وعملنا مــن اجــل الشــعب، فــاذا كان الشعب راضيا عنا فهو مشكور. واذا عجزنا، فمثلنا كما يقول الفقهاء، مثل المجتهد: ان أصاب فله حسنتان، حسنة الاجتهاد، وحسنة الإصابة، وان اخطأ فله حسنة الاجتهاد. ومع ذلك فالحكم النهائي لهذا الشعب الذي ارجو ان يوفق في ان يختار مجلسه النيابــي بأســرع وقت مستطاع، ولائحة القانون معدة، ولكن لابد من اعادة النظر فيها. وسيتم تشــريعها خــلال الشهور القليلة القادمة وهذا المعنى الشامل الذي اشرنا اليه في الاسراع في تحقيق الحياة الدستورية الدائمة، وقيام النظام النيابي، ووضع لائحة قانون الانتخابات في أسرع وقــت مســتطاع لانهــا المرحلة الانتقالية، والسير بالبلاد الى حالة الاستقرار في حدود المدة المنصوص عليها في الدستور المؤقت.

لــم يبق من هذه المدة الا شهور معدودات. ويجب ان نسعى ليل نهار حتى ننجز هذا المطلــب. ولعل في هذا بعض السبب في انني اليت أو اثرت ان أتحمل أعباءً كثيرة هي وزارة الداخلــية لانها هي المسؤولة عن الانتخابات، ومسؤولة عن وضع قانون الادارة المحلية، وما شاكل، وأصبحت هذه المهمة الأساسية في هذه المرحلة، مع الامن والاستقرار اللازمين لتمكيننا من السير في تنفيذ منهاجنا.

الوحدة الوطنية

أمــا النقطة الرابعة فهي الحفاظ على وحدة التربة العراقية في تحقيق الوحدة الوطنية التــي هــي المــنطلق الأساس للوحدة القومية. وهنا اسمحوا لي ان أقول كلمة للشعب، عامة ولاخوانــنا في شمالي الوطن خاصة! نحن نقول بوحدة الوطن، وكثيرون منهم لا يريد انفصالا عــن العراق، ونحن نود الحفاظ على هذا الوطن الواحد بعربه وأكراده، ان كان هذا حقا – وانا ارجو ان يكون حقا – ونحن نقول بان الأكراد اخواننا في الوطن لهم وجودهم القومي المتميز، ومــن حقهــم ان يعتزوا بقوميتهم، ويحافظوا على ذاتيتهم، ويحفظوا لغتهم، وتراثهم، وتراعى حقوقهم، وينالوا قسطهم المشروع في هذا الكيان. ونحن نقول هذا ونعنيه، اذا كان الأمر كذلك فعلام اذن هذا الصراع؟ وعلام هذه الفتنة القائمة منذ سنوات عديدة في جزء عزيز من الوطن؟

والذي ارجوه مخلصا ان يعيد اولئك المواطنون النظر في هذه القضية الحيوية، وان لا يضيعوا على انفسهم، ولا على البلاد، فرصة تعود بها الى الامن والرفاهية. وبدلا من ان تنفق الأموال في تحطيم القرى والقتل – وكل دولة يخل بأمنها مضطرة لان تستعمل القوة وان أدت الى التخريب – أقول بدلا من ان تصرف الجهود في هذه الناحية، تصرف الأموال في اعمار الشمال، واسكان اهالي الشمال، وتحقيق الرفاهية لأبناء الشمال، وتعيد الطرق في الشمال، وتحسين الزراعة في تلك المناطق الجميلة وجعلها جنة من جنان هذه الدنيا. ان لهم ان يفكروا بعمق واخلاص لا للعراق عامة، بل ولشمالي العراق ولأكراد العراق خاصة. أيحسبون انهم قادرون على ان يغلبوا دولة بطاقاتها وخبراتها وطياراتها؟ كل ما في الأمر انهم اذا ما تعنتوا، واذا ما تمادوا زادوا في الماسي، وزادوا في الضحايا. وخير لهم ان يرعوا ويتعضوا وان يعودوا الى حكومتهم المدركة لمسؤولياتها التي لا تفرق بين مواطن ومواطن على أساس من عنصر أو دين أو مذهب، والتي تنظر للمواطنين سواسية في حق المواطنة، فهم كأسنان المشط، لا فضل لأحدهم على الآخر الا بما يقدمه من خير وما له من كفاية وقدرة على نفع هذه البلاد.

أقول أما ان لهم – ومنهم كثيرون عقلاء في بغداد وخارج بغداد – ان يدركوا هذه الحقائق وان يتقدموا للقلة التي لم تزل تغالي والقلة التي لم تزل تميل الى العنف، وتميل أو تلين الى هذه الدعايات أو تلك أو ان تستفيد من هذه الجهة أو تلك وربما بعضها لأغراض شخصية، أما ان لهؤلاء ان يعووا هذه الحقيقة، وان يعودوا الى صوابهم، حتى يعود الامن وتعم الرفاهية ونسير قدما في تشريع قانون المحافظات الذي سيحفظ لكل لواء أو محافظة سلطات واسعة في الادارة المحلية، وفي الثقافة، وفي التعليم، وفي الصحة، وفي الشؤون البلدية، وفي الخدمات الاجتماعية، وفي كل ما يعود على الاهلين بالخير والرفاهية.؟!!

كل طلب عدا الانفصال مشروع:

ولكن سيخطئ هؤلاء اذا تصوروا ان هذه الدعوة المخلصة تصدر عن ضعف. نحن بحمد الله أقوياء. لنا طاقات جيدة، ولنا اخوة يمدوننا بالعون الكافي، ولنا جيش شجاع، حارب ويحارب اذا اقتضى الأمر أمدا طويلا. ولكننا نؤمن بقوله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) والذي أوصانا ان نتواصى بالصبر وان نتواصى بالمرحمة. الشيء الذي نتسامح فيه – وليكن

ذلـك واضـحا – للجمـيع – لن نوافق على الانفصال، ولا الى كل ما يشبه الانفصال، أو يمهد للانفصـال. فـيما عـدا ذلـك كل طلب مشروع يحقق الذاتية الكردية، ويحفظ للأكراد الكرامة، وحقـوق المواطـنة، ويجعلهـم ككل المواطنين سواء، أمر مشروع اذا ما جاء الى حكومتهم الشـرعية سـيجدون اذنـا صاغية، وقلوبا واعية، ونفوسا طاهرة، تريد الخير للمواطنين، ولا نفـرق بين شمالي العراق وجنوبه، ولا بين عربه وأكراده، ولا بين هؤلاء واولئك على اسس مـن مذهب ومذهب، كما قد يرجف بعض المرجفين. فالمواطنون – مرة اخرى أقولها، أو ربما للمـرة العاشرة– سواء، وانا أقولها بملئ شفتي، وانا أتحدى من يقول ان هذه الحكومة عملت أي عمل يشم منه انها تحابي فئة أو جهة، أو انها لا ترعى القانون، أو انها تتعصب الى عنصر أو دين أو مذهب.

المواطـنون كافة يجب ان يتمتعوا بحقوق المواطنة، ويجب ان يتمتعوا بخيرات البلاد، ولهم جميعا غنم هذه البلاد، كما عليهم غرمها. نحن نطالب الناس كلهم بالجندية. ولا نقول ان الجنوبـي لا يجند مثلا، فلم يحرم اذن ابن الجنوب من خيرات البلاد؟ ونحن نطالب الكردي بان يكـون جنديا في معظم مناطق العراق التي هي مناطق مسالمة وموالية للحكومة، وكثير منهم فرسـان مـتطوعون حـتى فـوق سن الجندية، فلماذا نحرم هؤلاء من حق المواطنة الكاملة والانـتفاع بخيرات العراق؟ لذلك أعلنا هنا بان سياسة الحكومة هي – كما كانت دائما وأبدا – ميل لحل المشكلات كافة بالطرق السلمية، ما وجدنا الى السلم سبيلا، والذين يتعنتون، والذين لا ينصـاعون الى وجه الحق، ستكون المغبة عليهم، وسيسألهم التاريخ، وستكون نقمة أبناء تلك المناطق عليهم قبل أبناء المناطق الاخرى ...

التنظيم الشعبي:

الـنقطة الخامسـة التي كانت قد وردت هي العناية بالتنظيم الشعبي على اسس جديدة ليصبح الاتحاد الاشتراكي القاعدة الوطنية التي تتجمع عليها القوى القومية المخلصة كافة. هذا موضـوع في غاية الأهمية، وهو موضوع يتصل أيضا بالانتخابات وقانون المحافظات، لابد لنا من تنظيم شعبي بالذات، ونحن لا نحارب كتلة أو حزبا بالذات، ولكننا نرى اننا في هذه المرحلة العصـيبة بحاجة الى جمع الكلمة، وان التحزب الأعمى مشين. أنا لا أنكر ان بعض الأحزاب – فـي وقـت من الاوقات – كانت نافعة، وانا لا أنكر ان كثيرا ممن انتسبوا الى تلك الأحزاب لم

يــزالوا الــى اليوم مخلصين، ولكن لهم أيضا أتوجه بالخطاب هل الحزبية غاية ام وسيلة؟ هل المهــم ان نكون متحزبين أو ان نخدم البلاد بالطريقة السليمة التي تحقق أهداف الامة العربية وأهداف هذا الشعب في الرفاه والاستقرار والتقدم؟ فاذا كانوا مخلصين – وانا لا اشك باخلاص الكثيريــن مــنهم – فعليهم ان يشدوا أزر هذه الحكومة التي هي انتقالية تريد ان تحقق الامن، وتقــيم الحــياة النيابية، وان يتركوا الطرق التي لا تخدم غير الأجنبي المتربص، ولا تخدم غير الاستعمار، ولا تخدم غير الرجعية التي لا ترضى بالتقدم ولا ترضى بالازدهار الذي يريده عامة الشعب، وتسعى له هذه الحكومة جاهدة.

لين من غير ضعف:

ســنعامل كل الناس على أساس واحد، سنرفق، ما وجدنا للرفق سبيلا، ولكن يجب ان لا يتصور، كما يتصور بعضهم، انه قد ذهب فلان اذن فاتركوا كل أمر مسيب

صفا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت ان تنقـــري

قد رحل الصياد ماذا تحــذري

هــذه دولــة لهــا مسؤولياتها. كان الراحل عظيما ومهما، ولكنه ذهب وصار في ذمة الخلــود. واجابــنا نحــن ان نرعى الناس جميعا، وان نحفظ الامن والسكينة والاطمئنان للناس كافة، ولا نمكن فريقا صغيرا من الناس ان يسيطروا من جديد، أو ان يتحكموا في رقاب الناس. ولن نرعب الناس بتمكين بعض الفئات من جديد ان تعود الى ماضيها أو الى ماسيها. ليكن ذلك واضحا ومعلوما. بقدر ما سنتسامح وسنعفو كل من يستحق التسامح والعطف، لن نتسامح مع المسيء، وسنضع كل أمر في نصابه، وسنستأنس بقول ابي الطيب المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضر كوضع السيف في موضع الندى

سنضع كل شيء في نصابه. زملائي وانا ملتفون حول السيد رئيس الجمهورية، ومن حولنا ومعنا أجهزة الدولة كافة، مدنية وعسكرية، سنسعى الى تحقيق مطاليب هذا الشعب، ولن نركــن الى جهة من دون سواها. سننظر الى الناس كافة، وسنعامل الناس بالقسطاس المستقيم لــن نــترك أمر الناس فوضى، لان الناس لا يصلحون فوضى، وسيكون حكم القانون قائما، مع روح العــدل المعقــول الذي يمكن من يتوب من توبته، وتعفو عمن يستغفر وتسمح له بالحياة

الهادئة. وقد بدأنا فعلا في ذلك وسنستمر في هذا. ولكن يجب الا يتصور - كما خيل لبعضهم - اننا سنجعل الأمر طريقا مفتوحا لمن يريد. وبدأت بعض الشهوات بتسفيط أو كما يقولون (تستفزهم رائحة القرم، كالجائع يشم رائحة اللحم المشوي). تصور بعضهم انهم من الحكم قاب قوسين أو أدنى، فبدوا يتكتلون هنا وهناك، ويتجمعون هنا وهناك، ويرتجفون هنا وهناك، واتت الفرصة لهم حتى يقفزوا. فليعلموا ان هذه الحكومة - الضعيفة بأشخاصها - القوية بعقيدتها، وبموؤازرة الشعب، تدرك مسؤولياتها. ولن تتنازل ولن تهيبها أو تخفيها فئات تزعم لنفسها أمجادا موهومة. ولكنها ستحترم الناس جميعا، وسترعى القانون رعاية كاملة، وستمسك بالحق والقسطاس الى أقصى حدود الاستمساك، غير هيابة ولا وجلة، وهي لا ترجو من وراء ذلك غير خدمة هذا الشعب، وغير رضاء الله، ورضاء الضمير، وان تحقق لهذا الشعب وللامة من وراء هذا الشعب، ومع هذا الشعب، ما تريد ان تحقق.

رعاية الجيش:

رعاية الجيش والقوات المسلحة مطلوبة لانها سياج هذا الوطن، هذه بديهية لا اظننا بحاجة ان نسهب القول فيها، لولا انني سمعت بعض الارجاف. قال قائل: ان الحكومة مدنية لن تعنى بالجيش، انها تريد ان تنتقص من حقوق الجيش. أود ان اؤكد لاخواننا ضباط الجيش - وانا اعلم ان هذه الأقوال ليست أقوال الجيش الحقيقي، بل هي أقوال بعض من كانوا في الجيش، يتاجرون باسم الجيش -، أما الضابط المحارب، أما الجندي المحارب، فهو من أبناء هذا الوطن، شعوره من شعورهم، ولا يفكر بهذا التفكير الطبقي.

كفانا انقسامات على أساس شمال وجنوب، ومدن، ومذاهب، وعقائد، حتى ننقسم انقساما جديدا على أساس مدنيين وعسكريين. المقياس السليم هو المواطنة الصالحة. لا يوجد عاقل لا يعرف ما للجيش من فضل، وما للبلاد اليه من حاجة. وما كان من سياستنا ان ننتقص من منزلة الجيش، ولا ان نضعف من وجوده، بل سنعمل على تعزيزه، ورعايته، والعمل على جعله قوة فعالة لخدمة هذا الوطن، والاسهام بالرسالة الكبرى التي تنتظرنا يوم ينادى المنادى لتحرير الوطن السليب. فالجيش اذن هو موضع العناية وموضع التقدير، والذين يزعمون اننا قد نقصر لاننا مدنيون مخطئون، كالذين يزعمون ان البلاد لا يمكن ان يحكمها الا ضابط.

أنا لا أنكر ان بين الضباط القدامى اناس يمتازون بالحكمة والمقدرة والاخلاص، ومن حقهـم ان يحكمـوا. اذا أرادهم الشعب ان يحكموا فعلى الرحب والسعة. ولا ازعم انني، أو ان زملائــي افضل منهم بحال من الأحوال. ولكن لا أستطيع، ولا احسب أحدا من أبناء الشعب يقر الذيــن يقولون ان الحكم لا يمكن ان يكون الا بايديهم. وانا في هذا – وان كان المعنى بمناسبة اخرى – أقول كما يقول المتنبي:

ليس الحداثة من حلم بمانعه

قد يوجد الحلم في الشباب والشيب

الشعب يحكم على الأعمال

الحكــم هــو المعرفة، المعرفة والفهم قد يوجد في الضابط الممتاز، وفي غير الضابط الممــتاز. وقــد يحكم البلاد ضابط قدير، وقد يحكمها غير ضابط قدير. اما ان نقول لا يمكن ان تحكم هذه البلاد الا من ضابط فذلك ما اخالفه مع احترامي للأشخاص – ودون ذكر لهم. اخالفهم بهـذا الــرأي مخالفــة كاملة. والذين يريدون ان يجعلوا من أنفسهم طبقة بمثابة البدريين، أو العشــرة المبشــرة بالجــنة، هم دون سواهم يجب ان يحكموا، ويجب ان يستشاروا، ويجب ان يصــار الــيهم ،هذا الرأي مع احترامي للقائلين به، لا أظن ان الشعب يريده. الشعب يحكم على الناس بأعمالهم. الضابط الفلاني ضحى فهو اذن قدير، وان كان اليوم سياسيا ومحترما. وفلان غــير ذي كفاية فالشعب لا يريده وزيد من الناس ليس بضابط ولكنه رضى به الناس، واستطاع ان يحكم البلاد بطريقة أو باخرى معقولة.

أمــا ان نجــزم منذ البداية ونقول ان العراق لا يحكمه الا "حجاج" أو ضابط فتلك فرية على هذا الشعب الوديع الذي يعرف قدر حكامه، ويتجاوب معهم. انه اتهام باطل، كأننا لا يمكن ان نحكــم الا بالعصــا، وكــان المنطق والإحسان والعقل والاتزان لا يمكن ان يستجيب له هذا الشعب. وقد دلل الشعب بالبراهين القاطعة على خلاف هذا الزعم.

فــإذن القول بأننا سننتقص من قيمة الجيش، أو ننتقص من الضباط لأنهم ضباط، قول باطل. كل ما في الأمر نحن نعتقد ان الحكم للأقدر والأصلح، والحكم النهائي في هذا هو الشعب. وان الذيــن يريدون ان يستأثروا بسلطات، أو ميزات، لمجرد كونهم ضباطا، وان كانوا شجعانا، وان قدمــوا فــيما مضــى تضحيات، لا أظن ذلك يجب ان يكون بثمن، ولا يجب ان يكون ذلك

مفروضـــا. فحيـــنما يحكـــم الشعب ويقرر ذلك سنستجيب لحكمه ونرضى بقضائه، وسنكون جد مسرورين بل ومغتبطين.

هـــذا أيها الاخوة، رجال الصحافة والاعلام، ومن ورائكم اخوتنا وأخواتنا أبناء الشعب كافة، خلاصة سياستنا. هذه أهدافنا؛ من اجلها تحملنا المسؤولية في هذا الظرف العصيب، ومن اجلها اقسمنا، ومن اجلها عشنا، ومن اجلها سنسير الى الأبد.

ونرجو الله تعالى ان يسدد خطانا، وان يمكننا من ان نحقق لهذا الشعب ما يصبو اليه من امن، ورفاه، واستقرار، واسهام في الوجود العربي، والسلام عليكم وشكرا.

أسئلة الصحفيين

وبعـــد ان اختـــتم السيد رئيس الوزراء كلمته أعرب عن استعداده للاجابة عن أسئلة الصحفيين.

لا وساطة

فسئل السيد رئيس الوزراء عما اذا كان صحيحا ان الاتحاد السوفييتي قد تقدم بعرض للوســـاطة فـــي قضية الشمال فنفى ذلك نفيا قاطعا، وقال ليس هناك عرضا ولا نقبل أي عرض وان الاتحـــاد السوفييتي الدولة الصديقة تدرك هذا المعنى. ان العرض يكون عادة في نزاع بين دولتين، وليس هناك في شمالي العراق دولة ولا شبه دولة. انما هناك أعمال عنف صغيرة هنا وهناك ولهذا فالخبر مكذوب في جوهره.

ثـــم وجـــه احد الصحفيين سؤالا عما اذا كان العفو يشمل من هم خارج العراق. فقال الســـيد رئـــيس الـــوزراء انه ليس هناك عفو بل ان ما حدث هو غلق دعوى حسب صلاحياتي كرئـــيس للوزراء وشمل عددا محدودا من الضباط وان جرمهم كان ثانويا وبحسن نية. أما من هم خارج العراق فلم يشملهم بعد هذا القرار. وسئل عن الخطوط العريضة للتنظيم الشعبي: فقال انـــنا نـــريد ان نبني اتحادا اشتراكيا وليس حزبا نريد تنظيما بمثابة جبهة تجمع القوى القومية التـــي تؤمـــن بالـــنظام الجمهوري والنظام التقدمي المتحرر والاشتراكية العربية بالمعنى الذي حددناه وسننتفع بطبيعة الحال بتجربة اخواننا في الجمهورية العربية المتحدة. واعلن ان مجلس الـــوزراء سيدرس الخطوط العريضة للتنظيم الشعبي في جلسة قادمة وسيكون جملة على غرار الاتحاد الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة.

العلاقات مع الاتحاد السوفييتي:

وجــه صــحفي سوفييتي سؤالا للسيد رئيس الوزراء عن تطور العلاقات بين البلدين والتعاون بينهما في مختلف المجالات:

فقال اننا نرغب رغبة أكيدة في تطوير هذه العلاقات، وانني أتطلع الى زيارتي المقبلة الى الاتحاد السوفييتي، واني سعيد ان اوضح ان العلاقات طيبة.

اجتماع القيادة السياسية:

كمــا سئل السيد رئيس الوزراء عن الاجتماع القادم للقيادة السياسية الموحدة وما اذا كان سيعقد في موعده في الخامس عشر من الشهر القادم فقال: اننا نرجوا ان نوفق الى عقده فــي الوقت المناسب وقد تحدثت مع المشير عبد الحكيم عامر حول الموضوع وارجو ان يكون الوقت ملائما أيضا لاخواننا في القاهرة أما نحن فاننا سنبذل قصارى جهدنا لان نتفرغ للاجتماع لانــنا نعــتقد انها ستكون فرصة سعيدة للالتقاء مع أشقائنا وأكد ان الاجتماع سيكون في بغداد وعلى مستوى رؤساء الوزارات.

زيارة وزير خارجية ايران

وســئل الاســتاذ البزّاز عن زيارة وزير خارجية ايران فقال: ان مسودة لمنهاج العمل هــي الان موضوع بحث بين البلدين وقد أعطيت لسفيرنا في طهران وأرسلت له اليوم تعليمات تــنص علــى ان تلــك التعليمات مازالت مقبولة وسيتصل بالحكومة الايرانية وكانت الحكومة الايرانــية قــد أظهرت رغبتها في زيارة وزير خارجيتها للعراق ونحن من جهتنا لم نزل على سياستنا السابقة في الحرص على صداقة الجارة ايران وعلى صداقة كل جارة لنا.

القوى المنظمة للاتحاد الاشتراكي

وأجاب عن سؤال اخر حول القوى القومية التي تقبل الانضمام للاتحاد الاشتراكي فقال ان هذا هو ما يجب ان نبحثه.

وأضاف ان كل من يؤمن بمبادئنا العامة ويدخل التنظيم لا على أساس تكتل فسيرحب به ونحن لا نريد ان نجعل الاتحاد الاشتراكي حكرا لطبقة صغيرة من الناس.

المانيا والامم المتحدة

كما سئل السيد رئيس الوزراء عن موقف الحكومة من فكرة انضمام المانيا الديمقراطية والمانيا الاتحادية الى الامم المتحدة فقال: اننا من حيث المبدأ نعتقد ان كل الشعوب يجب ان تكون أعضاء في الامم المتحدة. لكن في هذه المسالة الخاصة تتوقف القضية على عدة عوامل وما اذا كانت مفيدة للشعب الالماني أو تعود عليه بالضرر.

بريطانيا والخليج

وسئل السيد رئيس الوزراء عن رأيه في سياسة بريطانيا في الخليج فقال: ان سياستنا واضحة. اننا ضد القواعد لا في العالم العربي فقط، وانما في كل الدنيا. وأشار الى انه عندما كان سفيرا في لندن سأله وزير خارجية بريطانيا عن سبب وقوف العرب ضد القواعد فقال له لاننا قاسينا منها. فأجابه انها قد تستعمل لمصلحة العرب أحيانا، فرد عليه البزّاز قائلا انه لا يوجد دليل تاريخي واحد ان هذه القواعد استعملت مرة واحدة في مصلحتنا، استعملت في العدوان الثلاثي ضدنا، واستعملت عام ١٩٤١ لمصلحة البريطانيين ضدنا وهي تستعمل اليوم ضد اخواننا المدنيين، وقال: أما بالنسبة للخليج فان سياستنا هي مثل سياسة الامة العربية كلها وهي ان هذه المنطقة عربية ويجب ان نتعاون على رفع مستوى أهليها وتأهيلهم للحياة الحديثة وتمكينهم من الاستقلال والقضاء على المخاطر التي تتهددهم من أكثر من جهة واحدة. وقد انتقدنا مرارا موقف بريطانيا. وأشار السيد رئيس الوزراء الى انه قال للسيد هارولد ولسن في أثناء اجتماعه به في طريقه الى الامم المتحدة انكم قد اخطأتم في هذه السياسة واسأتم الى أنفسكم قبل ان تسيئوا الى أهل المنطقة، وظهرتم بمظهر الذي يريد تقدم تلك المنطقة، فكانت حجته اننا لا نريد ان نترك فراغا أو ما شاكل ذلك واننا نرغب في التعاون وما شابه.

المرحلة الانتقالية

وسئل السيد رئيس الوزراء عن المرحلة الانتقالية فقال: اننا سننتخب مجلسا نيابيا ثم نأتـــي الـــى المرحلة الجديدة. ولا اذيع سرا اذا قلت ان المرحلة الانتقالية لا تعني الرجوع الى الوراء. يجب ان تحافظ على النظام الجمهوري ومكاسب الشعب والروح التقدمية التي قامت من اجلها الثورات.

الدعوة الموجهة

وســئل كذلــك عن الدعوة الثانية التي وجهت اليه ولم يعلن في حينه اسم البلد الذي وجههــا فقال: ان الدعوة الاولى من الاتحاد السوفييتي وسنلبيها في أول فرصة، ولن تكون في الغالب قبل حزيران القادم. أما الاخرى فانها في دورها التحضيري، ونحن نرغب ان تعلنها تلك الدولة.

تحركات بعض الحزبيين

وسئل عن اجراءات الحكومة ضد تحركات بعض الحزبيين فقال السيد رئيس الوزراء: ان الحكومـــة يقظة وانها بعون الله وبمؤازرة الشعب لا تحتاج لأكثر من اليقظة والحزم وكل ما جرى في أثناء الفاجعة هو توقيف (٤) أو (٥) أشخاص ومراقبة بضع عشرات التلفونات وقطع (٦) تلفونـــات أو نحو ذلك. ومرت العاصفة كما تعلمون بسلام. الشعب متيقظ والحكومة قادرة والاستعدادات كاملة، والذين اوقفوا لم يبق منهم موقوف.

النفط

ثـــم وجه الى السيد رئيس الوزراء سؤالا عن مفاوضات النفط فقال: اننا لم نتقدم أية خطوة في هذا المجال.

ضد الاحلاف

وســـئل السيد رئيس الوزراء عن الحلف الاسلامي فقال: اننا ضد كل تحالف. أما عن مؤتمر أقطاب الدول الاسلامية فلم تصلنا أية دعوة من أية جهة.

هل اوقف القتال؟

وسئل عن الأنباء التي قالت انه قد تم ايقاف القتال في الشمال فقال: انه لا صحة لتلك الأنباء.

تنظيم أجهزة الدولة

ثـم سـئل عن اعادة تنظيم أجهزة الدولة كما وعد الشعب بذلك فقال: ان اجراءات قد اتخـذت، وأضـاف ان اصلاح جهاز الدولة لم يكن ممكنا في ستة شهور ونأمل ان نتمكن من بعض الاصلاحات. واعلن ان بعض الموظفين سيحالون الى المحاكم نتيجة الاهمال وتبديد أموال الدولة.

طابـت أوقاتكم، واسعد الله مساءكم، أيها الاخوة وأيتها الأخوات: لعلكم تذكرون انني حيـنما توليـت المسـؤولية كنـت قد قطعت على نفسي عهدا ان أتحدث اليكم بالصراحة التي تعهدونهـا، وان ارجـع اليكم بين الحين والحين لأطلعكم على حقيقة ما يجري في وطننا لأنني اعـتقد، عن يقين، بأنكم أصحاب الحق الأول. انتم الشعب الذي له على حكامه الواجب الأساس في ان يلبوا طلباته، وان يحيطوه علما بكل ما يجري، وبكل ما يعود عليه بالنفع، وان يحيطوه علمـا بحقائق الامور من غير ما مواربة أو تستر. ذلك لأنني كنت دائما، وفي العهد الماضي، في العهد البائد قبل الثورة، كنت انتقد الحكام، وكنت اردد قول ابي العلاء المعري:-

مل المقام فكم اعاشر امة

أمرت بغير صلاحها أمرا وها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها

وعدوا مصالحها وهم اجراؤها

فانـا من الذين يؤمنون بان الحكام اجراء، وان صاحب الحق الأصلي هو الشعب، وان واجـب الأجـير ان يكون مخلصا مؤتمنا صادقا لا يخفي شيئا عن صاحب الحق الحقيقي. بهذه الروح أتحدث اليكم أيتها الأخوات وأيها الاخوة المواطنون في هذه الامسية في ندوة الأربعاء.

وقـد تـبدو هذه الندوة بعض الشيء غريبة، ذلك اننا في الندوات السابقة كنا نحضر بعـض اخواننا الصحفيين يطرحون الأسئلة ويجيب المسؤول عنها. وفي هذه الامسية اثرت ان أكون السائل والمجيب؛ ذلك لأنني اعلم عن يقين الأسئلة التي تدور بخواطركم والتي تريدونني

ان اجيب عنها، وزيادة في التأكد من ذلك فبالأمس على وجه التخصيص والتأكيد التقيت بالصحفيين جميعا وتحدثت معهم بصراحة وبوضوح وعلمت ما يختلج في صدورهم. وعن طريقهم أنا عالم بما يختلج في صدوركم. فاختصارا للجهد عليهم، وربما اقتصادا في الوقت اثرت ان أتحدث اليكم دونما صحفيين يسألونني الأسئلة.

ولعل السؤال الأول، وان يكون سؤالا في رأيي غير مهم، ولكنه يقلق الكثيرين منكم وخاصة في الأسابيع الماضية التي طغت فيها الاشاعات التي لا حد لها، وطغت فيها المناشير من كل حدب وصوب تنهش بنا بما يطيب لأخلاق كاتبيها ومدربيها ان يفعلوا – عفا الله عنهم – وترددت الشائعات بشكل اساء الى استقرار هذا الوطن والى أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية، بل وبعض الشيء الى آمنه وكاد يعرقل المسعى الأساس الذي من اجله بالدرجة الاولى احضر هذا المساء.

أقول في هذا الوقت بالذات أصبح من الواجب ان اؤكد لكم ان ما يشاع من ان هناك أزمة وزارية، أو ان هناك استقالة أو تغيير مجرد أقوال لا سند لها من الصحة. ولا أقول ذلك لأنني اعتقد انني يجب ان أبقى وزملائي الى ابد الآبدين في الحكم، ولا لاننا افضل الناس واقدر الناس، ولكن لأنه لا يوجد سبب يبرر هذه الشائعات. فالوزارة تستقيل حينما يدب الخلاف بين الوزراء، ولا خلاف بين اخواننا الوزراء، اذ حينما يختلف رئيس مع وزارته، ولا خلاف بيني وبين وزرائي بحال من الأحوال، أو حينما يكون هناك خلاف بين رئيس الوزراء والسيد رئيس الدولة. واؤكد لكم ان لا خلاف بيني وبين رئيس الجمهورية ونحن متكافلون متعاونون هادفون الى خير هذا البلد، راغبون ان نسير به الى محبة الامن والسلام. صحيح انني – لأسباب صحية – نوهت أكثر من مرة بإعفائي بالنظر لما اعاني من اعياء وتعب ولكن السيد الرئيس أبى علي ذلك وطلب الى ان أكون بجانبه وانا الذي قطعت العهد على نفسي ان أكون بجانبه في خدمة هذا الشعب وخاصة خدمة هذه الامة فاثرت المصلحة العامة على مصالحي الخاصة وعلى صحتي وأوضاعي العائلية. أما فيما عدا ذلك فهذه الشائعات لا نصيب لها من الصحة مطلقا. قد يكون من باب الترفيه لبعض اخواننا الذي يريدون ان يرفهوا عن أنفسهم بمثل هذه الشائعات، وقد تكون من ألاماني الطيبة التي يتمنونها ويرجونها. هم وشأنهم في هذا.... أما في واقع الحال فليس هناك شيء من هذا مطلقا. وفي الوقت الذي كان زملائي الوزراء وانا ومن قبلنا وبالدرجة الاولى السيد رئيس الجمهورية مشغولين في المهمات الأساسية التي تحقق لهذا

الوطن أمنه ووحدته واستقراره ونظامه الاقتصادي السليم، كان بعض اخواننا يفترون ويشيعون مـا يشاء لهم هواهم ان يشيعوا. ولا احسب انني بحاجة الى ان اطيل في هذا الميدان لأنه أمر غـير حـيوي اللهـم الا لكونه قد اثر كما أخبرتني الجهات المعنية بعض الشيء على السوق وحـركة العمـران وحركة الامن التي شعر الناس بها. ولا ازعم ان الفخر في هذا لي شخصيا، وانما هو فخر للنظام، وفخر للجيش ولسلطات الامن. كان بعض هؤلاء الناس – غفر الله لهم – نفسـوا علـى هذا الشعب ان تستقر أحواله، وان يطمئن بنوه، وان يعود الناس الى معائشهم وأعمـالهم امنيـن مسـتقرين، وكـأنهم نفسـوا على هذا الشعب ان يتنفس من فرجة الأزمة الاقتصادية التي عانى منها، وكان هؤلاء – عفا الله مرة اخرى عنهم – نفسوا على هذا الشعب ان يسود فيه القانون، وان تقوم الحكومة ما استطاعت ان تحقق مبدأ سيادة القانون، عز على فريق من هؤلاء ذلك فأشاعوا ما شاء لهم هواهم ان يشيعوا.

هـناك نقطـة اخرى أود ان أكون بها منذ البداية صريحا، أشاعوا ان هناك خلافا بين الحكومـة والجـيش، تلـك فرية اخرى. ان جيشنا البطل يدرك مسؤولياته، وهو قائم برسالته الكـبرى فـي الحفاظ على تربة هذا الوطن والدفاع عن حقوق بنيه، وهو جزء من هذا الوجود وهو طليعة هذه البلاد الثورية، وهو يدرك جيدا مسؤولياته، ويقدر للعاملين حقوقهم. وما يشاع هـنا أو هـناك انمـا هو لتفتيت الصف، ولايجاد الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، وليندس عن طـريق هـذه الشائعات الباطلة وهذه المفتريات بعض المندسين، وليلج، بعض الذين طال بهم الانتظار، الى الكرسي المسحور. وقد يكون من باب الترفيه ان اخبر مواطني الكرام ان الأمر قد بلـغ ببعض الفرسان ان ذهب الى مقام كبير يحاوره بان يكون فلان رئيسا للوزارة لا فلان كان الأمـر مفروغ منه وقال في فلان ما لم يقله مالك في الخمر، وقال في فلانه المحبب اليه ما لم يقلـه أبـو نـؤاس في كأسه المحبب اليه. وضحك منه المقام المسؤول وقال من أين لك هذه الفكرة؟ ومن قال لك ان الوزارة مستقيلة؟ ومن أنت؟ أو على الأدق من أنتما حتى تقترحا علي هـذه المقـترحات؟ وبطبيعة الحال ان هؤلاء الفرسان ما ارادوا الا خدمة الوطن وليس لهم من وراء ذلك من مغنم انما هي الخدمة العامة...!!

أقول في المدة التي كنا مشغولين فيها في حل مشكلات هذا البلد الأساسية، والعمل ليل نهـار – وشهد الله اننا كنا بعض الأيام نعمل من الثامنة صباحا حتى الثانية عشرة من منتصف اللـيل – ونحـن لا نتبجح بهذا، ذلك واجب المسؤول الذي يقدر مسؤلياته، كنا نعمل ليل نهار،

نوصل بياض نهارنا بسواد ليلنا في سبيل هذا الشعب، كانت تلك الفئات في دواوينها ومجالسها وطرقها الخاصة تشيع أمثال هذه المفتريات وهذه الاشاعات دونما تفكير بمصلحة البلد، ودونما تفكير جدي بالأثر السيء الذي يتركه ذلك لا في داخل البلاد بل وفي خارجها.

وانـــا لا أقول هذا من باب التبجح: لقد استطاع العراق خلال الشهور القليلة الماضية التـــي تحملـــنا فيها التبعة ان يكتسب كسبا أدبيا ودوليا يعرفه كل الذين يطلعون على الصحافة العالمية والاذاعات الأجنبية. ولأول مرة أقولها بالتأكيد بعد ثورة تموز المباركة بدأت الدول على اخـــتلاف مـــناهجها ومذاهبها السياسية شرقية كانت أم غربية تتحدث عن العراق بوصفه دولة ذات ســـيادة وذات سياسة مستقلة، وذات وجود، ولها شخصيتها المحترمة ،ولها وجودها الذي يعـــتز بـــه. هذا لم يكن يتاتى مع الفرقة، ولا يمكن ان يتاتى مع الشتات ولا يمكن ان يتاتى مع الارجـــاف، بل ولا يمكن ان يأتي مع سياسة المتحزبين أصحاب الآراء المتطرفة التي لا يسندها الواقع، ولا يتاتى بسياسة اولئك الذين لا يرون من الحكم الا ان يحكموا دونما استعداد أو كفاية أو حقيقة تضحية.

هـــذه الـــنقطة مـــا كنت أود ان أبدا بها لولا انني اعلم عن يقين بان مواطني الكرام يريدون ان يسمعوا مني، ومني بالذات، ان هذه الشائعات شائعات مجردة مغرضة واننا قائمون بواجباتنا سائرون في طريقنا عاملون من اجل هذا الشعب الى ان نستطيع ان نحقق أهدافه وان نعمـــل بكل طاقاتنا ولن ندخر جهدا نقدر عليه لاننا نؤمن بهذا الشعب، كما نؤمن بامتنا العربية الواحـــدة ونعمـــل مـــن اجلها الى ان تتحقق الأهداف والى ان تتم النيابة واعني حينما يستطيع الشـــعب ان يعبر عن ارادته الحرة. الشعب الذي يملك السلطات الحقيقية، الشعب صاحب الحق الأســـاس حينما يعبر عن وجوده فعندئذ سنترك الأمر لمن يختاره الشعب، أما في هذه المرحلة فنحن سائرون بعون الله وبتسديده لتنفيذ المنهاج الذي التزمنا به لا تأخذنا في الحق لومة لائم، ولا نبغي من وراء الحكم – بعد رضا الله – الا خدمة هذا الشعب العزيز علينا.

فـــي هـــذه المرحلة كما تعلمون كانت مشكلة وضع ميزانية متوازنة من أدق وأصعب المشكلات التي تلاقيها أية حكومة. ورثنا – وقد سمعتم هذا القول قبل أيام وربما قبل اسبوع أو أكثر من زميلي وزير المالية – ورثنا أوضاعا مالية تعيسة. كانت ميزانية العام الماضي بعجز لا يقـــل عن ٥٠ مليون دينار، أي أكثر من ربع مجموع ميزانية الدولة. لو سرنا على الخط نفسه وعملـــنا ميزانـــية بالطـــريقة التي عملها أصحابنا من قبل ماذا ستكون النتيجة؟ صحيح اننا لن

نغضب أحدا، لن نقلص رواتب، ولن نمنع ترفيعا، ولن نحول دون تعيين، وننفق الأموال هنا وهناك، ولكن النتيجة هي انهيار في وضعنا النقدي. نحن لا نزعم ولا نريد ان نكون سياسيين ينتهزون الفرص ويسعون الى رضا الناس بالحق وبالباطل، ولكننا نؤثر ان نكون رجال دولة يواجهون الحقائق كاملة. وكنا بين أمرين أما ان نختار الأمر السهل وهو الاستمرار بطريقة الميزانية المتوازنة شكلا العاجزة أو الملائة بالعجز الفظيع، وبالنتيجة انهيار لوضعنا النقدي وصفورة عملتنا الورقية الى ورق، وهذا لا يرتضيه وطني يقدر مسؤلياته ويعرف الأوضاع المالية والنقدية جيدا، وأما ان نسلك الطريق الآخر. انه طريق صعب يتطلب من وزير المالية بالدرجة الاولى ومن الوزارة ككل مني كمسؤول أيضا ان نقتصد وان نجد موارد معقولة حتى نستطيع ان نقيم ميزانية متوازنة. وانا لا ازعم ان الميزانية التي وضعها زميلي وزير المالية كانت كاملة من كل الوجوه. ولكنني أستطيع ان اؤكد انها بالتأكيد قائمة على اسس أدق وأعمق من الميزانية السابقة. وقد نضطر بطبيعة الحال ان نضيف في بعض النفقات ولكن من دون شك سرنا على سياسة شد الأحزمة على البطون، والاقتصاد الكامل، وعدم التبذير بأموال الدولة، وانقاص النفقات ما وجدنا للانقاص سبيلا، وفي كل جانب بطبيعة الحال لم تكن المجالات واسعة أمام وزير المالية ولا مجلس الوزراء. ولكننا فتشنا عما نستطيع ان نفعله ففعلناه. وكان بطبيعة الحال من الواجب علينا ان نفرض بعض الضرائب والرسوم الاخرى. وهنا اخذت أيضا الشائعات طريقها للمبالغة والتهويل في هذه الضرائب وتلك الرسوم. حتى ان فريقا من الصحفيين استباحوا لأنفسهم ان ينشروا بعض اللوائح قبل إقرارها حينما كانت مجرد فكرة لم تناقش ولم تدرس ولم تقبل بكاملها. واستباح بعضهم ان يصطنع أو يختلق ضرائب لم نفكر بها قط كل ذلك لايجاد نوع من التذمر ونوع من الاضطراب في الأسواق حتى تحرج الحكومة وحتى تتهم بالعجز وحتى تفقد مقدارا من شعبيتها.

انني اخاطب الشعب كله: ان الثقة التي عبر عنها الشعب في أكثر من مناسبة نعتز بها، ولكننا بصراحة لا نريد ان نخادع الناس. ان الوضع الصعب يتطلب تضحية في كل الحاجيات وبعض الرسوم يجب ان يتقبلها الشعب. وانا متأكد بان شعبنا الذي تعود على التضحيات يدرك ان حكومته لم تضطر الى ذلك الا اضطرارا. وخير لنا ان نزيد في بعض الضرائب من ان ينهار امننا المالي والنقدي، هذه اولى النقاط المهمة التي وددت ان أقول كلمة بشأنها.

النقطة الاخرى والاهم هي الوضع في شمالي الوطن لعلكم تذكرون انني في حديثي السابق في الندوة الصحفية بعد وفاة فقيدنا الراحل رحمه الله قلت مخاطبا اخواننا بأننا نؤمن بالسلم وندعو له ونعتقد ان أسوأ ما يصاب به وطن ان يقتتل الاخوة فيما بينهم واننا مستعدون الى الاعتراف بالقومية الكردية وبحقوق مواطنينا الأكراد القومية كاملة غير منقوصة. واننا وهم اخوة سواء في هذا الوطن الواحد. هذا النداء الذي قلته بقينا نعمل على تحقيقه بكل طاقاتنا. وانا لا أقول اننا بلغنا المرحلة النهائية من النصر الكامل. ولكني أقول بتواضع اننا قطعنا في اقل تقدير نصف الطريق. ان فريقا كبيرا من اخواننا أبناء شمالي الوطن قد أدركوا صدق نوايانا واستجابوا لهذا النداء، والمرجو ان يستجيب اخواننا جميعا الى ندائنا هذا لأنه نداء مخلص يصدر عن نفوس محبة لأبناء هذا الوطن كلهم لا تفرق بين أبناء الشمال وأبناء الوسط وأبناء الجنوب، صادرة عن ارادة مصممة على ان تعمل من اجل السلام والبنيان في الوطن بكل طاقاتها دونما تردد وبكل اخلاص وخلوص نية. فمرة اخرى أتوجه الى اخواننا الذين مايزالون يحملون السلاح فأقول: ان الوقت حان لان يعودوا الى حكومتهم المشروعة وان يستجيبوا الى دعوتها المخلصة بأننا قد اعددنا منهاجا كاملا لسياستنا بالنسبة لاخواننا الأكراد وهو منهاج يقوم على الاعتراف الكامل بحقوقهم القومية، وبتمكينهم من الادارة اللامركزية في كل نواحيهم واقضيتهم والويتهم، وتمكينهم من النشاطات التي تتصل بذاتيتهم، مع الاعتراف الكامل بلغتهم وتراثهم الفكري وكل متطلبات قوميتهم، مع اصدار العفو عن الذين يلقون سلاحهم، مع العمل الدائب من اجل اعمار كل القرى وكل المدن وكل البيادر وكل المزارع التي اتلفت بسبب العنف القائم، مع متطلبات عديدة اخرى سنذيعها بإذن الله قريبا وعندئذ يعود العرب والأكراد اخوة متحابين في هذا الوطن الواحد، تجمعهم هذه التربة الواحدة التي هي تربتهم، وهم قبل ذلك اخوة يجمعهم دين واحد، ويجمعهم تراث واحد، ومصلحة واحدة. ان العراق ليس عراق العرب وحدهم انه عراق العرب والأكراد على حد سواء. وما أحلى ان تعود الاخوة العربية الكردية حقيقة في هذا الوجود فيتعانق الجندي العربي والجندي الكردي، يتعانقان لا في بغداد ولا في السليمانية ولكنهما يتعانقان في ثنايا حطين ليعيدوا أمجاد صلاح الدين لتعود الامة العربية، والامة الاسلامية، ليعود العراق مزدهرا بقوميته العربية والكردية.

أيها الاخوة هذا موضوع مهم ودقيق يتطلب منا جهودا متواصلة وعملا دائبا ولقاءات مستمرة، ولا أقول مفاوضات لان المفاوضات انما تجرى بين الخصوم، فالأكراد والعرب ليسوا

دولا متحاربة انما هم اخوة قد اختلفوا حينا وان لهم ان يدركوا ان الوقت قد حان لالقاء السلاح. وان الطاقات، الطاقات الهائلة التي تصرف اليوم في التحطيم والتدمير، يجب ان تصرف في الانشاء والتعمير. وان جيشنا الشجاع الذي قام بواجبه وما يزال قائما. ان جيشنا هذا يدرك مسؤولياته وسيحافظ على وحدة هذا الوطن وسيقوم بدوره الأعظم في الانشاء والتعمير ورعاية المواطنين كافة حين يتم ذلك.

فرجائي الى المواطنين جميعا ان يثقوا بجيشهم، ان يطمئنوا اليه، ان يعلموا انه هو الحارس لهم وهو لا يؤمن بالعنف حينما لا يكون للعنف ضرورة، وهو يريد السلم كما نريده حينما يكون طريق السلم مفتوحا ومرغوبا فيه من جميع الأطراف. هذه بعض المسائل التي ارجو ان تفسر على وجهها الصحيح والتي ارجو مخلصا ان يستجيب لها كل من يعنيه مصير هذا القطر وسلامته.

وانا اعلم ان فريقا من اخواننا، وربما من العرب قبل غيرهم، قد ينكر هذه السياسة ويعدها هزيلة أو ضعيفة وانهم لا يرضون الا بالقضاء على اخر متمرد. أقول لهؤلاء، وأقولها باخلاص، ان الوضع في شمالي الوطن ما لم يتم عن طريق الرضا والتسوية المعقولة والاعتراف الكامل بالحقوق المتقابلة لا يمكن ان ينتهي نهائيا. ذلك لاننا لو أبقينا الفا أو خمسمائة أو حتى خمسين غير راضين فيستطيعون ان يقلقوا المنطقة ويحدثوا من الاضطراب ما يقض مضاجع الاهلين. واذا ما علمنا ان ما وراء الحدود اناس يريدون ان يستغلوا الحرب بين الأخ وأخيه، اناس قامت مصالحهم على تشتيت هذا القطر الواحد، اناس يطمحون ببعض اراضيه وبعض ثرواته وبعض مياهه، اذا ما عرفنا ذلك يجب ان ندرك ان سبيل السلم خير (واحضرت الأنفس الشح) "وان جنحوا للسلم فاجنح لها". فالحكومة من جانبها تعلن ثانية وربما للمرة العاشرة، بأنها راغبة أكيدة مخلصة في ان تحل مشكلة شمالي الوطن على هذا الأساس الذي أوجزته والذي سأذيعه يوما ما قريبا بمواد مفصلة وقواعد واضحة لا تبقى لبسا، ولا تدعو بعد اليوم ان شاء الله الى فرقة.

ولكن الذي نريده اليوم قبل كل شيء هو الثقة. نريد ان نعيد الثقة بين المواطنين الأكراد والمواطنين العرب وهم جميعا والحكومة. يجب ان يعود شعور الطمأنينة والثقة المتبادلة. مع انعدام الثقة لا سبيل لنا في تحقيق هذا المطلب الجليل. مع وجود الشكوك، مع وجود الارتياب، مع وجود الاتهامات المتبادلة لا نستطيع ان نحقق هذا المطلب الكبير. ولكن اذا

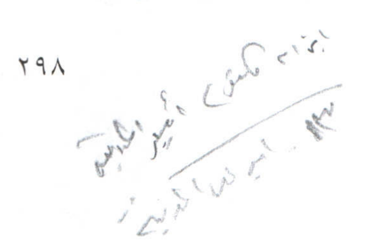
وثــق احدنــا بالآخر، وعمل كل منا باخلاص في سبيل هذه الغاية، وصفت قلوبنا ونوايانا، فانا علــى يقيــن بان الكثرة الكاثرة من اخواننا في الشمال وغير الشمال في المناطق الكردية وفي المــناطق العربــية ســيجيبون الى هذا النداء المخلص، ويضعون حدا للماسي. فقد كفانا دماء وكفانا ماسي، وكفانا دموعا، وكفانا قنابل، وكفانا تقتيلا. نريد ان ننشئ، نريد ان نعمر، نريد ان نعــيش بســلام فمــا أحســن ان نرجع الى الود كما كنا، ما أحسن ان نرجع شعبنا واحدا من قوميتيــن، ما أحسن ان نرجع اخوة نعمل في سبيل الاعمار والانشاء والبنيان في سبيل سعادة الأفــراد جمــيعا لا فــرق بين عربيهم وكرديهم وغيرهم من المواطنين على اختلاف أجناسهم وأديــانهم فنحــن فــي حق المواطنة سواء ومن خيرنا جميعا ان نعمل بهذا الروح وان نضمد الجراح وان نضع حدا للماسي.

أنا اعلم ان هذا الأمر مهم، وانا اعلم انه لن يتم في يوم وليلة. ولكننا نعبد الطريق له، وان الذي اعلنه اليوم ليس هو عمل اسبوع أو أسابيع.

فمــنذ ان وليت المسؤولية في عهد الراحل ونحن على صلات ولقاءات مستمرة. كما قلــت وقــد بلغــنا أكثر من نصف الطريق. وسأكون اسعد خلق الله حينما اعلن فيما ارجو بعد اسبوع أو أسابيع المدى النهائي الذي سنصله.

والله اسـأل مــن أعمــاق قلبي، واسأل اخواني المواطنين ان يدعوا الله مخلصين ان يســتجيب لهــذه الدعوة، بان تصفو قلوبنا، وان تعود الى الود والاخاء لنعمل من اجل السلام، ومن اجل البنيان، ومن اجل التعمير. لا احسب انني في هذه المرحلة مطالب في هذا الصدد بان أقول أكثر من هذا.

اننــي اعلــم ان الموظفين قد يطلبون مني ان أقول شيئا عن مسائل اخرى تجول في خواطــرهم، وعلــى ســبيل المــثال الاجتماعات التي جرت والمداولات التي جرت في القصر الجمهوري أو في مجلس الوزراء أو في محلات اخرى. وبطبيعة الحال اطلعوا على الصحافة أو علــى بعضها وان كان المفروض فيها انها سرية ولكني أعود فأقول بان تلك اللقاءات كان يراد بهــا ان نســتمع الى وجهات نظر المواطنين، فنحن، كما قلت في البداية، وكما قلت قبل اليوم مرارا وتكرارا، لا نعتقد اننا يجب ان نستأثر بالرأي بل هناك آراء اخرى وكثير من المواطنين، وكثير من الزعماء من اخواننا العسكريين ومن المدنيين لهم تجاربهم ولهم تضحياتهم ولا بد لنا بيــن الحين والاخر ان نرجع الى آرائهم لنسترشد بها. هذا الذي أردناه فُسر مع الأسف الشديد



تفسيرات شتى ولا ادري اذا كان من حقي ان أقول شيئا وقد شاع ولا بد اذن ان اطلع الشعب على حقيقته.

في بعض الاجتماعات في المرحلة الاولى يؤسفني ان أقول ان الذين اجتمعوا لم يثر احدهم أية مشكلة من مشكلات هذا المجتمع، ولم يتحدث عن مشكلة الشمال، ولم يبد رأينا عن العون الذي يجب ان يمد الى الأبطال الذين بقوا السنوات الطويلة في الجبال والكهوف. كان هم فريق كبير منهم ان تستبدل الوزارة وان يحل فلان بدل فلان.

أما الاجتماعات السياسية فقد قيلت فيها آراء شتى كانت في الغالب آراءاً صريحة، ونحن نحترم الآراء كلها ولكننا غير ملتزمين بكل ما يقال، فمهمتنا ان نستمع ولنا بعد ذلك ان نتخير وان نوازن وان نرى المدى الذي نستطيع ان نسير فيه. ولكن كان هناك اجماع بين الساسة على تأييد الحكومة في مسيرتها في لزوم إجراء انتخابات نيابية وإعادة الحياة الطبيعية التي وضعها الدستوري القويم. وتذكرون أيضا ان احدى النقاط السبع التي جاءت في كتاب التكليف من المرحوم الراحل عبد السلام عارف هي العمل الدائب لاعادة الحياة النيابية ووضع دستور دائم للبلاد، فنحن لم نزل على العهد في هذا كما لم نزل على العهد في لزوم التنظيم الشعبي واقامة قاعدة شعبية للحكم وتجميع القوى التقدمية المخلصة. ويسعدني ان أقول، على الرغم من بعض الفئات الصغيرة التي ماتزال متمادية في عنفوانها وعنفها في الأصح وفي طرفها، هناك وعي يبشر بان فريقا من اخواننا القوميين المثقفين خاصة قد بدءوا يدركون ان التحزب الأعمى لن يوصل البلاد الى الامن، ولا الى الخير، ولن يحقق حياة رتيبة مستقرة. والمرجو بعد ان ننهي مشكلة شمالي الوطن ان نعود الى هذا الموضوع مباشرة حتى نستطيع ان نقيم القاعدة الشعبية على اسس رصينة ثابتة في اتحاد اشتراكي عربي. فنحن نؤمن على الرغم من معارضة فريق من الساسة القدامى المحترمين اننا نؤمن بان التنظيم الشعبي يجب ان يكون من حيث الأساس على أساس من الاتحاد الاشتراكي العربي لاننا مرتبطون بميثاق الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ومتفقون على ان الاتحاد الاشتراكي هو القاعدة التي يجب ان تقوم عليها الحكومة وهي التي يجب ان ترجع اليها في سندها الشعبي.

بطبيعة الحال هذا الموضوع قد يجرني الى الوضع الدولي والوضع العربي بصورة خاصة. أنا اعلم ان هناك تحركات استعمارية جديدة، وانا اعلم عن يقين ان بعض البلاد العربية تتعرض الى ضغط، ولا احسب انني بحاجة الى ان اعلن اننا بجانب تلك الدولة وكل دولة عربية

تتعرض الى أي ضغط أجنبي. وان سياستنا لم تتغير، فنحن حاربنا ونحارب القواعد الأجنبية ولذلك احتججنا بشدة على نقل القاعدة من عدن الى البحرين، وقاومنا ولم نزل نقاوم بقاء القوات البريطانية والاحتلال البريطاني لعدن والجنوب اليمني. وذهب قبل أيام وزير خارجيتنا وسيعود اليوم. ذهب الى القاهرة ليدلي بشهادته أمام لجنة تصفية الاستعمار وكان للعراق ولوزير خارجيتنا على وجه التخصيص دور مهم في هذا، وسنبقى مؤيدين حركات التحرر العربية وسيبقى لقاؤنا دائما وأبدا مع القاهرة ولو كره الكارهون. أنا اعلم ان فريقا من العراقيين ومن غير العراقيين يريدون ان يبعدوننا عن القاهرة. ونحن نعلم عن يقين بان قوام سياستنا العربية قائمة على الالتقاء مع القاهرة لانها قاعدة التحرر العربي. وان التقاءاتنا مستمرة وستستمر. ونحن واياها مع الدول العربية التقدمية الاخرى سائرون في خط واحد.

اما سياستنا مع الدول المجاورة فانتم تعلمون جيدا ان علاقاتنا بالجارة تركيا قد بلغت من التحسن حدا نغبط أنفسنا عليه. وان تبادل الزيارات قائمة وانني عما قريب سأسافر الى أنقرة بدعوة من الحكومة التركية المحترمة وستجري محادثات اقتصادية وتجارية وسياحية وثقافية. وأود بهذه المناسبة ان أقول: ارجف بعض المرجفين اننا سنعود الى الاحلاف. تلك فرية باطلة لا أساس لها. مجرد الاتصال والصداقة مع دول جارة تبادلنا الود ونتعاون معها مخلصين في حدود محدودة معلومة واضحة لخيرنا لا يعني اننا نريد ان نعود الى الاحلاف. سياسة الحكومة التركية حسنة مع العراق ومع البلاد العربية وسائرة الى التحسن فمن واجبنا اذن ان نسير في هذا الخط وان ندعمه وان نقويه وان لا نعبا بالذين يرجفون ...

كنت أود ان أقول الشيء ذاته بالنسبة الى سياستنا مع ايران. كنت أود من الأعماق ان أقول ان سياستنا قد أتت كلها وان الجهد الذي بذلته من قبل قد حقق نتائجه ولكن - والألم يحز في نفسي - لم نصل بعد الى المدى الذي كنت اريده. ولكنني غير يائس. الذي ارجوه ان تدرك الجارة ايران بان مصلحة شعبينا المتجاورين المرتبطين بأوثق الوشائج والروابط يجب ان تكون سياستنا وعلاقتنا الجوارية قائمة على ادراك سليم وتعاون صادق. نحن من جانبنا كنا ولم نزل على استعداد تام. والذي ارجوه مخلصا ان تدرك ايران اننا مخلصون في هذا وراغبون في صداقتها. ولكن الرغبة في الصداقة شيء والاستسلام الى بعض مطاليبها شيء اخر. لا نستطيع، بل ولا يستطيع أي عراقي، ان يتنازل عن حق أساسي وخاصة اذا ما تعلق الأمر بالسيادة. فيما عدا ذلك من خلافات نحن على استعداد تام على ان نسويها بروح العدل

والانصاف والود وحسن الجوار. واذا ما حدثت خلافات فقد أعلنا من قبل اننا مستعدون ان نقبل أي طريق يقره القانون الدولي ولكن أكثر من ذلك لايمكن ان يكون.

هذه أيها الاخوة المواطنون بعض المسائل التي وددت ان اعرضها عليكم، ولا احسب في هذا الصيف القائض ان من حقي ان اطيل، ولكنني قبل ان اختتم كلمتي أود ان أتوجه اليكم مـرة اخرى مخلصا في ان لا تصغوا – وانا متأكد ان الكثرة الكاثرة لا تصغي – لا تصغوا الى المرجفيـن الذيـن لا يريدون لهذا البلد أمنا ولا استقرارا ولا يريدون ان تحل مشاكله الكبرى، ورجائـي بعد ذلك ان تعينونا حيثما كنتم أيها الاخوة المواطنون في أقصى الشمال في الجبال أو في الوهاد أو على ساحل الخليج على ضفاف شط العرب أو في الاهوار أو في البوادي. اطالبكم جميعا ان تدركوا ان الروح السليمة التي أتحدث بها لحل مشكلة الشمال غير صادرة عن ضعف وانمـا صـادرة عـن ارادة مخلصة للسلم وللأمان وللرفاهية للشعب كله. رجائي اليكم بعد هذا وذاك بـل قبل هذا وذاك، ان نلتف مخلصين حول السيد رئيس الجمهورية الذي اخترناه بارادتنا والـذي هـو مـن صميم هذا الشعب قائم بواجباته ليل نهار، ساهر على مصلحة هذا الشعب، عـامل بكل طاقاته في خدمته. وختاما اسأل الله تعالى ان يهدينا اقوم سبيل، وان يسدد خطانا، وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وان يعيد الامن الى ربوعنا، وان يجمع شملنا، وان يحقق الخير والسعادة لمواطنينا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعد الفتنة الثانية[٦٣]

حضرات السادة: ما كنت أتوقع ان التقي بكم في مثل هذا الظرف، بل كان من المتوقع ان لا أكون في العراق في هذا اليوم، ولكن الأقدار شاءت ان أبقى، كما شاءت ان نلتقي وانا على كل حال وان كنت اشعر بالألم بسبب لقاءنا، فانا سعيد ان أرى اخواننا الصحفيين وان أتحدث اليهم، وأتحدث عن طريقهم الى الشعب الذي تعودت ان أتحدث اليه دائما وأبدا بصراحة ووضوح، وليس هناك سر ان الأمر الذي يريدونني ان أتحدث فيه، ويريد الشعب ان أتحدث عنه هو ما جرى في عراقنا العزيز قبل يومين. واني لاحس بالجرح وأحس بالألم يعتصر قلبي لاننا في هذه القاعة قبل نحو عشرة شهور، وفي مناسبة مؤلمة كهذه أيضا التقيت بالصحفيين. والغريب ان يكون الشخص الذي حملني على التحدث في تلك المرة هو الشخص الذي يحملني على التحدث أيضا هذه المرة، وكأنه مشمول بقوله تعالى "أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يتذكرون".

من المؤلم حقا ان يقوم رجل كان يظن فيه الخير للبلاد، رجل ارتقى مقاما كبيرا في جيشنا الباسل، رجل وصل الى مقام رئاسة الوزارة، وان يقوم وهو في مقامه ذاك، وحين كان اضافة الى وصفه رئيسا للوزارة عضوا في مجلس النيابة عن السيد رئيس الجمهورية يومئذ المرحوم المشير الركن عبد السلام محمد عارف، يقوم ذلك الشخص بفتنة رعناء واذا بالشخص ذاته، وبنفر من أصحابه، وبالروح نفسها، وبالعقلية، يذهب ضحيتها الالوف، ولكن عناية الله يومئذ سلم. ولم تمض الا شهور ويقومون بحركة طائشة رعناء اخرى فيفسدون أو في الأدق يحاولون ان يفسدوا، على هذا الشعب أمنه، وطمأنينته، واستقراره. وفي سبيل ماذا؟ قرأت البيانات التي أصدروها، وكنت قد سمعتها واعدت النظر فيها، وحاولت ان احللها، وأتساءل ماذا

---

[٦٣] عقد الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء في الساعة الثامنة من مساء يوم ٢-٧-١٩٦٦ مؤتمرا صحفيا مهما في المجلس الوطني تناول فيه الامور المتعلقة بالمؤامرة النكراء وكشف فيه للشعب نوايا المتآمرين التي كانت وراء المؤامرة.

وقد حضر المؤتمر عدد كبير من مندوبي الصحف المحلية ومراسلي وكالات الأنباء والصحف العربية والأجنبية كما حضره عدد من المسؤولين في أجهزة الاعلام وجرى نقل وقائع المؤتمر من اذاعة الجمهورية العراقية وتلفاز بغداد بصورة مباشرة.

يريدون؟! ثم اتيح لي ان استمع الى بعضهم وهم في وضعهم المزري المشين، فاذا بهم يقولون الفاظا وعبارات لا تصدر عن رجل عاقل مدرك.

حقائق تكشفت عنها الفتنة

ومهما يكن من أمر فقد أثبتت الأحداث حقائق جديرة بان تجلى على انها في ذاتها واضحة كل الوضوح، فأولى هذه الحقائق، ان السيد الرئيس، القائد العام، قد اظهر من الشجاعة والجرأة والاقدام والشعور بالتبعة ما هو حري ان نهنيء شعب العراق عليه.

والحقيقة الاخرى، وهي ليس اقل جلالا من الحقيقة الاولى، هي ان جيشنا البطل وقواتنا المسلحة قد أظهر من الولاء والاستجابة العاجلة والتعلق برئيس الجمهورية، وبالدولة والنظام، ما افسد على الطائشين كيدهم ورد كيدهم الى نحورهم.

والحقيقة الثالثة، وهي حقيقة تملا صدورنا فخارا، هي ان شعبنا العظيم قد أدرك منذ اللحظة الاولى ان هذه الحركة الرعناء مهزلة فلم يجدوا استجابة من أي احد بل لم يخف احد من الناس. كنت أسير في الشارع في طريقي الى القصر الجمهوري، وكانت القنابل، وكانت الرشاشات تنطلق، والناس غير عابئين، غير مهتمين، بهؤلاء الصبية الذين يقومون بهذه الأعمال المخربة. هذا الشعب كان مطمئنا كل الاطمئنان الى حكومته، وملتفا تمام الالتفاف حول رئيسه.

متى تنجح الانقلابات؟

وهنا أود ان أقول كلمة قد يكون فيها مغزى، وقد تكون عبرة لمعتبر. ان الذين يتصورون ان الانقلابات تنجح بمجرد انهم يستطيعون ان يغيروا فريقا من الضباط من الطيارين مع عدد من المتقاعدين فيحتالوا في الاستيلاء على دبابات الحكومة ومدرعاتها، ويحاولون ان يستفيدوا من المفاجأة، وان الذين يتصورون ان الانقلابات تنجح، لذلك ولذلك فقط، هم جهال في أحسن الاحتمالات. ان الذي يمكن للانقلاب هو السخط الشعبي، فحين ينعدم هذا السخط، وحين تكون الجماهير مؤمنة بحكومتها، وحين تدرك الجماهير ان هذه الأعمال لا يراد بها الا مغانم شخصية، فمحتوم الفشل على كل حركة طائشة. أقام فلان وزمرته الدليل على هذا في المرة الاولى، وهو في مقام من المسؤولية. وزعم وتصور هو ومن معه انهم قادرون في المرة

الثانـــية ان يحققوا مآربهم، فجمعوا من حولهم من قدروا على ان يجمعوه، ولم يتجاوز في كل الأحوال مائة، ولم يجدوا من الشعب حتى مثل هذا العدد، من بين الملايين الثمانية والنصف من العراقيين. وعلى الرغم من صراخ من كان يصرخ باسمهم، وعلى الرغم من دعواهم العريضة بأنهم ينادون جماهير الشعب ويستبشرونها ففي أكثر من نقطة واحدة قام الشعب بدوره العظيم. ففـــي الحباتـــية قد حاولوا ان يسيطروا على المطار قام الشعب بالعملية الجريئة فطرد القلة من الضباط الذين حاولوا ان يحتلوا المطار هناك. وكان ضابط شجاع قاومهم وذهب ضحية شعوره الوطنـــي وقيامه بالواجب. ونسال الله له ولاخوانه الآخرين ممن استشهدوا فسيح جنانه. أقول كـــان هـــذا الضابط مع عدد من الجنود وفريق من الاهلين قد حالوا دون تمكين اولئك الصبية الأطفال من ان ينجحوا في علمهم المخرب هذا. وانهزموا اشد وأبشع هزيمة. وفي مناطق من بغـــداد حدثني ثقاة شهدوا الأمر بأم عيونهم، استولت الجماهير على ثلاث من الدبابات وطردوا مـــن فـــيها. وفي الاذاعة حينما كان فريق منهم يحاصرها، لما جاء المساء وكان الرأي ان لا تشتبك دبابات الحكومة معهم خشية من الضياع، حقنا للدماء، بمناداة المنادى من الشرطة ومن الجـــيش بلـــزوم الاستسلام فروا وتركوا الدبابات. وهكذا ترون ان هؤلاء الذين يزعمون انهم جـــاءوا لإنقـــاذ العـــراق، وللعـــودة بـــه الى ثورة الرابع عشر من تموز، هؤلاء الذي يطلبون ويزمرون ويزعمون انهم جاءوا من اجل انقاذ العراق، لم يجدوا من العراقيين من يستجيب الى ندائهم. ولله درابي الطيب المتنبي حين يقول:

ومن جهلت نفسه قدره　　　　　　رأى غيره فيه ما لا يرى

انهـــم جهال، يجهلون أقدار أنفسهم، وينظرون الى أنفسهم في مرايا مكبرة، ويتخيلون الخـــيالات. ولا اريد بذلك فلانا فقط وانما بعض الذين كان يظن فيهم العقل والحكمة ممن تولوا المسؤولية. بعض هؤلاء الذين خيبوا ظن من كان يحسن الظن بهم، فاثبتوا انهم صبيان في اقل تقديـــر، وفي اقل ما يجب ان يقال فيهم. كانوا يتصورون ان الشارع وان العراق من أقصاه الى أقصاه حينما يسمع نعيق الناعق، ويسمع تلك الكلمات المفتراة من الناطق باسمهم، سيثور من أقصـــى العـــراق الى أقصاه. أما خارج بغداد فلم تكن أية استجابة اللهم الا المفاجأة في احتلال المطـــار، ومن المؤسف ان أقول بالتواطؤ مع بعض كبار الضباط. وأنا لا اريد ان أتعجل الاتهام في أمر منوط بالقضاء، ولكن ظاهر الحال يدل على ذلك. واحتلوا المطار وحاولوا بطبيعة الحال ان يطيروا الطائرات من مطار الموصل، وهي الطائرات التي قصفت بغداد في ثلاث موجات وكل

مرة طائرتين والرابعة فشلت ورجعت. هؤلاء حينما عرف اخواننا الموصليون الشجعان، عرف الشجعان من جنودنا الأشاوس، وضباطنا الشجعان بالأمر، التفوا من حولهم وحاصروهم والقوا القبض عليهم وجاءوا بهم يجرون وراءهم الخزي والعار.

لـم تكـن الضحايا بحمد الله كبيرة، كما تفضل بالأمس السيد رئيس الجمهورية وقال ثمانـية من القتلى بعضهم من المعتدين أنفسهم، وبعضهم من ضباطنا وجنودنا الشجعان، ربما زاد العـدد واحـدا أو اثنين لان بعض الجرحى حاولت ان اعرف مصيرهم النهائي ولم استطع لأنـنا مـع الأسف في يوم عطلة والاتصالات وجمع المعلومات لاني حاولت ان أكون دقيقا كل الدقـة فـي كـل أمر، ولكن أؤكد لكم ان الضحايا لا يتجاوزون عشرا، والجرحى لا يتجاوزون الخمسة عشر، وان كل الذين استجابوا للحركة من عسكريين ومتقاعدين وأهليين لا يتجاوزون بضـع عشـرات، وان الموقوفيـن من عسكريين ومتقاعدين هم أكثر من الخمسين بقليل، مع حوالي عشرة أو خمسة عشر احتجزوا للتحقيق.

وانتم ترون من هذا مع نفر من الجنود المغرر بهم يجرى معهم التحقيق أي انهم بضع عشرات. واغلب الظن انهم خدعوهم وصوروا لهم الأمر على غير حقيقته، ولذلك أنا ميال الى الاعـتقاد سـلفا ان غالبـية المراتب والجنود كانوا أبرياء قد غرر بهم. ولا أدل على ذلك، كما حدثنـي احـد الضـباط الشجعان، انه حينما التقى بدبابته مع هؤلاء بصوت عال وبنهر جعلهم يـتركون الدبابـات الـى القوات النظامية. ومن هذا ترون انهم كانوا يحاربون بالباطل، وكانوا يحاربون لا من اجل عروبة العراق، كما يزعمون، بل من اجل أنانيتهم.

العراق عربي، وسيبقى عربيا، العراق حر ثوري، وسيبقى الى الأبد حرا ثوريا. ولكنا نعـتقد ان عروبة العراق لا تتنافى، بل تتطلب وحدة العراق، فعملنا جاهدين على ان نحقق هذه الوحـدة الوطنـية. والوحدة الوطنية هي المنطلق الطبيعي لأية وحدة اكبر واشمل. كيف نبني بنيانا ضخما من لبنات هزيلة ومن وحدات متداعية؟ عملنا ما وسعنا الجهد لتحقيق هذه الوحدة الوطنية، وإنا كما قلت قبل ثلاثة أيام بأننا بحمد الله قد وفقنا ،وكان تجاوب الشعب عظيما بحيث ان المتآمرين أنفسهم اعترفوا بان ذلك أمر مهم وواجب رعايته، فقالوا في بيانهم المزعوم انهم سـينفذون مـا أعلـنه رئـيس الوزارة السابقة نصا وروحا. أين هو الانحراف عن العروبة؟ الانحـراف في عقولهم الملتوية. يتصورون العروبة دعوات باطلة، وشعارات مزيفة، وأقوالا لا تصـدر مـن القلـب، وتجـارة يتاجرون بها ويعملون على كل ما يسيء الى العروبة والوحدة

العربــية. ان مـــا قـــام به ... من قبل، وما قام به هو وعصبته بالأمس القريب، قد أساء الى القومـــية العربـــية، وأســـاء الى الوحدة العربية. ولا بد للمخلصين من جهد عظيم حتى يعيدوا الشعور الطبيعي الى حيث يجب ان يكون. وأنا لا اريد ان اسهب في هذا فانتم تعلمون المشاعر، وتعلمـــون الأثـــر السيء الذي تركه هؤلاء المتسللون. أساءوا بفعلهم التسللي الاجرامي، وقد دخلـــوا العراق خلسة بجوازات مزيفة وباحتيالات ذهبوا الى هذا القطر وذاك، وجاءوا وتجمعوا في العراق، وأساءوا وتركوا بعض الأثر السيء في نفوس العراقيين تجاه قطر عربي براء من اعمـــالهم. وأنا لا اشك في استهجانه لحركتهم. هؤلاء هم أعداء العروبة برعونتهم وبصباوتهم وبجهلهم عن الاشتراكية وبعدم ادراك حقائق الأشياء.

ثـــم تراهم يتكلمون عن الاشتراكية ويقولون انهم يسعون الى مجتمع الكفاية والعدل. وماذا كنا نفعل نحن؟ وماذا تراهم يستطيعون ان يفعلوا لو اتيح لهم ان يحكموا هذه البلاد؟ نحن نعلـــم طريقتهم، انها شعارات وعبارات تتكرر، وارباك للأوضاع الاقتصادية، فكأنهم نفسوا على هـــذا القطـــر ان اســـتقرت أحواله دونما انحراف عن الاشتراكية الحقة الرشيدة. وقد بلغني ان هـــؤلاء، وأقول هذا للتاريخ، صاروا يهزأون من هذا اللفظ، وقد نسى ... ان هذا اللفظ ورد في وزارته. فهو في احد أمرين اما كان جاهلا، وأما كان غبيا لا يدرك معاني الأشياء، والا فان هذا اللفظ ورد حينما كنت أنا نائب رئيس الوزراء ووزيرا للخارجية والمواد السبع بقينا نكررها في وزارته وفي وزارة فلم نأت شيئا فريا.

وقالوا اننا نريد ان نعود الى الأحلاف، متى عدنا الى الأحلاف ولماذا نعود؟ كنا نتنادى دائما وأبدا، واليوم، قبل اليوم، وبعد اليوم، اننا ضد الأحلاف، ولكن هل لاننا ضد الأحلاف يجب ان نكـــون في شجار وخصام مع جيراننا؟ هل من الحكمة، هل من مصلحة هذا البلد، ان نعادي جيرانـــنا حـــتى يقال اننا ضد الاحلاف؟. الدول المستقلة حرة في سياستها. فللدول المجاورة ان تدخـــل الحـــلاف، ومن حقها ان تفعل ما تشاء كما من حقها ان تفعل ما تشاء كما من حقنا ان نفعل ما نشاء. ولكن أليس من مصلحة العراق ومصلحة العراقيين، وبالأمد البعيد، من مصلحة العـــروبة ان يكـــون العراق على وفاق مع جيرانه؟ ا فحين نسعى الى كسب ود جارنا والتعاون المخلـــص مـــع جيراننا في الشؤون التي لا تمس سيادتنا، وفي المجالات الاقتصادية والثقافية والسياحية وما الى ذلك من شؤون، وحين نتبادل الزيارات ونتعاون فيما يعود بالنفع على البلاد ا يعني ذلك انحرافا وعودة الى الأحلاف؟!

مــن قــال لانــنا نقــول ان علاقتنا بالجارة تركية حسنة يعني ذلك اننا نريد ان ندخل الأحــلاف التــي دخلتها تركيا؟ تركيا دولة مستقلة ولها مصالحها القومية، ولها ساستها الذين يعــرفون مــا هــي سياستها، ونحن دولة مستقلة ندرك مصالحنا ونقول لهم بصراحة وبملء أفواهــنا ان علاقتنا الودية، وحسن جوارنا، لا يعني اننا نشاطركم سياستكم في الأحلاف، ومن حقكــم ان تــنهجوا السياسة التي تريدونها ،وما طلب احد من المسؤولين الأتراك منا ان ندخل معه في حلف. هل تبادل الزيارات اجرام؟ أليس من واجبنا ان نزيد العلاقات الطيبة حسنا، وان نؤكدهــا بان ندعو وزير خارجية تركيا فاستجاب ثم دعي رئيس وزراء العراق فاستجاب، وأنا فــي طريقــي غــدا الى تركيا. أقول ان هذه السياسة وكذلك سياستنا مع ايران أعلناها مرارا وتكرارا. نحن راغبون بعلاقات حسنة مع ايران. نحن راغبون كل الرغبة بان نحل كل خلافاتنا بــالود لتحقيق كل معنى حسن الجوار، ولكنا قلناها ألف مرة ان ذلك لا يعني الالتزام بالأحلاف، بسياسة ايران. فايران هي الاخرى دولة مستقلة كتركيا حرة في ان تتبع السياسة التي تريدها، وما طلبت منا ايران يوما ما ان ندخل معها بالأحلاف.

صحيح ان هناك خلافات في بعض المسائل حول العلاقات العراقية – الايرانية، وحقيقة انــنا وقفــنا فــي وقت ما في موضع ناقد ربما أو عائب على جارتنا ايران، وكنا نود ان تسير خطــوات الى الأمام في حسن الجوار، ولكن ذلك لا يعني بحال من الأحوال اننا نريد لكي نكسب ود ايــران ان ندخل معها في أحلاف. كنا واضحين كل الوضوح في مقدار المدى الذي سنسير مــع الدول المجاورة. وأنا أتساءل هل لمسؤول عاقل ان يفكر ونحن مجاورون لدولتين كبيرتين مســلمتين لــنا مصــالح معهمــا ولنا حدود مشتركة، الوف الكيلومترات (تركيا وايران)، ولنا مشكلات لا حصر لها، هل لكي يقول قائل اننا قوميون وإننا متحررون يجب ان نسب ايران كل يوم ونسب تركيا ونثير الخصومات بيننا وبينهما حتى يقال اننا متحررون وإننا ثوريون؟! أهذه هي الثورية؟ نحن ننظر الى الأمر نظرة اخرى، نحن نرى ان الحكمة تقتضينا ان نحسن معاملة جيراننا، ونرجو من جارتنا أيضا ان تعاملنا بالمثل، وان نزيد من علاقاتنا الاقتصادية والتجارية والثقافــية وكــل مــا يمكــن ان نتعاون فيه خارج نطاق الأحلاف. هذه السياسة لا ادري كيف يفسرها هؤلاء انها عودة الى الأحلاف، والقضاء على روح ثورة ١٤ تموز.

روح ثورة تموز

ان ثـورة ١٤ تمـوز ضـد الأحـلاف، تلـك حقيقة، وكنا ضد الأحلاف وما زلنا ضد الأحلاف. ثورة ١٤ تموز قامت من اجل تحقيق عدالة اجتماعية قد سعينا ما وسعنا الجهد لهذا، وسنستمر بالسعي الحثيث. ثورة ١٤ تموز قامت للتقرب من البلاد العربية والبلاد العربية المتحررة، ونحـن نؤمن بهذا، ونعمل بهذا وقد التزمنا بميثاق الوحدة السياسية، وبكل اتفاق وبالقيادة الجماعية من قبل، ومستعدون، وأقولها اليوم كما قلتها بالأمس، ان نسير الى أقصى مدى تستعد الدول العربية الاخرى ان نسير في هذا. قامت ثورة ١٤ تموز من اجل تحرير الوطـن السليب، ونحـن حينما أردنا ان نحقق الوحدة الوطنية، ونعيد الجيش من الشمال، ونقضي على اقتتال الاخوة، كان في تفكيرنا ولم يزل، ان جيشنا له رسالة كبرى ليست القضاء على خلافات تقع بين الاخوة، ما دام هناك سبيل الى حلها بالود واللقاء والتشاور والوصول الى ما فيه خير الجميع، مادام ثمة سبيل للوصول الى هذه الغاية مع الحفاظ على وحدة التربة والمصالح الأساسية لكل ذوي العلاقة من عرب وأكراد ومن غيرهم دونما تمييز ما دام بالامكان ذلك، فيجب ان تكـون مهمتنا الأساسية ورسالة الجيش الأساسية هي ان يعد عدته الى الغد المرتقب حينما ينادي المنادى لاسترجاع الوطن السليب.

أليس ذلك عمل من اجل العروبة أم هل يكون العمل من اجل العروبة بالشعارات، والادعاءات العريضة، وبقصف المدن، وبقصف الثكنات، وباقتتال المواطنين، وبإحداث الرعب لتحطيم النظام الاقتصادي؟!

هـذه هي المأساة التي مر بها العراق قبل يومين، وحين نشعر بالألم بقيام هذه الفتنة نشعر بالغبطة كما قلت لانها مرت بعون الله وبمساندة الجيش والشعب بأقل ما يكون من التضحيات.

المشكلة العقلية

ولكـن المشكلة هـي في تقديري مشكلة عقلية. ربما سيبقى فريق اخر غير هؤلاء سيفكرون ان طريق الحل لا يتأتى الا بالعنف، هذه الفكرة في تقديري يجب ان تبذل جهود جبارة لاقتلاعها مـن أذهان هؤلاء. صاحب الفكرة المخلصة، يستطيع ان يقنع الناس بها عن طريق الدعوة الصادقة، وعن طريق الاقناع. أما كل من لا يعجبه شيء، وكل من لا تروقه فكرة، وكل من تغضبه سياسة، يسعى في الخفاء ويلم من حوله بضع عشرات من الضباط المتقاعدين ومن

الطامحيـــن ومن الأفاقين، ويقوم بحركة بقصد القضاء على استقرار البلاد وأمنها، فذلك اجرام بحق الوطن.

كفى العراق ما لقي من هذه الهزات، وليخشى هؤلاء الناس في هذا الشعب. لقد عانى كثيرا. ان هذا الشعب يريد أمنا، يريد استقرارا، يريد حياة هادئة رتيبة، يريد عملا مجديا، يريد اقتصادا مزدهرا، يريد عمرانا، يريد عملا، كفاه الشعارات، وكفاه الادعاءات وكفاه اتهامات. أنا لا أقـــول هـــذا لأنني مخلد كرئيس وزراء. ولا أقول هذا الا من اجل هذا الشعب. وأنا متأكد ان جماهـــير شعبنا العظيم تدرك هذه الحقائق، ولذلك قابلت الفتنة بازدراء، قابلتها باحتقار، قابلتها بغضـــب، قابلـــتها بكـــل عواطف المقت للقائمين بها، وبكل ود وتقدير واخلاص لرئيس الدولة وللحكومة وللقائمين على شؤون هذا البلد.

أنا عميل؟

وقـــبل ان انهـــي كلمتـــي هذه وأتعرض لأسئلتكم، كنت أود ان اشير الى ما جاء في منشـــور أعـــده فريق من المناصرين، وزعوه في محلات ضيقة، واتهمونا به بالعمالة، وطلبوا القضـــاء على حكومة البزّاز العميلة، أنا لا اريد ان اخذ الكثير من وقتكم في تفنيد هذه النقطة، ولكنـــي أقـــول اذا كـــان العمل على حل مشكلة الشمال عمالة، فانا عميل. واذا كان العمل على ازدهـــار اقتصاديات العراق عمالة فانا عميل، واذا كان العمل على اعادة الحياة الهادئة الرتيبة الى هذا الوطن عمالة فانا عميل. واذا كان العمل الهادئ المهذب لتحقيق روح الثورة، وتحقيق الوحدة العربية المبنية على اسس قويمة دونما ادعاء ولا تفاخر عمالة فانا عميل...

وأنا استميح لنفسي ان اكرر بيتا كان يكرره المرحوم محمد عبده :

ان كان رفضٌ حب آل محمدٍ   فليشهد الثقلان اني رافضي

أنـــا عميل، احب هذا الوطن؛ اريد وحدته، عميل اريد ازدهاره، عميل اريد استقراره، عميل يحب عروبته، ويعمل لها بهدوء وجد واخلاص والسلام عليكم.

هل كنت مغرما بالندوات التلفازية ؟

مــن الواضــح انني ظهرت على شاشة التلفاز، في ندوات الأربعاء، أو في مؤتمرات صــحفية حية، خلال توليتي لرئاسة الوزراء ثمان مرات؛ أي بمعدل مرة كل أربعين يوما تقريبا مــن فترة ممارستي المسؤولية. واذا ما أخذنا بنظر التقدير الأحداث الجسيمة التي وقعت خلال تلــك المدة من قيام فتن في البلاد، ووفاة رئيس الجمهورية المؤسس، واجراء انتخابات لرئيس جديد، وحل مشكلة الشمال، مما يتطلب كله التحدث المباشر الى الشعب، واعلامه بواقع الحال، يــبدو جليا ان ما يقول به بعض الناقدين من انني كنت مغرما بالتحدث في التلفاز لا أساس له مــن الصحة. وأكثر ايغالا في الضلال ان يقول قائل – وقد قال هذا مع الأسف بعض الأشخاص مــن المغرضين، ومن حسن النية أحيانا – انني لم أقم بعمل جدي خلال تحملي المسؤولية غير التحدث في التلفاز...

ان مجمــوع الخطب التي ألقاها احد رؤساء الوزراء، وظهر فيها على شاشة التلفاز، والبــيانات التي أذاعها شخصيا من التلفاز ودار الاذاعة خلال مثل هذه المدة تتجاوز هذا العدد كثــيرا. ولكنني بطبــيعة الحــال أدرك – كما يدرك المواطنون كافة – الفرق بين اثر الخطاب المكــتوب على السامعين والمشاهدين، وبين حديث حي يصدر توا من القلب فينفذ الى القلوب. ان تلــك الخطــب الــرنانة يجمع فيها كاتبها، أو كتابها – في أحيان كثيرة – شتيتا من الآراء المتعارضــة التــي ينقض بعضها بعضا، فتتهافت معانيها، وتذهب مع الريح، على حين تستقر روح تلــك الــندوات الحــية في الصدور، وتفعل مفعولها في النفوس، ولهذا كان تأثيرها على الشــعب عظــيما، واستجابتهم لها، وتجاوبهم معها، يدعو الى الغبطة. انها كونت – بمعنى من المعانــي – مدرســة كــبرى يلتقي بها الشعب مع حكامه يتجاوبون، ويتصارحون، ويتبادلون الــرأي، بلغــة ســهلة، في البحث عن أقوم سبيل يجب على المسؤولين سلوكه لتحقيق مطالب الشعب وأمانيه ...

وشــتان بيــن تلــك "المدرســة" وبين "الاجتماعات المتكلفة" التي تتردد فيها عبارات انشــائية رنانــة، ووعــود عريضــة، أو تهديــدات صريحة أو ضمنية، أو في أحسن الأحوال يســتمعون الـــى أقوال معادة مكررة خالية من الروح، ولذلك لم يجد المواطنون فيها ما يشفي غليلهم، أو ما يعبر عن مكنونات صدورهم، وخلجات نفوسهم...

ان يقول لي احدهم في جلسة مهمة ضمتني معه ومن فريق من كبار الساسة والضباط المتقاعدين حينما كنت رئيسا للوزارة، قال لي بلهجته التي لم تزل ترن بأذني: "لويش تطلع بنفسك بالتلفاز، اذا عندك شيء اكتبه وخليهم يقرو".

وحسب ذلك "الناصح الأمين" اني اجهل اثر اللقاء المباشر، وتأثير القول الصريح الصادر من أعماق الأعماق، والمعبر عن أدق مشاعر الجماهير، على الجماهير المتعطشة للحرية، الراغبة بان تشعر ان حكامها منها، يخاطبونها بلغتها، ويتلمسون جراحها، ويحاولون، ما وسعهم الجهد، ان يضعوا البلسم الشافي على تلك الجروح ...

محاضرات

رسالة الجامعيين[٦٤]

" اجتمع الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء في الساعة الخامسة من مساء أمس في قاعة الخلد بالسادة عمداء وأساتذة ومدرسي الكليات والمعاهد العالية في جامعة بغداد. وقد استهل الاجتماع بكلمة القاها الاستاذ خضر عبد الغفور وزير التربية رحب فيها بالحاضرين، وأشاد بلقائهم بزميل لهم في التدريس وأخ لهم بالمسؤولية هو الاستاذ البزّاز. ثم القى السيد رئيس الوزراء في السادة أساتذة الجامعة كلمته قال فيها:

أيها الزملاء، أيتها الزميلات: اسمحوا لي ان اخاطبكم بهذا اللقب المحبب الي، فقد ذكرني أخي وزميلي (في الاستاذية قبل كل شيء) انني في واقع الحال كما قال اعتز بهذا اللقب. لقد بدأت حياتي العامة عام ١٩٣٩، أي قبل أكثر من ربع قرن في التعليم العالي في كلية الحقوق، وبقيت احن الى هذه المهنة، وسأبقى احن اليها ما حييت. اعتززت بها يومئذ، واعتز بها اليوم، وسأبقى معتزا بها غدا. اؤكد لكم، دونما مواربة أو مجاملة، انني اشعر دائما وأبدا ان اعز مقام يمكن ان يرقى اليه الانسان، في هذا الدنيا، هو منصب استاذ. وكثيرا ما اردد مع المتنبي، كما يردد الكثيرون منكم، قوله المأثور:

---

(٦٤) القيت هذه الكلمة في ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٥ بعد عودتي من هيئة الامم المتحدة. وعلى الرغم انني كنت قد طلبت من رئيس الجامعة ان يوجه هو الدعوة للأساتذة، وبعد ان تمهل أول الأمر اعتذر بعد ذلك بحجة ان موظفيه عاجزون عن القيام بهذه المهمة، وعلى الرغم من اني حلت توجيه أي انتقاد شخصي لرئيس الجامعة، واسكت بعض الاساتذة الذين حاولوا ان يمسوه بسوء، عد هذا الاجتماع تدخلا في شؤون الجامعة، واتخذ منه ذريعة لتقديم الاستقالة.
وانا بوصفي من منتسبي الجامعة اقدر كل من يسعى لإبقاء الجامعة مستقلة حقا، ويعمل باخلاص على ابقاء حرمها امنا صدقا، ولكنني أتساءل اذا كانت دعوة رئيس الوزراء (وهو الوزير المسؤول عن شؤون الجامعة) لأساتذتها للاستماع الى محاضرة عامة، والمشاركة في تبادل الرأي الصريح، تدخلا بشؤون الجامعة، فلماذا يعد تهديد الاساتذة من بعض المسؤولين، وإهانتهم بالقول الجارح، وفصل الطلاب وتوقيفهم، وتمكين بعض الجهات والهيئات من استعمال الأسلحة النارية في قاعات المحاضرات وساحات الجامعة، ووقوع جرحى من الطلاب والطالبات؟ لم تعد دعوة رئيس الوزراء للأساتذة تدخلا يبرر الاستقالة، والإصرار عليها، حين يكتفي في مثل تلك الحالات، وكثير غيرها، بتوجيه الكتب (التي تسمى احتجاجا)، حين يعلم الجامعيون قبل غيرهم ان تلك الكتب تكتب بالاتفاق سلفا مع من توجه اليهم، وهي بمثابة ذر الرماد، ثم تأتي الأجوبة بالاعتذار "اللطيف" والوعود المعسولة باتخاذ الاجراءات اللازمة والتحقيق العادل، ثم تمضي الأيام والأسابيع والشهور، ويسدل الستار الكثيف على تلك الأحداث؟!
ترى لم هذه الموازين المختلفة التي تصطنعها رئاسة الجامعة؟ من حق الجامعيين والمواطنين كافة ان يتساءلوا عن الأسرار وراء هذه المواقف المتناقضة التي تدعو الى الحيرة الشديدة ...

اعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وكنت أقول لو ان المتنبي عرف مقام الاستاذية لما فضل عليه سرح سابح. وأنا - بحمد الله - وقد وصلت اليوم الى المقام الذي أنا فيه، ولكني أؤكد لكم مخلصا بأنني لم اشعر قط بالعزة والفخار الا حينما اجلس في قاعة الدروس مع طلابي احاضرهم، وأتحدث اليهم، وأتبادل معهم الرأي ...

لقد تقلبت بين الأحداث، كما تقلبت بالكثيرين من أبناء هذه البلد ومن غيرهم، وأصبحت سفيرا، وهو غاية ما يرجوه انسان في السلك السياسي، وأصبحت حاكما في محكمة التميز، وهو غاية ما يرجوه انسان في القضاء، وتنقلت في الادارة والعمادة وأعمال شتى. ولكني، مرة اخرى أقول، لم أكن اشعر قط انني خير مني في أي مقام الا حينما أكون استاذا أتحدث الى الطلاب، أتجاوب معهم، ويتجاوبون معي.

من هذه النقطة أبدا. فانا هنا أتحدث اليكم لا بوصفي رئيسا للوزارة، ولكن بوصفي مواطنا بالدرجة الاولى، وزميلا لكم يهتم بكم، ويعتز بآرائكم، ويرجو ان يستمع اليكم لتقولوا شيئا نافعا في توجيه الآراء البناءة لخدمة هذا الوطن.

تذكرون انني قلت أكثر من مرة اننا (وقد قدر لنا ان نتولى المسؤولية في هذا البلد، وفي هذه المرحلة العصيبة) نعتقد مخلصين بان السبيل الأمثل الى ان نخدم هذا الوطن، والامة كلها، بالتعرف الى وجهات النظر المختلفة، وبالتشاور مع ذوي الرأي، وبالاتصالات المباشرة بهم، وبتقبل النقد المنشئ البناء منهم، وبالالتقاء معهم. وعلى هذا نلتقي في هذه الامسية، كما التقيت من قبل بفريق من زملائكم عمداء الكليات وبعض أساتذة الجامعة ورئيسها.

أعود الى صلب الموضوع. قلت انني اريد ان استأنس بآراء كل ذي رأي. فبالأمس جاءني فريق من العمال من النقابات. تحدثت اليهم طويلا، واستمعت الى أرائهم، وانتفعت بالكثير مما قالوا. ولا أقول انني في وضع أستطيع معه ان استجيب لكل ما أرادوا، ولكني بالتأكيد عندما نتخذ (أنا وزملائي) القرار سنحسب الحساب للآراء التي استمعنا اليها. وقبل مدة من الزمن التقيت بفريق من الصناعيين، تحدثوا الي في مطاليبهم، واستمعت الى وجهات نظرهم، وأخذت الكثير منهم. ومرة اخرى أقول ان ليس باستطاعتي ان استجيب الى كل ما أرادوا، ولكني، من دون ريب، قد انتفعت بالكثير مما قالوه. وقبل ذلك التقيت أو اجتمعت بالكثير من الزراع، وبفرقاء شتى من أبناء هذا البلد. وبكلمة واحدة لقد التقيت، (وسألتقي دائما وأبدا)

بكل الذين يهمهم أمر هذا البلد لكي نتبادل الرأي. كنت أقول لبعض اخواني – وأنا أتحدث معهم في لزوم الشورى، وخاصة في هذه المرحلة الانتقالية التي نفتقد فيها الى النظام الديمقراطي الكامل الذي يبصرنا بإرادة الشعب الحقيقية – كنت أقول لهم اذا كان الله سبحانه وتعالى قد طلب الى رسوله الأمين، (وهو نبي معصوم، وكان ربه قد أدبه فأحسن تأديبه) ان يعفو عن قومه، ويستغفر لهم، وان "يشاورهم في الأمر"، فكيف بنا نحن البشر العاديين العاجزين المفتقرين الى الرأي المخلص، والنصيحة المسددة؟! ان حتمية الاستشارة بديهية لا تحتاج الى جدال طويل. والذين يعتقدون ان آرائهم هي الصائبة، وانهم قادرون على معرفة كل شيء، هم جهال في أحسن الاحتمالات. بهذا المعنى نلتقي، وعلى هذا الأساس اجتمعنا في هذه الامسية.

ولست ادري هل أنا بحاجة الى القول بأنني في هذا الاجتماع بكم لا اريد ان أتخطى الجامعة، ولا ادارتها، ولكنني دعوتكم هنا لألتقي بكم بوصفكم مواطنين من أبناء هذا البلد، تعنيكم مصائره، كما تعنيني، ومن واجبكم، ولا أقول من حقكم، ان تقولوا ما تشاؤون مخلصين ناقدين موجهين. واؤكد لكم مرة، ثم مرة اخرى، انني سأستمع لكم بكل أناة وبكل تبصرة. وأكثر من ذلك سأسر بكل انتقاد موجه. وأكثر من ذلك أقول لكم انني لن يضيق صدري بكل انتقاد غير موجه، وبكل لوم أو تقريع. فلابد لكم، ولنا جميعا، ان نتحدث في مشكلاتنا العامة. بما فيها المشكلة الاقتصادية، والمشكلات الاجتماعية التي لا حصر لها. وبطبيعة الحال ليس في طاقاتنا الان ان نناقش هذه المشكلات كلها.

ولكنكم بوصفكم – وهنا ربما ننتقل من العام الى الخاص كما يقولون – مربين، ما هي الرسالة التي يجب عليكم ان تضطلعوا بها؟ ان أول مهمة للاستاذ الذي يدرك مسؤولية استاذيته، والمدرس الذي يعرف حق المعرفة قدر كرامة العلم والتعليم، هو ان يعيد للمواطن في هذا البلد ثقته بنفسه، والقضاء على البغضاء والأحقاد التي قسمت البلد شيعا وأحزابا، والتي أوجدت في العائلة الواحدة فرقة، أيما فرقة، بين الأخ وأخيه، وبين الأب وابنه، والقريب وقريبه، رجائي الأول اليكم – مهما كانت مراتبكم العلمية أساتذة، أو اساتذة مشاركين، أو أساتذة مساعدين، أو مدرسين، أو معيدين – رجائي اليكم جميعا ان تبذلوا قصارى جهودكم، وان لا تدخروا شيئا من طاقاتكم، سواء كنتم تدرسون العلوم الانسانية، كالتاريخ والجغرافية والأدب واللغة، أو العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء، أو الرياضيات أو العلوم الطبيعية على اختلاف أسمائها، ان واجبكم الأول – بجانب الدروس، بل وقبل الدروس – هو ان تعيدوا

للمواطنين كافة روح المواطنة الصادقة، والحفاظ على القيم الانسانية الخالدة، لتجتثوا جذور الفرقة والشتات والبغضاء من نفوس الطلاب والطالبات وصدورهم.

أنا اعلم ان الطلاب الجامعيين لا ينتصحون بالقول المجرد، لكن الاستاذ الفاضل يستطيع ان يوحي المعاني في كل درس مهما كان هذا الدرس. يوحيها بسلوكه، وبطريقة تحدثه، وبالنشاط اللاصفي، وبالتقاءاته مع الطلاب بتحدثه اليهم.

ويجب ان نبدد الخرافة القائلة ان التحزب هو الأساس في هذا البلد، ان الأساس السليم هو المصلحة العامة، الأساس هو الخير العام، الأساس هو الفضيلة، الأساس هو الصدق، الأساس هو العمل الدائب، الأساس هو الموضوعية، الأساس هو المعرفة. هذه حقائق انسانية اذا ما تحطمت تحطمت الحياة الانسانية ذاتها. فواجبنا الأول اذن ونحن في عهد نرجو ان ننتقل من معنى الثورة بمعناه الانقلابي الضعيف (وكان ذلك لابد ان يكون في المرحلة الاولى) الى معنى الثورة بمعناه الصحيح معناه النهائي، ثورة فكرية بناءة تنشئ المواطنين نشأة اخرى، وتشيع فيهم الفضائل، وتثبت فيهم المثل القويمة، وتؤكد لهم معنى الوطنية الحقة، وتقيم لهم القومية على اسس سليمة، وتؤكد لهم معاني التضحية والإيثار، وتشذب فيهم الأنانية الفطرية، وتخلق فيهم الرجولة الصادقة، وتوجد فيهم المشاعر الحميدة. كل اولئك فضائل انسانية أساسية لابد منها في أي مجتمع سليم. فما لم يقم أساتذة الجامعة ومدرسو الثانويات بذلك (واحسب ان الأخ وزير التربية يثبته الى هذا الأمر، وسيسعدني لو أرى فريقا من مدرسي الثانويات لأتحدث اليهم) فسيكونون مقصرين في اداء اجل واجباتهم. ومرة اخرى استمحيكم العذر لأنني لا اريد ان أقف بينكم واعظا، ولكني فيما احسب اقرر ببديهية ...

ان مشكلة المشكلات في العراق، المشكلة التي لها الصدارة على كل المشكلات الاخرى. قبل المشكلات الاقتصادية والمالية، والتنظيم السياسي، والحريات العامة، هي خلق جيل يسدل الستار - ما وجد سبيلا الى ذلك - على ماسي الماضي القريب، وبعض ترسباته السيئة. ان هذا ليس بالعمل الهين، ولكن الأساتذة ورجال التعليم عموما، قادرون ان يخلقوا الجيل الصاعد خلقا اخر بتوجيههم المخلص، وبالمثالية التي يقيمونها من أنفسهم، وبالتضحية والإيثار في سبيل المصلحة العامة. انكم يجب ان تحققوا هذا الهدف الجليل، والا فسيكون كل اصلاح سطحيا لا يمس القرار، ولا يعالج صميم الأشياء.

هذه رسالتكم فيما أظن، وهي قبل رسالة العلم. وأنا اجل العلم والعلماء، ولكن العلم بلا فضيلة لا قيمة له، العلم بلا هدف، العلم غير المقترن بالثقافة التي تحقق لهذا الوطن ذاتيته، وتحقق لهذه الامة خصائصها، وتحقق لهذا الشعب وللامة العربية كلها وجودها الانساني السليم، لا أظن ان هذا العلم بمفرده مجديا، لأننا مهما خرجنا من أطباء وكيمياويين ومهندسين ومحامين وسائر أنواع المتعلمين. سنبقى بحاجة كلية الى بشر أسوياء، مخلقين، عقلاء، مخلصين ...

هذه هي الرسالة الأولى التي لا احسبها خافية عليكم، ولكن اذكر، والذكرى تنفع المؤمنين.

بعد ذلك ربما يجول بخاطر بعض منكم، ما هو السبيل الى هذا؟ كانت هناك فكرة وأنا طبعا لا اعارض فيها، ولا أظن ان أحدا يعارض التنظيمات الطلابية على أساس اتحادات الطلبة، وأنا مبدئيا اعتقد ان من حق الطلبة ان ينظموا أنفسهم. ولقد تدارسنا هذا الأمر مع اخواننا في مجلس الجامعة في جلستين، ووصلنا الى هذه النتيجة، والتقارير موجودة: "انه بالنظر لظروف البلد التي وصفتها الان - والتي لا أظن اننا نختلف في تقديرها - لابد لنا ان نمهد لهذا الأمر، والا سيستحيل اتحاد الطلبة الى كتل متحزبة، مثلها مثل ذلك الأعرابي الذي يقول: كذاب ربيعة خير من صادق مضر. فبالرغم من ضرورة الاتحاد من حيث المبدأ، ولكننا نمر بمرحلة جديدة دقيقة، ولابد لنا ان نمهد لهذه المرحلة". ولكن هل من المعقول ان نترك الطلاب في المرحلة التمهيدية بلا نشاط؟ بالطبع لا، لاني اعلم ان الشاعر يقول، وهو محق فيما يقول:

اذا كنت لم تنفع فضر فإنما   يراد الفتى كيما يضر وينفع

في واقع الحال في الشباب حيوية ان لم تستغل في سبيل الأعمال الخيرة فستستغل في السوء. فإذن مهمتنا نحن - ونحن نؤمن بحق الطلاب في العمل والتنظيم - ان نشجع الطلاب على التكتل. ولكن لابد لنا ان نمهد لهذه المرحلة النهائية بان ننشط في كلياتنا ودوائرنا وصفوفنا كل ما يمهد لهذا.

فلابد لنا ان من ان ننشطهم بكل طاقاتنا ليتمكن الطلاب من انتاج الحياة الطلابية السليمة التي تحقق لهم الخير، وتعبر عن طاقاتهم وحيوياتهم بصورة مثمرة، وتصونهم، في الوقت ذاته، من الانزلاق في وهاد الظلال، وتمكنهم من ان يصبحوا - كما يرجو لهم آباءهم وامهاتهم، وكما يرجو لهم الوطن - أبناء صالحين، ومواطنين صالحين. اذن فتنشيط الفعاليات

الطلابية أمر واجب علينا جميعا. وهناك طرق شتى ومجالات واسعة لا حد لها، منها الرحلات، والنشـــاط اللاصــفي، والمــناظرات، والفــنون الجميلة، كالرسم والنحت والتمثيل، والرياضة، والمســـابقات المخــتلفة، والأعمـــال الاخرى التي تعود عليهم بالخير. يجب ان يسمح بهذا كله للطلـــبة. وان يشـــجعوا عليه. ويجب دائما وأبدا ان نؤكد لهم ان الجامعة يجب ان تكون – كما يعنــي اللفــظ – بيــئة تجمعهـــم ولا تفرقهم. وليست الجامعة خلايا للأحزاب، ولا منبرا للكتل المختلفة، ولا وسيلة يستغلها مستغل من خارج حرم الجامعة. انها لهذا الوطن كله، بكل فئاته، ومعـــتقداته ولهذه الامة بمجموعها. ولذلك أنا ارجو (وبالطبع سأستمع الى وجهات نظركم بكل انتـــباه) ان نسعى في هذه الناحية ما وسعنا السعي. وأنا متأكد اننا اذا تضافرت جهودنا جميعا، وعملـــنا مخلصـــين دائبين سنحقق للطلاب ما يريدون، وسنقيهم شر المزالق، ونقي البلاد شر الفتن، ونمهد أحسن تمهيد لقيام اتحاد الطلاب، على وجهه السليم المشروع[٦٥].

هذه بعض الملاحظات العاجلة، وبعد قليل سأستمع اليكم، ورجائي اليكم ان احدد – اذا ســـمحتم – الطـــريقة التي سنتناقش بها، فاذا أحببتم في البداية ان توجهوا الي أسئلة مكتوبة (وســـنوزع عليكم الأوراق)، وساجيب على كل سؤال. وبعد ذلك اذا رغب فريق منكم ان يتفضل

---

[٦٥] حاولـــت ادارة الجامعة قبل عام ان تعيد اتحاد الطلاب، وأعلنت طريقة الانتخابات دون اعداد سليم، وقاطع معظم الطـــلاب الانـــتخابات، وفازت هيئات حزبية في معظم الكليات، وشعرت الحكومة ان الأمر يوشك ان يفلت من يدها، وحاولت الجامعة ان تستعين بجهات اخرى لتحصل على فتوى كانت توحي بها في طيات سؤالها. ثم تقرر إبطال تلك الانتخابات. وبقى الطلاب بلا اتحاد، وزادت نقمتهم لإبطال الانتخابات. وحين سئلت ادارة الجامعة أجابت انها أرادت بذلك ان تكشف الأمر الى المسؤولين حتى يعلموا حقيقة التيارات التي تعمل في نفوس الطلاب والطالبات. ترى ا هذا هـــو واجـــب الجامعـــة، ام ان واجـــبها ان تخلـــق التيار السليم وتنميه لا بالعنف وبالاحتيال على النصوص، وانما بالاســـتقامة، وإناطـــة العمـــادات لا بالأصحاب والمتزلفين بل بالأساتذة المقتدرين المخلصين؟. وقبل هذا وذاك كيف نستطيع ان نترك الجامعة في معزل عن الحياة العامة؟

أو لـــيس فـــي التســـيب المحســـوس في العديد من المجالات ودواوين الدولة وادارتها، ما يحمل الفئات الصغيرة من الطـــلاب المتخرجيـــن على التحدي واستغلال الأوضاع الغريبة لخدمة مصالحهم الحزبية؟ ثم أين هو النشاط الفكري البـــناء الـــذي يغـــذي الكثرة من الطلاب والطالبات الذين هم اليوم حيارى يشهدون المتناقضات، ولا يستطيعون ان يدركـــوا مـــا هي فلسفة الحكم، وما هي غاياته فيما عدا ان يدركوا ما هي فلسفة الحكم، وما هي غاياته فيما عدا ان يحكم الحاكمون؟

هـــذه مســـألة جوهرية تقلق كل الذين يعينهم مستقبل العراق عامة، ومستقبل الأجيال الصاعدة خاصة، وتفرض عليهم تدارك الأمر على عجل.

الـــى هنا ليتحدث ويبدي الرأي فيما قلت، أو فيما يطيب له ان يقول بملء الحرية. وكل رجائي الـــيه الا يطـيل، لكـــي نفسح المجال لأكبر عدد منكم في تبيان رأيه في القضايا العامة، أو في التوجـيه، وفـيما يخص الجامعة أيضا. ان كان ثمة آراء تقدم، فستحترم، لأنكم تستطيعون ان تسهموا في بناء هذا الوطن المفتقر الى عقولكم والى سواعد الشباب منكم.

ورجائـــي مرة اخرى ان نلتزم الموضوعية، والقصد في القول. ولا اريد بهذا ان أثبط من عزائمكم في النقد الموجه، ولكن ارجو ان يكون النقد لنا. أؤكد لكم بأننا نقبل النقد ونرحب بـــه، وبالنسـبة لإدارة الجامعة أيضا، فاذا كان ثمة رأي سيحترم، ولكن ارجو ان لا نخرج عن الصدد، والا نعرض بأحد، وانما نكون في حدود الموضوعية، وهذا بالطبع بحكم البديهيات، فانا اعلـم اننا في قاعة حرة، وبين مثقفين لن يخرجوا عن هذا الصدد، وشكرا اليكم، ومعذرة عن الاطالة.

هـــذا وقـــد رد الاستاذ البزّاز على عدد من الأسئلة والاستفسارات المختلفة، كان من بينها سؤال يتعلق بالوضع في الشمال، أجاب عنه قائلا:

نحـــن نعـــتقد ان مشـــكلة الأكراد تخص العراق، والعراق وحده. الأكراد جزء من هذا الشعب له كمال الحرية وكمال الحق في التعبير عن ذاتيته، وقوميته، وتراثه الفكري. وأكثر من ذلك (ولا ادري اذا كان زملائي في الوزارة يشاركوني هذا الرأي، ولكن هذا ما ارجوه) كنت قد كتبـت فـــي احـــد كتبي ما معناه "ان الشعب الكردي هو شعب شجاع مؤمن ومن حقه ان يعتز بقوميـــته وان يعمـــل لمتطلـــباتها". ولكـــن من الناحية الواقعية لا تستطيع دولة، ولا يمكن ان تتسامح بفصل جزء من وطنها. لان هذا أولا يخالف رغبات الكثرة الكاثرة من الأكراد أنفسهم، وهـــو ثانـــيا يجـــزئ الوطـــن الواحـــد الـــى أجزاء، وهو ثالثا يحدث من المشكلات الانسانية والاجتماعـــية والسياســـية والاقتصـــادية مـــا لا حصـــرله. وقد تنبه كثير من إخواننا الأكراد المخلصـــين، فقـــالوا انهم لايطالبون بالانفصال، وانما يطالبون بـــ"الحكم الذاتي". ولكننا اذا جئنا الى واقع الحال، ان الذين يقومون بأعمال العنف يتقدمون في غالب الأحيان بمتطلبات تصل الى حـــد الانفصال، وان كانوا يقنعون أحيانا بعبارة الحكم الذاتي. وأنا قد تحدثت مع بعض زعمائهم الثائريـــن حينما كانوا يأتون الى مصر قبل ان تشتد الأزمة، وسالت احدهم: ماذا تريدون بالحكم الذاتي؟ فكان جوابه: "الحقيقة هذا شعار لا نعرفه له مداه والى أي مدى يمكن ان يطبق". وكلكم تعلمون ان مصطلح "الحكم الذاتي" له مدلولات شتى. أما من ناحيتنا فنحن أولا نعتقد – كما قلت

– ان الأكراد قوم يشاركوننا المواطنة، فنحن معهم شعب واحد، وان قالوا هم كرد ونحن عرب، ولكن يربطنا تراث وتاريخ وارض وعقيدة ومصالح حيوية مشتركة. ثانيا صنا وسنصون هذه الحقوق بما فيها اللغة والتراث. أكدنا هذا المعنى في تعديل الدستور المؤقت لتعيين هذه الحقوق. فحينما اتيحت لنا الفرصة لتعديل الدستور المؤقت وازالة بعض المواد التي أوجدت اللبس (بما في ذلك المادة التي تمنح استيزار المتزوج من أجنبية، – لان في تقديري اخلاص الرجل لا يتعلق بمن هي زوجته – وبعض المواد الاخرى). ومن جملة ذلك اننا وضعنا فيه المادة التي تؤكد ان الأكراد لهم حقوقهم القومية في الصيغة التي يطلبونها. ثم اننا سنعلن في منهاج الوزارة اننا سنقيم الادارة المحلية، الادارة المحلية ستمكن مختلف الوحدات من سلطات واسعة، ستكون للمدينة وللقرية مجالسها المنتخبة التي تعنى بشؤونها، وسنتوسع بذلك. لان اتجاه العصر الحديث هو في الحكم اللامركزي، وان لا يناط كل أمر ببغداد. ان تنشيط الوحدات الادارية وتمكينها من التعبير عن وجودها أمر مشروع ومستحب. ونحن اذا ما انتهى العنف في الشمال، فبإخلاص تام ننفذ تعهداتنا في الاصلاح وتدارك الخطاء التي وقعت أحيانا. والسوء الذي وقع، ونحاول ان ننصف كل انسان، وان نعيد الأمر الى نصابه، وننهي المأساة القائمة التي تضر بنا. ونرجو ان يسود التعقل وتسود الحكمة. هذا فيما يتعلق بسياستنا، أما هل انني بحثت هذا الأمر في سفرتي الى خارج العراق؟ نعم وبصراحة بحثته، لا لأنني استجدي مساعدات دول اخرى، ولكني احتججت على بعض الدول التي تتدخل بشؤوننا الداخلية مع بني شعبنا واخواننا في المواطنة. وهناك دولة على اقل تقدير، اعترضت في حديث لمسؤول بطريق غير مباشر انهم يتسامحون (بحجة ان الأكراد على طرفي الحدود) بنقل الاعتدة، وتأجيج المشكلة. فكان الحديث الى هذا المسؤول والى الدولة التي ترتبط به، على انهم يتدخلون بشؤوننا. وفي الوقت الذي تقف فيه المساعدات الأجنبية سنتحدث كمواطنين، ونحل المشكلة. هذا هو ما جرى. وأما النتائج فمنوطة بالوقت. ولكن عزم الحكومة الأكيد هو انها تؤثر السلم، وتدعو له، وتعمل جادة من اجله، وستكون مخلصة في تنفيذه، ونرجو ان يدرك الآخرون ان هذا الأمر يسيء اليهم. وليس من المعقول مهما طال الأمر، ان تتغلب فئة صغيرة على دولة لها طاقاتها. انما هم بعملهم هذا يؤججون المأساة، ويسببون لمواطنيهم واخوانهم السوء في هذا الشتاء. وبالمناسبة احد المسؤولين الكبار في الدولة المعنية قال: اؤكد لك اننا لا نريد ان يحصل الأكراد في شمالي العراق على الحكم الذاتي. فقلت له: انني لست بحاجة الى هذا التأكيد

لانــــي اعلمـــه يقيـــنا، وانما يريدون ان تحطموا قوى الأكراد وتحطموا بعض قوانا. وأنا مدرك (وعندي معلومات يقينية، لا أستطيع ان أبوح بها الان. تدل دلالة قاطعة على ان هذه السياسة مقصودة ومدروسة)، وارجو ان يصل هذا الادراك السليم الصادق الى من يعنيهم الأمر، وعندئذ سنحقق للعراق كله المواطنة. ولكن أقولها أيضا بصراحة كاملة اننا لن نتسامح ببقاء الفوضى، ولن نتسامح بانفصال جزء من وطننا، ولن نتسامح بالابقاء على أي متمرد من العرب والأكراد. العدل سيأخذ مأخذه، والذين غرر بهم باخلاص – وهناك الكثير من الأكراد المخلصين حتى من الذيـــن يثورون على الحكومة من المغرر بهم – حينما يعود هؤلاء الى صوابهم، ويرجعون الى قـــرارهم، سيجدون العون الكافي. وأنا قلت مخلصا: "انه يسؤوني أية قنبلة تقع على أية قرية، لانهـــا خسارة مضاعفة، القنبلة التي ترمى، والقرية التي تهدم، لان القرية التي تهدم جزء من عراقـــنا الحبيب الذي سنبنيه". هذه هي سياستنا في هذه القضية الحيوية. وردا على سؤال اخر قـــال الســـيد رئيس الوزراء: اننا نقبل العون من كل الدول، وان شخصية الدولة اذا اكتملت لا يهمها مع من تتعامل، ما دامت تتعامل على أساس من المساواة والاحترام المتقابل.

هـــذا وقـــد استمر اجتماع السيد رئيس الوزراء بأساتذة الجامعة حتى الساعة الثامنة والنصف مساء.

القومية العربية وعلاقتها بالفكر الاشتراكي[٦٦]

كلمة العميد الدكتور جميل سعيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

"أيتها الأخوات وأيها الاخوان، يسر اسرة كلية الآداب أساتذة وطلابا ان يتفضل السيد رئيس الوزراء الاستاذ عبد الرحمن البزّاز فيقتطع ساعة من وقته الثمين المثمر المزدحم بالأعمال الكبيرة الكثيرة المهمة،ليخص بها هذه الكلية وضيوفها هؤلاء الذين تفضلوا مشكورين ان يشاركوا كلية الآداب في الإفادة من محاضرة سيادته القيمة المفيدة هذه.

والاستاذ البزّاز علم من أعلام بلدنا يعرف له رجال الجامعة وغيرهم من رجال الفكر قدره ومقامه، عمل في القضاء وعمل في القانون وعمل عميدا واستاذا في كلية الحقوق وعمل عميدا واستاذا لمعهد الدراسات العربية العالية في القاهرة، وكان المبرز في هذه كلها" وكتب في القانون، وكتب في التاريخ، وكتب في القومية، ويسرني ان أقول الان انني كنت استاذا في جامعة برنستن في امريكا عام ١٩٥٣ فرايت الاساتذة هناك معنيين بكتاباته عن القومية العربية يدرسونها ويترجمونها، وكنت اشعر بالاعتزاز حين كان يسألني الأساتذة عنه بوصفه رجلا من رجال الفكر في عراقنا الحبيب.

ولم تشغله أعمال الفكر هذه على جلالتها، بل أسهم في قضايا بلدنا القومية والوطنية، أسهم بالعمل كما أسهم بالكتابة والقول، واتخذ من نفسه مثالا لما دعي اليه بقلمه، وجد في طريقه هذا حتى اخرج من وظيفته وابعد وسجن واعتقل، ولم يثنه هذا كله عن ان يوالي سيره في طريقه الذي اختطه لنفسه، فاضطر الى ان يترك الدار والوطن، وقد سوى الله تعالى بين هذا وبين القتل في كتابه العزيز، قال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليلا منهم).

والاستاذ البزّاز بعد هذا أديب في لسانه وفي قلمه ولعل هذا ما جعل كليتنا – كلية الآداب – تجتذبه اليها فيؤثرها بمحاضرته هذه على أخواتها من كليات جامعة بغداد وفيها كلية الحقوق، أقول الاستاذ البزّاز أديب في لسانه وفي قلمه، وان الذين يستمعون اليه يتحدث بالعربية الفصحى، ويرونها مطواعة على لسانه في أحاديثه اليومية المألوفة، ان الذين

---

[٦٦] القيت في كلية الآداب.

يستمعون اليه على حالته هذه يرون فيه برهانا يدحض وهم الواهمين الذين توهموا بان اللغة العربية لغة كتابه وكتاب، لا لغة أداء وحديث. ويجتذبه الى كلية الآداب أيضا ذوقه الرفيع في اختيار الشعر والنثر يحفظه ويولجه في تضاعيف كلامه، ، ولعل اخواننا أهل الآداب راعهم منه في كتاباته الأخيرة، راعهم منه ان يستشهد بأبيات من قصيدة ابن دريد، وبأبيات من أبي الطيب المتنبي.

أيتها الأخوات وايها الاخوان:

ليت لي ان اطيل في هذا المقام، ولو ان الحديث يغري بعضه ببعض ويرحم الله شاعرنا أبا تمام حيث يقول:

في الشعر طول اذا اصطكت قصائده عن معشرويه عن معشر قصر

والآن يتفضل السيد رئيس الوزراء".

حضرات الاخوة حضرات الأخوات

كم أنا سعيد ان أكون بينكم في هذه الظهيرة. واشعر بالحرج الشديد بعد ان تفضل الاستاذ العميد بكلماته الطيبة، والكلمة الطيبة، كالشجرة الطيبة، تؤتى آكلها كل حين، وارجو ان يكون من بعض اكلها ان افيكم بوعد سأقتطعه على نفسي وهو بان أعود لمحاضرة اليكم في مناسبة اخرى، لأنني أود ان اعترف منذ البداية ان ما سأتكلم به هذه الساعة لن يكون محاضرة بالمعنى العلمي الدقيق، ذلك لان المحاضرة تتطلب جهدا، وتحضيرا، واعدادا، لم يكن في مقدوري ان اهيأه، ولكني سأتحدث اليكم، واذا شئتم بعبارة اخرى، سأفكر معكم بصوت عال، أو اذا جاز لي ان أضع الأمر بصيغة ثانية سأختصر بعض ما كنت قد تحدثت به الى فريق من طلابي في جامعة القاهرة، حينما انيط بي تدريس مادة "المجتمع العربي" وبعد ذلك حينما انيط بي في معهد الدراسات العربية تدريس مادة "القومية العربية"، فقد شرفني ذلك المعهد بان اخلف استاذنا الجليل ساطع الحصري وشيخنا الذي أبى – على الرغم من قدم السن به – الا ان ينير هذه القاعة بوجوده فيجلس بيننا، فزاد ذلك من فخاري. فانا اذن لن أجيء بجديد في موضوع القومية والفكر الاشتراكي، انما سأكرر أفكارا سبق لي ان قلتها من قبل؛ الخصها، واطور بعض مفاهيمها، واقربها الى أذهانكم بعض التقريب، ولا أقول أصوغها بلغة أدبية رائعة، كلغة الاستاذ العميد الذي تفضل فألقى كلمته بأسلوبه الرائع، ولكن بلغة الحديث الاعتيادي الذي أتبسط به عادة ... وأنا اعلم ان بينكم ادباء مجيدون، وشعراء فحول، وخطباء

لســن، ولذا فاني اعتذر اليهم ان لم يجدوا الكلمات الطيبة التي تفوه بها العميد منطبقة على ما سأقول.

ومهمــا يكن من أمر فموضوع المحاضرة هو كما تعلمون "القومية العربية وعلاقتها بالفكــر الاشــتراكي"، ويكون من منطق الأشياء وطبيعتها ان احدد "القومية" أولا لنرى صلتها بـــ"الاشتراكية" أو بالمفهوم الاشتراكي.

تعلمون جيدا بان القومية، بمفهومها العلمي الصحيح، مصطلح حديث، انتقل الينا فيما انــتقل أو مــع مــا انــتقل من أفكار، نتيجة احتكاكنا بالغرب. وقد يبدو هذا القول غريبا بعض الشــيء، وقد يقول قائل: أو كنا بحاجة ان نتفهم القومية عن طريق الغرب أيضا؟!. أو لم نكن قوميين يــوم خلقنا الله؟ ... وهنا، منذ البداية، يجب ان ابدد فهمها، هو الصلة بين "القوم" و "القومــية". ان الأقــوام قديمــة، والحس الفطري بالوجود القومي أيضا، ولكني لا أتحدث عن الأقوام وانما أتحدث عن "القومية" من حيث انها حركة سياسية اقتصادية اجتماعية، وفكرة لها معناها، ولها فلسفتها. هذا المعنى لم يكن من المعقول ان ينمو الا مع النمو القومي في اوربا، ذلك الوعي الذي سبقته أحداث جلى مهدت الى ظهوره أيما تمهيد.

فلــولا الاصــلاح الدينــي، وقــبل الاصلاح الديني، لولا "الانبعاث" أو "الرينسانس" أو "الأحــياء"، – أي حينما تحرر الفرد من سلطان الكنيسة، وسلطان النظم الاقطاعية – لما وجدت القومــية. وفي ظل سلطان الكنيسة والنظم القديمة ما كان الأفراد قوميين، بل كانوا "رعايا" أو "مــلا" ينتسبون للكنيسة بمعتقدهم الديني، ويخضعون للامبراطور من حيث هو الحاكم الزمني، وقد تكون هناك قوميات عديدة تخضع الى سلطان ذلك الحاكم المستبد، أما ان يعي الألماني انه المانــي، ولا شيء الا انه الماني، وان الفرنسي فرنسي ينتسب الى امة، وان الايطالي ايطالي بالمعــنى الذي نفهمه من القومية، فشيء جديد في تاريخ الانسانية كلها. ولا ضير بالنتيجة ان يكــون بعض الشيء جديدا بالنسبة الى امتنا العربية أيضا. فالذي مهد لظهور الفكر القومي في اوربــا "الاحياء" أو "الانبعاث" أولا، والاصلاح الديني ثانيا. وقد يقول قائل: وما علاقة الاصلاح الديني بالقومية؟

لا شــك ان الاصــلاح الدينــي كــان له أعمق الأثر في بروز الفكر القومي. وما هو الاصــلاح؟ الانعــتاق مــن نطــاق الكنيسة الواحدة، والكنيسة الواحدة هي الكنيسة الرومانية الكاثولكية. والذي يعنيهم "الفيلولوجيا" أو معرفة "اصول المشتقات" سيرون ان كلمة "كاثوليكي"

كما نستعملها اليوم تعني العام والشامل والكلي، فالناس كانوا كاثوليك، يعني بغض النظر عن كونهم طليان أو جرمان أو أية عنصرية أو قومية اخرى.

ان الذين يخضعون للكنيسة الواحدة لا يمكن ان يكونوا قوميين، لان الكنيسة تحول بينهم وبين الفكر القومي من حيث الأساس. ولكن الاصلاح الديني، وقيام الكنائس المنشقة أو المحتجة كما تعني كلمة "البروتستانت"، وترجمة الكتاب المقدس من اللغة العامة "اللغة اللاتينية" الى اللغات الحية، مهد الى ظهور الفكر القومي. يقول "فيختة" المفكر والمربي الألماني الكبير في هذا الصدد: "ما كنا نعي كم كان لترجمة الكتاب المقدس من اللاتينية الى الألمانية من اثر في بروز القومية الألمانية، لان الناس بدءوا يعبدون ربهم بلغتهم، وبدءوا يشعرون ان لهم لغة قومية، هي التي تربط فيما بينهم". تعلمون ان اولى مقومات اللغة، واجل مظاهر هذه اللغة أدبها وتراثها الفكري. وحين كانت اللغة العامة في اوربا اللغة اللاتينية لم يكن من المعقول ان يبرز الفكر القومي، الذي لم يظهر الا بعد ان قام الاصلاح الديني، وترجم الكتاب المقدس، وتحطمت وحدة الكنيسة.

ثم جاءت الثورة الفرنسية بما لها من آراء حرة عبر عنها الثالوث الفرنسي المشهور في "الحرية، والمساواة، والاخاء". وبدأوا يفكرون من جديد، لا على أساس انهم رعايا للملك الفلاني أو الامبراطور الفلاني، وانما على معان جديدة. "وروسو" في كتابه المشهور. "العقد الاجتماعي" مهد للفكر القومي، وللحركات الاشتراكية - وان لم يكن هو اشتراكي - بتنديده بالنظام القديم.

هذه بعض الأحداث - وأنا لا أستطيع الا ان أمر سراعا بهذه الأحداث - التي مهدت لبروز الفكر القومي، ولذلك كان القرن التاسع عشر هو قرن القوميات. برزت فيه القومية الألمانية، ثم القومية الايطالية، ثم القوميات في البلقان، وبعد ذلك القومية البولونية. وفي هذه المرحلة وبعدها ظهرت القومية الايرلندية وكثير من القوميات الاخرى. صحيح ان الانكليز استطاعوا ان يوجدوا لهم قومية من طراز معين قائمة أساس وحدة الدولة والكنيسة الانكليكانية" قبل ذلك بمدة من الزمن. ولكن كل من ينظر لفظ "قومية" مثلا في دائرة المعارف الاجتماعية سيرى ان القومية بهذا المعنى لم تتم الا في أواخر القرن الثامن عشر وفي أوائل القرن التاسع عشر. فاذا كان الأمر كذلك بالنسبة لاوربا فهو أكثر طبيعيا بالنسبة لنا.

علـى ان جـذور قوميتـنـا العربـيـة، بطبيعة الحال، عريقة عراقة قومنا، ولكن الفكر القومـي الهـادف الـى تحرير الامة، وانعتاقها، ووحدتها، وانبعاثها الكامل، وتحقيق وجودها، وتقرير مصيرها بذاتها، حديث جاءنا نتيجة الاحتكاك بالفكر الغربي كما أسلفنا......

ما علاقة القومية بالاشتراكية؟ الا يجوز ان تبقى القومية مجردة عن الفكر الاشتراكي، كما كانت القومية الألمانية مثلا؟ في المانيا، في القرن التاسع عشر، كما قلت، وفي ايطاليا في القرن التاسع عشر أيضا، نمت القوميتان الايطالية والألمانية دون ان يكون لكل منهما مضمونا اجتماعـيا، لـم اذن لابد من المفهوم الاشتراكي للقومية العربية؟ هذا ما احاول ان اوضحه بعد قليل...

ولكـي يستبين هذا المعنى، اعني الصلة بين القومية والمفهوم الاشتراكي، نتساءل ما هـو هدف قوميتنا العربية؟ ماذا نريد حينما نقول نحن قوميون عرب؟ نريد، بطبيعة الحال، ان تـتحرر الامة العربية من كل قيد أجنبي، كاستعمار قديم أو حديث، أو ظاهر أو باطن، نريد ان تنهض وتخرج من ظلام القرون الوسطى والأوضاع البالية، نريد ان ترتفع الى المستوى اللائق بكرامة الانسان، نريد – وهذا ما تحتمه قوميتنا أيضا – ان نثبت وجودنا كأمة عصرية متحررة قادرة على الإيفاء بمتطلبات الدولة الحديثة.

اذا كان هذا هو مطلب القومية – وهو مطلبها دون ريب – فهنا نتساءل هل من سبيل الـى فصـل الاقتصاد عن السياسة؟ هل باستطاعتنا ان نحقق هذا الذي نريد في دعوة سياسية ضـيقة دون ان نقرنها بفكر معين أو عقيدة اجتماعية؟ وأظن بالبداهة ان الجواب "كلا". لأننا لا نسـتطيع الـيوم – وأؤكد لفظ لا نستطيع، في هذا العصر الذي ارتبطت فيه معالم الحياة – ان نفعـل ذلك. هل يستطيع عاقل مدرك ان يبقى القومية في منجاة من طبيعة اقتصادية ؟ واذا كان الجـواب – كمـا يبدو واضحا – ان ذلك غير ممكن، فلنا ان نتساءل أي المذهبين نختار؟ وكل الذين يدرسون الاقتصاد منكم – وأنا اعلم ان كلية الآداب تدرس فيها العلوم الاقتصادية بدرجات شتى – يعلمون ان هناك مذهبين أساسيين؛ مذهب يدعو الى ما يسمى بالحرية، أو ما يعبر عنه بالفرنسـية "دعه يسير" دعه يعمل، أو كما أسميته بمذهب "التسيب الاقتصادي"، أي دع الامور تسـير، كما كان يقول "آدم سميث"، اذ في الطبيعة قوانين قادرة على ان تحقق الصلاح والخير للناس، وان من واجب الحكومة ان تكتفي بأقل قدر من السيطرة. عليها ان تعد الجيش، وعليها ان تهيئ المحاكم، وان تترك الأفراد على رسلهم يتشبثون، ويعملون، ويتاجرون، ويصنعون ما

يشـاؤون، ان ذلـك كلـه ليس من شأن الدولة. هل من المنطق في هذا العصر ان نقبل مذهبا كهـذا؟ سيكون الجواب دون ريب "كلا". وهناك مذهب ثان يقول: ان المجتمع لا ينهض الا على أسـاس التخطـيط، والا على أساس من "الكلية"، والا على أساس من تكوين الصلة بين الحياة بشـتى فروعها، وان للاقتصاد أثرا كليا، ان لم يكن هو الأثر الوحيد كما تقول الماركسية، فهو مـن دون شك من العوامل الفعالة المهمة التي ليس لمدرك لطبيعة العصر، بغض النظر عن أي مذهـب سياسي أو اجتماعي يعتنقه، أقول اذا كان الأمر كذلك، فلابد لنا اذن من ان نسلم بان الاشـتراكية، وهـي التي تدعو على اختلاف مذاهبها الى هذا.لابد ان يكون اذن لقوميتنا وجه اجتماعي، هو الذي نسميه بالاشتراكية العربية. وهنا يبرز السؤال التالي: وهل الاشتراكية نوع واحد في دنيانا هذه؟ الجواب دون شك "كلا" ...

هـناك أنـواع شـتى مـن الاشتراكية – كما تعلمون – تطورت مع الزمن. وتبدأ من جمهورية افلاطون والحكومة الفاضلة الى "الاتوبيا" لسير توماس مور، الى المثالية المسيحية، الى الجمعيات التي كانت فرنسا والمانيا والداعية الى نوع من شيوعية راس المال والعمل، الى اشتراكية مسيحية، الى اشتراكية الدولة، الى اشتراكية القومية، الى الاشتراكية الديمقراطية كما يدعـيها حزب العمال البريطاني، الى الاشتراكية الماركسية، أو كما يسميها دعاتها بالاشتراكية العلمية أو "الكلية". فهل اشتراكيتنا العربية نوع من هذه الأنواع على وجه الحصر والتحديد، أو نوع قائم بذاته يرتبط بوجودنا على أساس ان لنا ظروفنا وأوضاعنا، وتراثنا، ومشكلاتنا أيضا؟ وهـل نحـن قادرين على ان نصطنع – بعد ان ننتفع من هذه المبادئ كلها – مذهبا خاصا هو الذي نسميه بـ"الاشتراكية العربية"؟.

طبيعـي هـناك من يقول: لا توجد اليوم اشتراكية الا الاشتراكية العلمية، لانها جماع تطـور الفكـر الانساني، وانها هي وحدها دون سواها حرية بلفظ الاشتراكية. وفي تقديري – ومـع احترامـي لكـل رأي يقال – هذا ليس بصواب. الاشتراكية – كما تعلمون – تطورت مع الزمـن، وبالـرغم من ان ماركس، وانجلز معه ومن بعده، قد حللا المجتمع، ووفقا في نظرات كثـيرة، ولكـن ليس لمفكر حر ان يزعم انهما جاءا بما لم تستطعه الأوائل، وانهما قالا القول الفصل الذي لا قول بعده، أو ان تحليلاتهما كانت الحقائق النهائية لوجود الانسان. ونحن نعلم، والـدول التـي تتخذ من ماركس وانجلز نقطة بداية، نعلم عن يقين انها قد تطورت مفاهيمها، بحيـث ان الـروس حينما يتكلمون عن اشتراكيتهم اليوم، يقولون انهم ليسوا شيوعيين، انما

اشـــتراكيون يسيرون نحو الشيوعية، ويتكلمون عن "الماركسية اللينينية"، بمعنى ان لينين جاء وأضاف الى المذهب أشياء، ومن دون شك خرج عن ماركس في أشياء لا حصر لها يعرفها كل الذين درسوا تاريخ المذاهب الاشتراكية وتاريخ تطور الشيوعية بصورة خاصة.

وبعد لينين جاء ستالين اخذ بمبادئ تختلف لا بطريقة العمل، بل حتى من ناحية الفكر – تختلف اختلافا بينا في مسائل شتى عما كان يقول به لينين. لذلك حينما جاء خروشوف وندد بستالين، قال انه انحرف عن الماركسية اللينينية، بمعنى ان ستالين قد اخذ بمبادئ خرجت عن هـــذا الاطـــار. وكلـــنا يعلم ان الدول التي تسمى نفسها اشتراكية تتهم بعضها بعضا بالمروق. فالصـــين تـــتهم روسيا بأنها مارقة عن الفكر الاشتراكي، وانها ليست اشتراكية، والبانيا تساند الصـــين فـــي هـــذا. وكانت يوغسلافيا قد اتهمت بأنها دولة مارقة، حوربت مدة من الزمن، ثم صلحت العلاقات بينها وبين روسيا، ثم اصطلحت.

هذه بعض النماذج التي تجعل من الواضح ان ليس هناك شيئا نهائيا مستقرا يصح ان يقـــال عـــنه هـــذه هي "الاشتراكية الماركسية". اذا كان الأمر كذلك في مذهب مهم من مذاهب الاشـــتراكية، فمـــا قولـــنا فـــي المذاهـــب جملة؟ ومن هنا نخلص الى النقطة التي نريدها، ان الاشـــتراكية العربـــية ليســـت ماركســـية، وليست طوبائية، وليست هي اشتراكية حزب العمال البريطانـــي، وليســـت هـــي الاشتراكية القومية التي كان يتنادى بها الطليان والألمان من قبل، وليســـت هـــي الاشـــتراكية المسيحية. هي اشتراكية قائمة بذاتها، منتزعة من طبيعة ظروفنا وحاجاتنا، وان العرب مفتحو الأذهان ينتفعون من الحضارات والأفكار الانسانية كلها، يدرسون هـــذه جميعا، وينتقون منها ما يشاؤون بالقدر الذي يتفق مع حاجاتهم، وطبائع وجودهم. ومن العبـــث، أيما عبث، ان نفترض ان ما يصح لأمة أو شعب، وخاصة في وقت من الزمن، يصلح للناس جميعا الى ابد الآبدين. ومن هنا – ومنطق الأشياء يفرض علينا ان نسلم بهذا – لابد لنا ان نصـــطنع مذهـــبا في الاشتراكية خاصا بنا ليس هو اشتراكية هذه الدولة ولا اشتراكية تلك. ولـــيس هذا تلفيقا، كما يقول الفقهاء، لأنه في الفقه – كما يعلم بعض أساتذة القانون – حينما يـــأخذ بجزء من هذا المذهب وبجزء من ذاك، يسمى "ملفقا" لأنه لا يأتي بشيء أصيل. أقول لا ضـــير علينا ان نأخذ من هنا ومن هناك، لأننا في واقع الحال لا نأخذ الا "المادة الخام" نصنعها، ونكـــيفها، ونجعلها انتاجا متكاملا، ان جاز لي هذا التعبير. فمثلنا – اذا سمحتم بالتبسيط بضرب الأمثلة – مثل من يستورد الحديد من جهة، والمطاط من جهة اخرى، والفحم والأسلاك من بلد

اخـــر، ويصـــنع منها مادة جديدة، وله مهندسوه، وله خبراؤه وله علماؤه، فيصنع سيارة مثلا. هـــذه السيارة من صنع معاملنا، ولكن المادة الفلانية في اصل جوهرها أو مادتها مستوردة من هـــذا القطر أو ذاك. فالاشتراكية العربية هي اذن ليست صورة حقيقية ولا منسوخة لاشتراكية هذا النظام أو ذاك...

يبقى السؤال الكبير: لماذا نقرن الاشتراكية بالقومية؟.

ذلـــك لأنـــه للقومية أهدافا شتى. نحن لا نريد – كما كان يريد الألمان – ان نتحد فقط لأننا دويلات. ويعلم الذين قرأوا منكم تاريخ المانيا في القرون الماضية، وحتى زمن هتلر، حتى الــرايخ الثالث، كانت دويلات تجاوز عددها في وقت من الاوقات الستمائة وحدة (وهذا الرقم قد يبدو غريبا لكثير منكم، وفيه بعض السلوى لنا نحن الذين نرى امارات ودويلات عدة في الوطن العربي) كان في المانيا هذا العدد من الدول، والامارات، والامارات الكبيرة، والدوقيات، والمدن الحـــرة، والجمهوريـــات ... فكانت رسالة الامة الألمانية التي نفخ فيها الأمير (بسمارك)، ومن قـــبله الامـــبراطور (غلـــيوم الأول) كما نسميه نحن، وأعظم من (غليوم) و (بسمارك) (فيختة) برسائله الى الشعب الألماني في المحاضرات التي ألقاها في جامعة برلين. أقول هذه الامة كان مطلبها الحياتي الأساس الواحد هو ان تتحد، وان تصبح قوة. لم تكن المانيا في تلك المرحلة – كمـــا هـــو حالـــنا الـــيوم – متأخرة، كان لها آدابها، وعلومها، وفنونها، وموسيقاها، وتراثها الحضـــاري، وكـــان هـــناك تـــنافس بين الامارات والدويلات في هذا الشأن، ولكن عيبها الأول والأخـــير هو انها منشقة، وانها بحاجة الى "وحدة". فقوميتها كانت تدور في فلك واحد، وعلى محـــور واحد، هو القضاء على الشقاق، وقيام الوحدة. وكان فيختة يقول: "ان الذي كان يحول بيـــنا وبيـــن وحدتـــنا هو دسائس الأجنبي – أي الدول المجاورة التي تخشى المانيا القوية – وأنانية الامراء الحاكمين". وأنا أقول دائما حينما اقرأ عبارة فخته هذه: ما أشبه الليلة بالبارحة – ان الذي يحول بيننا وبين تحقيق أهدافنا العليا في وجودنا الواحد هذين العاملين، مضافا الى عوامـــل اخـــرى،. ولكن هذين العاملين قائمين. ولكن نحن لا نشكو من الفرقة فقط، نشكو من الـــتخلف، نشـــكو من الضعف الاقتصادي، نشكو من فقدان التخطيط، ونشكو من التباين الحاد، ونشـــكو مـــن عشـــرات المشـــكلات الكبرى الاخرى. ولا يمكن بحال من الأحوال ان تحل هذه المشـــكلات بفكـــرة سياســـية واحـــدة مؤداها ان نتوحد أو نتكتل، انما يحلها ، مع هذا مفهوم اجتماعـــي انســـاني هـــو ان نحـــرر الفـــرد، وان نرفع الطبقات العاملة، وان نعني بالفلاحين

وبالمحرومين، وبأصحاب الدخل المحدود، بحيث يصل هؤلاء جميعا الى المرتبة اللائقة بالكرامة الانسانية. وفوق ذلك من واجبنا ان نوجد صناعة حسب خطة مدروسة لا على أساس التشبث الفردي، وانما على أساس من التخطيط، ولابد اذن من قطاع عام مع القطاع الخاص، وحينما نتكلم عن قطاع عام، فاننا اذن نؤمن بالاشتراكية على نوع من الأنواع.

وأكثر من هذا ان الاشتراكية هي الوجه الاجتماعي للقومية العربية، وأنا كنت اضرب هذا المثل دائما. وان القومية بمفهومها الشامل كالعملة بوجهيها، لها وجه سياسي يدعو الى التكتل والوحدة والتحرر، ووجه اجتماعي انساني يدعو الى القضاء على التخلف، والانبعاث الاقتصادي، واقامة وجود اقتصادي متكامل، ومن هنا نخلص الى النتيجة النهائية وهي ان لا سبيل لنا الا ان نؤمن بان لنا اشتراكية عربية ... هنا، وأنا لا اريد ان انقل الوضع من "محاضرة علمية"، أو في الأدق من "حديث علمي" الى مسائل تفريعية أثارت نوعا من الحساسية أو نوعا من الانتقاد. ولكنني أقول هذا الذي أقول لا لاعتبارات سياسية وانما للتوضيح أيضا. حينما شاع هنا استعمال كلمة "الاشتراكية الرشيدة" التي استعملتها، واستعملها غيري بعد ذلك، حاولت ان أؤكد على هذا اللفظ لأنني في واقع الحال وجدت ان هناك، خطرا أساسيا نبهت اليه في كتابي (هذه قوميتنا) – ويمكن ان يرجع اليه من يريد وقد اهديت نسخة منه الى مكتبتكم – أقول أخطانا فيما مضى بأننا قبلنا أناسا يسمون أنفسهم قوميين بالمعنى التقليدي الذي يؤمن بالتحرر والانعتاق من الغرب، أما الانعتاق من الداخل، والقضاء على سيطرة رأس المال، والاستقلال فلا هذا خطأ، أو خطأ، أو ربما كان في ذلك مرحلة من مراحل تطورنا طبيعيا. مهما يكن الأمر، قبلنا فريقا من الناس وأسميناهم قوميين، لأنهم قبلوا المعنى التقليدي للقومية. الان وأنا نبهت الى هذا في محاضرات وخطب في القاهرة، ولي أحاديث في الجزائر – هناك خطر اخر ذلك ان بعض اخواننا من القادة كادوا يقعون بخطأ اخر ليس اقل ضررا أو خطرا من الأول، وهو ان يقبلوا اناسا ويعدونهم في اطار القوميين لأنهم ينادون بالاشتراكية فقط. وبعبارة أوضح وأجلى، مادام فلان يدعو للاشتراكية وهو متحرر، ويريد ان يقضي على الرأسمالية، ويريد كذا وكذا.. فاذن هو في الاطار العام، ولنضف لفظ قومية الى اشتراكية فيصبح مقبولا. هذا في تقديري تضليل، وخطا لان القومية ليست حلة تلبس، ولا صفة عارضة تباع. يجب ان تكون نابعة من الوجود القومي.

وبعـــبارة أدق أنا لا اقبل الاشتراكي القومي العربي الا حينما ينطلق من نقطة أساسية واحدة هي لأنه عربي يعتقد بهذه الامة، ويؤمن بمصلحتها، ويعمل لخيرها، ويريد القضاء على التخلف فهو اذن اشتراكي عربي، بحكم كونه قوميا عربيا. اما ان يكون اشتراكيا ماركسيا، أو ربمـــا أكثر من ذلك، ويقول نحن على التقاء، نحن واياكم على الطريق، فيصبح رفيق طريق لا يلبث ان ينفك بل يتآمر، بل يكيد، اذا ما وجد الفرصة سانحة.

نبهـت الى هذه الحقيقة احد اخواننا الذي لا اريد ان استغل نكبته وأنا اجله واحترمه، وأتمــنى له الخير، قبل ان تقع تلك النكبة في حديث خاص (ورب اشارة ابلغ من عبارة) وكنت أرى انه يوشك ان يقع في خطا فاضح، وتحدثت اليه بصراحة هناك خطأ يتهدده من هذه الناحية بوصفة عربيا وانه مخلص، ولكنه وقع أو كاد يقع في مثل هذا الخطأ.

أعــود الى القول بان الاشتراكية الرشيدة، هي الاشتراكية الواعية التي تميز بين من يــريد ان يجعــل الاشتراكية حلة أو قميص يتجلبب به – اذا صح هذا الاستعمال – يلبسه رداء ويغطي ما شاء ان يغطي من أفكار. لان القومية وحدة متماسكة، فانا انما أقول هناك علاقة بين القومــية والفكــر الاشــتراكي بهذا المعنى الواضح الجلي، وهو ان الاشتراكية خصيصة لازمة ومرتبطة بالوجود القومي، فالقومي الصحيح الحق هو القومي العربي الذي يؤمن بكل متطلبات القومية العربية، ومن اجل وأول متطلبات القومية العربية الا نكتفي بالاستقلال السياسي، بل ولا بـــالوحدة السياسية، وانما لابد لنا ان ننهض بالطبقات المختلفة، الطبقات التي هي دعامة هذا الوجود، والتي هي الركيزة الاولى لهذا البنيان الشامخ الذي نريد ان نبنيه. ولا سبيل لنا الى ان نقيم مجتمعا سليما رتيبا دون الايمان العميق بهذه المبادئ كلها، والعمل الدائب في تحقيقها.

فاشـــتراكيتنا الرشـيدة اذن وحدة متماسكة متجانسة. ويؤسفني ان أقول بان فريقا قد غالى في دعواه واشتط كثيرا، ففهم الاشتراكية على غير معناها، فهمها أشكالا وصيغا، وفهمها ادعاءات وتشريعات، وفهمها أوامر "كن فيكون". هم يعلمون ان هذا الوجود له قوانين طبيعية، وان لكــل شعب، كما لكل امة، ولكل شعب، كما لكل انسان، طاقات، واذا حملت الانسان فوق ما يطــيق فقــد أعجزته وأهلكته، وأصبحت كالمنبت كما ورد في الحديث "لا تكن كالمنبت الذي لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع". اريد ان أقول هؤلاء الذين يغالون – ويقولون" "مزيدا من القرارات الاشـــتراكية، مــزيدا من التأميم، مزيدا من كذا، مزيدا من كذا...." كان المريض تعالجه بمزيد ومــزيد من المرض أحيانا، أو مزيد من غير العلاج الناجح – ان الاشتراكية الرشيدة هي التي

تقـــي خطـــر من يتسلل الى الاشتراكية من جهة وهو ليس قوميا، وخطر الذين يجهلون حقيقة الوجـــود الاجتماعي فيغالون في اتخاذ القرارات التي لا تحقق النتائج النهائية للمجتمع، والذين يربطون بين الشكل والجوهر. اما أنا فقد كنت افهم الاشتراكية العربية على حقيقة روح ومعنى ونتـــيجة لا شـــكل، مسميات، ولا وظائف ولا تشكيلات، ولا ادعاءات ولا تشريعات مجردة، بل عمل دائب، لخطة رتيبة، تهدف الى تحقيق العدل الاجتماعي، والى اقامة نظام معين يتحقق فيه تكافؤ الفرص من جهة، وتتحقق فيه العدالة الاجتماعية باجلى معانيها من جهة اخرى، ويكون فـــيه الـــتوزيع العـــادل للثروات. ولكنك حين لا تملك الثروات، وتلح على عدالة التوزيع، لن تـــوزع، الا الفقـــر، والا البؤس. فالاشتراكية الرشيدة هي الاشتراكية الواعية، هي الاشتراكية النابعة من صميم الوجود العربي، هي الاشتراكية المدركة لخطر المتسللين الى الاشتراكية. كما تـــدرك خطـــر الرجعييـــن الذين لا يؤمنون بالقومية الا على انها عصرية أو عنجهية قبلية، أو عصبية عمياء أو مجرد التخلص من الأجنبي دون العمل على التخلص من استغلال المستغل في الداخـــل. الاشـــتراكية الواعـــية، الاشتراكية الرشيدة، هي التي تعي هذا كله، وتعلم ان ذلك هو الوجود القومي، لأنك لا تستطيع، في حياة الناس، ان تجزئ بين الكل المتكامل.

واولـــى خصائص قوميتنا انها "كلية" لا تجزء، تنظر الى الامة العربية على انها "كل"، والوطـــن العربـــي على انه "كل"، والى مشكلاتنا الأساسية على انها كل، والى الوجود الانساني علـــى انه "كل". ففي هذه "الكلية" المتماسكة والمستندة الى مبدأ التضامن الاجتماعي الأساسي، يتحقق الوجود القومي، وتصبح الاشتراكية جزءا من قوميتنا.

واســـمحوا لـــي ان اشير الى شيء اخر، شيء أصيل تنبه اليه المفكر الحر البريطاني "برتـــراند رسل"، وكان "برتراند رسل" في وقت من الزمن يكاد يكون شيوعيا أو ماركسيا، وهو لا يزال متحررا من دون شك، ان تحرره يصل الى حدود المغالاة والافراط أحيانا، واحسب اني قـــرأت هـــذا الرأي في كتاب له يعرفه رجال التربية "التربية والنظام الاجتماعي"، يقول: "يوجد نوعـــان من الاشتراكية، اشتراكية تبدأ من تحت تنظر الى فوق وتنتقم وتذخل، وتشعر بالحسرة والحـــرمان، فتحاول جاهدة ان تحطم من هو فوق لتعبر عن وجودها، واشتراكية تبدأ من فوق تـــرى مـــن هو تحت فتشعر بالشعور الانساني العاطف، المدرك للمسؤولية، الهادف الى الرفع، والاشـــتراكية المفضـــلة هي الاشتراكية الثانية"؛ وأستطيع ان أؤكد بان الاشتراكية العربية على العموم لم تنم كما نمت الاشتراكية، في اوربا من تحت وكان من الطبيعي ان تنمو في اوربا، من

عمال حرموا واوذوا واستغلوا من فئات صغيرة بعد الثورة الصناعية، وبعد تكدس الثروات بأيد قليلة، كما يقول "مكنزي" في كتابه عن تاريخ الاشتراكية، "كان ازدياد الثروات يتناسب تناسبا عكسيا مع عدد الأثرياء أو كلما قل عددهم تضخمت ثرواتهم"، وجدت طبقة الرأسمالية في الغرب في اطار من هذا الوجود الاجتماعي. فكر ماركس، وفكر غير ماركس من قبله، وانجلز معه ومن بعده، فتبين لهم بان لا سبيل لإنصاف العمال والكادحين الا بحرب طبقة تقضي على راس المال، وتقضي على المستغلين، وتحقق ملكية وسائل الإنتاج للعاملين ليحولوا دون الاستغلال. ربما كان ذلك له مبرراته الاجتماعية. ولكن هل نمت الاشتراكية في البلاد العربية في هذا الطراز من الوجود؟ وارجو لا يساء فهمي، أنا لا أقول ان بعض أصحاب المعامل – وهم قلة – لم يظلموا الناس أحيانا، ولكن كم هي المعامل الكبيرة في بلادنا؟ اضرب لكم مثلا بسيطا. كل ما قيل عن تأميم المعامل والبنوك والصناعات واذا استخرجت ما كانت مدينة به، لا يكاد يتجاوز ما تبقى من راس المال في حقيقته عن، (١٥) مليون دينار فهل هذا مبلغ كبير؟ قلت عندما حدث التأميم – ولم أكن مسؤولا – لو ان القوم عقلوا وتربصوا، وكان لنا حكم مستقر، – ولكنا نتفاوض مع شركات النفط حول تنفيق الريع – وهو مصطلح نفطي خاص ويعني هو جعل الريع خارج حصة الخمسين بالمائة – ان سنتا واحدا تربحه من الشركات عن كل برميل سيأتينا بحاصل أكثر من حاصلات كل الشركات المؤممة. ولكن الاضطراب، والضعف، والتقلل، اضعف وجودنا وضيع علينا فرصا، شركات النفط ليست خيرة، الأصل في أصحاب الأموال، والأموال الطائلة، انهم حريصون على الأموال الى حد الشراهة، بل وأحيانا الى حد الاساءة، ولكن هذا الوضع هو الذي كان يحز في نفسي لأننا لم نختر الوقت المناسب من جهة، وعنينا بالشكل دون الجوهر من جهة اخرى.

ويؤسفني ان أقول ان بعض أساتذة الكليات، بعض اخواننا وطلابنا السابقين، ممن أسهموا فكريا في موضوع التأميم يتصورون انهم جاءوا بالقول الفصل بسياساتهم التي أثبتت الأرقام خطأها. وأنا اعلم ان الأرقام تضلل، وتضلل من كل الاطراف اذا لم تدرس على وجهها الحقيقي، وهي مدعاة ضلال ما بعده ضلال لانها تؤدي الى نسف الحقائق. وقد سبق لي ان قلت في مناسبة سابقة، كما قال احد القضاة الانكليز في قضية مشهورة "نصف الحقيقة قد تصل الى كذبة كاملة". قد يعطيك الاحصائي الرقم من دون ان يعطيك النتائج الاخرى. يقولون مثلا انظروا ما انجزنا في التأميم، هذه شركة الكبريت ربحت كذا دينارا. هذه حقيقة، ولكن الحقائق الخفية

مـــا هـــي؟ ان ثلاث شركات كبريت اخرى منعت من الانتاج، وتعطل كذا عامل و... انظروا الى الشـــركة الفلانـــية ماذا حققت من الأرباح؟! ولكنه منع استيراد، ووضع كذا من القيود وضمت الشـــركة الفلانـــية مـــع الشـــركة الفلانـــية، ... وهكذا يعطيك الرقم ناقصا مشوها. أما الأرقام الصـــحيحة وهـــي موجودة لدينا، تثبت على اننا كنا على حق حينما تنادينا – وسنبقى ننادي – "بالاشـــتراكية الرشيدة" لانها هي الاشتراكية العربية النابعة من صميم وجودنا القومي المتسقة مع حاجتنا، الهادفة الى العدل الاجتماعي دونما افراط أو تفريط. والتي لا تهتم بالشعارات وانما بحقائق الوجود.

العميد

سيداتي وسادتي:

اكـــرر الشـــكر للســـيد رئـــيس الوزراء على محاضرته القيمة هذه، ولعلها كانت من الوضوح بأذهـــانكم لدرجة لا تجعلني أتحدث أو اشير اليها، وأود بهذه المناسبة ان أوجه شكري لاخواني طـــلاب كلية الآداب الذين التزموا بالهدوء، وأنا أقول هذا أقوله في معرض الاعتذار من السيد رئـــيس الـــوزراء لان هذه المحاضرة كانت مجهدة وشاقة بالنسبة اليه، لقد أوصيت طلابنا ان يكفـــوا عن الهتاف وعن المقاطعة، وان يحيلوا محاضرته الى درس علمي، وكذلك فعلوا. ربما لو فعلوا غير هذا لكانت له الفرصة في ان يأخذ نفسه بعض الشيء ويستعيد نشاطه في الكلام. والآن لا ادري اذا كانت لأحدكم بعض الأسئلة فان كان لأحدكم سؤالاً أفضل ان يكتب في ورقة، ويعطى الينا.

نحن نشكر السيد رئيس الوزراء لهديته النفيسة، وهي مجموعة هذه الكتب التي أهداها لمكتبة كلية الآداب، وستكون هذه الكتب تذكارا يؤرخ به يوم هذه المحاضرة.

الأسئلة

* ايهما أفضل السير بالبلاد إلى اتجاه الزراعة أم إلى اتجاه الصناعة في الظرف الراهن؟

– سأجيب بعد قليل، لكن أقول النكتة التالية، مثلك مثل من يسال الطفل: ايهما أحب إليك امك أم أبيك؟ العراق بلد زراعي لا شك، ونحن بإذن الله سائرون بهذا. والحق يقال، والله تعالى يقول: ولا تبخسوا الناس أشياءهم. في العهد الماضي أيضا وضعوا خطة لإنشاء بعض السدود ولكنها لم تنجز لان الظروف التي مرت بالعراق حالت دون ذلك، فإنشاء السدود، والاستفادة من القنوات مع المجاري، والاستغلال الجدي للمشاريع التي عملت ناقصة بلا مبازل بعض ما يعنينا، وسنضع في الميزانية المبالغ الكافية لذلك. ولكن هذا لم يثننا عن ان نأخذ بالصناعة، وخاصة الصناعة الزراعية. صناعة الزيوت، وهي مرتبطة بالزراعة، صناعة السكر وهي مرتبطة بالزراعة، وصناعة الأسمدة وهي مرتبطة بمادة خام أيضا، وبعض المواد الموجودة. كل اولئك سيرتبط بعضه ببعض وسنسير على خط سواء في الأمرين معا.

* هل لامة مفككة الان ان تصنع حضارة قومية؟

– أولا: ما هي الامة التي عناها السائل، الامة العربية؟ أنا احمل قوله على هذا المعنى. أنا أقول ان هذا الذي نشعره من التفكك قد مرت به الامم من قبلنا، وان تكالب الخصوم علينا مظهر من مظاهر، لا الضعف، لأنك حينما تقترب من أهدافك تزداد القوة الشريرة في مقاومتك، ولذلك تبدو وكأنك تجابه أخطارا لا حصر لها. ولذلك اؤكد للسائل انه اذا قصد الامة العربية لانها مفككة يجب ان لا تسعى الى الوحدة، فهو خاطئ، لأؤكد بان امتنا العربية على الرغم من مظاهر الضعف، لها مظاهر قوة كثيرة، وانها سائرة، ويجب ان تسير الى وحدتها.

* ما هو رأيك في الدعوة التي تطالب بالوحدة قبل الاشتراكية أو الاشتراكية قبل الوحدة؟

– ان الاشتراكية كما حددها ماركس تعني سيطرة الدولة على راس المال وتحديد الملكية، وان الاختلاف بين الاشتراكية هو في درجة تطبيق هذه القاعدة. فلماذا تخرج الاشتراكية العربية عن ذلك؟

– أخرجها لانها غير ماركسية، ولها خصائصها التي تمتاز فيها.

*هل تقوم اشتراكيتنا على أساس العلمانية، لما ستتأثر بالمبادئ الاسلامية والى أي حد؟

– موضوع العلمانية وغير العلمانية، موضوع اسيء فهمه، في تقديري كما يقول الاستاذ "ماسنيون" (وتأثر به فريق من أساتذتنا الكبار، ومنهم استاذ ربما سيزور معهدكم الاستاذ محمد الفاسي، والاستاذ علال القاسي) "ان الاسلام دين علماني". هذه حقيقة بمعنى ان فكرة الدولة الدينية، بالمعنى الذي كان موجودا في الغرب غير موجود في الاسلام أصلا ولذا فاشتراكيتنا ستقوم على اسسها الواضحة الرتيبة الرشيدة. وسمي ذلك ما شئت، اسلامية، علمانية أو غير

ذلك. لاني كما – تحدثت– ان هذه الاشتراكية ليست مستوردة، وليست هي قوالب مصاغة، ولا بدلة قدت في الخارج وتأتي لتلبسها، انما هي الوجه الاجتماعي للقومية العربية ذاتها.

*ما هو رأيك بالمشكلة الكردية؟

–لا شك ان المشكلة الكردية هي مشكلة الساعة التي تهم الشعب العراقي وحبذا ان يكون بالامكان حل المشكلة بصورة سلمية.

سأكون اسعد الناس حينما يستجيب بعض اخواننا في الشمال الى هذه الدعوة. ونحن على استعداد للإجابة لكل دعوة مخلصة للسلم، ولكننا نفرق بين السلم والتدجيل بشعارات السلم، أما اذا كانوا يشعرون انهم مواطنون وان دواعي العنف القائم في بعض أجزاء هذا الوطن لم تعد قائمة، وانهم راغبون في المجيء الى حكومتهم الشرعية ليتحدثوا في مشكلاتهم بموضوعية واخلاص وصراحة فنحن على استعداد تام لهذا ...

*أشرت الى ان القرارات الاشتراكية التي فرضت بالنسبة للقطر العراقي لم تأت في موعدها مع القدر، ولكن قال "ناصر" لابد من ان ننجح، فكيف سننجح؟

– ناصر لم يقل هذا عن العراق، قال عن الاشتراكية العربية في مصر ستنجح، وأنا أقول ان الاشتراكية، ستنجح، ثم نحن قلنا انها اتخذت ولن نحطم ما اتخذ بالرغم من انها اتخذت خطا، لان الأمر بعد ان اتخذ أصبح حقيقة واقعة، وقد يكون ازالته خطا اكبر، ولكن أنا أتكلم لاستعرض الأمر تاريخيا، لو كان هذا القول يصح لو قلت "اننا بناء على ذلك ألغينا كل التأمينات"، اما ونحن مستمسكون بما جرى واعتقدنا انه وقعت أخطاء في التطبيق في بعض تفصيلاته وفي التوقيت، هذا لا يعني اننا خارجون على الاشتراكية.

الفرق بين الاشتراكية الماركسية ترى حتمية التأميم في كل وسائل الانتاج. والاشتراكية القومية، أو العربية، أو سمها الاسلامية، سمها الرشيدة، سمها العلمانية، تنظر الى الواقع، لا تتقيد بالشعارات، مصلحتنا في ان تؤمم، نؤمم، ... مصلحتنا في ان نشجع قطاعا خاصا، نشجع.... و "ناصر" الذي استشهدت به، – لا ادري هل مثل المستشهد كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض – له رأي صائب عن العراق. اذا كنت قد قرأت محادثات الوحدة، وكان لي شرف المساهمة فيها، حينما قال احد الوزراء حينذاك ان العراق اشتراكي، كان جواب ناصر – وهو موجود في المحضر – أولا أوجد لك نظاما اقتصاديا، ثم صف هذا النظام. ليس للعراق: أي نظام اقتصادي لان دخلكم القومي كذا، ولولا النفط لوقع بكم كذا وكذا. فلذلك وهو عارف حقيقة العراق ان اقحام اسمه هنا أو غير هنا في بعض القطاعات الاخرى، لا يخدم القومية

العربــية، والذين يحبون ناصر مخلصين يجب ان يفهموه على حقيقته، والا يستشهدوا بأقواله بصورة مبتورة فيصبح فيهم كما يقولون في الانكليزية "الشيطان يستشهد بالتوراة".

* نحــن نفهــم الضــرورات القومية التي تفرض علينا ان نميز مفهومنا الاشتراكي عن باقي المفاهــيم الاشــتراكية العالمية، لكن ما هي الضرورات التي تفرض عليها الان، نشتت الدعوة الاشتراكية الواحدة والوطن الواحد تحت مسميات عديدة مثل القول بالتطبيق العربي للاشتراكية في القاهرة، أو في دمشق، أو الاشتراكية الرشيدة في بغداد؟

- لــيس هــناك ضرر من اختلاف المسميات، لان العبرة كما يقول علماء الاصول، "العبرة في المعانــي لا للألفــاظ والمبانــي"، اذا كان الهدف واحدا. سبق ان سألني صحفي ما الفرق بين الاشــتراكية الرشــيدة، والاشــتراكية المطــبقة في الجمهورية العربية المتحدة فقلت: لا فرق أساســي، وانمــا هــناك تأكــيدات تفرضــها طبيعة الزمن. واضرب لكم مثلا: أنا اؤكد لك ان المجــتمعات، حــتى المجتمع الكبير الواحد، فيها حساسيات. في البيان الذي صدر من أيام من القاهــرة كــان فيه تعبير الشعبية، أنا اقترحت تغيير التعبير بقوى الشعب، مع ان المعنى واحدا لكــن "الشعبية" هنا ترتبط في مفهوم الجيل الذي أنا فرد من أفراده كانت تطبقه فئة من الناس ذاحلــة، وكانــت الطليعة الاولى للمطمين الذين مهدوا لما سمى فيما بعد بعمليات السحل. بهذا المعــنى أثــرنا تغيــير اللفظ، فقلنا قوى الشعب بدل القوى الشعبية. أحيانا الألفاظ لها قيمتها، ومعــرفة نفســية الشــعوب، وكيفية مخاطبتها ضروري. وقد يكون اللفظ جزئيا، ولكن الصيغة والتلقــي والجــرس في الآذان له قيمته. فنحن نقول "اسلامية" حينما نخاطب اناسا يقولون بان الاشــتراكية كفــر - والبلاغة هو مخاطبة الناس بما يقتضيه الحال - ونقول "عربية" لنستبعد الذيــن لا يؤمــنون بالقومية العربية، ويزعمون انهم اشتراكيون، ونقول اشتراكية في التطبيق العربــي حينما نريد ان نعزل تطبيقات الاشتراكية في مصر عن بعض الأنظمة. اذ يقول بعضهم ان عــبد الناصر يطبق نظام تيتو حرفيا، وهذا باطل لان هناك فروقا واضحة بينهما، فهو يقول الاشــتراكية فــي التطبيق العربي ولا يلتزم بالماركسية مذهبا. فهذه المسميات لا ضير فيها ما دامت تهدف الى حقيقة نهائية واحدة.

سياستنا في شمالي الوطن[٦٧]

قطعنا مراحل اخرى

اسعد الله مساءكم وكل عام وانتم بخير حيث ان بعد غد سيكون عيد المولد النبوي الشريف وسأكون بعيدا عن الوطن في مهمات تخص الوطن فانتهز هذه الفرصة فأتقدم اليكم حيثما كنتم بالتبريك بهذه المناسبة السعيدة. وبعد أيها الاخوة وأيتها الأخوات لعلكم تذكرون انني في ندوة الأربعاء قبل الأخيرة وعلى وجه الدقة قبل اسبوعين كنت قد تحدثت اليكم في شؤون عامة، تحدثت بصورة خاصة عن الوضع في شمالي الوطن. وأشرت الى اننا قد بلغنا مرحلة طيبة وصفتها في الندوة السابقة بأنها لا تقل عن نصف الطريق، يسعدني ان أقول في هذا المساء اننا قد قطعنا مراحل اخرى نستحق من اجلها ان نهنئ أنفسنا وسأتلو بعد قليل عليكم منهاجا من اثنتا عشرة مادة توضح سياسة الحكومة ازاء اخواننا في شمالي الوطن مع مقدمة موجزة وخاتمة متوسطة الحجم، ولكني اعلم عن يقين انكم تريدونني قبل ان أتلو ما كتبت ان أتحدث اليكم. وانا معكم ان الحديث غير المكتوب، خاصة ما صدر من القلب ينفذ الى القلب. فاسمحوا لي اذن كعادتي ان أترسل بعض الشيء فأعيد الى ذكرياتكم وان كانت الذكرى غير سارة، المآسي التي قاسينا منها في عراقنا الحبيب خلال السنوات الخمس الماضية في اقل تقدير. لقد ذهب ضحية تلك المآسي الالوف، الوف من الأرامل واليتامى وأصحاب العاهات، وذهبت الملايين هدرا، ذهبت لا في الانشاء والتعمير والبنيان وانما للاقتتال بين الاخوة. فكان من الطبيعي اذن ان نجد طريقنا الى حل تلك المأساة والى ان نشيع في كل ربوع الوطن الامن والدعة والسلام الذي يرجوه المواطنون حيثما كانوا ومهما اختلفت أجناسهم ومعتقداتهم. وعلى ذلك فأستطيع ان أقول أننا احرياء بان نهنئ أنفسنا حين نستطيع ان ننهي تلك المشكلة ونعيد لتلك الربوع الجميلة نضارتها، ونعيد للمواطنين كافة أمنهم واستقرارهم.

واحسب ان أول الذين يجب ان يهنئوا هم أفراد الجيش الباسل من قادة وضباط ومراتب وجنود فقد ابلوا بلاء حسنا، وتحملوا العبء الكبير، فاذا ما طلب اليهم بعد اليوم ان يقوموا بالجهاد

---

[٦٧] ظهر الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء في الساعة التاسعة من مساء يوم ٢٩ حزيران ١٩٦٦ على شاشة تلفاز بغداد، ضمن ندوة الأربعاء التلفازية، وأذاع بيانا مهما حول سياسة الحكومة في شمالي الوطن. وقد جرى نقل هذه الندوة من اذاعة الجمهورية العراقية واذاعة القوات المسلحة وعلى جميع الموجات العاملة.

الأكبر، جهاد التعمير والانشاء واحلال الامن والسلام، واشاعة الطمأنينة، وتوزيع العدل، والقيام بكـل مـا يتطلبه الواجب لتحقيق وحدة الوطن، فتلك مهمة جديرة بان يهنئوا من اجلها. فإليهم اذن، قـبل غيرهم، أزف التهنئة والتبريك. ولكني لن أنسى ملايين من ورائهم من امهات واباء وزوجـات واخـوة وأخـوات ممن يتطلعون الى اليوم السعيد الذي يعود فيه اولئك الأبطال الى بيوتهم ليستمتعوا، كما يستمتع المواطنون، بحياة اعتيادية، ولينصرفوا بعد ذلك الى ما يجب ان ينصرف الجنود الأشاوس، – وجنودنا أشاوس شجعان – لينصرفوا للاعداد الى المرحلة الكبرى حينما ينادي المنادي لاسترجاع الوطن السليب.

فالتهنـئة للجيش أولا كما قلت وللملايين من مواطنينا حينما تزف اليهم بشرى ان الوضع غير الطبيعي سوف ينتهي، وهو في طريق الانتهاء في تلك البقاع العزيزة علينا من وطننا الحبيب.

سلام .... لا استلام

ان المـواد التي سأتلوها واضحة كل الوضوح، ولكنني اعلم عن يقين بان فريقا من الناس لن يفهموهـا علـى وجههـا الصـحيح، فمن الخير اذن ان أتبسط في توضيح بعض معالمها قبل تلاوتهـا. سـيقول قائل – فقد قال بعضهم هذا – وارجو ان لا يقولوه بعد اليوم حينما يستمعوا الـى البيان بنصه الكامل ان هناك استسلاما، وأود ان اؤكد لهم مخلصا ان هذا اللفظ غير وارد أصلا، أولا لاننا لا نتحارب مع عدو فالأكراد اخواننا ومواطنونا واننا لم نستسلم وانما نرجع الى مـا أمـر الله بـه، ان نـرجع الـى السلم، فان جنحوا للسلم فاجنح لها، فحينما يظهر اخواننا ومواطنونا رغبة صادقة – وانا لا اشك في صدق رغبتهم – يجب علينا من جانبنا ان نستجيب لان العـنف لـيس غاية وانما وسيلة لغاية، الغاية الأساس هي الحفاظ على وحدة هذا الوطن، والحفـاظ على كرامته، واشاعة العدل بين مواطنيه كافة، وهذا سيتحقق كله دونما تفريط بحق احـد أو جهة. ولذلك فهذه الادعاءات بالخضوع أو الاستسلام أو التساهل أو ما شاكل ذلك غير واردة أصـلا. علـى انـي لا اكره لفظة تساهل لان التساهل من شيمة الكريم وخاصة اذا كان التسـاهل مـع الأخ وابن العم والقريب، فنحن حينما نسلم بالواقع ونسلم بالمعقول ونسلم بكل مطلـب شرعي من دون تعنت ولا اصرار على الألفاظ والصيغ ودونما اتهام للآخرين والتشكيك بهـم لـيس في ذلك ضير. لأنك لا تستطيع ان توجد البيئة الصالحة لنجاح هذه المهمة الشاقة

العظـيمة الا اذا أشـعنا الطمأنينة وأشعنا امنا وأشعنا روح الثقة بين المواطنين. فالتسامح في محله خدمة لمصلحة الوطن، وفي سبيل اقامة حياة فاضلة للمواطنين كافة.

الأكراد يحاربون الانفصال

ونقطـة اخرى أود ان اؤكد عليها - وهي واضحة كل الوضوح - من البيان الذي سأتلوه ليس هـناك انفصال، ولا ما يشبه الانفصال، ولا ما يمهد الى الانفصال. وأود ان أقول لكم وانا واثق ان الذي روى لي القصة الآتية كان مخلصا في روايته ومن رويت عنه القصة كان مخلصا في تعبـيره قـال احـد زعماء الأكراد المهمين لو فرضت علينا سياسة الانفصال لحاربنا من اجل الوحـدة، فنحن لا نريد انفصالا. فعلام اذن تشيع الفاظا وتعابير لم يطالب بها احد، وهو راغب، أو هـم فـي الأصح راغبون بالعيش مواطنين ككل المواطنين اذا ما حفظت حقوقهم وكرامتهم وقوميـتهم. قد يقول قائل، وقد قالها فريق من مواطنينا غفر الله لهم من المتشددين المتزمتين، قـالوا ان الاعـتراف بالقومـيات، والقوميات الكردية على وجه التخصيص مخالفة للدين. وانا أتساءل لماذا يكون الاعتراف بالقومية مخالفا للدين، أو لم يقل سبحانه وتعالى وجعلناكم شعوبا وقـبائل لتعارفوا وان اختلفت السنتنا لكننا لا نتفاضل لاختلاف السنتنا والواننا وعناصرنا وانما نـتفاوت أكـرمكم عند الله اتقاكم. الم يجعلنا شعوبا وقبائل واامما اختلفت الواننا بالفضل والخير الـذي نقدمـه للانسـانية. فالاعـتراف بالقومية ما دامت غير استعلائية وليست هناك قومية اسـتعلائية، لا القومية العربية التي نعتز بها وندعو اليها، ولا القومية الكردية التي يطالب بها اخوانـنا الأكراد قومية عدوانية أو عنصرية. ولكن الله خلقنا عربا وأكرادا وخلق شعوبا واامما اخرى فمن الخير لنا ان نعترف بالواقع، وان يحترم بعضنا بعضا، وان نسعى في هذه الديار في هـذا الوطن الواحد لنعمره كما خلقنا الله في هذه الدنيا واستخلفنا لنعمرها لا لان نتحارب وان نتفاخر بأجناس وعناصر واصول. وكلنا من ادم وادم من تراب. ان أكرمكم عند الله اتقاكم.

بهذه الروح المتسامية لا يمكن ان تكون القومية والاعتراف بالقوميات مدعاة انشقاق أو مدعاة اخـتلاف أو مدعاة ابتعاد عن روح الاسلام السامية التي نعتز بها ونعتقد انها تؤلف بيننا وبين اخوانـنا الأكـراد وغـير الأكراد من الشعوب والامم العديدة الاخرى. فالذين يشيعون مثل هذه الأفكار انما يتصورون ان الدعوات القومية يراد بها استعلاء عنصريا وابتعادا عن روح الاسلام السـامية. وانـا أقولها، وقد قلتها من قبل في مؤلفاتي وفي خطبي ومحاضراتي، بان القومية

العربية وكذلك القومية الكردية – كما افهمها – ليست عنصرية وليست استعلائية وانما هي نزعة في جوهرها انسانية نزعة غيرية حين يكون الانسان أنانيا يعني بنفسه وحينما يكون غيريا يفكر بالذين تجمعه واياهم جوامع من لغة وثقافة وحضارة ومصالح، فالاهتمام ببني قومه فضيلة وليست رذيلة، وعلى هذا أقولها وأقولها بملء شفتي دونما تردد وعلى الرغم من الانتقاد الذي يوجهه بعض اخواننا ان الاعتراف بالقومية الكردية وحقوق الأكراد هو بهذا المعنى عامل مهم لتحقيق وحدة شعبنا ونحن أحوج ما نكون لهذه الوحدة.

شكر وتقدير

لا اريد ان اخرج في ندوتي هذا اليوم عن اطار هذا الموضوع الحيوي الذي اشغلنا طويلا، اشغل المسؤولين على كل المستويات من السيد رئيس الجمهورية الذي بذل قصارى جهده لنصل الى الحل المقبول من كل الأطراف المعنية ومن الوزارة ككل ومني كرئيس للوزارة ومن عشرات من اخواننا من كبار الموظفين ومن المواطنين الذين لم يكونوا مسؤولين ولكنهم قدموا جهدا مشكورا ومن حقهم عليّ – ولا احسبهم يطالبونني بذكر أسمائهم فقد عملوا ذلك في سبيل الوطن – أقول من حقهم عليّ ان اشيد بجهدهم المخلص، وان اشكرهم نيابة عن الشعب كله لما قاموا به من جليل الأعمال في خلق البيئة المناسبة وما لقي قسم منهم من عناء السفر لتحقيق اللقاءات.

ما هي الضمانات؟

وانا اعترف لكم ان التقاءات قد حدثت، واتصالات، واجتماعات، ومشاورات، ولكن شيئا واحدا لم يحدث ما كنا نتفاوض بالمعنى القانوني الدقيق لاننا كنا اخوة نتكلم في اطار من وحدة وطن، وكنا من حيث الجوهر وفي الغايات البعيدة كلنا نسعى للهدف الواحد. وأود مرة ثانية ان اشكر اولئك الجنود المجهولين الذين قاموا بتلك المساعي الحميدة وساعدونا للوصول الى الغاية التي توصلنا اليها والتي بلورناها في المنهاج المكون من اثنتي عشرة مادة والذي سأتلوه بعد قليل.
والنقطة الاخرى التي قد تثير بعض الشكوك، يتساءل بعضهم وما هي الضمانات؟ جرت من قبل محاولات ولكن الأمر لم يتبلور ونعلم ذلك جيدا ولكني اعتقد مخلصا بأننا في هذه المرة – وسلاحنا الأول اخلاصنا ورغبتنا الصادقة من جانبنا ان ننهي المشكلة بصورة جذرية – أقول

انــنا في هذه المرة نعتقد سنوفق بإذن الله وتسديده بوضع ستار كثيف على الماضي وماسيه. وهــناك عوامل شتى تدعوني الى هذا التفاؤل، ولست في معرض تحليلها ولكن شيئا واحدا أود ان أقولــه هــو ان خلق جو من الثقة والتحدث الى الناس بلغة المعقول، وبلغة المنطق دونما تحــامل ودونما اتهامات، ومحاولة ادراك مشاكلات الآخرين ادراكا صميميا مخلصا، عنصر مهم في الوصول الى النتائج الحسنة التي وصلنا اليها. أقول هذا تمهيدا لما سأتلوه والله اسأل – كما ســأكرر هــذه الدعوة ثانية – ان يحقق الامال الجسام التي ينتظرها هذا الشعب وتنتظرها هذه الامــة وينــتظرها كثيرا" من الشعوب الصديقة لوضع حد نهائي للماساة التي بقيت تنزف الدم الكثــير. ولابد لنا من وقت طويل حتى نستطيع ان نواسي الجروح وان نضمدها، ولابد لنا من طاقات هائلة حتى نستطيع ان نفتح صفحة جديدة، صفحة كريمة للمواطنين كافة...

بيان حــول سياسة الحكومــة
في شمالي الوطن

"ان هــذه الحكومة رغبة منها في وضع حد للوضع غير الطبيعي في أنحاء من شمالي الوطن، وســيرا على ما جاء في الفقرة الرابعة من كتاب التكليف عند تشكيل الوزارة "في الحفاظ على وحــدة الــتربة العراقــية وتحقيق الوحدة الوطنية"، وتأكيدا" للروابط الوثيقة القائمة فعلا بين العــرب والأكــراد والتي تدعوهما للعمل الحثيث المخلص لخير وطنهما المشترك تعلن المنهاج الآتي، وتؤكد عزمها القاطع على الالتزام به وتطبيقه نصا وروحا بأسرع وقت مستطاع.

أولا – قد اعترفت الحكومة بالقومية الكردية بشكل قاطع في الدستور المؤقت عند تعديله، وهي مســتعدة لتأكــيد هذا المعنى وزيادته جلاء في الدستور الدائم بحيث يصبح من الواضح اقرار القومــية الكــردية وحقــوق الأكــراد القومية ضمن الوطن العراقي الواحد الذي يضم قوميتين رئيستين هما العرب والأكراد، وبحيث يتمتع العرب والأكراد بحقوق وواجبات متساوية.

ثانــيا – والحكومــة على استعداد لاعطاء الحقيقة الكلية وجودها الفعلي في قانون المحافظات (الذي هو في طريقه الى التشريع على أساس من اللامركزية بان يكون لكل لواء، ولكل قضاء، ولكــل ناحية، شخصية معنوية معترف بها. ولكل من هذه الوحدات الادارية ومجالسها المنتخبة وسلطاتها الواسعة في الشؤون الخاصة بها بما في ذلك امور التربية والتعليم والصحة وكل ما له صلة بالشؤون المحلية والبلدية حسبما فصله القانون المذكور.

كما ان القانون المذكور يمكن من اجراء التعديل في حدود الوحدات الادارية، كما يمكن من انشاء وحدات ادارية جديدة عند الضرورة ومقتضيات المصلحة العامة.

ثالثا – وطبيعي ان الحكومة تعترف باللغة الكردية لغة اسمية مع اللغة العربية في المناطق التي تكون غالبية سكانها أكرادا. وتكون لغة التعليم – مع اللغة العربية – في الحدود التي يقرها القانون، وتحددها المجالس المحلية.

رابعا – ان هذه الحكومة عازمة على اجراء الانتخابات النيابية في الحدود الزمنية التي نص عليها الدستور المؤقت وحددها المنهاج الوزاري بشكل صريح. وسيمثل الأكراد في المجلس الوطني القادم بالعدد الذي يتناسب مع مجموع السكان الكلي وبالطريقة التي يفصلها قانون الانتخابات.

خامسا – وطبيعي ان يشارك اخواننا العرب في الوظائف العامة كافة بنسبة سكانهم بما في ذلك الوزارات والوظائف الادارية العامة والقضائية والدبلوماسية والعسكرية من دون الاخلال بمبدأ الكفاية.

سادسا – وسيكون هناك عدد من طلاب البعثات والزمالات والمنح الدراسية في مختلف الفروع وعلى شتى المستويات من الأكراد يرسلون للتخصص في خارج البلاد من دون الاخلال الكلي بالكفاية وحاجة القطر.

كما ستزيد جامعة بغداد من اهتمامها بدراسة اللغة الكردية وآدابها وتراثها الفكري والحضاري. وتسعى الجامعة لفتح فرع لها في الشمال عند توفير الإمكانيات.

سابعا – وسيصبح من طبيعة الأشياء ان يكون (الموظفون المحليون في الألوية والاقضية والنواحي الكردية من الأكراد ما توفر العدد المطلوب منهم). ولن يصار الى غيرهم الا بمقدار ما تقتضيه مصلحة تلك المناطق ذاتها.

ثامنا – سيرافق الحياة النيابية انشاء بعض التنظيمات السياسية وتمكين الصحافة من التعبير عن رغبات الشعب وستسمح الحكومة للأكراد بذلك في الحدود التي يرسمها القانون. وستكون الصحافة السياسية والأدبية في المناطق الكردية باللغة الكردية أو اللغة العربية أو بهما معا حسب طلب ذوي العلاقة.

تاسعا - ا-عندما تنتهي أعمال العنف يصدر العفو العام عن جميع الذين ساهموا في أعمال العنف في الشمال، أو كانت لهم صلة بها، بما فيهم جميع من صدرت بحقهم أحكام بسبب الأعمال المذكورة أو لصلتهم بها أو احتجزت حرياتهم.

ب-يعود جميع الموظفين والمستخدمين من الأكراد الى وظائفهم السابقة، كما يؤمن الملاك اللازم لهم ويلاحظ انصافهم.

جـ-تسعى الحكومة لاعادة جميع العمال الأكراد المفصولين الى اعمالهم السابقة بكل طاقاتها.

عاشرا - على منتسبي القوات المسلحة البدء في العودة الى وحداتهم فور صدور هذا البيان على ان يتم ذلك كله خلال مدة أقصاها (شهران). وسيعامل العائدون بالرفق ويصدر العفو عنهم.

ا- فمن كان منتسبا الى الجيش عليه ان يعود الى الجيش بسلاحه.

ب- ومن كان منتسبا الى الشرطة عليه ان يعود الى الشرطة بسلاحه.

جـ-أما الآخرون ممن حملوا السلاح فيعدون هيئة تابعة الى الحكومة التي عليها ان تعمل على اعاشتهم. وعلى كل من يتم تحوله منهم الى الحياة الطبيعية اعطاء معداتهم واسلحتهم وتجهيزاتهم كافة الى الحكومة. ويجرى ذلك كله حسب خطة مدروسة من جميع ذوي العلاقة.

د-وطبيعي ان يعود الفرسان الى اماكنهم بعد احلال الامن ويجرى استعادة الأسلحة منهم حسب خطة مدروسة.

احد عشر - وغني عن القول ان الأموال التي تبذل اليوم في مقاومة العنف، وكذلك الأموال التي تصرف فيما لا طائل تحته، ستصرف في اعمار الشمال وستؤلف هيئة خاصة لاعمار المنطقة الكردية من العراق تخصص لها المبالغ اللازمة المناسبة من الخطة الاقتصادية للقيام بالتعمير والنهوض بالمشاريع الانمائية المناسبة من الخطة الاقتصادية للقيام بالتعمير والنهوض بالمشاريع الانمائية في المنطقة وترتبط بوزير مسؤول يناط بوزارته ادارة مصايف الشمال، وشؤون الغابات والتبوغ في الشمال، كما يشرف على تنسيق الشؤون الخاصة بالوحدات الادارية التي يكون غالبية سكانها من الأكراد مما هو من صميم القومية الكردية كالعناية بالثقافة الكردية ومناهج التعليم باللغة الكردية.

وستحاول الحكومة بكل طاقاتها تعويض، كل المتضررين تعويضا يمكنهم من العودة الى حياة منتجة نافعة للاسهام في النهوض باقتصاديات البلاد وازدهارها والعيش بأمن وسلام.

كمـــا ان الحكومـــة لظروف وطنية وانسانية ستعنى بكل الأرامل واليتامى وذوي العاهات الذين كـــانوا مـــن ضـــحايا أعمال العنف في شمالي الوطن، وستنشأ بالتعاون مع الهيئات المختصة الملاجئ ومعاهد التأهيل اللازمة بأسرع وقت مستطاع.

ثانـــي عشـــر – تســـعى الحكومة في توطين كل الأفراد والجماعات الذين نزحوا أو هجروا من منطقـــتهم. وسيكون الأصل في هذه العودة الى الوضع الطبيعي القديم. مع العلم بان ما سيكون لازمـــا للدولـــة السـيطرة علـــيه فيما بعد للمنفعة العامة يجب ان يقترن حسب أحكام القانون بـــتعويض ســـريع عـــادل."ويكون معلوما لمواطنينا الكرام جميعا من أقصى شمالي الوطن الى أقصـــى جنوبـــيه ان الحكومـــة – والحكومـــة وحدها – هي المسؤولة عن امن البلاد الداخلي والخارجـــي. وان لها من جيشها الشجاع، وقواتها المسلحة النظامية المخلصة، ما يمكنها من اداء واجـــبها المقدس هذا. وانها عازمة على اعادة الحياة المدنية الهادئة لأنحاء الوطن العزيز كافـــة، كمـــا انهـــا راغبة باخلاص وتقدير تام لتبعاتها في اشاعة العدل، وسيادة القانون بروح المســـاواة التامة بين المواطنين جميعا دونما تمايز. والمرجو بعد ذلك من المواطنين من أبناء الوطـــن عامة، ومن اخواننا الأكراد خاصة، ان يعينوها باخلاص على اداء واجبها الخطير هذا. وهي تعلم عن يقين بان اعلان هذا المنهاج اليوم، مهما سمت المبادئ التي جاء بها ليس أكثر مـــن بداية البداية وان نجاحه التام يتوقف – بالدرجة الاولى – على تعاون المواطنين الصادق. وهذا التعاون لا يمكن ان يتم على الوجه الامثل، الا حين تشيع روح الود ويسود مبدأ الاخلاص التام بين المواطنين كافة، وبينهم وبين حكومتهم.

واني لانتهز هذه الفرصة السعيدة فاهيب باخواني المواطنين، من رسميين وغير رسميين، من عســـكريين ومدنيين، من عشائريين وسكان مدن وقرى، ممن كانوا يحملون السلاح الى الأمس القريب أو ممن اثروا السكينة، ممن كانوا يقاومون الحكومة أو يؤيدونها، اهيب بهم جميعا ان يدركـــوا ان الوقت قد حان لان نصبح من جديد اخوة في هذا الوطن متحابين، ولماسي الماضي ناسين، ولخير يومه وغده بجد عاملين، ومن اجل رفاهيته واستقراره وتقدمه ووحدته متفانين. اهيـــب بهـــم جميعا لكي يعقدوا العزم الأكيد على ان نحيا حياة حرة كريمة، اخوة سواء في كل الحقـــوق والواجبات، مستقبلين الذكرى الثامنة لثورة الرابع عشر من تموز في هذا العام بروح جديـــدة لـــنحقق الغايـــة المثلى التي قامت من اجلها تلك الثورة واعني بها تحقيق حياة أفضل للمواطنين كافة، والسير بالبلاد قدما الى مراقي الفلاح.

ولـــنرجو بعد ذلك ان يكون منهاجنا هذا اسهاما جديا للاسراع في اقامة حياة نيابية تمهد لوضع الدســتور الدائـــم وتشـــييد صرح مجتمع العدالة والكفاية والاستقرار. واني لعلى يقين من ان نجاحـــنا فـــي تحقـــيق وحدة هذا الوطن – وحدة قائمة على الاعتراف الكامل بالحقوق القومية لمواطنيه – سيفتح صفحات جديدة أمام العراقيين كافة وتمهد أفضل تمهيد لان نعيش في وطننا الواحـــد بأمـــن واســـتقرار ولنفـــتح صفحات جديدة لكل الذين يحبون عراقهم العزيز ويودون مخلصـــين ان يعيشوا فيه امنين متعاونين، راغبين باخلاص ان يسدلوا ستار الماضي وماسيه، ويفتحوا صفحات نيرة تبشر بغد مشرق وحياة عزيزة سعيدة.

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين".

الفخر للوطن كله

هذه اخواني وأخواتي مواطني الكرام سياستنا ازاء اخواننا ومواطنينا في شمالي الوطن العزيز، ولـــولا خشـــية ان اتهم بالتفاؤل الزائد، لقلت لكم ان ثمة تباشير واسعة في الافق ستسمعونها وستسمعونها من السنة ذوي العلاقة أنفسهم ... أقول لولا ذلك، لقلت لكم بان هناك دلائل قاطعة علـــى ان الأمـــر ســـائر فـــي وطنـــنا الى ما نحب، وان الاخوة الشجعان وان اختلفت جبهاتهم ســـيعودون الـــيوم وبعد اليوم أبناء وطن واحد، متحابين متجاوبين عاملين في سبيل وحدة هذا الوطن، وسعادة بنيه ...

أقـــول لكـــم أيها المواطنون اننا مؤمنون بإذن الله وتسديده وتيسيره وهديه، مقبلون على عهد زاهـــر يبشر بان الماسي وعهدها قد ولى، وولى الى غير رجعة. وانكم كما قلت ستسمعون في مساء هذا اليوم وغد التأييد من كل الذين يعنيهم الأمر، ممن عملوا واظهروا رغبة مخلصة في الـــتعاون، وممـــن لهم شأنهم وممن رضوا بان يلتقوا مع حكومتهم ولا أقول يتفاوضوا. رضوا وادركـــوا ان الوقـــت قد حان كما قلت من قبل لان نضع ستارا كثيفا على الماضي وماسيه ولو كان لابد لي ان اضيف شيئا، أقول ان الافتخار بهذا لن يكون لي ... انه للوطن كله ... انه لكل المخلصـــين الذيـــن عملوا ... واذا فشلت هذه السياسة – لا سمح الله فسأتحمل وأتحمل وحدي مغبتها، وعذري في ذلك ان مثلي مثل المجتهد ان أصاب له حسنتان ... حسنة الاجتهاد وحسنة الاصابة ... وان اخطأ فله حسنة الاجتهاد .. ولكن يقيني بالله عظيم، وان خلوص النية والارادة الطيـــبة التي اصدر عنها ويصدر عنها زملائي وتصدر عنها الحكومة كفيلة بان يتجاوب معها

المخلصون جميعا. واننا سنحقق ما نريد واننا سنسير بعد ذلك قدما لفتح آفاق جديدة للمواطنين كافة ونعيد الاستقرار والأمن ونحقق المعنى الجليل لثورة الرابع عشر من تموز ولنحقق المعنى الأدق للثورية التي تعني الرفاه والتقدم والحرية والكرامة للمواطنين جميعا.

ومـــرة اخرى ارفع يدي الى السماء وارجو الله مخلصا ان يعيننا على اداء هذه الرسالة الكبرى وان يوفقنا وان يسدد خطانا وان يلهمنا الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أهم التحديات التي تواجهنا [٦٨]

"القى الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء ظهر أمس محاضرة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وكانت بعنوان "أهم التحديات التي تواجهنا". وقد حضر المحاضرة السيد رئيس جامعة بغداد وعدد من عمداء وأساتذة جامعة بغداد وجمع غفير من طلبة الجامعة. وكان من بين الذين اســتمعوا الـــى المحاضرة الدكتورة سهير القلماوى التي تزور بغداد حاليا والدكتور عبد المنعم البنا الأمين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية".

وقـــد القى الدكتور محمد يعقوب السعيدى عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية كلمة ترحيبية قال فيها: من دواعي الغبطة والاعتزاز والفخر ان أقف اليوم مرحبا باستاذي الجليل الذي تفضل مشــكورا وخــص كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بهذه المحاضرة، وهذه التفاته كريمة تضاف الى اعماله المجيدة التي قام بها في هذه الكلية يوم كان عميدا لها.

أيها السادة لا أظن انني بحاجة الى تقديم استاذنا الفاضل فهو علم من الاعلام، وهو من النخبة الممـــتازة مـــن رجال الفكر والعلم والقانون، مارس التدريس في كلية الحقوق، ثم أصبح عميدا لهـــا، وكـــان مـــثالا للاستاذ الفاضل، ثم اضطرته الظروف الى ترك كرسي الاستاذية فعمل في المحامـــاة وكـــان من أنبه المحامين وأعلاهم اسما، واشتغل في ديوان التدوين القانوني فتجلت مواهـــبه القانونية في الفتوى والتشريع، ثم احتل من القضاء مركز الصدارة في محكمة التمييز التـــي وجدت فيه العقل الراجح والتفكير القانوني السليم، وخلال هذه المدة كان يحاضر ويكتب ويؤلف.

---

[٦٨] القيت المحاضرة في ٧ آذار ١٩٦٦ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

واستاذنا الفاضل عربي مؤمن بعروبته وبقوميته، سمعنا الكثير عنه يوم كان في لندن يساهم في تنظيم رابطة الطلبة العرب للدفاع عن حقوق العرب. وبعد عودته أسهم في قضايا البلد الوطنية والقومية. وبعد ثورة تموز دافع بجرأة عن عقيدته وفكرته فاعتقل وعذب واضطر الى ترك الدار والوطن، ورغم هذا فقد واصل السير بالطريق الذي رسمه بنفسه. هذا هو استاذنا الكريم الذي يتولى رئاسة الحكومة الان في اشد الأوقات حراجة يعكف على دراسة المشاكل بهمة واخلاص، ويعمل لايجاد الحلول السليمة ويناقش الامور في منطق رتيب، وتحليل دقيق. وبالرغم من مشاغله فهو يرغب ان يلتقي بزملائه ويتحدث الى طلابه، وها هو يحدثنا في مشاكلنا فلنستمع الى حديثه الممتع وبأسلوبه الرفيع وشكرا لكم وللحاضرين على تلبيتكم للدعوة.

وبعد ان أنهى العميد كلمته بدا الاستاذ البزّاز بالقاء محاضرته التي تحدث فيها عن التحديات التي تواجه امتنا العربية وقال: ان التحدي لازم للقومية، أية قومية، وان أرى كتابا" كتب عن القومية في هذا القرن أو القرن التاسع عشر، (قرن القوميات)، يتحدث عن وجود هذا التحدي، بل يعتبره عنصرا من عناصر القومية. وبمعنى اخر ان القومية بمعناها الحديث، أي بكونها عقيدة وحركة فعالة لا تتجلى الا أمام تحديات تثير مشاعر أبنائها وتؤكد وجودهم، وتحفز القوة الكامنة فيهم حتى تظهر للوجود فعالة.

ثم عدد الاستاذ البزّاز هذه التحديات بالنسبة للامة العربية فقال: انها تحديات أوجزها بالاتي:

١-الاستعمار وهو تحد تعرضت له الامة العربية وهي في هذا أسوأ حالا من سواها. وسبب ذلك تنوع هذا الاستعمار في البلاد العربية بينما تعرضت دول اخرى لنوع واحد من الاستعمار. وبعد ان ضرب بعض الأمثلة قال: ان هذا التنوع نقمة مضافة الى نقمة الاستعمار ذاته. فقد فرض على العربي ان يحارب في أنحاء شتى، وتجاه اعداء كثيرين، وصرنا اخر الأمر وطنيين لا قوميين. وسبب ذلك اننا واجهنا تحديات استعمارية مختلفة، بخلاف ما تم في بلاد اخرى كالهند واندونيسيا حيث جابهت تحديا من نوع واحد، وبالتالي خرجت الى مرحلة الاستقلال بوجود سياسي واحد وبقينا نحن نقاسي من الفرقة التي خلقها تعدد الاستعمار، وهو لم يزل بصورة أو باخرى قائما هنا وهناك في وطننا. ولا شك ان اخطر أنواعه هو الاستعمار الفكري الذي لم نزل نعاني منه حتى في المناطق التي تحررت سياسيا، وتوشك ان تتحرر اقتصاديا من نير الاستعمار.

٢-والـــتحدي الثاني، وقد يكون اخطر من الأول وان يكن من بعض وجوهه نتيجة من نتائجه، هــو تحـــدي الصهيونية، وهذا التحدي لا يمكن ان يقارن بأي تحد اخر، لان مخاطر الصهيونية ومطامحهـــا لا حد لها من حيث انها تريد ان تتسع. ولا اريد ان اذكركم بما كتب على البرلمان الاســـرائيلي – وطنك يا اسرائيل من النيل الى الفرات – ولكن أقول ما هو أهم من ذلك هو ان اســـرائيل بوجودها تحد دائم لوجودنا، لانها تهدف الى سيطرة كاملة على منطقتنا، وعلى ابادة وجودنا العربي.

٣-أما التحدي الثالث فهو تحدي الأفكار الوافدة، وتحدي المبادئ التي تنافي القومية الصميمة. وقـــال: انني اعد الشيوعية العقائدية تحد يتهدد وجودنا العربي. ونحن عندما حاربنا الاستعمار والعهـــد البائد لا نريد ان نستبدل استعمارا بآخر، بل نريد القومية العربية أصيلة تختط طريقها بنفسها، وتصطنع ما تشاء من نظم حرة غير مضغوط عليها، وليكن واضحا ان هذا لا يجب ان يؤثـــر بـــأي حـــال على صداقتنا مع الدول الكبرى، وفي الأخص روسيا التي تربطنا بها روابط صـــداقة وتعـــاون، ونلتقي معها في السياسة الخارجية في أكثر من نقطة واحدة، ولكن نظامنا الاجتماعـــي يخـــتلف عـــن نظامهم، واحسب ان نظرية التعايش السلمي تفرض على السوفييت صداقة الدول وان اختلفت أنظمتها الاجتماعية.

٤-تحـــدي التحزب الأعمى الذي يفقد حرية الرأي، ويصير منتسبي تلك الأحزاب الات صماء لا تستطيع ان تميز بين الحق والباطل، ويؤدي هذا الى فرقة الامم والذهاب بريحها[٦٩].

كنت قد القيت محاضرة في هذا الموضوع استغرقت ساعة وبعض ساعة، وكانت تلك المحاضرة قد سجلت في شريط خاص، وحينما حاولت الحصول عليه لنقل المحاضرة على الورق ونشرها في هذا الكتاب استحال ذلك على الرغم من الجهود التي بذلت بهذا الصدد، حيت ادعت الجهات المختصـــة ان الشـــريط قد مسح، وهكذا استحال الحصول على نص المحاضرة – كانت احدى الجرائد اليومية قد لخصت بعض النقاط البارزة في المحاضرة على الوجه الذي نشرناه أعلاه.

ونظـــرا لأنني كنت قد أسهبت في شرح التحدي الرابع، والذي أسميته "بالتحزب الأعمى" فأرى مـــن المفيد ان أتبسط بذكر بعض ما قلته في هذا الصدد حينذاك، معتمدا في هذا على الذاكرة. انني كنت اعد التحزب من المشكلات الدقيقة التي تواجه عراق ما بعد الثورة خاصة. وأكثر من ذلـــك لقد لمست حين تحمل أعباء المسؤولية ان هذا التحزب يفقد الكثيرين من خيار الناس من

[٦٩] الجزء المتقدم من المحاضرة نشر في جريدة الجمهورية الصادرة في بغداد يوم ٨ آذار ١٩٦٦.

فضائلهم. فنراهم يتسلكون بشخصيتين مزدوجتين. أحداهما شخصياتهم الاعتيادية الفطرية السليمة، والثانية شخصياتهم الحزبية التي تجعلهم يتصرفون بكيفية اقل ما يقال فيها انها مجافية لقواعد العدل، ومسيئة للقيم الانسانية الرفيعة. فقد لا يرى بعض هؤلاء - بسبب تحزبهم الأعمى - باسا في ان يشيع الفاحشة، ويكرر المفترى، حول أشخاص يعلم هذا القسم قبل غيره، انهم أبرياء مما يزعمون. وحين تناقشهم أو تعاتبهم لا تجد عندهم عذرا أقوى من قولهم: ان ذلك هو قرار الحزب، أو "هذه هي سياسة الحزب ...".

فلم يكن بدعا والحالة هذه، ان اعد التحزب الأعمى مشكلة من مشاكلنا الكبرى، وان اعده بعض التحديات التي تواجه امتنا. وليس معنى هذا انني أنكر العمل الحزبي جملة من حيث الأساس، ولا اتهم كل الذين انتسبوا الى الأحزاب بخضوعهم الأعمى هذا الى مقررات أحزابهم بحيث يصبحون الات صماء يرددون كالببغاء ما تقرره هيئاتهم أو لجانهم. لقد كان العمل الحزبي ولم يزل عملا مشروعا، على ان يكون ذلك حسب مبادىء واضحة، وقواعد معلومة، مبادئ مستقرة. واهم من هذا على ان يراعي الحزبيون قواعد الأخلاق، ومتطلبات المروءة.

ان بعض الأحزاب (القومية وغير القومية) قد انساقت الى التسليم بالقاعدة اللاخلاقية التي تقول: "الغاية تبرر الواسطة". فما داموا يتصورون ان غايتهم خدمة الوطن، حسب معتقدات أحزابهم، وشعاراتهم المعلنة، فلا ضير عليهم ان يقترفوا في سبيل تحقيق تلك الغاية ما شاءوا، وما شاء لهم هواهم من آثام، وان يصطنعوا أية وسيلة تيسرت لديهم. وأيسر السبل هو محاربة من يعتقدون انهم يحولون بين أحزابهم وبين تولي المسؤولية، فليشيعوا فيهم اذن قالة السوء، وليلصقوا بهم كل تهمة، وليعملوا على تحطيم سمعتهم، كل اولئك يفعلون، متأثمين أو غير متأثمين، وهم يحسبون انهم بذلك يخدمون الوطن، اذ يمهدون بالقضاء على من يقف حجر عثرة في سبيلهم ليصلوا هم الى السلطة ليملئوا الأرض عدلا كما ملئت جورا، كما يزعمون ويتوهمون ...

ولست بحاجة الى القول الى ان الدركات التي هوت اليها تلك الأحزاب أو المنظمات، وهي تسلك هذا السبيل انحدرت اليها وهي تحسبه عملا مباحا، بل ربما واجبا، ما دام في ذلك خدمة لمصالح أحزابهم ...

وأكثر ايغالا في السوء ان بعض الأحزاب - في العراق وفي أجزاء اخرى من الوطن العربي - كانت، وهي تعمل في المسؤولية وتتخذ القرارات الخطيرة، تنظر الى كل شيء من زاوية الحزب

والمصلحة الحزبية، دون ان يعبء كثيرا بالمصلحة الوطنية القطرية، أو مصلحة الامة العربية كلها. انهم يجسمون مصلحة الوطن والامة بمصلحتهم الحزبية. وحين يتنادون مثلا بان لا حرية لاعداء الشعب – على الرغم مما في هذه القاعدة من أخطاء ومجافاة لقواعد العدل عند التطبيق الحزبي – لها – يريدون في الواقع بان لا حرية لغير الذين لا ينتسبون الى حزبهم، وحين ينقسم هذا الحزب على نفسه تصبح الفئة المسيطرة على السلطة فعلا هي الحزب، وهي الشعب، وهي الامة، وان رفاق الأمس قد أصبحوا اعداء للوطن لا حرية لهم. وحين يعود الانشقاق من جديد بين الحاكمين تبقى (العصبة الصغيرة) صاحبة السلطة الفعلية هي وحدها الحزب والنتيجة الشعب والامة التي لها، ولها وحدها، ملء الحق وكل الحريات، ولأعدائها، بما في ذلك زملاء الأمس القريب، الهوان والخزي لأنهم اعداء الشعب الذين لا حرية ولا كرامة لهم...

ليس من الغريب بعد هذا، وهذه الحالة التي صورت تمثل وقائع شهدناها بأم عيوننا، ان اعد التخريب الأعمى تحديا خطيرا يتهددنا من الداخل بخطر قد لا يقل بجسامته عن خطر الصهيونية لدى اعداء الامة العربية، واشد التحديات الخارجية خطورة. ولست اريد ان اذهب في الشك الى حد القول بوجود الصلة بين الصهيونية وهذا الطراز من المتحزبين العمى... ان هذا اتهام جد خطير وليس لمنصف ان يبني حكمه فيه على مجرد الظن، وبعض القرائن الظاهرة. وفي تقديري ان هذا الالتقاء بين أهداف الصهيونية وهذا الطراز من المتحزبين عفوي مصدره الجهالة الجهلاء، والغي والضلالة. على ان الانصاف، مع ذلك، يقتضينا ان نعترف بان بعض تلك الأحزاب قامت، في وقت من الزمن، بأعمال مشكورة في محاربة الطغيان والقضاء عليه، واظهر أفرادها من الشجاعة ما يستحقون من اجله التقدير التام. ولكن المؤلم حقا انه ما كاد يقضي على الظالمين والطغاة، الا وقد اقام مقامهم ظالمون وطغاة من طراز جديد، وان المأساة في هدر الحريات واراقة الدماء، وتكرر أعمال العنف والظلم قد عادت من جديد، وكأننا لم نتعظ باحداث الماضي القريب. وعلى ذلك فقد أصبح من الواضح ان الاعتماد على ازالة الظلم واجتثاث الفساد بتلك الطرق لا يجدي في حل الأزمة الخطيرة التي نقاسي منها، بل يضعنا في حلقة مفرغة ودوامة مستمرة.

ومــن الطبيعي انني في انتقادي لهذا الطراز من التحزب الأعمى لا اريد ان اعطي سلاحا بأيدي بعض الحاكمين، وبعض الطبقات، أو الفئات الصغيرة التي تريد ان تستأثر بالحكم وحدها، أو ان تقصر العمل السياسي عليه دون سواها جاعلة من نفسها قيمة على هذا الشعب كله.

ان الحــل الســليم الواجب الرعاية للقضاء على التحزب الأعمى من جهة، والاستئثار بالسلطة، وتأيــيد الحكــم الفــردي من جهة اخرى، هو تمكين الشعب من ممارسة حرياته الديمقراطية، واتاحــة الفرصة للمواطنين كافة في ان ينظموا أنفسهم، ويتنافسوا في ميدان حر طليق تنتظمه القوانين السليمة، ويكون القول الفصل فيه للقضاء النزيه العادل المحايد ...

ان الحاجــة لهــذا الأمر اليوم – ونحن نمر بأقسى مرحلة من مراحل تاريخنا الحديث، ونواجه هوان النكسة الخطيرة، وننتظر الغيب المجهول بقلق شديد بسبب أطماع الصهيونية وطغيانها – اشد ما تكون لنقيم حكومة تجد من شعبها رضا، وتجاوبا، وثقة، واستعدادا للبذل والفداء ...

محاضرة جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة الضيوف، اخواني، أبنائي من الطالبات والطلاب

"مسـؤولياتنا تجاه التحديات الكبرى التي تواجه الامة العربية"، هو موضوع الساعة، وقد كان دائمــا، كان دائما وأبدا موضوع الساعة، منذ بزغ نجم الامة العربية، وسقط الشهداء على كل ارض عربــية، من الخليج الى المحيط عبر الأزمان، لا يرضون الضيم ولا يستكينون. وتكالبت علينــا الــتحديات مــن كــل صوب وفي كل زمن، تحديات من الخارج مصدرها الخشية تارة والتســلط تــارة اخرى، وتحديات من الداخل مصدرها الأطماع تارة والفجوات العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية تارة اخرى.

كــل هــذا وأكثر منه يحدثنا عنه هذه الليلة زميل جامعي قديم، وصديق، وأخ عربي له مكانته العلمــية والثقافية والسياسية، يسعدني باسم الجامعة ان اقدمه اليكم،وهو الغني عن التعريف، لولا ان التقاليد الجامعية تقضي علينا ان نقدمه اليكم ببعض ماضيه.

الاســتاذ عــبد الرحمــن الــبزّاز تخرج سيادته في كلية الحقوق عام ١٩٣٥، ثم أوفد في بعثه للدراسة في انكلترا، حيث تخرج من جامعة لندن سنة ١٩٣٩، وعندما عاد عين استاذا مساعدا بكلية الحقوق في بغداد حتى عام ١٩٤١، حين اعتقل على اثر فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني.

في ١٩٤٥ عين في القضاء، وحاضر في كلية الحقوق في بغداد، في ١٩٥٥ عين عميدا لكلية الحقـوق بجامعة بغداد، في ١٩٥٦ فصل واعتقل بسبب أحداث العدوان الثلاثي على بور سعيد، فـي ١٩٥٨ اعـيد للعمادة بعد ثورة ١٤ تموز، ثم عين قاضيا في محكمة التمييز، في ١٩٥٩ اعتقل ابان العهد القاسمي بعد ثورة الموصل، في ١٩٦٠ دعي الى الجمهورية العربية المتحدة محاضـرا فـي كلـية الحقوق بجامعة القاهرة، وفي كلية الشريعة وكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، في ١٩٦١ عين استاذا لمادة القومية العربية، ثم مديرا لمعهد الدراسات العربية العليا الـتابع لجامعة الدول العربية، في ١٩٦١ الى ١٩٦٣ عين استاذا غير متفرغ للقانون المقارن بكلـية الحقوق بجامعة عين شمس. ثم عاد سفيرا للعراق لدى الجمهورية العربية المتحدة، ثم سـفيرا لهـا لدى المملكة المتحدة، ثم وزيرا للخارجية ونائبا لرئيس وزراء العراق، ثم رئيسا للوزراء عام ١٩٦٥.

وقـد عـرف عـن الدكتور البزّاز في كل مراحل حياته صفاء فكره، وعمق ايمانه بربه، وثقته بمسـتقبل امته، تظهر في كتبه المؤلفة في القانون والقومية العربية والوحدة العربية، والتربية والاجتماع والسياسة.

والآن يتفضل سيادته بالقاء محاضرته عن "مسؤولياتنا تجاه التحديات الكبرى التي تواجه الامة العربية" تفضل ...

اشكر للزميل الكريم تفضله بتقديمي، واشكر لجامعة الكويت دعوتها إياي، وإتاحتها الفرصة لي لألتقـي بكـم في هذه الامسية. واذا جاز لي ان ابدي رأيا في جامعة الكويت وهي في طفولتها الاولى، فاني لأرجو لها ان تصبح منارا ينير، لا الكويت وحده، بل هذه البقعة الكريمة كلها من وطننا العربي، التي هي في أمس الحاجة الى المنائر والمشاعل، ليكون طريقها بعد اليوم منيرا. وانتهز هذه الفرصة أيضا لا شكر لحكومة الكويت دعوتها اياي، واتاحتها الفرصة لي، لان أرى الكويـت الشـقيق مـرة اخرى، ولان التقي بالكثير من رجاله وبنيه. ويسعدني ان أرى التقدم المادي ظاهرا، والذي ارجوه مخلصا ان يقترن هذا التقدم بتقدم في كل مناحي الحياة الاخرى.

وبعد ذلك اسمحوا لي بكلمة اعتذار للذين جاءوا خاصة وهم يتوقعون ان يستمعوا الى محاضرة علمـية في موضوع أصيل. انني أخشى ان يخيب ظنهم اذا كانوا قد توهموا انهم يستمعون الى الـيوم وقـد أتيت بما لم تستطعه الأوائل. وانا لم ات هذه القاعة لألقي محاضرة وانما لأتحدث

اليكم حديثا عفويا. واذا جاز لي ان أقول لان افكر معكم بصوت عال ببعض ما يختلج في صدري، وربما، (بل أكاد اجزم)، بما يختلج في صدوركم جميعا.

وفكرة هذا الحديث بدأت قبل أيام قلائل حينما زرت الجامعة - وكان لزاما علي ان ازور الجامعة حين ازور الكويت - وطلب الي الأخ الكريم مدير الجامعة وبعض الاخوان الآخرين من أعضاء هيئة التدريس ان اشارك في نشاط الجامعة. فاتفقنا عفوا على هذا الموضوع ليكون وسيلة لان نلتقي بكم وان نتحدث اليكم. فرجائي ان يكون هذا واضحا لأنه لم يكن في مقدوري ان اعد بحثا مسهبا، ولا ان اعالج موضوعا خطيرا بالدقة العلمية التي تناسب مع هذه الجامعة، ولكني مع ذلك - فيما أرجو - سأكون معكم صريحا في تبيان آراء هي آرائي الخاصة، وسأكون صريحا أكثر حينما تتفضلون مشكورين بمناقشتي أو السؤال عن بعض ما سأبديه. وسلفا أود ان اؤكد كلمة كان يكررها الامام الشافعي وهي قوله: "مذهبنا صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيرنا خطا يحتمل الصواب". فليس من الضروري ان كل ما أقوله هو الحق الذي لا حق بعده، وانما هي آراء ابديها، وأتحمل مغبتها، وربما سبق لي ان أبديت بعضها في مناسبات اخرى.

والآن، من نحن؟ من هم الذين عنيتهم بقولنا مسؤلياتنا؟ لمن تعود نون الضمير هذه؟ بطبيعة الحال تعود لنا نحن أبناء الامة العربية. نحن العرب في مشرق ارض العروبة ومغربها، نحن أبناء هذه الامة الواحدة من الدار البيضاء الى البحرين وابو ظبي والكويت، من أقصى مشرق العروبة الى أقصى مغربها، من وهادها ومن سفوحها ومن جبالها، من قراها، ومن مدنها، من حواضرها الكبرى ومن بواديها. نحن العرب أبناء هذه الامة الواحدة الذين تجمعنا الجوامع الكبريات، تجمعنا اللغة الواحدة، هذه اللغة التي كرمها الله وجعلها لغة كتابه الكريم، وجعلها ذكرى لنا وذكرى لرسولنا كما قال تعالى "وانه لذكر لك ولقومك ولسوف تسالون"، نحن أبناء هذه الامة التي يجمعها تاريخ واحد امتد عبر العصور، وخلدنا ما خلدنا من آثار تطفح بها الكتب، ويشهد بها الخصوم قبل الاصدقاء. نحن أبناء هذه الامة التي تجمعنا المصائب الكبرى، ويجمعنا المصير الواحد المشترك، وتربطنا هذه الأرض الطيبة، هذا الوطن العربي الكبير الممتد في قارتين عظيمتين والذي حباه الله بالخير الوافر، وبالزيت العظيم - ولست بحاجة الى ان اذكركم بان في وطننا أكثر من ثلثي احتياطي العالم كله - وجعل بلادنا في موقع تعبوي ممتاز، تسيطر على بحار كثيرة، ولنا مياه غزيرة في أرضنا كلها - لا أتكلم عن الكويت أو بقعة معينة - في بلادنا النيل العظيم، والفرات الخالد، ودجلة التي قامت على جنباتها الحضارات. وفي

بلادنـــا المعـــادن الغنـــية، والتربة الوافرة، وهذا العدد الكبير من سكان هذه البلاد كلها، نصف ومائة مليون نسمة. نحن العرب تتحدانا تحديات كبرى، ويواجهنا - وأقولها بمرارة - مستقبل قاتم.

مـــا هـــو السر في هذا، وما سبيلنا الى مواجهة هذه التحديات؟ كل عوامل القوة، في المقياس الظاهر من امكانيات وثروات ومواقع كلها قائمة فينا، وموجودة في تربتنا، ومع ذلك لا احسب انـــه قـــد تعرضت امة للهوان كما تتعرض له اليوم، وقبل اليوم امتنا. لم هذا الوضع؟ ولم هذه المتناقضـــات؟ هـــذا ما ساحاول ان أقول فيه شيئا، أو على حد ما يقول القدماء ان ادلي بدلوي بين الدلاء.

وقـــبل هذا، وقبل ان أتكلم عن اشد هذه المخاطر وأعظم هذه التحديات، قد يكون من المفيد ان اذكـــركم، وانـــا جد عليم بأنكم تعلمون هذه التحديات، ان اذكركم بتحديات عدة اخرى، نتعرض نحـــن لهـــا كما يتعرض غيرنا، ولكني اؤكد بصورة خاصة تلك التحديات التي لها وضع خاص، وتأثـــير معين، بالنسبة الينا، نحن أبناء الامة العربية. ويعني انني لن اطيل القول في التحديات التـــي تواجـــه كـــل الشـــعوب وكل الامم التي تمر بالمرحلة التي نمر بها، من جهل، وتخلف، ومـــرض، ومـــا شـــاكل ذلك. تلك طبيعة الزمن، وسنتغلب على هذا تباعا، ولكننا نتعرض الى تحديات من طراز اخر.

طـــبعا "الاستعمار" كان، ولم يزل لحد ما، تحد يتحدانا. وفقنا للتخلص من بعض اثاره، أو بعض صوره، ولكننا لم نزل نقاسي منه الشيء الكثير بسبب تحدياته. وحينما أتكلم عن الاستعمار، لا اريـــد به الاستعمار السياسي فقط، وانما اريد به كل صورة، بما في ذلك الاستعمار الاقتصادي، واخطـــر من الاستعمار الاقتصادي، ما أسميته بـــ"الاستعمار الفكري"، أي فقدان الاصالة الذاتية بتأثـــير الغـــرب. وللغرب تأثيرات حسنة علينا ما في ذلك ريب، ولكن له تأثيرات سيئة أيضا لم نفطـــن الـــيها، ربما لم نصل بعد المرحلة التي نتحرر من آثار ذلك الاستعمار، ونصدر عن ذات نفوســـنا، ونفكر بطرائقنا، وننتفع من علم الغرب، وصناعته، و"تقنيته"، وطاقاته، دون ان نفقد طبيعتنا الأصلية. سنبقى مستعمرين استعمارا فكريا أمدا طويلا. وآثار هذا الاستعمار ليست اقل خطورة من التحديات الاخرى التي سأشير اليها.

ومـــا دمـــت فـــي ذكر الاستعمار الغربي لي رأي سالف أعلنته قبل نحو من خمسة عشر عاما، وكـــان موضـــوع اســـتغراب بعـــض اخواني. قلت ما معناه، "كنت أتمنى، مادام قد قدر لنا ان

نستعمر، ان لو استعمرنا في وقت واحدة، ومن دولة واحدة". والذي كنت عنيته، وما زلت اعتقد بصنوابه، ان الاستعمار السياسي حينما يكون من دولة واحدة تفرض تلك الدولة لضرورتها ولمصلحتها – على أهل البلاد طرائق ونظما معينة حتى اذا ما نمى الوعي القومي، استطاع الذين ورثوا تلك الدولة المستعمرة ان يرثوا نظاما قائما موحدا بعض الشيء، وهذا يعجل في وحدة الامة الحقيقية. أما نحن فكان من سوء طالعنا تعدد المستعمرين واختلاف اماد استعمارهم. ولست ارحب بالاستعمار – ليكن ذلك واضحا – ولكنني كنت أقول مادام قد قدر علينا ان نستعمر، كنت بصراحة أتمنى لو اننا جميعا استعمرتنا فرنسا، أو انكلترا أو هولندا، وفي وقت واحد ، لكان نتاج ذلك، وحدة مصير كما هو ظاهر في الهند اليوم، وكما هو ظاهر في اندونيسيا. الهند استعمرت مدة طويلة، أطول من المدة التي استعمرت فيها بلادنا، وفي الهند لغات شتى، وأجناس شتى، وعقائد لا حصر لها، وتقاليد وحضارات. ولكن حينما انقشع الاستعمار البريطاني، ورث الوطنيون عن هذا الاستعمار نظاما نقديا واحدا، ونظاما اداريا واحدا، ونظاما قضائيا واحدا، ومواصلات واحدة. كانت هذه العوامل المادية من العوامل الفعالة في صيرورة الهند التي تتكون من أديان وأجناس ولغات وحضارات عدة، دولة كبرى واحدة. ونحن العرب الذين نتكلم لغة واحدة، وفي غالبيتنا العظمى ندين بدين واحد، وننتسب الى حضارة واحدة، ان من اسباب فرقتنا اننا ورثنا نظما استعمارية مختلفة، وخضعنا الى الاستعمار في ادوار شتى، وكان اثر ذلك السيئ علينا اننا تطورنا تطورات متباينة، جعلت وحدتنا بعيدة، بينما أصبحت وحدة الهند حقيقة.

المغرب العربي تعرض للاستعمار الفرنسي في اوقات مختلفة، وكانت فرنسا ذكية، أو ان شئت قلت خبيثة في هذا، فحاولت ان توجد نظما متباينة بعض الشيء. ففي الجزائر سياسة المحق والابادة، وكان من خير الجزائر ربما ان يكون هذا هو هدف فرنسا لان رد الفعل كان أقوى من سواها. وفي تونس حفاظ قلق، وفي المغرب وضع معين. وفي النتيجة لم ينصهر حتى المغرب في بودقة واحدة. وحينما جاء الدور الوطني بقينا مختلفين، وأقول هذا بمرارة ... وليبيا بقيت مدة أطول من سواها خاضعة للاستعمار العثماني – اذا جاز لنا قول ذلك – وانا اعلم هناك آراء وتساؤلات هل يصح ان نقول ان الدولة العثمانية كانت استعمارية بكل معنى الاستعمار، أولا؟ لنترك هذا جانبا. على كل حال خضعت ليبيا للدولة العثمانية مدة من الزمن، ثم جاءت ايطاليا

وأرادت ان توجد فيها نظاما معينا، وبعد ذلك بنتيجة تطور ليبيا الاقتصادي انفصلت بعض الشيء عن شمالي افريقية.

ومصر كلنا يعلم تاريخها وقصتها، وكيف حاول الغرب عن طريق الثقافة، والاستعمار الفكري، ان يركز في أذهان المصريين انهم مصريون وكفى. وأشاعوا نظريات شتى "كالفرعونية"، وبعد ذلك "المصرية"، وبعد ذلك نظرية "حوض البحر الأبيض المتوسط"، وعزلوا مصر فترة طويلة عن الركب العربي حتى اذا ما تيقظت مصر، في وقت متأخر نسبيا، الى وجودها، وأدركت مكانتها، حوربت، وحوربت بضراوة، من اجل عروبتها. ويجب ان نعترف ان من بعض اسباب ما تقاسيه مصر اليوم من عنت ايمانها الشديد بعروبتها. وأعظم ما يسر الغرب، ويسر اسرائيل، لو رجعت مصر الى مصريتها. وستكون الطامة الكبرى على الامة العربية، وقد تنتفع مصر لمدة من الزمن من هذه النكسة لو وقعت ولكن - وانا سعيد في ان أقول هذا - الذين يملكون الأمر في مصر يدركون خبث الاستعمار، ويعلمون عن يقين ان مصير مصر العربية قد تقرر والى الأبد، مهما كانت التضحيات ...

واذا انتقلنا الى مناطق اخرى نجد هذا الشتات العجيب والذي اريد ان اخلص اليه بعد ذلك هو ان الاستعمار، وهو نقمة، كان سيكون في تقديري أفضل بكثير لو كان قد حدث في ان واحد، وأخضعنا جميعا الى نظم متماثلة، ليس ذلك سبيل وحدتنا الذي هو الطريق الأساس لمواجهة التحديات الكبرى، ولكن هذا الذي جرى، وليس لنا ان ننكر الواقع. تطورنا بمراحل مختلفة، وأخذنا صورا شتى، وتباينت - لحد ما - مصالح - في اقل تقدير - فئات من بنى قومنا، وصارت دعوة "الامة العربية" و "الوحدة العربية" تبدو وكأنها مناهضة الى الواقع، وخاصة حينما يتنادى بها اناس لا يعرفون حقيقتها، أو ممن يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، أو ممن لا يقرنون القول بالعمل. يتنادون "بالوحدة"، ويعملون للفرقة، يتنادون "بالحرية"، وحين يتاح لهم ان يحكموا يكونون اظلم الناس، ويتنادون بشعارات ما انزل الله بها من سلطان، فزاد ذلك في البلبلة، وابعد الناس عن طريقنا السوي لمواجهة التحديات.

خلاصة القول في هذا - أيها الاخوة وأيتها الأخوات - اننا، ونحن نواجه الاستعمار، يجب ان نكون حذرين من مغبة آثار الاستعمار الكبرى أولا، ومن هذه الحقيقة التي حاولت ان اوضحها، وهي تنوع الاستعمار قد زاد في بلاء الاستعمار. الاستعمار شر، وهو أكثر شرا - اذا صحت

هــذه الصيغة – وهو اشر حينما يكون من دول شتى، وبمراحل مختلفة، ويتبع طرائق مختلفة، وهذا هو الذي مكن للهند ان تصبح دولة واحدة.

واندنوسيا، وهو مثال أروع من الهند. اندنوسيا تتكون من نيف وثلاثة الاف جزيرة بين صغيرة وكبــيرة بأجــناس شــتى، وبلغات متباينة، وبثقافات عدة. وانا رأيت بعض هذه الجزر، بعض ســكانها مــا يزال اقرب الى العرى والحالة الطبيعية، وبعضهم متقدم، ومع ذلك اندنوسيا دولة واحــدة. ولكن الامة العربية التي نسمع كتابها كل يوم، وكل ساعة يردد (واعتصموا بحبل الله جمــيعا ولا تفــرقوا)، يؤســفني ان أقول ان الفرقة تعمل بين العرب، وتفتت وجودهم، وتؤبد ماسيهم أو تكاد.

هــذه بعض التحديات، ولكن التحدي الأكبر والأعظم، والذي اختصصنا – لسوء الحظ به – دون ســوانا هو التحدي "الاسرائيلي" كلنا يعلم اليوم الكثير عنه ولن يؤسفني ان أقول ان في الكثير مــن البلاد العربية، والى زمان قريب، كانت غفلة، وسذاجة في عدم ادراك حقيقة هذا الخطر. واذكر على سبيل المثال، ان بعض رؤساء الحكومات العربية حينما قررت الجامعة في المرحلة الاولــى ان تدخــل لنصرة فلسطين عند اعلان التقسيم ترددوا ترددا شديدا. ولولا تأكيدات من جهــات معينة، ولما رضوا ان يرسلوا جيوشهم للحرب ضد اسرائيل. وكان تصورهم ان الخطر خــاص بــبقعة صغيرة، والخلاف جزئي. واذكر مثالا صارخا اخر حدثني من أثق به من رجال فلسطين العارفين، قال حينما اجتمعوا في الجامعة العربية طلب اليه احد الزعماء الكبار – وقتئذ – وقال له: "يا أخي لم تجلب معك يهودي حتى تتحقق وحدتكم، نحن هنا في مصر متفقين أقباط ومســلمين، وانــتم أيضا اتفقوا".بهذه البساطة، وبهذه الغفلة، الى زمان قريب، كما نعالج هذه المشــكلة. والى اليوم هناك من يعتقد اننا حينما نحارب في فلسطين انما تأخذنا النخوة، ويدفعنا الى ذلك الحماس الوطني أو القبائلي، أو شيمة العون. لم ندرك بعد ان الخطر الاسرائيلي خطر حقيقي يتهدد الامة العربية كلها. كان الوطن العربي مهدد، مهما بدا في المرحلة الراهنة بعض الشيء – وأقولها بالتأكيد – بعض الشيء أمينا.

ان أهــداف الصــهيونية عمــيقة، ومخططــات الصهاينة واسعة، وأطماعها لا حد لها، والذين يتصــورون انهــم ســيكتفون حــتى بالانتصــارات التي حققوها أخيرا مخطئون، هم يطمحون بالاستيلاء من ناحية الأرض على جنوبي لبنان، وعلى الضفة الشرقية من الاردن، وان يصلوا الــى الفــرات، وان يعبروا القناة حتى يصلوا النيل، وان يسيطروا على العالم العربي بطاقاتهم

وقواتهـم، وان يصـبحوا الدولة الكبرى التي تسيطر على هذه المنطقة ليعيدوا مملكة اسرائيل الكـبرى، ويشـيدوا مـن جديد "هيكل سليمان". هذا ليس مجرد حلم عملوا له، وخططوا بحذق وذكـاء، وتدرجـوا فيه ايما تدرج. في زمن الدولة العثمانية كانت دعواهم ان هناك فريقا من اليهود، - لاعتبارات دينية - يودون لو عاشوا في فلسطين المقدسة، وأقاموا فيها مستعمرات صـغيرة للعيش الهادئ، ثم جاءت الحرب فبدءوا مناوراتهم واتصالاتهم مع طرفي الخصام، مع المانيا من جهة، ومع الغرب ممثلا" بانكلترة من جهة اخرى. وحينما بدا لهم ان النصر سيكون حليف الغرب اتفقوا معهم فصدر "وعد بلفور" الذي تذكرونه، والذي قال بان انكلترة تنظر بعطف لانشـاء وطـن قومي في فلسطين. وبريطانيا كانت حاذقة في التمويه فتكلمت عن وطن قومي، وليس عن دولة قومية حتى يبقى لها مخرجا، كما حاولت فعلا عام ١٩٣٩ في اقناع اليهود بان الوعد الذي قطعوه لا يعني دولة قومية وانما وطنا قوميا، واذكر تعبيرا "لمالكولم مكدونلد" الذي كـان مسـؤولا يومئذ، والذي، لحسن الحظ، اقتنع لحد ما بوجهة نظر العرب وقتئذ، وقال: ان انشـاء الجامعـة العربية، ومستشفى هداسا، والثقافة العبرية، كل ذلك تحقيق للوطن القومي، ولسنا ملزمين في اقامة دولة في فلسطين. ومع ذلك قالوا في فلسطين، استعملوا "في" الظرفية، يعنـي في جزء منها، فجاء المخطط الأول الذي وضعته اللجنة برئاسة احد شخصياتهم "اللورد بـيل"، وهـو يوصـي بتقسيم أكثر اعتدالا مما وقع بعد ذلك. ثم اتسع ذلك في التقسيمات التي أقرتها هيئة الامم كما تعلمون، ثم توسع أكثر من ذلك بعدوانهم الذي امتد عام ١٩٤٩ واحتلوا المثلـث العربـي ،واحـتلوا مناطق اخرى، ثم اغتنموا فرصة التازم الدولي عام ١٩٥٦ فقاموا بـالعدوان الثلاثي وتوسيع نفوذهم واحتلوا شرم الشيخ، وأوجدوا قوى هنا وهناك، وتباهوا بان فرضوا علينا للضرورات وقتئذ ان يكون للمراقبين في الجانب العربي لا في الجانب الاسرائيلي، وكسـبوا مكاسـب قربتهم من تحقيق آمالهم. ثم اغتنموا الفرصة وفرضوا علينا الحرب، ومرة اخـرى أقول هم الذين كانوا يختارون الوقت بطريقة أو باخرى، وغنموا ما غنموا مما تعلمون واعلم.

ولكـن لـن يكـون ذلك خاتمة المطاف. ان اسرائيل لن ترضى - اذا استطاعت، وما لم تواجه التحدي بتحد مثله، وبأقوى منه - بما غنمته حتى الان، ستبقى تحلم بان تصبح الدولة الكبرى، الدولـة المسيطرة على موارد هذه المنطقة، والمسخرة لخيراتها كلها لأغراض اسرائيل. وعن طـريق ذلـك تصـبح الدولة الكبرى في المنطقة. وقد يفيدنا هذا بعض الشيء في ايقاظ بعض

الـــدول الاوربـــية. وفي واقع الحال حيثما نجد دولة كفرنسا تغير من اتجاهها، ربما هي لهذا- ولاعتـــبارات اخـــرى غير هذا الاعتبار - قد أدركت المخاطر التي تتهددها كدولة لها نفوذ بهذه المنطقة، فبدأت تعتدل بعض الشيء في سياستها.

هـــذا الـــتحدي الاســـرائيلي الخطير كيف نواجهه؟ ما هو واجبنا نحن أبناء الامة العربية رجالا ونساء، شيبا وشبانا، جامعيين وغير جامعيين، مشارقة ومغاربة؟ ما هو واجبنا في مقابلة هذا التحدي؟.

بطبـــيعة الحال الواجب الأول هو ان ندرك عظم هذا الخطر، لأنك لا تستطيع ان تستعد استعدادا كاملا، الا اذا أدركت عظم الخطر الذي تتوقعه. والمرجو - وهنا تكون مهمة الجامعة، واجهزة الاعـــلام، ويسرني ان أقول اني الاحظ في الأيام الأخيرة القليلة هنا أجهزة الاعلام متيقظة الى هـــذا المعـــنى بالتوعـــية - ان ننشـــط كل النشاط لتفهيم الأجيال الصاعدة، خاصة التي تواكب الأحـــداث، بعظـــم هـــذا الخطر وبجديته، وان مستقبلنا قاتم حتى نقضي على آثار هذا الخطر. فالتوعـــية أولا، والاســـتعداد الكامل من كل الوجوه ثانيا. هذا الاستعداد في رأيي يقتضينا! أولا وقـــبل كـــل شـــيء ان نقيم جيشا عربيا واحدا. اسمحوا لي ان أقول بصراحة تامة ان من أهم اســـباب مغلوبيتـــنا فـــي المرتيـــن هو اننا نحارب دولة واحدة، ونحن دول شتى. احد الاساتذة الفضـــلاء سأله أجنبي عن العدوان الأول وقال كيف غلبتم وقتئذ وانتم سبع دول واسرائيل دولة واحدة؟ كان جوابه لاننا سبع دول، ولو كنا دولة واحدة ما غلبنا، وانا اعتقد هذا قول حق. يجب ان يكـــون في الأقل قيادة عسكرية واحدة تقسم الجيوش في المناطق التي يجب ان تكون فيها، وتســـتعملها بالطريقة التي تراها، وفي الوقت الذي تراه، وفي الطاقات والقدرات التي تعتقدها، والا ســـتبقى اســـرائيل على صغرها (مليون ونصف) ستبقى قادرة على ان تضرب هنا وهناك بحرب خاطفة، وان نجتمع بعد فوات الأوان نتشاكى ونتباكى ونبث همومنا، ويلقى بعضنا خطبا حماسية، ويعد بعضنا، وقد يفي وقد لا يفي، ثم يمر الزمن، ويفتر الحماس، وكان لم يكن هناك شيئا مذكورا ...

الواقع يجب ان ننتبه الى هذا، وان ندرك ان اقامة قيادة عسكرية موحدة، قادرة وممكنة، واشد علـــى لفظ وممكنة، لان المؤتمر الأول للملوك والرؤساء حين انشأ القيادة، وانا اعلم ان القائد العـــام رجل فاضل ومخلص، - واذكر انني حضرت بعض الجلسات السرية - كان ينذر بالخطر ولكـــن لـــيس هناك من يستجيب، كان يطلب من هذه الدولة ان ترسل لها قواها فتعتذر، ويطلب

مـــن تلك الدولة ان تعمل كذا فتماطل، ومن هذه فتؤجل. وانا اعلم ان بعض الدول كانت، نسبيا، ســـخية فـــي دفـــع الـــنقود، وبعضها تلكأ حتى في هذا الأمر . لا اريد ان ادخل بهذا الموضوع تفصـــيلا، ولكـــن الأمـــر لم يعالج بالحد الذي تقتضيه طبيعة الظرف الذي نعيش فيه، ولا يعظم الخطـــر الـــذي نواجهـــه. فاذا كنا جادين، وليس لنا الا ان نكون جادين، يجب ان نسرع الخطأ بإنشاء قيادة عربية موحدة، تمكننا من الدفاع من استرجاع الأجزاء السليبة، وتعيد لنا كرامتنا، ونكـــون في الوقت ذاته رادعا في أي منطقة اخرى قد تسول لغاصب أو طامع ان يتجرأ عليها، وانتم تدركون ما اريد، ورب اشارة ابلغ من عبارة....

ان واجبـــنا الأول، لمواجهـــة هـــذا التحدي هو ان نقيم قيادة عسكرية مخولة وان ننفق عليها بســـخاء. يقول بعضهم هنا أو هناك: صرفنا كذا مليون دينارا، لو عملنا بها معملا، ولو أنشأنا مستشـــفى، أو أقمـــنا مدرســـة، ولـــو هيأنا ملجأ لكان ذلك أجدى. هذا قول قد يعبر عن نصف الحقـــيقة. يجـــوز ان يقـــول هـــذا القـــول من امن على مستقبله، أما ووجودنا مهدد، فسنبقى مضـــطرين، مع الأسف الشديد، الى ان ننفق الأموال الطائلة الى ان نطمأن على وجودنا، ولن نطمأن على وجودنا الا اذا استطعنا ان نقيم قوات رادعة، وهنا يأتي معنى الحل السياسي الذي يتحدثون عنه.

يتصـــور بعضهم ان الحل السياسي هو ان نقعد متواكلين وتأتي المعجزة. وذلك عبث صبياني. الحـــل السياســـي يعني اننا يجب ان نجد، وان نعد ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل، نرهب عـــدو الله وعدونـــا، وان نعمل ليل نهار، وان نتدرب، وان نحسن من قابلياتنا، وان نشيع بين جـــنودنا وضـــباطنا الروح المعنوية التي افتقدوها في بعض الأحيان – وأقولها بمرارة، وانا لا اعني بلدا بالذات – بل نفتقر اليها في كل أقطارنا بدرجات مختلفة، نريد ان نشيع ان الدفاع عن هذا الوطن ليس واجبا وطنيا حسب بل انه الاستشهاد، انه عمل جهادي يوصل الشهيد الى دار القـــرار، الى دار النعيم، ويحقق له الحياة الخالدة. ما لم نشع هذه الروح في جنودنا وضباطنا، ومـــا لـــم ندربهم تدريبا كاملا على فنون الحرب الحديثة اذ لم تعد الحرب، كما تعلمون، مجرد جرأة، لابد لها من معرفة، لابد لها من إتقان، لابد لها من تدريب دائب مستمر، فلابد لنا ان نعد العـــدة كاملـــة، وان نبين الفرصة، واذا أدرك عدونا انه لاشك مغلوب في الجولة القادمة، فقد يـــتراجع، أو قد تستعمل احدى الدول الكبرى التي لها مصلحة بسلام المنطقة، لسبب أو لآخر –

لا حـــبا بسواد عيوننا – الضغط المؤثر عندئذ، وعندئذ فقط يمكن ان ننتظر حلا لبعض الأزمة، ولا أقول كلها ...

ثانيا: بعد توحيد قوى الجيش، لابد لنا ان نوحد سياستنا الخارجية. العرب في كثير من الحالات، بـــدوا، بالرغم من المظاهر، متناقضين متنافرين. وليس من غرضي ان أخوض في اسباب هذا التـــنافر، انها بحد ذاتها اسباب عميقة وكثيرة وتحتاج الى أحاديث بل محاضرات، ولكنها حقيقة ظاهرة. اننا كنا متنافرين، وهذه الثغرة بدت في سياستنا الخارجية أيضا، ولا نستطيع ان ننتصر فـــي هـــذه المعــركة الرهيبة، ولا نستطيع ان نواجه هذا التحدي الصارخ الفظيع، الا اذا أيقن أعداؤنـــا، ومـــن يظاهر أعداءنا، ان كلمتنا واحدة، واننا لسنا كما قال القران: "تحسبهم جميعا وقلوبهـــم شـــتى"، بل قلوبنا واحدة، ونحن برأي واحد، في الأقل في هذه المسائل الحيوية التي تمـــس وجـــود الامـــة كلها. لابد لنا اذن ان نوجد سبيلا لهذا. وسبيلنا لهذا ان تصبح الجامعة العربـــية أداة فعالـــة وان نحـــيلها الـــى ما يشبه ما يسمى باللغات الغربية "الكونفدراسيون" أو "الكونفدريشـــن" أو "اتفـــاق تعـــاهدي"، حـــتى يصـــبح لها النفوذ الكافي وعلينا الا نتقيد بمبدأ "الاجماع". واذا بقينا على مبدأ ان كل دولة لا ترضى بالقرار لا تلتزم به، وهي حرة في ان تفعل مـــا تشاء فستتكرر الماسي. لابد لنا ان ندرك ان الخطر لا يمكننا ان نواجهه مختلفين، ولابد لنا مـــن صـــوت دولي واحد. وعلى ذلك تنسيق سياستنا الخارجية ضرب لازم، اذا أردنا ان نواجه هذا التحدي.

ثالـــثا: لابد لنا ان ننسق، الى حد عظيم، دعايتنا ووسائل إعلامنا، ان وسائل الاعلام اليوم تقوم بـــدور فعـــال فـــي الداخل والخارج، تعبئ الشعب في الداخل، وتنور الخارج عن امكانيات هذا الشعب، وتظهر الامة بمظهرها اللائق بها. ويؤسفني ان أقول، ان أجهزة إعلامنا، في أكثر من قطـــر عربـــي واحد، وفي فترات شتى، كانت تثير غوغائية وكبرياء مصطنع لا قيمة له، وتنفر أصـــدقاءنا، وتزيد أعداءنا عداوة. ما كنا نحن مخاطبة الناس. كنا نتعالى بصوت أجش حين لا نملـــك عصا. وكلمة كان يقولها تيودور روزفلت "احمل عصا غليظة وتكلم بصوت ناعم" كنا لا نحمل عصا ونتكلم بصوت خشن أجش خير لنا ان نتكلم بصوت ناعم، نخاطب الغرب بما يفهمه الغرب، لا نقول اننا نريد ان نرمي اسرائيل في البحر، ولكن نقول اننا نريد ان نعيش في أرضنا كرماء، اننا لا نريد ان نموت في الصحراء في هذا الشتاء القارص، اننا لسنا اعداء لليهود من حيـــث هـــم اتـــباع دين، اننا اعداء فكرة معينة هي كالنازية وكالفاشستية، وكالنظم الدكتاتورية

القائمة على العنصرية وعلى العصبية العمياء. نتحدث بهذا، ونكلم الناس حسب مقتضيات الحال، ونعمل، ونعد العدة، ونترك التهاتر. ان المهاترات التي صرفنا فيها طاقات لا طائل تحتها أضرت بنا. هذه بديهة. ان لنا ان نرجع الى نفوسنا، وان لنا ان نتعض بقوله تعالى "وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن". فاذا شجر خلاف في الرأي بيننا، علينا ان نقنع بعضنا بعضا، وان لا يتهم بعضنا بعضا، وان لا نهجم الى أقصى حدود التطرف، ويتهم بعضنا بعضا بالخيانة والعمالة، حتى اذا أحصينا من قيلت بحقهم هذه الكلمات لأصبحت امتنا العربية مجموعة خونة وعملاء ومجرمين. هذا مر يشين، أمر استغله العدو الى أقصى حدود الاستغلال. لابد لنا ان نعد أجهزة الاعلام اعداد جديدا" من صحافة واذاعة وتلفاز ونشرات وما الى ذلك، وان ننيط هذه المهمة الكبيرة باناس يعرفون طبائع الشعوب، ويعرفون طبيعة شعبنا، ويدركون ان الكلمة المقالة لها أثرها الفعال. وقديما قالت العرب "كلم اللسان أنكى من كلم السنان"، أين هذا المعنى من تلك المهاترات السخيفة التي صرفنا طاقات هائلة فيها؟! ان لنا اذا أردنا ان نواجه هذا التحدي الخطير ان نضع حدا لهذا. وانا سعيد ان نقول اننا بعض الشيء، في بعض نواحي حياتنا، قد اتعظنا. ولكن يبدو ان فئات اخرى من بني قومنا ما يزالون يغالون في طريقتهم القديمة.

رابعا: بعد هذا لابد لنا ان نعمل لخلق الروح المعنوية الكاملة، والثقة التي تزعزعت بسبب الأحداث، وبسبب توالي النكبات. انني على يقين ان النكسة المريرة تركت جروحا عميقة في نفوسنا، ولكنها يجب الا تثبطنا. يجب ان نعلم ان الضحايا التي قدمناها، وهي جد غزيرة، والدماء التي سالت، وهي دماء كريمة، مهما عظمت هي جزء يسير من طاقات هذه الامة كلها. واننا اذا استطعنا ان نستغل الأحداث، وان نتعظ بالماسي، لن يكون من الصعب علينا ان نحيل هزيمتنا الى نصر. ان امما كبيرة من قبلنا كبى جوادها، ولكنها استطاعت ان تقف على اقدامها. هذه المانيا بقواتها الهائلة، كبى جوادها، وركعت أمام الغرب والشرق. وهذه اليابان في الحرب العالمية الثانية أيضا. وفي التاريخ شواهد كثيرة تدل على ان الامم قد تصاب بنكسات، وقد ضحى الملايين من بنيها، ولكن العزيمة الصادقة، والادارة الفعالة، قادرة على ان تسترجع قواها، وان تسترجع كرامتها المهانة.

فامتـــنا العربية لها طاقاتها كما بينت في مقدمة الكلمة، ولكننا يجب ان نستغلها استغلالا حسنا، نحـــن بحاجة الى شجاعة، ما في ذلك أدنى ريب، ولكننا بحاجة اشد الى حكمة الحكماء. ويجب ان نقرن الشجاعة بالحكمة وان نتأسى بقول شاعرنا الخالد المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهي المحل الثاني

فاذا هما اجتمعا لنفس حرة

بلغت من العلياء كل مكان

وامتـــنا فـــيها الشـــجعان، وفيها الحكماء، ويجب ان تقترن حكمتها بشجاعتها، وان تسير في طـــريقها مهمـــا كان طويلا، ومهما اعترضها من مصاعب ومتاعب. انها لابد بالغة، اخر الأمر مبتغاها، ومحققة ما تصبو اليه من امن وكرامة والسلام ...

تعليق الجامعة

"وهكذا أيها الاخوة استمعنا الى الأخ الفاضل الاستاذ البزّاز في محاضرته القيمة عن مسؤولياتنا تجاه التحديات التي تواجهنا، وقد استمعتم حقا الى محاضر جامعي استخدم الاسلوب العلمي في محاضرته، موضحا الأسباب والنتائج، وواضعا الحلول.

واذا كان لي من كلمة اضيفها الى ما قاله السيد المحاضر، فاني اهيب بشباب الامة العربية ان يعيشوا هذه المحن التي نقاسيها، يعيشونها بكل جوارحهم، وهي على حد قول سيادة المحاضر، لـــن تحل مشكلاتنا بين يوم وليلة، ولكنها تحتاج الى ان تورث، وتكون في أذهاننا دائما وأبدا. ونحـــن أبناء هذا الجيل الذي عشنا المأساة الأخيرة منذ بدايتها سوف ينقضي اجلنا، ولكن نريد ان يحمـــل الرســـالة عنا عبر الأجيال شباب هذا الجيل، وقد رأى جزءا من المأساة بنفسه. ولا نريد ان تذوب أبدا وبأي حال من الأحوال.

واني أرجو ممن يريد ان يشترك في المناقشة بتوجيه الأسئلة الى السيد المحاضر، ان يتقدم بما يريد، واني لأرجو ان يتسع الوقت للاجابة على كل الأسئلة التي ترد الينا.

الأسئلة:

* تـــرى - بعـــد بكلمـــة بسيطة - هل الحكومات العربية تسير في خط مواجهة التحدي؟ وهل اتعظت بدروس النكسة؟

-في واقع الحال أنا أتحدث عن الامة العربية، الامة العربية شعوبا وحكومات، عليها ان تتعظ. وفـــي تقديري انه بعض الحكومات اتعظ بعض الشيء، وبعضها لم يتعظ. كما ان الشعوب فريق منها اتعظ وفريق اخر لم يتعظ، والمسالة مسالة تقدير.

* لم لَم تتوحد القيادة العسكرية؟

- طبيعـــي أنـــا أقـــول يجـــب ان نفعـــل كـــذا، ليس لي سلطان حتى اناقش الملوك والرؤساء والحكومـــات. أنا كتبت قبل مؤتمر الخرطوم، وقلت اني أرجو مخلصا ان لا ينقضي هذا المؤتمر الا وقد أعلنت هذه المطاليب الثلاثة التي ذكرتها الان وفصلتها.

لم؟ لابد هناك اسباب. في تقديري، ومن دون ان نخص دولة بالذات، الظاهر ان بعض حكوماتنا لم تتعظ بالقدر الذي يتناسب مع عظم الخطر. والمرجو ان نعيد تفكيرنا، أو تعيد هذه الحكومات تفكيرها في هذا الأمر الحيوي، والا فستتكرر المأساة، وعندئذ تضيع فرص جديدة.

ان لـــزوم توحيد القيادة أمر محتوم، يقول به كل مدرك لعظم المشكلة، وان دولة عربية واحدة، مهمـــا عظمت بسكانها وطاقاتها، لا تقدر على ان تواجه هذه المشكلة الخطيرة التي تمس الامة العربية بكاملها.

* لقد كان يوجد في الجامعة العربية قيادة موحدة، فلماذا لم يكن لها فعالية في أثناء العدوان؟

- مع الأسف القيادة العربية شلت قبل العدوان بمدة طويلة. والقائد العام كاد يستقيل، أو أصبح بحكـــم المســـتقيل بالنظر الى ما أشرت اليه نظرا لتعثر أو تلجلج بعض البلاد العربية في اجابة طلباته، وهذا تقصير واذا جاز لنا مرة اخرى ان نستشهد ببيت الشعر الذي يقول:

نـــدم الـــبغاة ولات ساعة مندم. احسب ان الذين حالوا دون تمكينه من ان يقوم بواجباته كما ينبغي، هم في حالة ندم. ولكن ما جدوى الندم اليوم؟!

* الى أي مدى نجحت الدبلوماسية العربية في الخارج؟

- لا ادري، لا ادري نصف العلم كما يقول الشافعي.

* ما رأيكم في تقسيم الدول العربية الى دول محاربة واخرى ممولة؟ وهل يغني ذلك عن انشاء جيش عربي واحد؟

- هـــذا تقســـيم جديـــد، ثوريـــة ولا ثورية، تقدمية ولا نقديمة، وشرقية وغربية، أو مشرقية ومغربية.

ولا تقدمية

الجيش طبعا يحتاج الى مال، وهو عصب الحرب، فالدول الممولة مشتركة على كل حال. والمهم ان نؤمن بالفكرة، والمساعدات تأتي حسب الطاقات، وحسب خطة مدروسة. اما ان نضع هذا كتقسيم، فغير وارد لان الذي يجود بماله جواد ومجاهد، وفي آيات الجهاد ذكر المال قبل النفس، في القران الكريم "وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم"، فلن يكون الذين يقدمون المال اقل فضلا من الذين يقدمون الرجال. فالجهاد هو جهاد، والتضحية في سبيل الوطن تضحية، ولا أرى فائدة من هذا التقسيم الجديد. نتفق على خطة وننفذها، صاحب المال يقدم المال، والذي عنده رجال يقدم الرجال، وصاحب الخبرة الفنية يقدم الخبرة الفنية، وهكذا ... وهل يغني ذلك عن انشاء جيش عربي واحد؟ لا، أنا أدعو الى انشاء جيش تموله الدول القادرة على التمويل، ويشغله الرجال المتقدمون ممن هم قادرون على تحمل هذه التبعة.

* ما رأيكم في الحرب الفدائية داخل الأرض المحتلة؟

- اعتقد الان ان عمل الفدائيين طبيعي وحتمي، ولا يمكن لاناس تحتل أراضيهم ان يمكثوا ساكتين، فلابد لهم ان يقوموا بواجباتهم، وان يعبروا عن وجودهم بطريقة أو باخرى. وهذا هو الذي سيضطر اسرائيل الى اقامة جيش كبير يرهق اقتصادها، وهذه احدى الخطط التي يجب ان نلجأ اليها.

الان واجب كل عربي قادر على الحرب في اسرائيل أو خارج اسرائيل، ان يقدم العون لمن يقدر على ان يقوم بعمل فدائي. ذلك أمر مشروع، لان الاحتلال عمل عدواني، وغير مشروع، ومكافحته عمل مشروع، ما في ذلك أدنى ريب.

* ان مشكلة فلسطين هي المأساة الاولى في وطننا العربي، ونحن اليوم على أبواب كارثة اخرى هي مشكلة الخليج العربي. فايران تدعي بفارسية الخليج العربي، ما هو رأيكم فيه؟

- الواقع موضوع الخليج لا شك موضوع مهم، ورأيي الشخصي يجب الا نتبع في معالجته الطريقة الخاطئة التي اتبعناها في موضوع فلسطين. الخليج لا يحتاج الى خطب، ولا الى أثارات، ولا الى سب ايران، ولا الى محاربة التحرش الدائم بها. في هذه المرحلة الدقيقة، ونحن نمر بأزمة خطيرة في موضوع فلسطين، نحتاج الى العمل الهادئ الدائب الرتيب. والخليج في جانبه هذا عربي بجزره ومقوماته، ولا بد لدول هذه المنطقة خاصة والدول العربية عامة ان تعين أبناءه على الثبات على عروبتهم. علينا ان نفكر جديا، وان نعمل. ولكن تكرار القول المعلن الذي لا يقرن بالعمل لا يجدينا نفعا. وخاصة في هذه المرحلة. يجب ان نهذب

أبناء المنطقة، وان نعنى بهم صحيا. يجب ان تكون للدولة التي لها طاقات – ولدينا دول لها طاقات – ان تنشئ القوى الرادعة، فاذا ما اعتدى علينا، كائن من يكون، سيدرك ان هناك قوى ستواجه ،وعندئذ سيحسب لنا كل حساب. اما ان نثير الناس بالشتائم والتحرشات، فلا أظن ان ذلك مجديا ولا كريما.

* الا تعتقدون ان مشكلتنا في الحرب والدعاية على حد سواء هي ابتعادنا عن التفكير العلمي الدقيق، التناقض الواضح بين استخدام الأسلحة الحديثة بعقلية القرن الماضي؟

. * ما في شك في ذلك. أنا اعتقد ان من اسباب تفوق اسرائيل ليس وفرة عددها، وانما نوعية رجالها، وقدرتهم على استعمال السلاح بدقة وبمهارة. لم تعد المشكلة مشكلة أسلحة والمشكلة الأساسية الان ليست مشكلة رجال، بل مشكلة قدرة فنية. الفرد الاسرائيلي اثقف من الفرد العربي، لأنهم – كما نعلم – في غالبيتهم العظمى جاءوا من بلاد اوربية، وجاءوا في سن مبكرة، واتيحت لهم فرصة تامة. وكل الذين جاءوا دخلوا دورات ودربوا على أنواع السلاح. وقسم العمل تقسيما دقيقا. وحينما يعلنون النفير العام كل يعرف واجبه. فنحن اذن مطالبون ان نعمل في الأقل كما يعمل عدونا. اننا بحاجة ماسة الى التنظيم العلمي، والى الدقة العلمية، حتى نستطيع ان نجابه هذا العدو الماكر الذكي.

* الم تكن نعومة الدبلوماسيين العرب من اسباب الهزيمة؟ الا تجب الاستفادة من الاساتذة في معركتنا؟

– الحقيقة الدبلوماسيون العرب فيهم الناعمين وفيهم الخشنون أيضا. ما أقول هذا لاني قديما كنت دبلوماسيا. أنا اذكر لما كنت في لندن، كنا ندخل في معارك عنيفة في التلفاز وفي الصحافة، وما تركنا وسيلة الا استعملناها. وهناك آخرون غيري يعملون ذلك. وطبعا الاساتذة لهم مقامهم، ويحسن بالدول العربية والجامعة العربية ان تفيد من بعض أصحاب المواهب، ترسلهم للمكاتب ولتوجيه الرأي العام بأقلامهم وخطبهم.

*الا ترون ان معظم أجهزة إعلامنا الدعائية، منصبة على ما هو واضح بالنسبة للشعوب العربية؟ أليس من الأفضل ان توجه نشاطها الى تنبيه الرأي العالمي؟

– أجهزة الاعلام لها مهمتان، في الداخل، والخارج. في الداخل تأكيد المعاني وتكرارها، تفيد أحيانا كثيرة. ولكن يجب ان يكون ذلك بالاسلوب المقبول حتى لا يمل. لان تكرار القول على وتيرة واحدة دون ابداع غير مجد. ولكن التفنن فيه – وهنا تكون مهمة أجهزة الاعلام –

مفيدة، فمرة يكون في خطاب، ومرة في شعر، ومرة في رواية، ومرة في تمثيلية. لابد ان نؤكد للأجيال الصاعدة عظم المأساة وشدة الخطر. وأما في الخارج، فبطبيعة الحال لها مهمات كبيرة. ولكن رأيي الشخصي طاقتنا في الدعاية للخارج محدودة بالنظر الى سيطرة الصهاينة على أهم أجهـزة الاعـلام في الغرب، وخاصة في امريكا. معظم محطات التلفاز، ومعظم الجرائد الكبرى والمجـلات يملكهـا الصـهاينة، والتي لا يملكونها يسيطرون عليها عن طريق الاعلانات. فانا أفضـل الان ان نبنـي مجتمعنا في الداخل، وحينما نقوى الى الحد الذي يدرك الغرب واسرائيل حقيقة طاقاتنا – وله وسائطه لمعرفة هذه الحقيقة – في رأيي هي خير دعاية لنا. أنا لا اريد ان أقـول ان الدعايـة في الخارج يجب ان نتركها نهائيا، ولكن الدعاية في الخارج انما هي صدى الصـوت الأصـلي الـذي يرن في الداخل. ان الدعاية في الخارج هي المرآة تعكس، فاذا كانت الصورة في الأصل قبيحة لا يمكن ان يكون الانعكاس جميلا. هذه بديهة يجب ان نعرفها.

* مـا هـو واجـب التربية، مدرسية كانت ام منزلية، في توعية الجيل الناشئ، وما هو دور التوعية الذي تقوم به الحكومات؟

– طبيعي انشاء الجيل هو المهمة الأساسية في الأمد البعيد. وسيبقى الكفاح مدة طويلة حتى اذا حققنا الان المرحلة الاولى، وهي استعادة ما اغتصب أخيرا، تبقى المشكلة قائمة ولن يحلها الا جـيل مدرك قوي قادر على ان يستعمل طاقاته لانتزاع حقوقه. المدرسة مطالبة بالشيء الكثير، دروس التوعـية، ودروس القومـية موجـودة في أكثر الجامعات العربية. والحكومة مسؤولة بدورهـا ان تقوم عن طريق التلفاز والاذاعة ومختلف وسائل الاعلام، وهي مطالبة بالمزيد من هذا.

* تحدثـتم حديـثا رائعـا عـن الـتحديات التي نواجهها، وكان حديثكم قاصرا على التحديات الخارجية. فما رأيكم في التحديات الداخلية؟

– ان التقالـيد والعـادات تشدنا الى الخلف فكيف يمكن ان نتقدم؟ اننا شعب يعيش نصفه عالة على النصف الآخر. فما هو رأيكم في دور المرأة؟

– حديـث معـاد، قصة طويلة. على كل حال أنا أتكلم عن التحديات الكبرى التي تواجهنا كافة، وبالدرجة الاولى حديثي قاصر، كما يدل العنوان، على التحديات الخارجية.

أنـا اعتقد في سؤال الأخ شيء من المبالغة. لم تعد المرأة عاطلة، "النصف" لم يعد عاطلا، ولا أدل على ذلك من هذه الوفرة من الفتيات والسيدات الحاضرات يستمعن الى هذه المحاضرة. أنا

أخشـــى ان الأخ لـــم يزل رجعيا بعض الشيء، بمعنى انه يتحدث عن مدة زمنية سابقة. ثم لم تكـــون المـــرأة عاطلـــة اذا كانت ربة بيت فاضلة تنشئ أبناءها على الفضائل القومية، وتقوم بواجـــباتها؟! ألـــيس ذلك اسهاما في الانشاء؟!. واذا كانت المرأة ممرضة تعنى بالجرحى، واذا كانت طبيبة، واذا كانت مدرسة... اليست هذه أعمال مجدية؟.

أنا مثل الأخ السائل، لا أقول رجعي وانما بعض الشيء محافظ. أنا أميل الى ان المرأة، وخاصة فـــي المـــرحلة الحاضرة لها رسالتها، وليس هي اقل من الرجل، هي صنو الرجل. ولكن تقسيم العمـــل يقتضـــينا ان نحدد واجباتنا، وان ندرك طبيعة الزمن، وطبيعة حالتنا الاجتماعية. ولذلك فالمغـــالاة فـــي تكـــرار كلمات كان يصح ان تقال قبل ثلاثين سنة أو أربعين سنة لا داعي لها. المـــرأة سائرة بواجباتها. أنا لا اريد ان أكون بعض الشيء متشائما مثل المرحوم العقاد، حين يقـــول نحتاج الى قاسم أمين من طراز اخر، وهو يعتقد ان الأمر قد تجاوز الحد المعقول. على كل حال لا أقول هذا، ولا ذاك، ويجب ان نعتدل بالقول، وان نزن الأمر بميزانه الصحيح.

هـــي مشكلتنا كلنا، وكل يدعى وصلا بليلى. المشكلة ما هو الدين الصحيح؟ أنا اعتقد ان الدين الصـــحيح صحيح، لكن ما هو الدين الصحيح؟ أنا اعتقد ان الامة بحاجة الى خلق، وبحاجة الى روحانية، وبحاجة الى مثل، وان الدين الاسلامي عنى في هذا كله، وان قوميتنا العربية يجب ان تكـــون مشـــبعة بـــروح الاسلام، ومستهدية بهديه، وان جيوشنا يجب ان تنور قلوبها بالايمان الصادق الذي يدفعها للتضحية، وارجو ان يكون في هذا كفاية للسائل.

* ان توحـــيد القـــيادة العســـكرية والسياســـية الخارجية هما وسيلة لتحقيق الغايات والأهداف المشـــتركة. فهـــل يمكن تحقيق هذه الأهداف دون توحيد المصالح الاقتصادية والتقارب في تلك المصالح الاقتصادية؟

- الواقـــع هذا موضوع طويل عريض وبحث من كتاب كثيرين. رأيي ان الناحية الاقتصادية - في هذه المرحلة - تأتى في المقام الثاني، وهذا خلاف رأى آخرين.

يا أخي أمام الخطر الداهم يضحى الانسان بوجوده. فايهما أهم، وجوده أو ماله؟ اذا قلنا الناحية الاقتصـــادية يعني المنافع المالية، ان المرء أمام حماس وانفعال يضحي بكل وجوده. ثم الناحية الاقتصـــادية تأتي مع الزمن، والتنافرات ستبقى الى مدة جد طويلة. فاذا بقينا ننتظر الى ان تتم كـــل هـــذه المشـــكلات، أخشـــى ان عدونا يتركز ويقوى. يجب ان نؤكد اليوم القومية، والقيم الروحـــية. أنـــا لا أنكر ان العامل الاقتصادي من العوامل المهمة، ولا ضير علينا ان نسعى الى

التقارب والتوحيد. ولكن يجب الا نبقى عملنا منوطا بالقيم الاقتصادية فقط. وانا قبل أيام كنت مع مسؤول، وذكرني بواقعة اخرى مع مسؤول غير عربي كبير. كان يقول احد الناس اننا يجب الا نقحم النفط مع السياسة، الواقع، أول من جابهني بهذا شخصية كبيرة غير عربية، وكان جوابي اليه، ان هذا القول في حد ذاته سياسي. كيف نفصل في الحياة أجزاء الحياة؟ الوجود الاجتماعي متماسك، اقتصادنا وسياستنا واجتماعنا. اننا يجب ان نضحي كل شيء في سبيل وجودنا. لا يعني هذا ان نعمل بسفه، ودون ادراك، هناك فرق بين الأمرين. أنا لا أقول بأننا بين عشية وضحاها مثلا، كما أراد بعضهم، ان نقرر ونفعل كذا بالنسبة للبترول مثلا. يجب ان ندرس بدقة أولا هل هذا السلاح مجدي؟ هل سنصل الى أهدافنا الحقيقية؟ هل سيحقق لنا النصر؟ اذا ثبت لنا هذا، نفعله دونما تردد، لكن نقول الشيء، حتى يقال اننا غامرنا، أو كما قال الشاعر:

وقصيدة تأتي الملوك حكيمة   قد قلتها ليقال من ذا قالها

ان ذلك لا يجدي. الادعاء المجرد ذلك ما لا اؤمن به. اما ان الوجود مفضل على كل شيء اخر، فأمر لا ريب فيه. وجودنا وقوميتنا ومصالحنا الحياتية وكرامتنا قبل كل شيء. قبل الاقتصاد، وقبل الأوطان الصغيرة اذا اقتضى الحال، وقبل أي شيء اخر.

وكذلك أنا من الذين يعتقدون ان القومية لا تقوم بالدرجة الاولى على الاقتصاد، بل تقوم على المشاعر، تقوم على الروح، تقوم على القيم المشتركة.

* هل تعتقدون سيادتكم ان النكسة الأخيرة جاءت بسبب الصراع العقائدي الدولي بين الشرق والغرب، ام ان هذا مجرد وهم؟

- الواقع هذا رأي قيل وتكرر القول فيه. أنا لا أستطيع ان اجزم برأي قاطع. ولكن أود ان انبه على هامش هذا السؤال الى الخطأ الذي نضع فيه أحيانا من تصورنا ان اسرائيل، كما يقول الكثيرون منا، اليست اسرائيل عميلة الغرب، ومن صنع الغرب؟ فإذن هي نتيجة الاستعمار، لذا يجب ان نحارب الاستعمار، فاذا حاربنا الاستعمار انهينا اسرائيل.

في تقديري هذا خطا. اسرائيل مشكلة بذاتها، اسرائيل تستعين بالاستعمار الغربي وتستعين بالشيوعية، وتستعين بالكاثوليكية وبالبروتستانتية، والدين والاجتماع وبالفكر، وبكل ما في الوجود من قوى مادية وأدبية لتحقيق غاياتها. وفي اليوم الذي تستطيع اسرائيل ان تدرك ان مصلحتها بهذا الجانب أو ذاك، لن تتردد ان تميل الى أي جانب تشاء. صحيح الغرب هو الذي

بـــدا، وان انكلـــترا بوعد بلفور كانت المسؤولة الاولى، وان امريكا تبنت الأمر، ولكن اذا قرانا تـــاريخ اسرائيل وما يتصل بمناوراتها ومساعدات الدول المختلفة اليها، أدركنا ان الاسرائيليين كانوا ينتفعون من كل الطاقات.

فخـــير لـــنا، لمصـــلحتنا القومـــية، ان ننظر الى اسرائيل وكأنها خطر داهم قائم بذاته، يستعين بالغرب، ويستعين بغير الغرب، وقد يكون نتيجة المناورات وقد لا يكون. هذا يجعلنا أكثر حيطة، واقـــدر علـــى الحركة كاسرائيل، بحيث لا نجمد، لاننا اذا ثبتنا بأنها نتيجة الشيء الفلاني، نقفز بأفكارنـــا الـــى ناحية معينة، وقد نخطأ الحساب. ولكن اذا اعددنا اسرائيل خطرا داهما، وخطرا حقيقيا قائما بذاته، عندئذ "نناور" كما تناور، ونتحرك كما تتحرك، ونكون أذكى منها اذا سبقناها أيضا في الحركة أحيانا.

* هـــل تشاطرون الرأي ان هناك تفاوتا قوميا بين المشرق العربي والمغرب العربي، مما يعيق الوحدة القومية التي ذكرتها؟

- ربمـــا اجيـــب علـــى الأخ بالواقعة الصغيرة الآتية: حينما كنت سفيرا للعراق في لندن حدث بـــاحدى الحفلات ان جلست بجوار شخصية سياسية انكليزية، وسألني: هل أهالي المغرب الذي يســـمونهم "الممدوكـــن" يـــتكلمون لغتكم ويفهمونها، وهل انهم عرب مثلكم؟ ولحسن الحظ كان يجلـــس علـــى مقـــربة مني سفير المغرب، فقبل ان اجيب السائل البريطاني، التفت الى زميلي المغربـــي، وبدأت أتحدث معه واذكر له هذا السؤال، ثم التفت الى البريطاني وقلت له: هذا هو جوابي ...

يـــا أخـــي، الذي يجمع الامة العربية بالدرجة الاولى اللغة العربية، وهي لغة المشرق والمغرب على حد سواء. أما الرطانة العامية فهي موجودة ليست في المغرب فقط بل في المشرق، ليس بيـــن الكويت والعراق وهما متجاوران، بل بين بغداد والبصرة. ليس بين بغداد، بل بين الكرخ من بغداد والرصافة من بغداد. وليس بين الرصافة من بغداد، بل بين أهل المهدية وأهل الفضل وهما محلتان متجاورتان في الرصافة.

نـــرجع الى الفصحى، اللغة التي كرمها الله. ثم نرجع الى التاريخ، ليست الحوادث الجزئية، بل الحوادث الكبرى التي تعتز بها الامة، الأيام الكبرى والقيم الكبرى، والفجائع الكبرى أيضا. لان (ســـترينا) لـــه رأي صائب في تقديري اذ يقول: ان المصائب الكبرى في تاريخ الامة أعظم في وحدتها، حتى من انتصاراتها.

مصيبتنا في اسرائيل نقطة اجتماع، نقطة التقاء. عدوان فرنسا المستمر عدة سنوات على الجزائر كان عاملا مهما في يقظتنا القومية. هذه هي في المشرق والمغرب على حد سواء، وأما المظاهر فهي عارضة، ولا قيمة لها، وهي موجودة بين البلد الواحد، وفي الجانب الواحد من المدينة الواحدة كما ذكرت.

يجب ان نؤيد القيم الكبرى، وربما كما يطلب مني الأخ ان نختتم به هذه الكلمة، اريد ان أقول من هنا سبب تشددي أنا، وكنت في معركة دائمة مع بعض اخواني في مصر عندما كنت في معهد الدراسات وكنت اعارض تخليد العامية. يؤسفني ان أقول ان العامية بدأت تخلد في أكثر من قطر عربي واحد عن طريق الفنون، عن طريق الغناء، عن طريق السينما. يقولون ان الفصحى ليس لها العذوبة التي تحبب الى اذن السامع. وانا أرى اتهاما لهذه اللغة الجميلة العذبة الكريمة أفظع من هذا الاتهام. ولذلك أنا ارجو – ولا ادري اذا كان هنا احد من وزارة الارشاد، ان يخففوا على الأقل في الكويت الناشئ، الكويت العربي، الكويت له تقاليده العربية – ان يقللوا من الرطانة العامية، لاننا اذا ثبتنا هذا سنصبح امة كويتية، وامة عراقية، وربما امة بغدادية، وامة بصرية، وامة موصلية، وامة ...الى ما شاء الله ...

الفصحى يجب ان نتمسك بها. وانا لا اعني بالفصحى ان نرجع تماما الى لغة الشمقرا ولغة المعلقات تماما، ولكن اللغة الوسطى التي نفهمها، والتي نتدارس بها، والتي يعرفها كل منا، صعوبة لغتنا لا شك صعبة ولكنها ليست معقدة، وصعوبتها بسبب عمقها واتساع آفاقها ... ولعل الواقعة الصغيرة والآتية توضح ما اريد ان اختتم بها، منذ سنين – وانا رئيس وزراء – في هيئة الامم المتحدة جلست في احدى الحفلات بجواري سيدة هندية فاضلة كانت تعرف شيئا عن المنطقة، فقالت لي سائلة: متى تبسطون لغتكم العربية؟ قلت لها: متى ما سيكون في الاستطاعة تبسيط سمفونات بتهوفن. فأدركت المعنى وابتسمت.

اللغة العربية ليست "جاز بيتلز" بل هي الموسيقى الرفيعة. ودقتها ليست صعوبة متكلفة، بل لانها وريثة حضارة متسلسلة ومستمرة ولها طلاء وجمال، وروعة. اذا كنا نحن الذين نجهلها ولا نقدرها حق قدرها، فذلك ذنبنا وليس ذنب هذه اللغة الكريمة ...

البصرة وجامعتها

كنت في أثناء زيارتي الى البصرة قد القيت محاضرة بهذا العنوان، ولكن شريطها فقد وقد وجدت في احدى الصحف المحلية تلخيصا لبعض النقاط المهمة التي أشرت اليها يكون من المفيد ان اختتم به هذا القسم الخاص بالمحاضرات[٧٠].

قام الاستاذ عبد الرحمن البزّاز رئيس الوزراء ظهر أمس بزيارة لجامعة البصرة وقد استقبله اساتذة وطلبة الجامعة بالهتاف بحياة السيد الرئيس عبد السلام محمد عارف، وحياة الامة العربية. وقد تفقد الاستاذ البزّاز كليات الجامعة، واطلع على مختبرات الكيمياء والفيزياء وعلم النبات ومختبر الكيمياء الفيزياوية ومختبر الكيمياء العضوية. ثم قام السيد رئيس الوزراء بعد ذلك في احتفال اقيم بهذه المناسبة يوضع الحجر الأساس لقاعات اضافية في جامعة البصرة. وتفقد الاستاذ البزّاز بعدها مكتبة الجامعة ومخازنها وقاعة المطالعة والنادي وكان يقابل خلال جولته من الطلاب والطالبات بالهتاف والتصفيق. وسجل الاستاذ البزّاز في سجل الزيارات الكلمة الآتية:

"باسم الله الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وبعد لقد كان من حسن الطالع ان أبدا زيارتي للبصرة الفيحاء بزيارة جامعتها الزاهرة ان شاء الله. ولقد سررت مما وجدت من روح حية، ومشاعر وثابة، تملا قلوب طلابها وطالباتها. كما سرني ما وجدت من نشاط وهمة تبديها ادارة الجامعة وأساتذتها فلهم مني خالص التحية وأطيب الأماني سائلا المولى القدير ان يتم نعمه على هذه الجامعة، وعلى البصرة، وعلى العراق كله، بحيث تحقق الأماني الكبيرة لشعبنا وامتنا من عيش رغيد، وامن تام، واسهام جدي لخير الانسانية كلها.

ثم توجه السيد رئيس الوزراء الى قاعة المحاضرات الرئيسة حيث القى الدكتور عبد الهادي محبوبة نائب رئيس الجامعة كلمة رحب فيها بالزميل الجامعي الاستاذ البزّاز ورجا منه القاء محاضرة عن "البصرة وجامعتها".

ووسط عاصفة من التصفيق والهتاف القى الاستاذ البزّاز محاضرة قيمة تناول فيها تاريخ البصرة وجامعتها، بعد ان القى الدكتور عبد الهادي محبوبة نائب رئيس جامعة البصرة كلمة

---

[٧٠] الكلمة منشورة في جريدة العرب بتاريخ ٢١-١٢-١٩٦٥.

قال فيها انها مناسبة سعيدة ان تفتتح الجامعة موسم محاضراتها الثاني بحضور السيد رئيس الوزراء. وأضاف قائلا لقد عرفنا الاستاذ البزّاز محاضرا وأديبا ومفكرا وخطيبا وسياسيا. وتطرق الى جهوده في بث الوعي القومي في صفوف الشباب عن طريق مؤلفاته وندواته. وقال انه طلب من السيد رئيس الوزراء ان يتحدث عن موضوع يعد من موضوعات الساعة في البصرة وهو موضوع – البصرة وجامعتها –.

ثم تحدث السيد رئيس الوزراء فشكر نائب رئيس الجامعة على دعوته وقال انها فرصة سعيدة ان أبدا زيارتي للواء البصرة بزيارة جامعتها. وهذا واجب عليّ.

واعلن الاستاذ البزّاز اعتزازه بلقب الاستاذية وقال ان مقام الاستاذ مقام جد جليل. فانا لا أقول ذلك ارضاء لاساتذة الجامعة بل هو شعوري الحقيقي.

ثم تحدث السيد رئيس الوزراء عن الجامعة فقال ان الجامعة ليست أبنية ومختبرات وقاعات ومكتبات ودروس، بل هي أكثر من ذلك بكثير. انها الفكرة والروح المنطلقة وراء الحقيقة الهادفة للمعرفة ومن ورائها خدمة الوطن وخير الانسان. فلكي تصبح الجامعة جامعة يجب ان تكون بيئة صالحة، وأفكارا هادفة لخدمة الانسان تتم عن طريق خدمة الوطن. فان كنا انسانيين حقا علينا ان نحب وطننا، ونعمل من اجله بجد وباخلاص.

وقال السيد رئيس الوزراء انني اعلم ان طلاب الجامعة هم شباب شبوا عن الطوق، ولكن اسمحوا لي ان اذكركم ان رسالة الجامعة هي البحث عن الحقيقة. هناك من يرى ان المعرفة للمعرفة أو ان الفن للفن ولكننا في هذه المرحلة يجب ان يكون كل شيء هادفا ومسددا. فنحن في جامعة البصرة نريد ان ننشئ جيلا واعيا مزودا بالعلم والمعرفة والايمان بالله والوطن والمثل الخيرة.

أيها الاخوة لتكن لنا مثل، ولتكن لنا غايات. ولسنا فقراء في هذه الناحية فلنا من ديننا، وامتنا، وماضينا ما يدفعنا لان نستخلص هذه المثل، وعلينا ان نفنى في سبيلها.

وتحدث السيد رئيس الوزراء عن البصرة وامتدح مواطنيها، كما تحدث عن فضلها في ميدان العلم والفكر والأدب واللغة وقال انها قدمت كثيرا من الرجال الفطاحل، ولها آثار واضحة في تاريخنا العربي الاسلامي. فلتكن جامعة البصرة مثلا أعلى لهذه الصفحات ولتكن هذه الجامعة منبرا" حرا لمختلف الرجال والنساء على سواء ،فلتكن ميدانا لبعث الماضي الزاهر. فمدينة

البصـــرة ترتـــبط بذهنـــي دائمـــا باولـــئك الرجال العظام الذين قدموا للأدب واللغة والعلم اجل الخدمات...

انني اعلم انه يجب ان تتوفر للجامعة الساحات، والمختبرات، والمطاعم، والمكتبات، والبنأيات. انهـــا أشـــياء لازمة. ولكن يجب ان يقترن العلم والفكر ذلك كله بنير الجامعة هي المعمل الذي ينـــتج الـــرجال للمصانع والحقول. انني - أيها الاخوة -، وانا قادم الى مدينتكم كنت أتطلع من الطائـــرة الـــى الأرض فلم أر غير صحراء قاحلة. هذه ارض العراق، الأرض التي أطلق عليها أجدادنـــا ارض الســـواد، ومن المؤسف حقا ان نقول ان الانتاج الزراعي فيها قياسا بالسنوات العشـــر الماضـــية قـــد نقـــص ٦ بالمائـــة بينما زاد الاستهلاك ٢٥٠ بالمائة. ولكن بسواعدكم وعزائمكم النيرة انتم الشباب يجب ان نحيل هذه الأرض الى جنان خضر.

اننا بحاجة الى الطرق، والجسور، والمرافق الاخرى، وبحاجة الى المهندسين في المجالات كافة لكـــي نعـــيد الـــى هنا البلد نضارته وبهجته، لكي نزيد الانتاج، ويعم الخير ... ان "الاشتراكية الرشـــيدة" التي نؤمن بها لا تتحقق الا بالانتاج الوافر، والعمل الدائب. ان الشعارات والألفاظ لم تنتج الا الخراب.

أيهـــا الاخـــوة انـــنا نـــريد لجامعة البصرة ان تكون بوتقة تصهر فيها المواهب، وتتفتح فيها الملكات، ويتخرج فيها العشرات بل المئات بل الالوف من المهندسين والعلماء.

انـــنا بقـــدر احتياجنا لرؤوس الأموال، والمصانع، والخبراء، نحتاج الى العقول النيرة، والعزائم والمثل. واذا ما عرفت الجامعة واجباتها فانها بذلك ستتوصل الى تحقيق أهدافها بإذن الله ...

ودعـــا السيد رئيس الوزراء في ختام كلمته العلي القدير ان يحفظ الجميع ويسدد خطاهم لخدمة هذا البلد وهذه الامة.

وبعـــد ذلـــك قام الدكتور عبد الهادي محبوبة نائب رئيس الجامعة فألقى كلمة شكر فيها السيد رئـــيس الـــوزراء وقال اننا نأمل ان تتم هذه الزيارة الميمونة بالخير، وأعرب عن أمله في ان يقوم السيد الرئيس عبد السلام محمد عارف بزيارة للبصرة وجامعتها.

مقالات

مع الاستاذ احمد سعيد

"كان الاستاذ احمد سعيد، مدير اذاعة صوت العرب، وعضو مجلس الامة العربية، قد أدلى بتصريحات الى جريدة "صوت العرب" تناول فيها موقفه من عدد من الشخصيات العراقية. وكان الاستاذ عبد الرحمن البزّاز احدى هذه الشخصيات التي تحدث عنها الاستاذ احمد سعيد، وقد تلقينا من الاستاذ البزّاز أمس ردا على ما جاء في تصريحات الاستاذ احمد سعيد ننشرها فيما يلي[٧١]:

نشرت جريدة - صوت العرب - يوم الاثنين المصادف ٣-٤-١٩٦٧ في عددها ذي الرقم ٥٠٥ حديثا للاستاذ احمد سعيد تحت عنوان يقول -، جاء فيه - وهو في حدود الحديث عن المرحوم عدنان الراوي - أنت تعيش في مستوى بسيط بينما من هم اقل منك صدقا واخلاصا وحتى مستوى يتقاضون اضعافا كاللاجئين ولا يعملون شيئا، بل ان بعضهم يرفض عندما ندعوه الى ممارسة العمل القومي بان له وجهات نظر خاصة بعضها لا قومي ولا اشتراكي مثل عبد الرحمن البزّاز... وغيرهم ممن كانوا لاجئين في القاهرة. لقد عاش عدنان حياته معنا يكدح من اجل ان يعطينا فكرة صادقة عن العراق الحقيقي، عراق المواطنين الشرفاء، عراق المناضلين الصادقين، لا عراق الانتهازيين والنفعيين ومحترفي الدجل السياسي واللجوء السياسي ...".

وواضح من نص هذه العبارات وفحواها، انني كنت لاجئا سياسيا، لا اعمل شيئا، ولي وجهات نظر لا قومية ولا اشتراكية، وانني بالنتيجة لست من المواطنين الشرفاء المناضلين الصادقين، بل من الانتهازيين النفعيين، محترفي الدجل السياسي، واللجوء السياسي.

وكدت أول الأمر أتجاهل ما نشرته - صوت العرب - على ما فيه من قسوة وافتراء وبهتان سيرا وراء الخطة التي كنت قد رسمتها لنفسي، منذ ان تركت الحكم، واعني بها عدم الاكتراث بما يكال لي أحيانا من سباب وشتائم من بعض الأشخاص، أو بعض الجهات، ليقيني بان شعبنا الواعي يعرف الرجال، ويميز بين المخلص والمدجل، ويدرك العوامل التي تدفع بعض الحاقدين الى سلوك هذا الاسلوب الرخيص. فلقد تجاهلت من قبل ما نشرته جريدة - صوت العرب - من

---

[٧١] نشر الرد في جريدة العرب بتاريخ ٦-٤-١٩٦٧.

مفـــتريات، ومـــا اختلقـــته من أخبار لا ظل لها من الحقيقة، كانت ترددها بين الحين والحين، بطريقة أو باخرى. وكان لسان حالي مع تلك الجريدة على حد قول الشاعر:

صغرت على المديح اهجي كأنك ما صغرت عن الهجاء

ولكـــن المـــتحدث هـــذه المـــرة شخص له صفات خاصة، وأخشى ما أخشاه ان يتصور بعض المواطنيـــن فـــي العراق انه فيما يقول انما يعبر عن رأي الجمهورية العربية المتحدة. فالاستاذ احمـــد ســـعيد نائب في مجلس الامة وعضو بارز في الاتحاد الاشتراكي، ومدير لاذاعة صوت العـــرب، احدى الأجهزة المهمة في الجمهورية العربية المتحدة. والذي ارجوه مخلصا ان يكون مـــا نشرته – صوت العرب – مدسوسا على الاستاذ احمد سعيد. والذي ارجوه أكثر من ذلك ان تكـــون آراء احمد سعيد آراءه الشخصية، وهو حر على مسؤوليته الخاصة في اعلانها، ويكون عندئذ ،من حقي، ومن حق المواطنين في العراق كافة ان يطلعوا على حقيقة الأمر، بل ان أبناء الجمهوريـــة العربـــية المـــتحدة، وغيرهم من أبناء العروبة، اجرياء بالاطلاع كذلك على الأمر ويكونوا حكما بيني وبين الاستاذ احمد سعيد. وانا اعلن انني سأكون راضيا كل الرضا بحكمهم.

فـــأول شـــيء أود ان اذكر الاستاذ احمد سعيد به هو اني لم ادخل الجمهورية العربية المتحدة لاجـــئا، ولـــم احترف قط مهمة اللجوء السياسي، ولكني حين كنت في لبنان في صيف ١٩٥٩ استشـــفي ممـــا أصـــابني من ارهاق، واستجم مما عانيت من عنت والآم في أثناء اعتقالي في معـــتقل الدبابـــات الرهيـــب في عهد عبد الكريم قاسم، جاءتني دعوة كريمة من رئيس مجلس الجامعـــات الأعلـــى – وكـــان يومئذ السيد كمال الدين حسين – للذهاب الى الجمهورية العربية المـــتحدة لأصـــبح اســـتاذا في جامعة القاهرة، كما وصلتني، في الوقت ذاته، دعوة ترحيب من وزارة الخارجـــية في الجمهورية العربية المتحدة. وقد بلغت بهاتين الدعوتين عن طريق سفارة الجمهوريـــة العربية المتحدة في بيروت. وبعد شيء من التفكير، واستشارة بعض أصدقائي من العراقييـــن وغيرهم من العرب، حببوا اليّ هذه الفكرة، واستجبت لهذه الدعوة الكريمة. وفضلت الذهـــاب الـــى القاهـــرة على الذهاب الى الكويت، وكانت حكومتها قد عرضت علي يوم ذاك ان اشـــغل منصـــبا استشـــاريا مهمـــا بمرتب ضخم، وميزات لا باس بها. وكدت اوقع عقدا بهذا الخصـــوص، ولكنـــي في اللحظة الأخيرة اثرت القاهرة لاعتقادي بأنها ستتيح لي فرصة خدمة وطنـــي وبنـــي قومي، حين يكون عملي في الكويت يحقق لي الامن الشخصي، والرزق الوافر، ولكن مجال الخدمة العامة فيه سيكون بطبيعة الحال محدودا جدا. فأين هي الانتهازية التي أشار

الـيها الاستاذ احمد سعيد؟ وأين هو احتراف اللجوء السياسي، والاحتراف يتطلب تكرار الفعل، هذا على فرض ان تلك الدعوة كانت بمثابة اللجوء السياسي؟

وقامـت سـفارة الجمهوريـة العربـية المتحدة ببيروت بتهيئة وسائل سفري، واعدت ما كان يقتضيه ذلك من شكليات لم يكن من السهل التغلب عليها، مع العلم بان جواز سفري العراقي لا يمكنني من مغادرة لبنان لان سلطات بغداد لم توافق على خروجي من العراق الا بعد ان قصرت سفري على لبنان وحده.

ولقـد اسـتقبلت فـي القاهرة استقبالا مناسبا. وكان بين المستقبلين احد وكلاء وزارة التربية، وعـدد من الموظفين، والأصدقاء من الجمهورية العربية المتحدة. وحللت ضيفا على الحكومة في احد الفنادق الكبيرة الى ان تهيا لي سكن انتقلت اليه مع عائلتي.

وحين أذعت بصوتي استقالتي من وظيفتي – وكنت يومئذ حاكما دائما في محكمة تمييز العراق – من اذاعة صوت العرب نفسها – والتي بقيت ترددها مرارا وتكرارا، وسمعها وقتئذ عشرات الالـوف مـن العراقيين وغيرهم – أعلنت منذ البداية انني لست لاجئا، ولا أرضى لنفسي صفة اللجـوء. وانما دخلت ارض الكنانة بشعور عميق قائم على وحدة العقيدة والايمان القومي الذي لا يمكن ان يتزعزع، وهو ان من حق المواطن العربي ان ينتقل من بقعة الى اخرى للاستمرار في النضال ضد أي انحراف أو ردة قومية – وكان العراق يعاني فعلا من ردة، وطغيان شعوبي في العهد القاسمي البغيض. ولهذا الشعور بالذات أكدت، حينما قدمت الي المساعدات المالية – وكانـت فـي الحـق سـخية بالنسبة الى أوضاع الجمهورية العربية المتحدة وتبعاتها المالية الجسـيمة – لزوم اسناد عمل الي يبرر وجودي في القاهرة، ويمكنني من اداء واجبي. وهكذا انيطـت بي مهمة تدريس مادة المجتمع العربي، في كلية الحقوق بجامعة القاهرة. وبدأت العمل بكـل جهـد، وكان اقبال الطلاب مشجعا، فقد كانت صالة المحاضرات تضيق بالطلاب والطالبات علـى رحابـتها، وشرعت في وضع كتابي – أبحاث في القومية العربية – الذي أصبح الكتاب المدرسـي المعتمد في هذه المادة في أكثر من كلية واحدة. وفي هذا الوقت بالذات أيضا انتدبت للتدريس في جامعة الأزهر حيث القيت محاضرات على طلاب كليتي الشريعة، واللغة العربية في مـادة – المجـتمع العربـي والاسـلامي – وقد انتدبني كذلك مشيخة الأزهر لالقاء محاضرات توجيهـية على طلاب معهد البحوث الاسلامية العالي. وكنت اشعر بلذة في هذا العمل الجامعي

الذي اتاح لي فرصة الاتصال بالوف من الطلاب من مختلف المستويات والدراسات. ونمت بيني وبين بعضهم صلات ود بعدتني بالكثير من معالم الحياة في مصر وبعض البلاد العربية الاخرى.
وفي السنة الثانية من مقامي في القاهرة طلب الي معهد الدراسات العربية العالية، ان القي محاضرات على طلاب الدراسات التاريخية والجغرافية، عن تاريخ العراق السياسي الحديث، حيث اتاح لي بذلك فرصة اعادة طبع كتابي المعنون – العراق من الاحتلال حتى الاستقلال –، طبعة جديدة منقحة نفذت بسرعة ملحوظة.

وحين شغر كرسي مادة "القومية العربية" في معهد الدراسات العربية في معهد الدراسات العربية العالية اخترت استاذا لتلك المادة، ثم اختارني مجلس ادارة المعهد مديرا له خلفا للمرحوم الاستاذ محمد شفيق غربال. وقد بذلت قصارى جهدي في النهوض بالمعهد من كل الوجوه، وتجديد نشاطه، والعناية بمكتبته، وادخال دراسة جديدة فيه عن "الصهيونية واسرائيل". وقمت بمعونة فريق من الاساتذة – بعمل تحضيري مهم لهذه الدراسة. وكان من بعض ما قمت به في المعهد تنظيم جولة مع فريق من طلابه واساتذته الى ليبيا وتونس بقصد التعرف على الوطن العربي، ودراسة مشكلاته عن طريق رؤيته والتعرف اليه فعلا، وتمكين اخواننا المصريين من تكوين رأي واقعي عن اخوانهم. ثم قمت بمجهود لجمع الأموال لانشاء بناية خاصة لائقة بالمعهد، وقمت برحلة في الخليج العربي جمعت فيها عشرات الالوف من الدنانير لا تزال محفوظة باسم المعهد تنتظر انجاز المشروع الذي بدأت فيه ...
وأثناء قيامي بتدريس القومية العربية وضعت كتابي الموسوم، بطبعته الأخيرة – "هذه قوميتنا" – وفيه حاولت تحديد معنى القومية العربية، وبيان مقوماتها، وأهدافها، وغاياتها، وعلى العموم شرح فلسفتها باسلوب علمي دقيق. وهو الكتاب الذي ترجمت، فيما بعد، بعض فصوله الى اللغتين الانكليزية والفرنسية.
وفي السنة الثالثة عينت استاذا غير متفرغ في جامعة عين شمس لتدريس مادة "مقدمة القانون المقارن" على طلاب الدراسات العليا في كلية الحقوق. ولقد القيت المحاضرات في فصلين متتاليين دفعتني للدراسة المقارنة وحببتها الي، ومكنتني اخر الأمر من وضع كتابي – "مبادئ القانون المقارن" – الذي طبع أخيرا في بغداد. واترك لرجال القانون تقدير قيمته، والجهد الذي كان لابد من بذله لاعداده....

وفـوق هذا وذاك فقد اعدت، وانا في القاهرة، طبع كتابي – "الدولة الموحدة والدولة الاتحادية" – بعـد ان أضـفت الـيه فصولا جديدة، وقد تقبله القراء في الجمهورية العربية المتحدة قبولا حسنا بحيث اعيد طبعه ثلاث مرات. وهو الكتاب الذي أثنى عليه الرئيس جمال عبد الناصر في أثـناء مباحـثات الوحـدة الثلاثـية. كما وضعت، وانا في القاهرة، كتابي المعنون – من وحي العـروبة – الذي طبع مرتين وكانت بعض المعاهد العالية قد عدته كتابا مدرسيا حريا بالاقتناء والدراسة. كما لا يفوتني ذكر كتابي المعنون – "ثورة العراق هل كانت حتمية؟" – الذي طبع في بيروت وكان له صداه في العراق، وان منع من الدخول اليه بصورة رسمية.

ومـا دمـنا في ذكر جهودي في حقل التدريس فقد يكون من المناسب ان اذكر ان ادارة التربية الأساسية في سرس الليان، التابع لليونسكو، كانت قد طلبت الي، أثناء اقامتي في القاهرة، القاء عـدد من المحاضرات عن القومية العربية والفكر القومي المعاصر. ولم أتردد في إجابتي هذا الطلـب، على الرغم من الجهد الذي كان علي ان ابذله في الذهاب والاياب، وكثرة مسؤولياتي العلمـية الاخـرى. وكان طلاب سرس الليان خليطا من الأقطار العربية المختلفة، ولقد شعرت بسـرور عظيم قبل أيام قلائل، حيث كنت في البلاد المقدسة، حين جاءني شاب سوداني يحييني بود، ويذكرني انه كان احد طلابي في (سرس الليان)...

على ان نشاطي في الجمهورية العربية المتحدة لم يكن مقصورا على التدريس والتأليف والقاء المحاضـرات العلمـية فحسـب، بـل أسهمت جديا في كثير من اوجه النشاط الفكري والثقافي والتوجـيه السياسـي والقومـي واستدعاني ذلك ان ازور الكثير من مدن الجمهورية العربية المـتحدة اذكـر مـنها، على سبيل المثال لا الحصر، أسيوط عاصمة الصعيد، وطنطا عاصمة الغربـية، والزقازيق عاصمة الشرقية. أما الاسكندرية فقد زرتها أكثر من مرة وحاضرت فيها وأسهمت في ندوات نظمت هناك من اجل التوعية القومية.

واضـافة الى كل ما ذكرت قد القيت عددا من المحاضرات العامة في نادي الموظفين، وجمعية الشبان المسلمين، ونادي المحامين، وغيرها من المنتديات والجمعيات في مناسبات شتى.

كما ان الدكتور عبد القادر حاتم – وكان يومئذ المسؤول عن جهاز الثقافة والارشاد – قد طلب الي ان أسهم في توجيه موظفي وزارته. وكانوا قد قسموا الى دورتين في كل دورة منها مئات الموظفيـن والموظفات والمشتغلين في شؤون الاعلام والتوجيه. اذ القيت على كل فريق بضع محاضـرات كان لها أثرها في شرح القومية العربية، واحاطة الموظفين بحقيقة الوضع الراهن

في الوطن العربي. ولست ادري هل حضر الاستاذ احمد سعيد المحاضرات ام انه كان يحسب نفسه بغير حاجة الى مثل هذا التثقيف؟!

وفيما عدا هذه المجالات، فقد أسهمت جديا في أعمال الكثير من اللجان العلمية والثقافية اذكر على سبيل المثال لا الحصر اللجنة التي وضعت منهاج تدريس مادة المجتمع العربي والاشتراكية العربية برئاسة الدكتور عبد العزيز السيد الذي كان يومذاك وزيرا للتعليم العالي. وكانت تربطني به صلة ود زادها قوة ما شاهده في من وضوح فكر، ورغبة في الخدمة المخلصة، وذلك أثناء عملنا في تلك اللجنة.

بعد كل هذا الجهد أيصح للاستاذ احمد سعيد ان يتهمني وفريقا من أصحابي بعدم العمل وامتهان الدجل السياسي و الانتهازية؟!

ولعل الاستاذ احمد سعيد لا يعد العمل قوميا نضاليا شريفا الا اذا كان عن طريق اذاعة صوت العرب وبتوجيهه!!. وهنا اذكر الاستاذ احمد سعيد انني ساهمت في الأشهر الاولى من وصولي الى القاهرة في التحدث من صوت العرب، وألقيت عددا من الأحاديث، احسب ان الكثيرين من مواطنينا يذكرونها. ولكن اثرت عدم الاستمرار بعد واقعة معينة احسبها هي التي كانت في ذهن الاستاذ احمد سعيد حين قال – "بل ان بعضهم يرفض عندما ندعوه الى ممارسة العمل القومي لان له وجهات نظر خاصة بعضها لا قومي ولا اشتراكي" –. تلك الواقعة هي انني حينما ذهبت مرة لتسجيل حديث قراه الاستاذ احمد سعيد، وأشار علي حذف بعض فقرأته، وتخفيف لهجة بعضها الآخر. فرفضت وقلت له انني لا أرضى لنفسي ان يكون عليه رقيب من دوني. وكان سبب الخلاف ان اذاعة صوت العرب اخذت، في حين من الزمن ترتأى عدم التعرض لعبد الكريم قاسم ونظامه، اعتقادا منها ان ذلك أجدى في تلك المرحلة الزمنية. ولكنا نحن العراقيين المقيمين في القاهرة، كنا نعتقد انه يعطي عبد الكريم قاسم فرصة للاستعمار في طغيانه. وحين سألني بعض المسؤولين عن سبب امتناعي عن التحدث من اذاعة صوت العرب قلت له انني لم اترك العراق الا لاعتقادي بقدرتي على ان أقول ما احسبه صالحا لوطني وامتي، ولا أظن ان احمد سعيد اقدر مني على ادراك ما يجب ان يقال، وما يجب ان لا يقال. وخطتي هي أما ان أقول ما اعتقده كاملا غير منقوص، أو ان التزم السكوت ... وقد اقر المسؤول رأيي هذا ...

وبعد مدة من الزمن أدرك المسؤولون في القاهرة ان مهادنة عبد الكريم قاسم كانت غير مجدية، وعادوا يهاجمونه من جديد. وأرسل الاستاذ احمد سعيد المرحوم عدنان الراوي طالبا

الى ان أعود للتحدث كما أشاء، فرفضت وقلت له: لقد اليت على نفسي ان اسلك طريقا اخر في خدمة العراق والوطن العربي كله وسيكون مجالي: الكتاب، والمحاضرة، والتوعية الفكرية المباشرة.

وما دام الاستاذ احمد سعيد قد أباح لنفسه ان يعلن رأيه فيّ. وفي فريق من اخواني ممن كانوا في القاهرة، دخلوها كما دخلت، عامري الايمان بقوميتهم، حريصين اشد الحرص على خدمة امتهم، كل بطريقته، وحسب طاقته، فمن حقي، ومن حقهم جميعا، ان يبدوا رأيهم في الاستاذ احمد سعيد.

ورأيي فيه قديم سبق لي ان أعلنته، وتحدثت فيه لكل الذين اتيح لي يومئذ ان اتصل بهم من المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة. وخلاصته ان احمد سعيد بحنجرته القوية، وبصوته الأجش الضخم، وبعباراته الرنانة المثيرة، كان نافعا في وقت ما، وقد يكون نافعا في بعض الاوقات الاستثنائية، ولكن من الخير لمصر، وللامة العربية جمعاء ان يناط أمر "صوت العرب" بشخص يعتمد على عمق عقله أكثر من اعتماده على رنين صوته، وعلى صفاء وجدانه أكثر من لباقة لسانه، وعلى صدق بيانه أكثر من طنين أنغامه. وكنت، ولم أزل، اعتقد ان الوقت قد حان لكي يسلك – صوت العرب – مسلكا جديدا لتهوي اليه القلوب من جديد، وتأنس به الأسماع، وتجد الأرواح الضمئ معينها النير الذي يشفي الغلل الصادية. ولقد كنت أجد تجاوبا مع آرائي من كثير ممن كنت أتحدث اليهم، ولكن يؤسفني الا أرى ما تحدثت به قد استحال الى حقيقة الى يوم الناس هذا[٧٢].

لعلي قد أطلت على القارئ، ولكن الأمر جد خطير. وليست خطورته ناتجة عما في الاتهامات من بشاعة، فتهافتها ظاهر، وبطلانها واضح قد لا يحتاج الى دليل. ولكني اثرت بهذه المناسبة ان اكشف بعض الحقائق لان جيلا صاعدا لم يعاصر الأحداث كلها وانما قد نما، وصار من حقه علينا ان يعرف الحقائق كاملة، لئلا يسقط في وهاد الضلال.

ان عقائد أصحاب العقائد لا تزحزحها التهم الظالمة، وان لقاء الأحرار، في كل دنيا العرب لقاء عقائدي تسهل في سبيله التضحيات كلها. ولكن ذلك كله يجب ان يقوم على مثل مستقرة، ومبادئ واضحة ثابتة مبراة من زخرف القول، وهراء الأدعياء من المهرجين والمطبلية ...

---

[٧٢] طبيعي نعتبر الحال بعد عدوان ٥ حزيران وادراك المسؤولون من هو احمد سعيد ...

وأخـــيرا، وليس آخرا، ارجو ان لا يتوهم متوهم ان اقوال احمد سعيد، وغير احمد سعيد، ممن هم على غراره في الوطن العربي، ستوهن الرباط الذي يشدني الى الجمهورية العربية المتحدة. ان حبـــي لمصـــر سيبقى هو هو، بالرغم من كل ما يقال ويشاع، لا لاني عربي يؤمن بالعروبة الشـــاملة، ويعـــد الوطـــن العربـــي الكبير كله وطنه، ولا يفرق بين أهله وبلاده حسب، بل ولا اعتبارات اخرى اضافة الى ذلك وهي لا تقل عنها عمقا في نفسه.

ففـــي القاهـــرة وجدت الامن الذي افتقده حينا في بغداد، ومن القاهرة حصلت على جواز السفر الـــذي عز علي حصوله من بغداد، وكنت يومئذ اشد ما أكون حاجة الى جواز سفر يمكنني من السفر الى اوربا مع بعض افلاذ كبدي التمس لهم العلاج من مرض فاتك قضى - ويا حسرتاه - علـــى ثلاثـــة مـــنهم، وفي القاهرة وجدت الطلاب الكثيرين الذين انس بينهم، احاضرهم، وابرر وجـــودي فـــي العمل على تثقيفهم، حين حيل بيني وبين طلابي في بغداد. وفي القاهرة وجدت زمـــلاء وأصدقاء كثيرين أحببتهم وأحبوني، وعوضوني - ولو لحين - عن أصدقائي وزملائي فـــي بغداد. وفي القاهرة ودعت جزءا من وجودي. اذ في ثراها الطيب، وسدت الى الأبد، كبرى بناتـــي، وفي أرضها الحبيبة فقدت احد أنجالي وهو في ريعان الشباب. ولكني وجدت من اهلها مـــن جمـــيل العزاء ما خفف من لوعتي في مصابي، وان أنس لا أنسى المواساة الكريمة التي تفضل بها يومئذ السيد جمال عبد الناصر...

وليقل بعد ذلك "احمد سعيد" في ما شاء له هواه ان يقول، وسيبقى الحكم الحق للتاريخ ...

أيها المواطنون: تعالوا الى كلمة سواء[٧٣]

– دعونا نفكر في الامة لا في الحزب أو الفئة التي ننتسب اليها –

اجل أيها الاخوة المواطنون: تعالوا الى كلمة سواء بيننا، ان نؤمن – بعد الايمان بالله – بهذه الامة الواحدة ، وندافع – دفاعنا عن عقيدتنا – عن هذا الوطن الفسيح الكبير، ونعبئ كل قوانا المادية والأدبية للذود عن حقوق مواطنينا كافة، ونواجه التحدي العظيم الذي جاءت به إسرائيل والصهيونية العالمية، ومن ورائها من دول الغرب، هذا التحدي الذي امتهن من قبل كرامتنا، ويريد ان يمتهن من جديد كرامتنا، هذا التحدي الذي تهدد، وما يزال يتهدد، وجودنا. دعونا نواجهه يدا واحدة، وقلبا واحدا.

دعونا نؤمن بهذا ايمانا نظريا عميقا لا ياتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه، ونعمل من اجل هذا عملا جادا متواصلا، مستهدفين الحفاظ على وجودنا، والاستمساك بكرامتنا ومضحين من اجل استرداد حقوق اخواننا عرب فلسطين الذين سلبتهم الصهيونية والمؤامرات الدولية حقوقهم المشروعة، فانتزعت منهم ديارهم، وأبعدتهم عن أوطانهم دعونا نؤمن بهذا، ولا شيء غير هذا، ونترك ما عداه، وعلى اقل تقدير نؤجله الى حين تمام النصر.

وتخطر ببالي قصة صغيرة واقعية لها مدلولها في هذا المقام: حين كانت الحرب العالمية الاولى متقدمة الاوار قام شاب من نواب الحزب الشيوعي الفرنسي يهاجم بشدة رئيس وزراء فرنسا حينذاك "المسيو كليمانسو" وفي أثناء اشتداد الحوار سال ذلك الشيخ المجرب، النائب الشاب المعارض: ماذا تريد؟ فأجابه على الفور اريد ان احطمك... عندئذ قال الرجل الكبير: يا بني

---

[٧٣] ٣-٦-١٩٦٧ جريدة العرب لعل من الطريف ان نلاحظ ان الرئيس جمال عبد الناصر قد دعا الى الفكرة ذاتها التي كانت محور هذا المقال الذي نشرته جريدة العرب في ٣-٦-١٩٦٧ فقال: "...حينما نتكلم عن الوطنية العربية يجب ان ننسى في هذه المرحلة مفاهيم اخرى كثيرة ... الوطني اليميني كالوطني اليساري، لان اسرائيل احتلت الضفة الغربية للاردن لم تفرق بين الوطني اليميني وبين الوطني اليساري طالما كان كل منهما وطنيا...".

"...بعد مرحلة الصمود علينا ان نحشد كل القوى العربية ولا تناقض في حشد كل القوى العربية في كل بلد عربي حتى نسير الى النصر...".

هذا بعض ما قاله الرئيس عبد الناصر في شهر نيسان ١٩٦٨ أمام أعضاء المكتب الدائم لاتحاد العمال العرب، وهو قول سليم، وهو يهدف الى المعنى نفسه الذي دعوت له قبل وقوع الكارثة، كما هو جلي من تاريخ المقال المذكور ومن محتواه قد نشرته قبل وقوع العدوان بيومين اثنين.

دعـنـا – أنـت وأنا – نعمل الان جاهدين على تحطيم عدونا المشترك "المانيا" وبعد ذلك ستجد الوقت الكافي للسعي.الى تحطيمي بعد ان تنتصر فرنسا..

فدعونـا أيهـا الاخوة المتنادون ببعض الشعارات، المقسمون أفراد هذا الشعب أحرارا وعبيدا، دعونا نعمل الان جاهدين لتحطيم العدو المشترك، واذا كنتم مصرين على ان يحطم بعضنا بعضا فستجدون الوقت الكافي لمثل هذا الجهد الضائع ....

دعونا نتساءل مخلصين هل ستفرق إسرائيل حينما تعمل في تحقيق أهدافها بين سورية الثورية، والاردن غـير الـثورية، مثلا؟! وهل ستفرق حين ترمي دمشق بقنابل طياراتها بين السوريين التقدميـين، والسوريين غير التقدميين؟ وهل ستتردد لحظة في تحقيق النصر – عندما ترى ان ذلـك ممكن – عن طريق احتلال لبنان الذي يؤمن بالاقتصاد الحر، والتجارة الحرة، تاركة جانبا الجمهوريـة العربـية التي ترى – ومن حقها ان ترى – لزوم السيطرة على التجارة الخارجية والأخذ بمبادئ الاشتراكية العربية؟ هل ستفرق إسرائيل بين قطر عربي وقطر عربي اخر، وبين مواطن عربي ومواطن عربي اخر، أم انها ستنظر الى الأقطار العربية من وجهة نظرها القومية نظرة واحدة لا تميز فيها بين قطر وآخر أو فئة واخرى؟!

الـم يـان لنا ان نستمد من التاريخ عبرة ولو مرة واحدة، والتاريخ كما يقولون دروس وعبر؟ دعونـا نـنظر فـي الـتاريخ المعاصر. حينما غزت جيوش النازيين بلاد السوفييت في الحرب العالمية الثانية شعر ستالين ومن حوله بعد شهور من الحرب الطاحنة ان الدعاية الناجحة التي تثـير الـروس، وتؤجـج الحمـاس في قلوبهم، وتدفعهم للتضحية والفداء ليس هو القول بان الشـيوعية فـي خطر، وان النازية تهددها، ولا في الادعاء بان الماركسية التقدمية ستحطمها الفلسـفة الهيكلية الرجعية، ولا بالتأكيد على ان الطبقات الكادحة من العمال والفلاحين في بلاد السوفييت سيحطمهم الرأسماليون والإقطاعيون الألمان. بل قالوا – وهكذا تقضي طبيعة الأشياء ان يقولـوا –: ان الـروس في خطر، وان وطن الآباء والأجداد توشك ان تنتهك حرماته، وان أمجاد الـروس ستضـيع، وان الامـة السلافية مهددة بغزو الجرمان... وهكذا تركوا الكفاح الطبقي، والشعارات التي تفرق بين روسي وروسي، ووحدوا بين صفوف أبناء قومهم، ونجحوا فـي ذلـك أيما نجاح. ومن آيات ذلك النجاح الرائع التي شهدتها بأم عيني في الصيف الماضي حينما زرت مدينة ليننغراد وارتني السلطات الروسية فيما أرتني من معالم تلك المدينة العظيمة المقـبرة الـرائعة التـي دفن فيها سبعمائة ألف قتيل من الروس حاربوا بشجاعة تثير اعجاب

وتقديـــر كل انسان سوي. وكانت الكثرة الكاثرة من جثث اولئك الأبطال من غير الشيوعيين بل ممـــن كانوا يعارضون الشيوعية، وكان بين المدافعين الذين ذهبوا ضحية الواجب الكثيرون من القســـس ورجال الدين الذين ابلوا بلاء حسنا في الدفاع عن بلدتهم الرائعة وعانوا اشد المعاناة مـــن الحصـــار سنين عدة، تحملوا البرد القارص، والجوع المميت، والمرض والحرمان والآلام التـــي لا تحصى في سبيل انتصار "روسيا" والحفاظ على "وطن الآباء" وتخليص مدينتهم الخالدة موطن الآباء والأجداد...

هـــل لنا ان نعتبر بروسيا ونحن نخوض معركة رهيبة فنترك بعض الشعارات التي قد تفرقنا، وتوغر صدور بعضنا ببعض، وتعمل على تشتيتنا والذهاب بريحنا.

دعونـــا - رعاكم الله أيها الاخوة المواطنون - نتغنى بكل ما يوحدنا، ونتنادى بكل ما يجمـــع شملنا ويحقق القدر الأوفى المشترك بين مواطنينا، ونرفع من الشعارات كلما يقربنا من أهدافنا العليا.

دعونـــا فـــي هذه المرحلة الحاسمة نفكر في امتنا لا في الحزب أو الفئة التي ننتسب اليها، ولا بالطبقة التي نحن منها، ولا بالقطر الصغير الذي نحكمه أو نحمل كمواطنين جنسيته.

نحـــن في هذه المرحلة مطالبون ان نؤكد كلما يظهرنا بمظهر الوحدة، ويؤكد عروبتنا الشـــاملة، وانســـانيتنا الكاملة. ان هذا هو طريق الخلاص، وهذه هي الحجة التي توصلنا الى أمانيـــنا: النصر في معركتنا مع إسرائيل والضالعين معها. اثبات وجودنا امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة. انتزاع حقوق عرب فلسطين من العدو انتزاعا كاملا ...

تـــرى انحن مدركون عمق التحدي الذي واجهه، سابرون غور ابعاده كلها، أم لم نزل نـهزل حين يجد الدهر الذي لن يرحمنا؟!

من لم تفده عبرا أيامه كان العمى أولى به من الهدى

مع جريدة "التآخي"[٧٤]

وردنا التعقيب الآتي من الاستاذ عبد الرحمن البزّاز، على ما كتبناه في العدد السابق بمناسـبة مرور عام على بيان ٢٩ حزيران، ننشره عملا بحرية النشر، كما تنشر التآخي الرد عليه.

السيد رئيس تحرير جريدة التآخي المحترم

نشـرتم فـي العدد ٥٩ والمؤرخ ٢٩-٦-١٩٦٧ في جريدتكم الغراء بعض المقالات حـول بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ حوت أخطاء وتعبيرات عدة غير دقيقة. فحرصا على الحقيقة، وتنويرا للرأي العام، وعملا بحرية النشر أرجو نشره في العدد القادم من جريدتكم.

اسـتعمل كاتـب المقـال-بيان ٢٩ حزيران حجر الزاوية للإخوة التاريخية -تعبيرات مثل:"توقيع البيان" و"الاتفاقية وتأييدها" كما كرر الفاظ "الاتفاقية" و "التوقيع"، والتأييد مرارا في المقـال المذكـور. كذلـك جـاء في المقال الافتتاحي المعنون "ذكرى مرور عام على بيان ٢٩ حزيـران "هـذه الألفـاظ وشبيهها:" الوفد الكردي "."التوصل الى هذه الاتفاقية"." بنود الاتفاقية وملحقاتها". ثم تعبير:" كما أكد في بنوده المذاعة وغير المذاعة". كل هذه التعبيرات توحي:

أولا: بوجود اتفاقية.

ثانيا: وجود بنود سرية لهذه الاتفاقية.

ولقد علمت أخيرا ان جريدتكم سبق لها ان ادعت هذا الادعاء، ووعدت بنشر ما سمته بـالمواد السـرية. فأول ما أود ان اوجه الانتباه اليه ان ليس هناك "اتفاقية " بل هناك بيان هو جزء من منهاج وزارة سابقة.

ان هـذا المعـنى واضـح كل الوضوح من مقدمة البيان ذاته التي جاء فيها"ان هذه الحكومة رغبة منها في حد للوضع غير الطبيعي في أنحاء من شمالي الوطن - وسيرا وراء ما جـاء فـي الفقـرة الرابعة من كتاب التكليف عند تشكيل الوزارة-في الحفاظ على وحدة التربة العراقـية وتحقـيق الوحـدة الوطنـية-وتأكيدا للروابط القائمة فعلا بين العرب والأكراد، تعلن المنهاج الآتي":

---

[٧٤] التآخي العدد المنشور في تاريخ ٢-٧-١٩٦٧.

فجلـــي مـــن هذا كل الجلاء ان البيان لم يكن الا جزءا من منهاج الوزارة التزمت به، وسعت حثيثا الى تحقيقه. ولقد نفيت ان تكون هناك مفاوضات، وأعلنت ذلك صراحة في الكلمة التـــي مهـــدت بهـــا للبـــيان المذكور والتي جاء فيها بالحرف الواحد:" ان التقاءات قد حدثت، واتصـــالات واجـــتماعات ومشاورات، ولكن شيئا واحدا لم يحدث: ما كنا نتفاوض. "ومرة ثانية أكدت هذا المعنى قبل ان انهي حديثي في ٢٩ حزيران حين شكرت الذين اظهروا رغبة مخلصة فـــي التعاون "ممن رضوا ان يلتقوا مع حكومتهم ولا أقول ان يتفاوضوا". بعد هذا كله ليس من الحقـــيقة فـــي شيء، وليس من المصلحة العامة في شيء، التحدث عن المفاوضة، والاتفاقية، وما يزعم لها من ملحقات أو بنود سرية.

ثانـــيا-ولمـــا كـــان ما صدر في ٢٩ حزيران ليس الا بيانا عن سياسة حكومة قائمة حيـــنذاك، ولـــيس هو بمعاهدة أو اتفاقية أو أي شيء من هذا القبيل، فيكون القول بوجود بنود ســـرية والحالـــة هذه توهم محض. ان المسالة ببساطة هي ان الوزارة –وقد التزمت بتحقيق وحـــدة الوطـــن- كان لابد لها من ان تضع منهاجا مفصلا لتحقيق هذه الوحدة، أعلنته بعد ان أجـــرت الاتصالات والمشاورات مع كل من يعنيهم الأمر، وبعد ان عملت على الصعيد الرسمي مـــع كل الجهات المدنية والعسكرية، فثبتت منهاجا بالمواد الاثنتي عشرة التي أعلنتها شخصيا للشـــعب نظـــر لاهميـــتها، وأكدت في حينه ان تلك المواد هي جزء من المنهاج الوزاري الذي التزمت به الحكومة أمام الشعب العراقي كله. ان أية محاولة في إسباغ صفة تعاقدية على مواد ذلك المنهاج تزييف للتاريخ، وبعبارة أدق ان أية وزارة جاءت الى الحكم بعد الوزارة التي كان لي شرف رئاستها حرة، من حيث المبدأ، في الالتزام بهذا المنهاج أو عدم الالتزام به. وطبيعي انـــي لاحس بالسعادة حين أرى الوزارات المتعاقبة تلتزم بالمنهاج المذكور بحيث يصبح بمثابة السياســـة القومـــية التـــي يقرها الجميع. ولكن ذلك لا يغير من جوهر الحقيقة وهي ان المواد الاثنتي عشرة التي كنت قد أعلنتها في التاسع والعشرين من حزيران الماضي لم تكن الا سياسة حكومـــة قائمـــة، كنـــت، كمـــا أعلنتها هذا صراحة، سأتحمل مغبة الفشل لو قدر لتلك السياسة الخذلان...

ومن هنا انتقل الى النقطة الأكثر أهمية وهو الزعم بوجود بنود سرية. وأود ان اعلن علـــى رؤوس الاشـــهاد ان ليس هناك بنود سرية، وليس من حق أي رئيس للحكومة ان يتفق سرا بشأن سياسة تخص كيان الوطن وسيمته. واحسب ان الأمر اشتبه على بعض اخواننا. فانا

حين كنت اشرح بعض مواد البيان استأذنني بعضهم في تدوين ما أقول على انه التفسير المعقول لبعض فقرأت المنهاج. واذا لم تخني الذاكرة فان ذلك حدث بالنسبة لمادتين أو ثلاث مواد. كما جرى حديث حول كيفية تنفيذ هذا المنهاج، ونقطة البداية، والمراحل المتعاقبة التي يجب ان تتوالى ليصبح ذلك المنهاج المعلن حقيقة واقعة ليتم حل المشكلة التي أساءت الى العراق، ولم يفقدها اخر الأمر غير اعداء العرب والأكراد.

وفي الختام اني لعلى يقين من ان تنفيذ ذلك المنهاج، بنصه وروحه، ليس مما يحقق وحدة الوطن العراقي ويقضي على مأساة استنزفت الدم الكثير، والمال الوافر، حسب، بل كان سيساعد على "ان يتصرف الجنود الأشاوس للاعداد الى المرحلة الكبرى في بنيان جيشنا وتحضيره لمعركتنا الكبرى حينما ينادي المنادي الى استرجاع الوطن السليب" على حد ما قلت يومذاك. افليس من حق المواطن العراقي المخلص، عربيا كان أو كرديا ان يتساءل اليوم: ترى لو نفذ ذلك المنهاج، كما كان يجب ان ينفذ، أما كان بالا مكان ان نتفادى بعض الآثار المفجعة التي أوجدتها النكسة أو في الأدق النكبة الثانية، التي ربما كانت ايهالا في الشر من النكبة الاولى؟!

رد التآخي على تعقيب البزّاز

اطلع القارئ في هذا العدد من الجريدة على التعقيب الذي بعث به الينا الاستاذ عبد الرحمن البزّاز حول ما نشرناه في العدد ٥٩ من التآخي المؤرخ في ٢٩-٦-١٩٦٧ بمناسبة مرور عام على صدور بيان ٢٩ حزيران الذي تم على أثره ايقاف اقتتال الاخوة الذي كلف الشعب العراقي بعربه وأكراده خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات.

والشيء الواضح في هذا التعقيب هو ان الاستاذ البزّاز يشعر بعدم الارتياح من تسمية البيان المذكور بالاتفاقية ومن قولنا بان للبيان المذكور بنودا غير مذاعة وهو لهذا السبب نفى ان تكون هناك مفاوضات جرت في حينه، ويوجه انتباه الرأي العام الى ان هذا توهم محض.

وحرصا منا على ايضاح الحقائق، وتنويرا للرأي العام، وجدنا من الواجب علينا كتابة هذا التعليق على النقاط الواردة أعلاه وعلى غيرها من النقاط الواردة في تعقيب الاستاذ البزّاز.

يعود تاريخ الاتصالات الاولى التي جرت بين ممثلي الحكومة والقيادة الكردية، والتي انتهت الى التوقيع على بيان ٢٩ حزيران الى يوم ٨-٣-١٩٦٦ حيث حضر في ذلك التاريخ

الــى قرية جناران السيد حميد ملا توفيق مبعوثا من قبل الحكومة. وقد جاء لاستطلاع الوضع حــول امكانية الوصول الى اتفاق يضع حدا للحرب الأهلية المدمرة التي كان يعاني منها شعبنا العراقــي بأكملــه، وأعقــب ذلك وصول السيد محمد حسن دزه ئي الى قرية يوله يوم ٢-٤-١٩٦٦ للغرض نفسه.

وقد بدأت تلك المداولات تكتسب شيئا من الجدية يوم ٢٨-٤-١٩٦٦ عندما وصل الى مــنطقة كلالــة الاستاذ المحامي زيد احمد عثمان مرسلا من قبل الحكومة وبعض الشخصيات الوطنية الكردية لعين السبب. بتاريخ ١٥-٦-١٩٦٦ عاد الاستاذ زيد ثانية يحمل معه مشروعا من قبل السيد رئيس الوزراء في حينه الاستاذ عبد الرحمن البزّاز لكي يكون أساسا للبحث بيننا وبيــن الحكومــة وبعد ذلك بيومين أو ثلاثة وصل الى منطقة كلالة وفد مختلط من الشخصيات الرســمية والشــعبية وقد اشترك في المداولات وتبادل وجهات النظر معهم ممثلون عن الأكراد وعلــى رأسهم السيد مصطفى البرزاني. وقد عاد قسم من الوفد المذكور الى بغداد بعد التوصل الــى تثبيت بعض الاسس المشتركة التي تصلح ان تكون أساسا للبحث مع الحكومة في بغداد. ولــم يمــض علــى ذلك يومان أو ثلاثة حتى ورد إشعار من بغداد يشير الى ترحيب الحكومة بحضــور وفد كردي الى بغداد للاتفاق معه بصورة نهائية على جميع نقاط الخلاف. وقد توجه الوفــد بــالفعل الــى بغداد يوم ٢٢-٦-١٩٦٦ وقد استقبل الوفد في معسكر سبيلك والقاعدة الجويــة في كركوك وبغداد استقبالا اخويا كريما على الصعيدين الرسمي والشعبي، وحل ضيفا على الحكومة في القصر الأخضر في بغداد. وقد اشارت الى ذلك مختلف الصحف والاذاعات...

وبالــنظر للأهمــية البالغة التي أسبقتها الحكومة على تلك المداولات فقد وجد الاستاذ البزّاز في حينه ان من الضروري ان يأخذ الموضوع على عاتقه فقط لذا فاننا لو استثنينا بعض الاجــتماعات التــي حضــرها قادة الفرق وممثلو قيادة قوة الميدان ووزير الدفاع في حينه فان الاجــتماعات التــي حضرها قادة الفرق وممثلوا قيادة قوة الميدان ووزير الدفاع في حينه فان جميع المداولات جرت بين الوفد الكردي والاستاذ البزّاز فقط. والذي كان في اتصال مستمر مع الســيد رئيس الجمهورية، ومجلس الدفاع الوطني ومجلس الوزراء يزودهم بكل ما توصل اليه مــن المــداولات فــي تلك الاجتماعات المتعاقبة بغية استحصال موافقتهم حولها، ومن ثم تأخذ صيغتها الأخيرة المتفق عليها من كلا الجانبين.

فعلـيه فقد تم وضع كل الأحرف في بيان ٢٩ حزيران بالتفاهم والاتفاق بين الجانبين، وقد سبق خلال المداولات وحدث نوع من عدم الاتفاق على كتابة صيغة عبارة واحدة في البيان فقـط اضطرت الحكومة من اجل ذلك ارسال الوفد الكردي بالطائرة الى المنطقة الشمالية لتحديد صيغة مقبولة للعبارة المذكورة. وبعد الانتهاء من كتابة مسودة البيان بشكله النهائي تم عرضه للمرة الأخيرة على الجانب الكردي للموافقة عليه.

هــذه هي بالتفصيل الخطوات والمداولات والتي نسميها نحن بالمفاوضات التي جرت قبـيل صـدور البـيان المذكـور، واذا كان كل ما تقدم ليس المفاوضات فكيف يمكن ان تكون المفاوضات يا ترى؟ حقا اننا لم نذهب مع الاستاذ البزّاز للتوقيع على البيان لدى كاتب العدل الا ان الدلائـل والأعمـال التمهيدية للبيان المذكور كانت مفاوضات دون أدنى شك. ثم اننا نشعر بالاسـتقراب الشـديد من تطير وعدم ارتياح الاستاذ من كلمة المفاوضات. اننا لا ننفي بطبيعة الحـال ان المفاوضـات التي جرت بين دولتين، أو بين جهتين متعاديتين يضمر احدهما للآخر الكراهـية والحقد، بل كان يشعر الجميع ومنهم الاستاذ البزّاز نفسه بأننا كنا جميعا اخوة نهدف في كل مسعى نبذله الى خير شعبنا ووطننا الذي كابد الكثير من الماسي والآلام دون مبرر. ان المفاوضــات في الدول وبين الحكومة وحزب معين أو بين رئيس دولة وحتى منظمة نقابية كما نلاحـظ ذلـك بين آونة واخرى، وعند حدوث اضطرابات أو ما يشبه ذلك في كثير من الدول. ولـيس فـي ذلك عيب أو سبة أو ما ينم عن انتقاص هيبة الدولة بل على استخراج الحكومة لرأي الشعب كلما كان ذلك ضروريا ومفيدا سيما في مثل تلك الضروف والأوضاع غير الطبيعية وما يتعلق بها ضرورة استحصال موافقة فريق كبير من المواطنين.

أمــا بالنسـبة الــى قول الاستاذ البزّاز "ان ليس هناك بنود سرية وليس من حق أي رئـيس للحكومة ان يتفق سرا بشأن سياسة تخص كيان الوطن وسلامته". فاننا نقول بصراحة وعلــى رؤوس الاشـهاد بان هناك ثلاثة بنود ملحقة ببيان ٢٩ حزيران مكتوبة على نسختين الاولى موجودة في الاضبارة الحكومية الخاصة بالموضوع في مجلس الوزراء والثانية موجودة عـند الوفـد الكـردي وقـد فضلت الحكومة في حينه عدم أذاعتها وهي لا تضر بكيان الوطن وسـلامته بـل تدعمه وتقويه، وهنا أيضا نشعر بالغرابة والعجب من تحرج الاستاذ البزّاز من الـتطرق الى وجود بنود سرية في البيان مع العلم ان هذه البنود ليست خطيرة ولا تلحق الأذى بأحد، واتماما للموضوع نرى من الضروري القاء الضوء على هذه البنود غير المذاعة. يتعلق

البند الأول باستحداث لواء باسم لواء دهوك يضم الاقضية الكردية من لواء الموصل فيما لو رغب سكان المنطقة في ذلك. أما الثاني فيخص تبني الحكومة لسياسة اصدار العفو العام عن جميع السجناء والمعتقلين السياسيين على ان يجرى ذلك بصورة تدريجية، وعلى مراحل، مع مراعاة المصلحة العامة في ذلك. أما البند الأخير فيتعلق باجازة الحزب الديمقراطي الكردستاني ليمارس نشاطه بصورة قانونية عند صدور قانون الجمعيات الجديد.

هناك نقطة اخرى أثارها الاستاذ البزّاز في تعقيبه مفادها ان بيان ٢٩ حزيران ملزم لحكومته فقط، وان أية وزارة تأتي الى الحكم بعد وزارته حرة من حيث المبدأ في الالتزام بهذا المنهاج أو عدم الالتزام به.

وعلى الرغم من تبني السيد رئيس الجمهورية للبيان المذكور والتزام الحكومات التي أعقبت وزارة الاستاذ البزّاز به على الرغم مما رافق تنفيذها من تعثر وتلكؤ الا ان هذا القول يفرض على الشعب الكردي ان يكون على بينة من هذا الأمر ويبحث له عن ضمانات قوية تكون كفيلة بتطبيق مواد البيان بصرف النظر عن زوال الحكومات وتبديلها.

وأخيرا فاننا نتفق مع الاستاذ البزّاز بان حق المواطن العراقي المخلص عربيا كان أو كرديا ان يتساءل اليوم، ترى لو نفذ ذلك المنهاج كما كان يجب ان ينفذ أما كان بالامكان ان نتفادى بعض الآثار المفجعة التي أوجدتها النكسة أو في الأدق النكبة الثانية التي ربما كانت أكثر أيغالا في الشر من النكبة الاولى؟!

اننا نؤيد الاستاذ البزّاز تأييدا كاملا فيما يذهب اليه في هذا الخصوص، وندعو المسؤولين مرة اخرى الى المبادرة العاجلة لتنفيذ البيان لان المعركة مع العدو ما زالت محتومة، وستكون بلا شك قاسية وطويلة وهي تحتاج الى الاستعداد والحزم وتعبئة جميع الطاقات والامكانيات المثيرة.

وفي الختام فاننا نعد صدور بيان ٢٩حزيران ١٩٦٦ وفي عهد وزارة الاستاذ البزّاز عملا وطنيا تاريخيا مجيدا، استقبله شعبنا العراقي بأسره بالفرحة الغامرة، والحماس المنقطع النظير، وأيده أصدقاء شعبنا العراقي في مختلف أرجاء المعمورة. وان الجهات التي تقف ضد تنفيذ البيان المذكور، جهات حاقدة اتضحت من ظروف حرب اقتتال الاخوة على حساب دماء العرب والأكراد وستواصل مساعيها من اجل العودة بالبلاد الى الظلام والنكبات والويلات. ونرجو ان لا تدفع بعض الاعتبارات والضغوط التي تصدر من هؤلاء الاستاذ البزّاز الى محاولة

التنصل من العمل الوطني والمجهود المضني المشرف الذي بذله من اجل اعادة الأوضاع الطبيعية الى ربوع وطننا العزيز.

تعليق على التعليق

انني لم أر حاجة للتعليق في حينه على ما جاء في تعقيب التآخي المذكور في أعلاه، كما لا أرى حاجة الان للإفاضة في تباين وجهة نظري من جديد، لان رد التآخي جاء في جوهره مؤيدا لما ذهبت اليه. ويبدو ان الخلاف بيني وبينهم حول تسمية البيان يوشك ان يصبح لفظيا من وجهة نظرهم وبالنظر الى التفسير الذي بينوه. ولكنني-وانا رجل قانون قبل كل شيء-لا يمكنني ان أرضى بتسمية الأشياء بغير أسمائها الحقيقية، كما انني افهم من المصطلحات معانيها الدقيقة ومدلولاتها البعيدة المعنى، ولذلك كنت من أول الأمر محتاطا، وثبت تحفظاتي، وانا أتلو البيان المذكور. أما ما سمي بالبنود السرية فقد اعترفت جريدة التآخي بعدم وجود شيء سري وان الذي ذكرته هو تفسير لبعض البنود المعلنة.

انما هناك نقطة أود ان أؤكدها لاخواننا الأكراد وغير الأكراد، وهي انني لم اخضع من قبل لأي ضغط يتنافى مع المصلحة العامة حينما كنت امارس المسؤولية فعلا، وحين عزمت على حل هذه المشكلة توكلت، واتخذت القرار النهائي الذي يعرف أصحاب التآخي قبل غيرهم كم من الجرأة والاقدام كان يتطلب اتخاذه؟!. أما اليوم وانا خارج المسؤولية اشعر، كما كنت اشعر قبل تحمل المسؤولية واثناها بان السلم خير، وانه الطريق السوي لحل المشكلة. وطبيعي انني مدرك قيمة بيان ٢٩ حزيران وفخور به واعده، كما اعده الشعب، من اجل منجزات الوزارة.

ولذلك أود ان اطمئن الاخوان من جديد بأنني حين ابدي رأيا ابديه مخلصا لا ابتغي من ورائه غير الحقيقة، وخدمة هذا الشعب. فلست اذا مترددا، ولا خاضعا لأي ضغط كما تخشى جريدة التآخي.

وثمة نقطة اخرى لا ادري كيف غابت عن أذهان بعض اخواننا الأكراد، وكنت أتصور انهم سيدركون مغزاها بمسير يسير؟! انني حين أعلنت ان-الوزارات الاخرى حرة في الالتزام أو عدمه في البيان المذكور أردت-فيما أردت-ان اكشف زيف بعض الأدعياء الذين يقولون

وهم خارج الحكم أشياء يعملون ضدها حين يتولون المسؤولية. ان كشف زيغ هؤلاء وتضليلهم وتعريتهم أمر تقتضيه مصلحة العراقيين عربا وأكرادا.

تعليق على الرد على المذكرة[٧٥]

السيد رئيس تحرير جريدة الثورة المحترم

تحـية طيـبة وبعد، فأود ان أتقدم اليكم بالشكر على نشر المذكرة التي كان قد قدمها فـريق مـن المواطنين، قبل أيام، الى السيد رئيس الجمهورية، وكذلك لردك المنشور في العدد ٢١ والمـؤرخ ٢٧-١٢-١٩٦٧ على المذكرة المذكورة. ومبعث الشكر ليس هو "الموضوعية" "والبحـث الهـادئ البعـيد عن الانفعال والتعرض لشخوص موقعيها" كما قلت، في مطلع ردك المذكـور، ولكـن لمجـرد النشر لان في ذلك تمكينا للمواطنين من الاطلاع على وجهات النظر المختلفة-فيما احسب-اشد لو انك بادرت-خدمة للحقيقة-بنشر التعليق الآتية:

ان الشـيء الذي لا اخالفك فيه مطلقا هو قولك:"ان ذاكرة الشعب ليست ضعيفة كما يتوهم بعـض الساسة، وهي تحفظ وتذكر كل صغيرة وكبيرة، وانه أذكى من ان تنطلي عليه ادعاءات، أو تستهويه عبارات. فما دام الأمر كذلك، -وهو دون ريب كذلك-فلن يضير السلطات الرسمية اذن لو اتسعت صفحات جرائدها العديدة-وليس هناك اليوم جريدة غير حكومية-لهذا الرد، وان تترك الحكم، بعد ذلك، للشعب الذي يجب ان يكون له القول الفصل.

(١) وأول مـا اريـد ان أقوله بعد ذلك، ان ادعائكم، في صدر المقال، " الموضوعية"، "وعدم التعرض بالأشخاص"، باطل كل البطلان. ولا أدل على ذلك من ذكركم اسمي شخصيا نحوا مـن عشرين مرة في ردكم المذكور، مع الغمز والتعريض في كثير من الحالات، في حين ان المذكـرة كانـت موقعة من قبل عدد كبير من رجال البلاد، ولم نذكر فيها اسم شخص معين، ولم نتعرض لوزارة بالذات بالنقد، بل استعرضنا أوضاع البلاد العامة، وما يجب ان تكـون علـيه "سياسة الدولة". ولقد استبعدنا-رعاية للموضوعية التامة-عبارات كانت قد وضـعت بمسودة المذكرة وخشينا ان تفسر بأنها تعريض بأشخاص بالذات. من ذلك عبارة

---

[٧٥] لـم تنشر جريدة الثورة هذا الرد، وهي بذلك لم تخالف أحكام قانون المطبوعات فقط، بل أقامت رهانا قاطعا على ان الصـحافة الحكومـية لا تنشر الا ما يروقها، وقول بعض المسؤولين ان الجرائد التابعة للمؤسسة العامة للصحافة منبر حر لكل الآراء ادعاء باطل لا ظل له من الحقيقة.

"لوضع حد للشائعات التي تحطم الثقة بين الشعب وحكامه" التي كانت في المطلب الرابع في المذكرة بعد عبارة "وصيانة الأموال العامة".

(٢) والظاهرة البارزة الاخرى في ردكم على المذكرة، هي محاولة استعداء كل من تتصورون امكان استعدائه علي، حتى وكان الهدف من الرد هو جمع القوى للهجوم على "شخصي الضعيف". فلقد استعديتم السيد رئيس الجمهورية، وكان الأدب السياسي يقتضيكم عدم زجه لئلا يكون طرفا في الخصومات السياسية التي تشجر عادة بين المواطنين، وليبقى في مركزه السامي لأبناء الشعب كافة، وان اختلفت آراؤهم السياسية، وتباينت وجهات نظرهم في كثير من الامور. واستعديتم على الجامعة، ورجالها، والفئات القومية، والعمال، والفلاحين، والجيش. كما وان اتهامي بمخالفة الدستور يعني بالنتيجة استعداء الشعب كله. وبالنسبة للمخالفة الدستورية المزعومة-والمنسوبة الي عمدا دون سواي من المسؤولين-بجعل مدة انتخاب السيد رئيس الجمهورية لسنة واحدة، أود ان اسجل للتاريخ الحقيقة الآتية:-

ان أول من اقترح هذا الرأي هو احد القادة العسكريين من أعضاء المجلس، ولقد ثنى على اقتراحه هذا آخرون من عسكريين ومدنيين، ولم أدل شخصيا في الجلسة برأي. وحينما تبلورت الفكرة، وبدا انها مقبولة من الجميع - بما فيهم وكيل رئيس أركان الجيش حينذاك- دونتها في المحضر قبل ان يجرى الانتخاب، ويعرف من عسى ان يكون رئيسا للجمهورية. وانا اعتقد مخلصا اليوم- كما كنت أرى يومذاك - ان هذا الشرط - لم يكن دستوريا فحسب بل كانت فيه الصالحة العامة، بينما في ذلك مصالحة رئيس الجمهورية ذاته. ولو تم الالتزام بالمدة الزمنية المحددة، ولم يعدل الدستور المؤقت، وتمدد مرحلة الانتقال، لكان عندئذ سيصبح رئيس الجمهورية منتخبا من قبل الشعب مباشرة، أو من قبل ممثليه المنتخبين انتخابا حرا، وفي هذا تعزيز لمقام رئيس الجمهورية، وفيه تحقيق جدي لهدف أساس من أهداف ثورة الرابع عشر من تموز.

ان هذه الحقائق كلها، وما جرى في أثناء انتخاب السيد رئيس الجمهورية، وما طرح من آراء، بما في ذلك انتخاب مجلس ثلاثي لرئاسة الجمهورية على ان أكون احدهم، ورفضي لهذا الاقتراح - حين رضي به الآخران - لاعتقادي بمخالفته الصريحة للدستور المؤقت الذي يتكلم عن رئيس للجمهورية ولا يتكلم عن مجلس رئاسي-ان هذا كله مسجل في شريط كنت قد

أودعــته احدى خزائن مجلس الوزراء، وأرجو مخلصا الا تكون يد احد قد سطت عليه منذ ان تركت المسؤولية. انكم اذن باتهامكم لي بهذا الأمر، والزعم بأنني خالفت حكم الدستور المؤقت، واشــارتكم الى مسائل مكررة اخرى في هذا الصدد، قد هويتم الى مستوى مجلة معروفة، كان يصدرها شخص معروف. ولا اريد في هذا المقام ان اضيف الى صفاته شيئا اخر...

(٣) ولــم يكــن الرد موضوعيا وقد اتهموني بالكذب مرتين تطبيقا للمثل السائر (من مدح وذم كــذب مرتيــن). لقد زعمتم انني امدح الجيش الان وذممته من قبل. كما اتهمتوني بأنني ملأت المواقف والسجون بالناس، وكسرت أقلام الكاتبين. انني قرأت هذه العبارات مبتسما، وأتساءل مخلصا من الذي سعى جاهدا لاخراج اكبر عدد ممكن من المعتقلين والمسجونين السياسـيين؟ ومــن الــذي حقــق فعلا مبدأ سيادة القانون، وطمأن الناس على حرياتهم وكرامــتهم وأموالهم؟! ومن الذي كسر الأقلام؟ أنا ام الذين جعلوا الصحافة محتكرة تنطق بتوجيه ومقصورة على أقلام من طراز خاص!!!

ان الشيء الذي يستحق بعض التوضيح هو ترديد القول، بمناسبة وغير مناسبة، من فئات أنا جد عليم بدوافعها، بأنني انتقدت الجيش، أو ذممته، أو عاديته، أو في اقل تقدير احارب ضــباطه. تــرى هــل هذا صحيح؟ من هو الجيش؟ الجيش عندي هو عشرات الالوف من الجــنود، والمراتب، وضباط الصف، والالوف من الضباط الناشئين والأعوان، والمئات من القــادة ممن هم ما يزالون في المسلك. أقول ان هؤلاء كانوا دائما وأبدا موضع تقديري. ولقــد عملــت فــي سبيل الجيش، في داخل العراق وخارجه، وصنت له كرامته، ورعيت حقوقــه، يــوم كنــت مسؤولا بما لا يمكنني الافصاح عنه الان. ويوم يحين الوقت لنشر مذكراتــي يــتاجر باســم الجيش؟! الحق انني قلت في ندواتي التلفازية، يوم كان الرئيس الــراحل، والضــابط القــيادي الحر، وأبو الثوار "عبد السلام" حيا ان الشعب قد ملّ الحكم العســكري، وانــه يكره ان يرى الدبابات في الشوارع، وان الوقت قد حان لان يتحقق في العــراق حكم دستوري هادئ رتيب. قلت هذا واقرني الرئيس- طيب الله ثراه - على هذا، وأيدنــي الشــعب - وما يزال يؤيدني في هذا - وأكاد اجزم ان الجيش بجنوده، وضباطه وقادتــه، يؤيدون هذا المسلك، ويعتقدون، كما يعتقد الشعب، بان خير البلاد يتحقق حينما تعــود الشــرعية الــتامة لهــذا القطــر، ويستفتي الشعب، وان لا تبقى فئة صغيرة من المتقاعديــن، من عسكريين ومدنيين، وممن ينضوون تحت أجنحتهم من بعض المتهالكين

على السلطة، يزعمون ان لهم- ولهم وحدهم - حق الولاية على هذا الشعب. انني انكرت هذا من قبل، وانكره اليوم، وسأبقى منكرا له الى ان يتاح للمواطنين كافة، ان يعبروا عن ارادتهم الحرة، غير عابئين بدعاوى أصحاب الادعاءات العريضة، والبطولات المزعومة...

(٤) ولعل اغرب ما في الرد تساؤل كاتبه لماذا اغضب شركات النفط العاملة في العراق ولو بتصريح أو حديث أو ندوة تلفازية؟ ولست ادري أمهمة رئيس الوزراء المسؤول ان يجمع الخصوم والأعداء للعراق، أم ان يعمل على حل مشاكله بكل طاقاته، ويحقق الخير لأبنائه؟!

ومرة اخرى ازجي الشكر لكاتب الرد، أو كتابه (فاغلب الظن ان حشدا قد اعد للرد عليّ) لاعطائي الفرصة لبيان السياسة النفطية التي كانت تسير عليها وزارتي. وأود ان أقول، منذ البداية، انني كنت من اشد الداعين للاستمساك بقانون رقم(٨٠)، وحين شعرت ان بعض المسئولين يومذاك كان مترددا حوله، ثبت آرائهم بتقاريري يوم كنت سفيرا في لندن، وهي موجودة في وزارة الخارجية. وقد أفهمت المدير الاجرائي لشركة النفط العراقية حينما زارني في السفارة ان أية محاولة للضغط على أية حكومة في العراق لتعديل ذلك القانون ستذهب عبثا. ان ذلك القانون كان مكسبا حقيقيا للثورة ولن يجراء احد على تعديله، كما تريد الشركات. ولقد دافعت عن هذا القانون يوم كنت سكرتيرا عاما في منظمة "اوبك"، وأسهمت في الحصول على بعض المنافع للعراق، ودول المنظمة، حين تقرر مبدأ "تنفيق الريع".

وعندما تحملت المسؤولية وجدنا اتفاقا (أو مشروع اتفاق) كان قد اقره الوزير المختص، وأيدته الحكومة القائمة حينذاك، والتي كان يرأسها رئيس الوزراء الحالي، وان لم يتم تشريعه بالنظر للخلاف الذي نشب حوله في مجلس قيادة الثورة. وانا لا أقول ان الاتفاق كان عملا خيانيا.

ان المفاوضين العراقيين حينذاك بذلوا ما في وسعهم من جهد، وحصلوا على أشياء نافعة. وعلى الرغم من ان الحكومة السابقة كانت قد أدخلت المبالغ التي سيحصل العراق عليها لو تم الاتفاق مع شركات النفط في ميزانيتها العامة مما يدل على عزمها على تصديقه، ولكني كنت اشعر ان هناك مجالا للحصول على شروط أفضل، وكنت انتظر الفرصة المواتية للتفاوض مع الشركات حين يكون باستطاعتنا ان نساوم ونحن في مركز القوة. ولكن وضع العراق يومذاك كان مضطربا، والأوضاع الداخلية مقلقة من عدة وجوه،

اضـــطرابات في شمالي الوطن، ووضع اقتصادي متأزم، ووضع نقدي ومالي خطير. ولذلك حيـــنما كلفني الرئيس الراحل بمسؤولية الحكم اتفقت معه على لزوم ترك قضية النفط في الوقـــت الحاضـــر جانبا، اذ لدينا في قائمة "الأسبقيات" أعمال كثيرة يجب ان ننصرف اليها بكل قوانا، حتى اذا ما حققنا تقدما ونصرا يصبح في استطاعتنا ان نفاوض الشركات ونحن في وضع يسمح لنا بالمساومة، والحصول على مزيد من المكاسب يضاف الى هذا كله، لقد كنت اشعر ان ثروات البلاد الطبيعية -والنفط اجلها وأهمها- يجب ان لا يتعجل في الاتفاق حولهـــا، كما يجب الا تكون قاصرة على فئة دون اخرى، كما يجب ان يستفتي الشعب كله بما في ذلك اخواننا الأكراد الذين لم يكونوا ممثلين في الوزارة بالدرجة التي تجيز لرئيس الـــوزراء المسؤول ان يبت في أمر خطير كهذا. لقد كاشفت ممثلي الشركات بهذه الحقيقة حيـــن زارني في مكتبي وهي اننا لن ندخل معهم في مفاوضات جديدة حتى نحقق انجازات فـــي داخـــل الـــبلاد ونحقـــق الوحـــدة الوطنية. وأود ان أقول بعد هذا بان سياسة السب والتعريض بشركات النفط أو غيرها لا تخدم مصلحة العراق، والشركات لا تعبا بالسبابين، ولكنها تهتم كثيرا بالمدركين العارفين أسرار النفط ومشكلاته، القادرين على انتزاع حقوق العـــراق بروية دونما تطبيل أو تدجيل أو تهديد فارغ يذهب مع الريح. وأكثر من ذلك انني اعـــد السب والنقد المتكرر الذي لا يستند الى الحقائق، في أحسن الأحوال، عملا صبيانيا. واذا مـــا أراد المـــرء ان يسيء الظن فقد يتصور ان الذين يكثرون من السب والشتائم قد يقصدون من وراء ذلك عمل غطاء لإخفاء صفات مريبة...

(٥) وثمة كلمة حول شمالي الوطن وبيان ٢٩ حزيران. لقد سرني اعلان الحكومة عن التزامها به وسعيها في تنفيذه، ولكن الم يكن من المروءة الاعتراف للذين عملوا أياما وشهورا الى ان توصـــلوا الـــى هذه النتيجة، وقضوا على الاقتتال بين الاخوة بكلمة ثناء، ولو بصورة عابـــرة؟ ومـــع ذلك فانا أرجو من الصميم ان يثق اخواننا الأكراد بنوايا الحكومة الحاضرة ورغبتها في إسدال الستار على تلك المأساة. ولكنني لا أتمالك ان أتساءل هل ستحقق هذه الـــثقة في الوزارة الحاضرة وفيها وزراء يعرفهم اخواننا الأكراد؟ كان احدهم يعارض حتى استعمال اللغة الكردية في المدارس الابتدائية، وبعد ذلك تأييدا" للانفصال. وكان ثانيهم يرى ان البـــيان المعـــد (والذي عددته متمما لمنهاج الوزارة) يشبه معاهدة بورتسموث ولذلك رفـــض المشاركة في وفد أهلي يذهب الى شمالي الوطن ليساعد في خلق جو ودي لاعادة

الصـــفاء والتآخـــي بين أبناء الوطن الواحد، وتهيئة المناسبة لتنفيذ المواد الاثنتي عشرة المعـــدة فـــي البـــيان المذكـــور. أما ثالثهم فكان يعلن على رؤوس الاشهاد - قبل توليه المسؤولية طبعا-ان بيان ٢٩ حزيران كوعد بلفور يخلق وطنا قوميا جديدا في قلب الوطن العربي وقد سماه بالنكبة الثانية التي تحل بالامة العربية بعد النكبة باسرائيل.

ولســـت اريد ان أقول شيئا عن رأي السيد رئيس الوزراء بالبيان المذكور فقد كانت له - والحق يقال - آراء شتى تختلف باختلاف جلاسه والظرف الذي يتحدث فيه ...

ومـــرة اخـــرى اوافـــق جريدة الثورة حين اختتمت تعليقها المذكور بالآية الكريمة،(يا أيها الذيـــن امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون.) والله يعلم من هـــم الذين يقولون ما لا يفعلون، ومن هم الذين يفعلون ثم يقولون ... والشعب - شعبنا العظيم - يعلم جيدا من هم الذين يفعلون في النهار خلاف ما كانوا يصرحون به في الليل.

الخـــاتمـــة

" وكان من الممكن ان نجعل عنوان هذا الفصل: لمن الحكم؟ أو من الذي يحكم؟ ومهما اختلفت صيغة السؤال، فان النقطة الأساسية واحدة، وان الاجابة عن هذا السؤال، على أية صورة من صوره، شاقة، وانها كانت موضع اختلاف شديد في الرأي منذ ان اخذ الاجتماع الانساني طابع هيئة منظمة ذات سيادة، هي التي نسميها اليوم "الدولة". وليس من غرضنا ان نعالج هذا الموضوع الخطير معالجة علمية، نستقصي فيها الآراء العديدة، وننقدها نقدا موضوعيا. ولكننا نستطيع بايجاز ان نقول ان الآراء الرئيسة حول هذا السؤال، قد تأخذ صور الأجوبة الآتية:

فيجيبك المؤمن "بالدولة الدينية" ان الحكم لله، ويجيبك المؤمن "بالحق المقدس للملوك" ان الحكم لصاحب التاج، ويجيبك "الارستقراطي" بان الحكم للنبلاء وسراة القوم، ويجيبك المعتقد بالنظام "الاولكركي" بان الحكم للصفوة المختارة من أصحاب المعرفة الفنية، ويجيبك المؤمن بالنظام "الدكتاتوري" بان الحكم للزعيم الذي يستند الى جيش أو حزب منظم، ويجيبك " الشيوعي" بان الحكم للكادحين وللطبقة العاملة، ويجيبك المؤمن بالنظام الديمقراطي الحق: ان الحكم للشعب...

ونحن اذا ما انتقلنا من المحيط العام الى بيئة العراق الخاصة، وحاولنا ان نوجه هذا السؤال الى الحاكمين، أجابونا بالسنتهم ان الحكم للشعب، في حين تضمر قلوبهم، كما تكشف عنها أفعالهم، وأقوالهم الخاصة-حين يخلون الى أبناء طبقتهم-ان هذا الشعب لا يملك ان يحكم نفسه، بل هو، في نظر بعضهم، غير جدير بهذا الحكم. وعلى الرغم من ان العراق دولة دستورية نيابية، وان القانون الأساس قد نص على ان السيادة للامة، ووضع مواد لحماية حقوق الشعب الأساسية، فان تلك المواد ذاتها قد صيغت بتلكؤ ظاهر...وانها في التطبيق العملي قد استحالت الى شيء تافه لم يحقق لمجموع الشعب الحرية الكاملة التي يتمتع بها الأفراد في ظل الحكم الديمقراطي الصحيح في المجتمعات الراقية"[٧٦].

على "ان متطلبات الحكم الديمقراطي ان يصبح رئيس الدولة الأعلى رمزا للامة، ومظهرا لسيادتها، وهو حين يضعه الدستور فوق القانون، يريده ان يسود ولا يحكم،

---

(٧٦) ينظر ص ص٩٦و٩٧ و٩٨ من كتابي "ثورة العراق هل كانت حتمية؟ صفحات من الأمس القريب"، ط١، بيروت ١٩٦٠.

وان يكون للشعب بمجموعه وعلى اختلاف أرائه، لا طرفا في الخصومات التي لا بد ان تشتجر بين احزابه وهيئاته.

وهـو يتطلب ان يكون القضاء سلطة عليا قائمة بذاتها، غرضها الأول تطبيق القانون بين الناس واشاعة الطمأنينة بين أفراد المجتمع جميعا، وان لا يكون لاحد سلطان على القضاة، وان يصانوا من كل ما يؤثر في استقلالهم أو يحيط منازلهم كالعزل والنقل والإحالة على التقاعد الا في حدود نصوص قانونية قاطعة يناط تطبيقها بهيئة مستقلة منبثقة من القضاة أنفسهم.

والديمقراطـية فـوق ذلك، وقبل ذلك، تتطلب ان يصبح الحكام (أي السلطة الإجرائية) أداة لتنفـيذ القانون، وخدمة الامة التي لها، ولها وحدها، السيادة، وهم اجراؤها الذين يشغلون مراكزهم نيابة عنها، ويعملون باسمها، ويحسبون لمرضاتها كل حساب.

فـاذا تحقـق هذا - وقمين بنا ان نجد في سبيل تحقيقه-لن يردد الناس، كما كان أبو علاء المعري، قبل نيف وألف عام يردد:

مل المـقام فـكم اعاشـر امـة   أمرت بغير صلاحها امـراؤها

ظلموا الرعية واستباحوا كيدها   وعدوا مصالحها وهم اجراؤها[٧٧]

وقوميتـنا "شـورية تؤمـن بسـيادة الامة، وتعد مصلحتها قبل كل شيء، وترى في الديمقراطـية الصحيحة السليمة الطريق السوي، الذي يكفل الحرية والكرامة للمواطن العربي، ويحقق الخير العام للامة العربية.

وهـي لذلك تمقت الاستبداد- طبقيا كان أو فرديا"- وترى ان الاصلاحات العمرانية، والتقدم المادي الذي قد تحققه "الدكتوريات" لا يمكن ان يحصل الا بدفع عوض هائل من كرامة الامـة، وحريتها، وأعصابها، وهي ترى ان كل نظام استبدادي يناهض طبيعة الامة العربية من حيـث الأسـاس، ويعـارض الحقائق النهائية التي ترسبت لهذه الامة من تاريخها المجيد الذي سـتردد فـيه علـى امـتداد الزمـن، تلك العبارة "الخالدة" التي قالها عمر مخاطبا عمرو بن العاص:متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرار؟...

ومـع ذلك تقرر قوميتنا ان الديمقراطية والحرية ليستا كلمتين سحريتين تتحققان عند اعلانهمـا، أو تـرديدهما، بل انهما قبل كل شيء نتيجة تربية، وتثقيف، واعداد قومي، وتطور اجتماعي. وعلى هذا فيجب ان تقوم سياستنا التعليمية على هذا الأساس. وان من الخطر الشديد

---

[٧٧] ينظر ص ص٤١ و٤٢ من كتابي "أبحاث وأحاديث في الفقه والقانون" مطبعة العاني-بغداد ١٩٥٨.

علـــى حـــياة الامة ان يتمسك فريق من أبناء الامة العربية بمقاليد الامور، ويحول دون تمكين الامة بمجموعها من ممارسة حقوقها الطبيعية في حكم نفسها بنفسها. وان ما يزعم هذا الفريق مـــن مـــزاعم، ويبيـــن من حجج، ويصطنع من ذرائع لتبرير الأوضاع غير السليمة القائمة في بعـــض أجـــزاء الوطن العربي، لا يمكن ان يقتنع بها أي انسان مدرك. ولا بد للامة ان تمارس حقوقهـــا وان وقعـــت بسبب ذلك في بعض الأخطاء أحيانا. وقديما قيل: ان من يخشى الخطأ لا يعمل شيئا. وافضل للامة كثيرا وان تخطا في استعمال حقوقها الديمقراطية حتى تصل-ولو بعد حيـــن-الـــى طـــريق القويم السوي، من ان يستأثر فرد، أو بضعة أفراد، فيركبونها كل مركب خشـــن، ويقحمونها كل سبيل وعر، بحجة انهم الصفوة الممتازة القادرة وحدها على ادراك خير الامة ومصلحتها...

وعجيـــب ان تـــنجح الديمقراطـــية في الهند وهي شبه قارة، وفيها عشرات الأجناس والأديـــان والطـــبقات والـــثقافات، وان يـــزعم زاعم انها ستخفق لو طبقت باخلاص في الوطن العربـــي، والعـــرب امة واحدة، تتكلم لغة واحدة وتشترك في مقومات فكرية واحدة، أو متقاربة الى حد بعيد، وهم بعد ذلك أحرار بفطرتهم"[٧٨].

لـــم أر في هذا المقام ما اختتم به الصفحات أفضل من البحث في الديمقراطية بوصفها المخـــرج العملـــي لازمة الحكم التي تتخبط بها أكثر من دولة عربية، وغير عربية، في عالمنا الـــيوم. ولم أر أدق في الدلالة، وابلغ في المعنى- في الظرف الذي نعيش فيه – من ان اقتبس فقـــرات مـــن ثلاثة كتب كنت قد كتبتها في العهد الملكي حين كنت استاذا يدرك ان واجبه الأول البحث عن الحقيقة، والتعبير عنها بصدق ووضوح.

والـــيوم وقد تطورت دنياي، كما تطورت دنيا كثيرين غيري، بل ودنيا الناس كافة، لا أرى ابلـــغ، اوادق، في التعبير عن حاجتنا الحقيقية لحل التازم الشديد القائم مما أسلفت اقتباسه قبل قليل...

ولست، بطبيعة الحال، أنكر بعض التغيرات التي حصلت، كما لست اريد ان نجمد على صـــيغ وقوالب كنا فيما مضى نستمسك بها. ولكن الجوهر الفرد-ان صح هذا التعبير-بقى هو هو، والحاجة الماسة للتغيير بقيت هي هي، والشكوى المريرة من الأوضاع الراهنة لم تزل هي هي، ان لم تكن قد ازدادت مرارة وضراوة في بعض الأحيان من بعض الوجوه.

---

[٧٨] ينظر ص ص١٦٠ و١٦١ من كتابي" من وحي العروبة"، دار القلم-القاهرة.

ان الـذي ينجينـا حقـا مما نحن فيه من وضع لا نغبط عليه هو الرجوع الى الشعب رجوعا حقيقيا بان نقرن القول بالعمل، وان نجد في هذا العمل غير القوانين ولا متلكئين، لنمكن الشعب بأسرع وقت مستطاع، من ممارسة حقوقه الديمقراطية وحرياته العامة كلها، وان نبطل عهـد "الوصـايات"؛ وصـايات الأفـراد، أو وصايات الفئات الصغيرة، أو الطبقة المتحكمة، أو الجهات التي تزعم انها هي من دون سواها الشعب ولها الحرية، ولا حرية لمن تسميهم بأعداء الشعب.

وغنـي عن القول انني في دعوتي الى الديمقراطية، والى الحريات العامة، ولا اطالب بـالاطلاق المطلـق، ان صـح هذا التعبير، ولا أنكر الصعوبات الحقيقية التي ستعترض سبيل القابضـين علـى ناصية الحكم. ان المهم عندي،-في هذه المرحلة بالذات- هو الايمان العميق بحـق الشعب ايمانا يخالط أرواحنا ودماءنا ووجودنا، ويملك علينا مشاعرنا، ثم العمل بعد ذلك بدأب واخلاص، أو دونما مماطلة أو تسويف، في السير في هذا الطريق الى نهايته.

ان الأخطـاء المحـتملة (وهناك بالتأكيد أخطاء ستقع عند تمكين الشعب من ممارسة حـرياته الديمقراطـية)، وان المتصـورة (ويجب ان نسلم بوجود عناصر السوء في أي نظام ديمقراطـي سنصـطنعه) اقـل من أي نظام اخر نتبعه، وسيكون الثمن الذي سندفعه من دمائنا وأعصابنا وكرامتنا اقل بكثير من أي نظام حكم اخر قد تسول لنا أنفسنا الاستمساك به.

وقد يقول قائل: ان هذه الدعوة للديمقراطية ستقضي على الثورة، وستعيد رجال العهد البائد، وستمكن الرجعية من العودة الى نفوذها، وسيستطيع عن طريقها ان يندس الرأسماليون والاقطاعيون، وقد يبلغون مراكز القوة من جديد. وانا اعتقد مخلصا ان ليس هناك مسبة أبشع مـن هذه توجه الى شعبنا، ولا تهمه أوغل ضلالا" تلصق به من هذه التهمة. ان الذين يقولون بهـذه الآراء الفاسدة يتهمون شعبنا جملة بالغباء والجهل والجبن والتفسخ وكل منقصة اخرى من هذا الطراز، وانهم في ذلك لمفترون. ثم انهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون، يزكون العهد الـبائد حيـن يقولـون هـذا القول، وكأنه كان فعلا ديمقراطيا، وان حكامه القدامى المستبدون الأنانيون كانوا يحكمون العراق بإرادة الشعب ولمصلحته ...يالها من فرية، وياله من غباء!!..

ان شـعبنا قـد ثـار علـى العهـد البائد-وثورته كانت حتمية ومحقة- لأنه لم يكن ديمقراطـيا، بالـرغم مـن وجود بعض مظاهر الديمقراطية، وظهور بعض الأصوات الحرة في المجالس النيابية السالفة بين حين وآخر.

ان العراقيين قد اغتبطوا بالثورة غبطة لا يستطيع ابلغ الكتاب تصويرها، لأنهم كانوا يرتقبون فجرا جديدا يبدد بنوره الساطع ظلام حياتهم، ويشق بسناه اللامع أمامهم آفاقا جديدة تقربهم خطوات كبيرة نحو ما كانوا يطمحون اليه. ولم يكن هدف شعبنا قط استبدال حاكم بحاكم، ولا تغيير نظام حكم بنظام اخر، ولا الاستعاضة بشعارات وهتافات عن شعارات وهتافات اخرى، ولا استعمال ألقاب بدل ألقاب...ان شعبنا الذكي الشجاع كان يهدف الى شيء أعمق من هذا، واجل من هذا. ولا ينكر هذه الحقائق الا احد شخصين، موتور عميت بصيرته، أو جاهل يتحكم فيه الغباء فلا يدرك حقائق الوجود، ولا طائع المجتمعات.

ومن الطبيعي ان شعبنا كان سيرضى، بعيد الثورة، بمرحلة انتقال معقولة، يتيح خلالها "للصفوة" أو "للقيادات الثورية" ان تصرف الامور لأمد قد يطول بعض الشيء حين تتسم تلك الصفوة "بالارستقراطية الفكرية" التي عد افلاطون في "جمهوريته" من صفائها:"ان يكون للحاكم رغبة ملحة لمعرفة كل الوجود الحقيقي، وكراهية للباطل، وتعلق بالحق، واحتقار لملذات الجسد، وعدم الاهتمام بالمال، مع سمو العقل وسماحته، فضلا عن الى الاتصاف بالعدالة، وسرعة الفهم، والذاكرة الجيدة...".

وكان الشعب سيرضى، لحين من الزمن ان يناط الأمر بغير ممثليه المنتخبين، حين تصح الأوصاف التالية في الوزير، كما صورها"المأمون" حين قال:"اني التمست لاموري رجلا جامعا لخصال الخير؛ ذا عفة في أخلاقه، واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ان اؤتمن على الأسرار قام بها، وان قلد مهمات الامور نهض فيها، يسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللمحة، له صولة الامراء، واناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء...يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه، وحسن بيانه."

ترى كم من وزرائنا في عالمنا العربي كله من تنطبق عليه هذه الصفات؟!.

أما والحالة كما نعرفها، أما وقد ولي الحكم في العراق اناس لو تمنوه حلما لخيبوا، على حد قول الشاعر المحدث:

تولى العراق الحكم ناس   لو تمنوه حلما في المنام لخيبوا

فلا سبيل للعراق، اذا ما اريد له ان يتفادى الفتنة الطامحة، أو الثورة الجامحة، غير الرجوع الى الشعب رجوعا صادقا مخلصا. وطبيعي ان هذا المطلب عسير، ولكنها المطلب الأسلم والابقى على الزمن.

وانـــه لمن المتصور ان يتجاهل الشعب اناس تولوا زمام الامور، وارتقوا الى السلطة بالقوة، راكبين دباباتهم، ومسددين مدافعهم، وحاملين رشاشاتهم، ومعرضين أنفسهم للموت في سبيل فكرة قد يعتقدون مخلصين أنها صالحة، وبها يحققون للمجتمع الخير الذي يريد. قد يكون لمـــثل هؤلاء - ونحن نعرف طبائع البشر - بعض الحق فيما يتصورون. ولكن المؤلم حقا ان يشـــارك فـــي تـــبرير منطق القوة هذا اناس كان من المفروض فيهم بحكم ثقافتهم، وماضيهم، والمراكـــز العلمـــية التي شغلوها من قبل، ان يكونوا اقدر من غيرهم على فهم الواقع، وادراك طبائع المجتمع وحاجاته الحقيقية.

ان العجب يتملكني، كما يتملك الكثير من المواطنين، حين نرى شخصا يمثل-ولا أقول يتحدث-وهو يبرر حرمان المواطنين من حقهم المقدس في إبداء الرأي الذي لن يتاتى في اطار صـــحافة تملكها الدولة وحدها. وهو حين يتحدث بهذا النكر، ينكر ماضيه، ودراسته، ومهنته، ويتنكر لسابق أقواله وأفكاره!..

والعجـــب العجـــاب يأخذني، وانا استمع، عن طريق غير مباشر، عن آراء بعض من يتصـــورون أنفسهم من كبار المربين أو فلاسفة التربية، أو شيوخ اللغة والأدب، وهم يفلسفون سياســـة القسر في ارغام الشعب على الانخراط في منظمة واحدة تحمل معها كل بذور فشلها. وعلى الرغم من الجعجعة الضخمة لم تستطع ان تضم في كنفها غير نفر من أصحاب الهوس، أو الذمـــم التـــي تشـــترى، أو الطموح الذي لا يتناسب مع حقيقة ملكاتهم، مع فريق صغير من حســـني النية من المغرر بهم. ترى هؤلاء جميعا يكررون كالببغاوات عبارات لا ترقى حتى الى مـــنزلة الهراء وسخيف القول وتافهه. لقد صح في هؤلاء المتزعمين قول الرسول الأعظم "شر الناس من باع اخرته بدنياه، وشر من ذلك من باع اخرته بدنيا غيره".

ولســـت ادري لم تزدحم القصة الصغيرة الآتية في ذهني، وتفرض نفسها علي فرضا، وكنـــت قـــد قرأتها حين درست تاريخ القانون الروماني: حينما طلب الامبراطور "كريكولا" من الفقـــيه الأعظم "بابنيانوس" ان يعد له خطابا، يلقيه في مجلس الشيوخ في روما (السناتوس)،

يبرر فيه قتل الامبراطور لأخيه، قال ذلك الفقيه الأعظم حقا:"ان تبرير جريمة قتل الأقرباء لهي جريمة أبشع من جريمة القتل ذاتها"[٧٩].

ولنقل لهؤلاء السادة أصحاب المراكز الجامعية والشهادات العلمية الرفيعة، ان تبريركم لظلـــم الظالميـــن، واستبداد المستبدين، وفساد المفسدين، لأبشع من الظلم والاستبداد والفساد، وصدق الله العظيم حين قال في محكم كتابه:"قل هل انبئكم بالاخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا".

ولئن كانت الديمقراطية تحل أزمة الحكم، أو تعطينا، في الأقل، الأمل في انقاذ الوضع السياسي المتأزم في البلاد، فان هناك تأزما اجتماعيا، بل آفات اجتماعية لا حصر لها، تقف في أعلاها "المشكلة الأخلاقية" ستبقى مستعصية الحل الى زمان ليس بالقصير.

ان مشـــكلتنا الكـــبرى، كمـــا قلت قبل ثماني عشرة سنة-والمؤلم ان هذا القول يصح اليوم، وربما مع تأكيد اشد-هي: التدني الخلقي.

فحيـــن "يسال سائل: ماهي مشكلتنا الكبرى، اهو "الجهل" الذي يخيم على عقول وأفكار أكثر أبناء الامة العربية، ويحول بينهم وبين ادراك أسرار هذا الكون، والاستنارة بنور المعرفة الوهاج؟

ام هـــو "المرض" المتفشي بينهم على اختلاف بيئاتهم، والمتوطن منذ قرون كثيرة في أقطـــارهم، أو الذي يفدهم بين حين وآخر من هنا وهناك؛ ذلك المرض الذي يقضي في كل عام على الاف وعشرات الالوف منهم، ومن يبقى منهم يبقى في سقم دائم، وهزال مخيف، وضعف عصـــبي يجعلهم اقل قابلية على الانتاج المثمر، واقل استمتاعا بمباهج الحياة وملذاتها، ويترك القليلين يرفلون بنعيم العافية، ويتمتعون بجمال الصحة التامة؟

ام هـــو "الفقـــر" المدقع الذي يقاسى منه أكثر أفراد الشعب في هذا القطر وغيره من أقطـــار العروبة؛ وذلك الفقر الذي جعل حياتهم الاقتصادية في مستوى واطئ وحال بينهم وبين تحقيق مطا ليبهم الأساسية الضرورية اللازمة لكل مخلوق حري بان يطلق عليه لفظ الانسان؟

---

[٧٩] يـــنظر نبذة عن حياة هذا الفقيه- الذي هو من حمص في سورية- في ص ص٢٢١ و ٢٢٢ من كتابي"الموجز فـــي تـــاريخ القانون" المطبوع في بغداد سنة ١٩٤٩. ولقد قال الفقيه الفرنسي "كوجاس" عنه: انه أعظم فقيه كان أو سيكون، ومنزلته بين الفقهاء كمنزلة "هويردس" بين الشعراء.

اهـو "الاستعمار" الذي انشب اظفاره في جسم الامة، وقطع أوصالها، وهد من قوتها، وجعـل مـنها عـددا مـن الدويلات وأشباهها من امارات ومحميات، وحال بينها وبين "الكيان الموحـد" المحـترم الخلـيق بامة يبلغ تعدادها زهاء السبعين مليون نسمة(٨٠)، ذلك الاستعمار السـافر في بعض أجزاء الوطن العربي والمقنع في بعضها الآخر، والذي يظهر اللين والمخاتلة والمصانعة حينا، والشدة والبطش والتنكر في أحيان اخرى؟

وقـد يقـول قائل: افليس في انشاء "دولة اسرائيل" البغيضة في اعز بقعة من ارض العـروبة، واهـم مـنطقة فيها من كل النواحي الجغرافية والعسكرية والتاريخية، يكمن الخطر الأعظـم، والمشـكلة الكبرى، والسرطان الذي يوشك ان يفتك بجسم الامة كلها، فيهدم كيانها، ويقضي قضاء تاما على ما تبقى من معالم العروبة؟

ولسـت اشـك ولا احسب ان أحدا غيري يشك، في ان الجهل مشكلة؛ مشكلة خطيرة، وان المـرض مشكلة، ومشكلة عظيمة، وان الفقر مشكلة؛ ومشكلة مهمة، وان هؤلاء الأعداء الثلاثة تجب مكافحتها في كل قطر يريد العيش باطمئنان وسعادة. ولست اشك أيضا، ولا احسب ان أحـدا غـيري مـن المخلصـين يشك، في ان الاستعمار مشكلة أساسية من مشاكلنا، وان الصـهيونية التـي خلقـتها دول الغرب المستعمرة، وغذتها، مشكلة على غاية من الخطورة، وحرية بكل تنبه واهتمام.

ولكن مع هذا كله أرى ان هنالك مشكلة أهم من هذه المشكلات جميعا، وهي اشد منها فتكا في كياننا، وأعظم خطرا على مستقبل امتنا، وهي التي سميتها بـ"المشكلة الكبرى" واعني بهـا "التدنـي الخلقـي" الـذي نحسه ونلمسه ونبصره بين كثير من أبناء هذه الامة في شتى أقطارها، ومختلف طبقاتها...

وقد عملت عوامل كثيرة على ايجاد هذا التدني الخلقي، الذي نشكو منه أمر الشكوى، والـذي لسـت الان فـي صدد استقصائه، ولكن مما لاشك فيه ان الاستعمار الأجنبي، والفقر،

---

(٨٠) تعداد العرب اليوم يبلغ أكثر من مائة مليون.

والجهل، والحروب، والنكبات التي أصابت هذه الامة قد تضافرت جميعا فادت الى هذه النتيجة المؤلمة التي توشك ان تؤدي الى الانهيار التام[٨١] ...

ونستطيع ان نعد"فساد الحكم" احد العوامل المهمة التي أدت الى التدني الخلقي الذي وصفناه. ان استبداد الحاكمين واستئثارهم بالسلطة في أكثر من بلد عربي له أثره الفعال في سلوك المواطنين، وخاصة المثقفين منهم. وسواء صح القول المأثور"الناس على دين ملوكهم"، أو الحكمة الشائعة" كيفما تكونوا يول عليكم" ام لم يصح، فهناك تعاطف كلي، وتجاوب تام، بين نظام الحكم وخلق المواطنين...

ففي ظل النظم المستبدة يتفشى النفاق، وتسود التقية. وفي ظل أنظمة الحكم الهزيلة تنتشر الرشوة والفساد، ويكثر الانتهازيين الطامعون في المال. وفي ظل الحكم الحزبي الضيق المتسلط يعم التصحب، وتنعدم الكفايات، ويصح القول المأثور "كذاب ربيعة خير من صادق مضر"؛ فالحزبي أولا، وهو اولى بالمراكز الرفيعة، وان كان أحمقا جاهلا لا يدرك معاني الحكم السليم.

على حين نرى في ظل النظام الديمقراطي السليم تسود الحرية، وتقل عقد المواطنين ويسود الاعتدال والتسامح، اذ يستطيع كل فرد وكل فئة ان تعبر بحرية واطمئنان عن وجهة نظرها، في اطار من سيادة القانون الرادع في غير ما تحيز أو تطرف. وقد تساعد الديمقراطية على انتشار بعض المساوئ الخلقية، ولكن بموازنتها مع غيرها تكون اقل خطورة، وهذا شر لا بد منه.

ان الانهيار الخلقي الذي نبصره بين المثقفين خاصة اليوم ظاهرة تدعو الى القلق الشديد، وتدفعنا الى الاشفاق على مستقبل شعبنا وامتنا. ان انعدام المقاييس المستقرة السليمة في الحكم صار يشجع الشباب الطامح من أصحاب الشهادات على سلوك اقصر طريق لكي يبلغوا اربهم غير عابئين بمبادئ الأخلاق، ولا ملتزمين بمثل عليا. ولذلك يرى الكثيرون من

---

[٨١] ان هذه الفقرات مقتبسة من حديث كنت قد أذعته من دار الاذاعة في بغداد في سنة ١٩٥٠، وان كنت قد أدخلته في كتابي "نظرات في التربية والاجتماع والقومية" الذي طبع بعد ذلك. وكذلك لمقتبسات سابقة وان كان طبعها في كتاب جاء متأخرا ولكنها كانت كلها قد كتبت قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بمدة من الزمن.

ان تأكيدي هذا الأمر له مغزاه، فالأفكار التي أتنادى بها اليوم هي التي كنت أتنادى بها قبل الثورة، وما كنت أقول به بصفتي المسؤول عن سياسة العراق مدة من الزمن هو الذي كنت أقول به بوصفي مواطنا اعتياديا سواء بسواء.

هؤلاء يتذبذبون بين أقصى اليمين وأقصى اليسار بين عشية وضحاها، وكأنهم هم المعنيون بالحديث المأثور: "يصبح المرء مؤمنا ويمسى كافرا، أو يمسى كافرا ويصبح مؤمنا". والدافع الأساس الى هذا التذبذب الشنيع الأنانيات المتحكمة، والمنافع الشخصية الطاغية. وهناك عشرات، بل مئات من النماذج الحية التي تنطبق عليها هذه الصورة القاتمة من الشباب الذين لولا اضطراب نظام الحكم، والتسامح بالسلوك اللااخلاقي، لبقوا -بالنظر الى دراستهم وسابق اعدادهم- عناصر نافعة في حدود مؤهلاتهم الطبيعية، وملكاتهم الصحيحة. لكن الطفرات السريعة والتعجل للوصول الى السلطة، وما يرافق السلطة من نفوذ واغراءات شتى، قد أفسدت على العراق الكثير من بنيه.

وعلى الرغم من ان الاصلاح الجدي لهذا التخريب المزمن سيكون بطيئا، فاني على ما يشبه اليقين من ان أفسح المجال للتنافس الحر في ظل نظام ديمقراطي سليم، كفيل بان يحد من هذه الظاهرة المروعة التي تهدد مجتمعنا كله بكارثة لا يعلم مدى أغوارها الا الله وحده. ان النذر لتتطاير من كل جانب مشيرة الى المصير الأسود الذي ينتظر البلاد، اذا بقيت الحال على ما هو عليه. وان من الغباء والغفلة -ان لم يكن من الاجرام والخيانة بحق الأجيال القادمة وبحق الشعب كله- التغافل عن هذه الحقيقة المؤلمة وعدم الصدع بها. ولست اصدر -شهد الله- في هذا الذي اعلن وأقول عن عاطفة جامحة، ولا رغبة في التمويل، ولا مشيئة في استغلال الصعوبات التي تلاقيها الحكومة الحاضرة وستلاقيها كل حكومة تعقبها.

ان السيئات التي نعاني منها بعيدة الاغوار، متشعبة الجذور، وبعضها مزمن في وجودنا، وان العلاج سيحتاج، باضافة الى الحكمة البالغة، الى الزمن الطويل، والجهود المتضافرة.

واني لاهيب بكل مخلص لهذه البلاد - واهيب بمن في أيديهم مقاليد الامور خاصة- ان ينظروا الى هذا الأمر الخطير بعين الجد، وان يتدبروا الأمر بما هو حري به من مجهود مخلص ليعيدوا للمواطنين الذين كاد اليأس يقتلهم، والخوف من المستقبل المظلم يياسهم، والاشفاق على أجيالهم القادمة يقض مضاجعهم، وليعيدوا لهؤلاء جميعا بارقة أمل لئلا يضيق بهم العيش حين تنعدم فسحة الأمل.

وليعلم بعد ذلك من حري به ان يعلم بان حكمة شاعر الجاهلية لما تزل قائمة، وستكرر على مسرح الحياة غدا أو بعد غد...

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

تهدى الامور بأهل الرأى ما صلحت فان تولت فبالأشرار تنقاد

ثم ما اجل قوله تعالى وأصدقه:"ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون".

وأخيرا، وليس آخرا، ما ابلغ رسول الله وأكرمه حين يقول: "لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما، لا يجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم، وتدعو خياركم فلا يستجاب لهم".

مُحتَويــاتُ الكـــتاب

آثار المؤلف

١-**مذكرات في أحكام الأراضي في العراق**، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٤١، نفذ.

٢-**الموجز في تاريخ القانون**، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٤٩، نفذ.

٣-**مبادئ اصول القانون**، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٥٨، نفذ.

٤-**أبحاث وأحاديث في الفقه والقانون**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥٨.

٥-**الدولة الموحدة والدولة الاتحادية**، الطبعة الثالثة، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦.

٦-**مبادئ القانون المقارن**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧.

٧-**العراق من الاحتلال حتى الاستقلال** (محاضرات القيت في معهد الدراسات العربية العليا)، الطبعة الثالثة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧.

٨-**صفحات من الأمس القريب**: ثورة العراق هل كانت حتمية؟، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠.

٩-**أبحاث في القومية العربية** (محاضرات القيت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة وكليتي الشريعة والفقه العربية بجامعة الأزهر)، مطبعة القاهرة، ١٩٦١، نفذ.

١٠-**من وحي العروبة**، الطبعة الثانية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٣.

١١-**هذه قوميتنا** (الطبعة الاولى لهذا الكتاب كانت بعنوان بحوث في القومية العربية- محاضرات القيت في معهد الدراسات العربية العالية)، الطبعة الثانية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٣.

وقد ترجمت بعض فصول هذا الكتاب الى الانكليزية والفرنسية.

١٢-**من روح الاسلام**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥٩.

١٣- **نظرات في التربية والاجتماع والقومية**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧.

١٤- **مع الشعب**، (هذا الكتاب) ١٩٦٨. لم يصدر حتى ٢٠٠٤.

طبع في:

شركة الانعام للطباعة المحدودة

بغداد – المتنبي – شارع حسان بن ثابت

هاتف: ٤١٦٩٩٨٩

توزيع

مكتبة اليقظة العربية

بغداد – شارع الرشيد – السنك

عمارة الكيلاني – هاتف: ٨١٧٧٠٣٨

البرد النضير

لسونيتات شيكسبير

الطبعة الاولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م